

آثار بلاد الشام القديمة


وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

منشورات جامعة دمشق
كلية الآداب



آثار بلاد الشام القديمة

الدكتورة علا التونسي

الدكتور جمال تموم

الدكتور أحمد دياب

جامعة دمشق: ٢٠١٤-٢٠١٥ م
١٤٣٥-١٤٣٦ هـ

فهرس المحتويات



المقدمة:

يُغطي كتاب آثار بلاد الشام القديمة الحقب التاريخية الباكرة، أي تلك الفترة الممتدة من فجر التاريخ وحتى دخول الاسكندر المقدوني إلى الشرق. وهو موجه لطلاب قسم الآثار، السنة الثانية –الفصل الدراسي الأول حسب خطة قسم الآثار الحالية في جامعة دمشق.

تقسم بلاد الشام أو سوريا القديمة إلى خمسة أقاليم جغرافية وهي: المنطقة الساحلية: الممتدة من خليج اسكندرون في الشمال إلى رفح في الجنوب. منطقة الجبال الساحلية: سلسلة الجبال الموازية لساحل البحر المتوسط من الأمانوس في الشمال إلى جبال الجليل والكرمل وجبل سيناء في الجنوب. منطقة السهول الإنهدامية: وهي السهول المنخفضة، من أهمها سهل العمق في الشمال وسهل البقاع في الوسط بين سلسلة جبال لبنان الغربية والشرقية. منطقة الجبال الداخلية: وهي مجموعة من الهضاب والجبال التي تقع إلى الشرق من منطقة السهول الإنهدامية من أشهرها جبل سمعان وجبل الزاوية وجبال اللبنان الشرقية وجبل حوران وهضبة الجولان. وأخيراً منطقة السهول الداخلية وبادية الشام: الممتدة من حلب في الشمال إلى حوران في الجنوب وتصل شرقاً الى نهر الفرات. إضافةً لسهول الجزيرة السورية وهي المنطقة المحصورة بين نهر البليخ ونهر الخابور. بينما تمتد بادية الشام إلى الشرق من السهول الداخلية حتى نهر الفرات.

تميزت سوريا بموقع جغرافي خاص في قلب العالم القديم، مما جعلها جسراً بين العديد من الحضارات القديمة، وصلة الوصل بين الأناضول ووادي النيل وبلاد الرافدين والبحر المتوسط واليونان وكريت وقبرص. أدى ذلك إلى جعلها حضارة منفتحة ومطلعة على الحضارات المجاورة. ولكنها تمتاز بتفردها ففيها ظهرت أولى المدن في بداية الألف الرابع قبل الميلاد وفيها ظهرت أولى الأبجديات كما اشتهرت مدنها بتنظيم مدني عالي المستوى. يظهر تفردها واستقلاليتها على صعيد العديد من المنجزات الحضارية منها العمارة، حيث كان لبلاد الشام طرزاً خاصة تميز تحصيناتها وقصورها ومعابدها ومنازلها. فضلاً عن مختلف أصناف الفنون من نحت ورسم، والصناعات من عاج وأسلحة وحلي وأنواع الفخار العديدة... الخ.

لا شك أن هذه المميزات الحضارية لم تبدأ وتنتهي بشكل واحد ولكنها تطورت عبر العصور فكان لكل عصر ملامحه الخاصة. فعلى سبيل المثال لا الحصر تمتاز المدن في الألف

الثالث ق.م بأنها دائرية الشكل ولكنها تطورت في الألف الثاني ق.م إلى الشكل المضلع (المستطيل أو المربع).

وبسبب طول الفترات التي يعالجها الكتاب (أربعة آلاف عام) كان لابد من عرض المميزات الحضارية وفق ترتيب حولي يسمح للقارئ بتتبع المنجزات الحضارية وملاحظة التطورات خلال مختلف المراحل الزمنية.

يتألف الكتاب من تمهيد وبابين. يُقدم التمهيد (لمؤلفه د. أحمد دياب- اختصاص عصور ما قبل التاريخ) عرضاً سريعاً عن عصور ما قبل التاريخ.

يُعنى الباب الأول (لمؤلفه د. علا المهدي التونسي –اختصاص آثار بلاد الشام القديمة) وعنوانه العمارة في بلاد الشام بمواقع وعمارة بلاد الشام منذ الألف الرابع ق.م وحتى نهاية الألف الأول ق.م.

خصص الفصل الأول وعنوانه الألف الرابع ق.م، لشرح المميزات الحضارية للعصر الحجري النحاسي أولاً (وأهمها فجر المدنيّة)، ثم درست العمارة في أهم مواقع الألف الرابع ق.م في بلاد الشام.

خصص الفصل الثاني وعنوانه الألف الثالث ق.م لتقديم العمارة والعمران في مختلف مناطق بلاد الشام (منطقة الفرات والمنطقة الغربية والوسطى من سوريا، وفلسطين) خلال كل مرحلة من مراحل عصر البرونز القديم (البرونز القديم الأول والثاني وعصر البرونز القديم الثالث والرابع).

خصص الفصل الثالث وعنوانه الألف الثاني ق.م لتقديم المنجزات الحضارية في مختلف مناطق بلاد الشام خلال عصري البرونز الوسيط (النصف الأول من الألف الثاني ق.م) والحديث (النصف الثاني من الألف الثاني ق.م). درست من خلاله العمارة في أهم المواقع الأثرية في بلاد الشام (المنطقة الغربية والوسطى ومنطقة الفرات وفلسطين).

خصص الفصل الرابع وعنوانه الألف الأول ق. م لتقديم المنجزات الحضارية في بلاد الشام خلال مختلف مراحل عصر الحديد (عصري الحديد الأول والثاني وعصر الحديد الثالث) درست من خلاله العمارة في أهم مواقع سوريا القديمة (في المنطقة الشمالية والغربية والوسطى والمنطقة الساحلية).

ومن الجدير بالذكر أن دراسة جميع المواقع خلال مختلف العصور كانت قد تمت بعد تقديمها بشكل كامل: من حيث الموقع الجغرافي ومراحل الاستيطان وتاريخ التنقيبات الأثرية ثم تنظيم المدينة وشرح المنشآت العمرانية داخلها.

يعنى الباب الثاني (لمؤلفه د. جمال تموم- اختصاص آثار الشرق القديم) وعنوانه الفنون والفخار في بلاد الشام، بالمواد الأثرية والفنون في المنطقة المدروسة منذ فجر التاريخ وحتى نهاية عصر الحديد. وقد تناول هذا الباب مواضيع هامة عرضت في خمسة فصول:

يعنى الفصل الأول وعنوانه النحت بتقديم أهم مدارس هذا الفن (العصر الحجري النحاسي وعصور البرونز وعصر الحديد).

يعنى الفصل الثاني وعنوانه العاج بتقديم هذه الصناعة الهامة في بلاد الشام وخصوصاً خلال الألف الأول ق.م.

يختص الفصل الثالث وعنوانه صناعة الفخار بدراسة هذه المادة الهامة منذ نشأتها وتطورها خلال العصور، في مختلف مناطق بلاد الشام (خصوصاً المنطقة الغربية والوسطى وفلسطين).

يعنى الفصل الرابع وعنوانه ابتكار الكتابة بهذا النتاج الحضاري الهام وتطوره عبر مختلف المراحل الزمنية. حيث قدم المؤلف لمحة عن الطور الممهد للكتابة وبداية الابتكار ثم أنواعها وتطورها وصولاً إلى الأبجدية.

يعنى الفصل الخامس وعنوانه الأختام بدراسة نشأة الأختام وتطور أشكالها عبر الزمن.

آملين أن نكون قد وفقنا في تقديم آثار بلاد الشام القديمة بشكل يرقى إلى أهمية هذه الحضارة التي تعتبر إحدى أهم حضارات العالم القديم.

د. علا التونسي- دمشق ١٨/٥/٢٠١٤.



تمهيد

د. أحمد دياب




وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

أولاً: تاريخ البحث الأثري في عصور ما قبل التاريخ:

المرحلة الأولى:

شهد العقدان الأولان من القرن العشرين بدايات التنقيب عن آثار عصور ما قبل التاريخ في منطقة بلاد الشام على يد الباحثين الأوربيين الذين كانوا قبل ذلك قد عملوا في مجال البحث عن مواقع العصور التاريخية، وكان المسح الذي قام به P.Goh.FRIED و Zumoffen ما بين ١٩٠٠-١٩٠٨ في لبنان هو الرائد في بلاد الشام، أدى إلى اكتشاف مواقع على السطح Surface في نهر إبراهيم ونهر الجوز وعدلون في لبنان،، كما نقب ماكس فون اوبنهايم M.V.Openheim في موقع تل حلف عام ١٩١١، وفي فلسطين اكتشفت عدة مواقع مثل الزطية من قبل Turville Petere عام ١٩٢٥ وموقع كيبارا بواسطة S.Kekles عام ١٩٢٧[١]. كما اكتشفت غارود ونقبت العديد من المواقع في وادي المغارة في فلسطين الذي يعد أغنى منطقة في فلسطين من حيث المواقع، إذ نقبت في مغارة الواد(١٩٢٩-١٩٣٣)، مغارة الطابون (١٩٢٩-١٩٣١) ومغارة السخول (١٩٣٠-١٩٣٢)[٢] و وضع كتابان عن التنقيبات في المنطقة[٣]. بينما افتتح الباحث الألماني ألفريد روست أعمال البحث في آثار عصور ما قبل التاريخ في سورية باكتشافه الملاجئ الثلاثة في يبرود التي نقب فيها ما بين ١٩٣٠-١٩٣٣، واكتشف لأول مرة الصناعة اليبرودية التي تتميز بالمقحف اليبرودي ذي الحواف المتلاقية، وقام بتأليف كتاب باللغة الألمانية أسماه مكتشفات مغاور يبرود[٤] قام بنشره عام ١٩٥٠، ويعد هذا الكتاب المؤلف العلمي الأول عن عصور ما قبل التاريخ في سورية[٥]، كما قام Haller باكتشاف وتنقيب موقع شيخا جنوب طرابلس لبنان ١٩٤٠ وعثر فيه على أدوات لوفالوازية من نوى ورؤوس سلاح وأزاميل[٦].

تشكلت خلال الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية القاعدة الهيكلية لأبحاث ما قبل التاريخ في منطقة بلاد الشام، وتعد المرحلة الأولى والأساسية لأعمال البحث في آثار ما قبل التاريخ في المنطقة، وقد كانت أعمال الرواد الأوائل مثل Garrod و Rust و Turvill وغيرهم محاولات طابعها المجهود الفردي والحماسي، لكن هذا المجهود أدى إلى لفت الانتباه إلى أهمية آثار

(١) F. Hours، Copeland.L1973 . Aurenche.O، Les I Ndustries Paleolithiques Du Proch – Orient ، Essai De Correlation L' Anthropologie. T. 77. N 3-4 /. P. 254.

(٢) Garrod.D. and Bate.D; The Stone Age of Mont Carmel; Vol 1 Oxford 1937; PP 5-6،57،92.

(٣) Garrod.D. Ibid.& Mc.Cown and Sir Arthur. Keth 1939; The Stone Age of Mont Carmel. The Fossil Human Remains From the Levalloiso – Mousterian. Oxford.

(٤) A.Rust 1950، Die Hohlenfunde von Jabrud (Syrian). Neumunster: K.Wachholtz.

(٥) سلطان محيسن تقديم لكتاب ألفريد روست ١٩٨٨:مكتشفات مغاور يبرود،ترجمة محمد قدور،يبرود ص(١٠-٣٠)، وانظر سلطان محيسن: عصور ما قبل التاريخ،منشورات جامعة دمشق ١٩٩٠ ص (٣٤٥-٣٤٩).

(٦) Lorraine Copeland 1981 ; Chronology and distribution of the middle Paleolithic as known in 1980، in Lebanon and syria. IN Jaques Cauvin ;prehistoire du levant .C.N.R.S Paris .P 16.

عصور ما قبل التاريخ في منطقة بلاد الشام، ودفعت إلى الانتقال إلى المرحلة الثانية من البحث في آثار عصور ما قبل التاريخ.

المرحلة الثانية:

تقع المرحلة الثانية في الستينيات من القرن العشرين، وتتميز بأعمال المسح الأثري التي كانت تقام في دولة من الدول أو تشمل أكثر من دولة، قام بها علماء ما قبل التاريخ أو جومورفولوجيون، وقد غطت أعمالهم مناطق مختلفة، أدت إلى اكتشاف عدة مواقع؛ فالباحث الهولندي فان ليره Van Lire الذي استفاد من كونه مختصا بالتربة لدى الحكومة السورية. قام بمسح أولي في مختلف المناطق في سورية عامي ١٩٦٠/١٩٦١. اكتشف خلاله العديد من المواقع أهمها: اللطامنة في حوض العاصي وسط سورية، الذي يمثل أرضية معسكر بقيت سليمة رغم مرور أكثر من نصف مليون سنة عليها. ويعد السيد فان ليري أول من درس العصور الحجرية ضمن إطارها الجيولوجي والجيومورفولوجي وحدد علاقتها بالأسرة والمصاطب والشواطئ الرباعية[٧]. وقد قام بالتنقيب في هذا الموقع ديزموند كلارك D.Clark عام ١٩٦٩ ودلت التحاليل على أنه يعود إلى الآشولي الأوسط[٨].

كما قامت جامعة طوكيو في هذه المرحلة بمسح لمواقع العصر الحجري القديم في لبنان وسورية في الفترة ما بين ١٩٦٧-١٩٦٨، أدى إلى تحديد عدد كبير من المواقع العائدة للعصر الحجري القديم[٩] مثل: جرف العجلة،كهف الدوارة ومواقع جبل عبد العزيز في الجزيرة السورية[١٠]، وكهف كيوي في لبنان الذي يقع في الجهة الجنوبية لوادي كيوي جنوب غرب مدينة طرابلس اللبنانية، الذي انطلقت التنقيبات فيه في نفس السنة،وهو عائد للعصر الحجري القديم الأوسط.[١١]

لقد شهدت هذه الفترة بالإضافة إلى عمليات المسح تنقيب بعض المواقع الهامة في بلاد الشام مثل كهف كيوي السابق الذكر، ومغارة جعيتا في لبنان التي بدأت التنقيبات فيها ١٩٦٢-١٩٦٣،[١٢] كما أعادت جامعة كولومبيا التنقيب في ملاجئ يبرود برئاسة رالف سوليكي في أعوام (١٩٦٣-١٩٦٤-١٩٦٥).[١٣] ونقبت بعثة يابانية في كهف الدوارة في البادية السورية اعتباراً من عام ١٩٧٠ برئاسة كل من سوزوكي وتاكاي حتى عام ١٩٧٤، وبعدها برئاسة أكازاوا[١٤].

---

(٧) محيسن عصور: المرجع السابق ص ٣٤٧-٣٤٨

(٨) H.Suzuki and Kobori 1970 ;Report of reconnaissa survey on Paleolithic sites in Lebanon and Syria ; Tokyo . PP. 34-48.

(٩) H.Suzuki and Kobori. Ibid. Pp34-48.

(١٠) Yoshihiro Nishiaki and L.Copeland 1992 ;Keoue cave ،northern Lebanon، and its place of the levantine mousterian ;IN Akawawa ;The evolution and dispersal of modern humans in Asia TOKYO.P.109.

(١١) Francis Hours 1966; rapport preliminaire sur les fouilles de Jiita ;Bulletin du musee de Beyrouth ; IX ،Paris. P.11.

(١٢) . سلطان محيسن تقديم لرالف سوليكي:مرجع سابق،ص ١١

(١٣) Akazawa T1988 ;Ecologiede L'Occupation de la grotte de Doura ،Syrie ،au paleolithiaue moyen L'Anthropologie . Tom 92. P 883-886.

(١٤) Akazawa T1988 ;Ecologiede L'Occupation de la grotte de Doura ،Syrie ،au paleolithiaue moyen L'Anthropologie . Tom 92. P 883-886.

إن أعمال المسح التي تمت في هذه الفترة أغنت الخارطة الأثرية في منطقة بلاد الشام باكتشاف العديد من المواقع العائدة لعصور ما قبل التاريخ، مما أكسب المنطقة أهمية كبيرة في هذه العصور وبدأت البعثات الأجنبية التي تعمل فيها بتطبيق مناهج أكثر تطورا مما ساعد على زيادة معرفتنا في هذه الفترة والدخول في المرحلة الثالثة.

المرحلة الثالثة:

تطورت في هذه المرحلة أعمال التنقيب في بلاد الشام، اعتمدت فيها الأبحاث على التحاليل المخبرية والحواسب الإلكترونية، عملت خلالها في منطقة بلاد الشام عدة بعثات أجنبية، أدت أعمالها إلى اكتشاف العديد من المواقع، التي زودت العالم بمعلومات هامة ألقت الضوء على فترات عصور ما قبل التاريخ.

إن أهم الاكتشافات التي حصلت في هذه الفترة كانت حوض الكوم الذي اكتشف لأول مرة في المرحلة السابقة عام ١٩٦٥ من قبل دورنمان وفان لون اللذين أجريا أسبارا Sondages في تل الكوم كانت بمثابة المفتاح لاكتشاف أغنى منطقة في بلاد الشام من حيث غناها بمواقع عصور ما قبل التاريخ، إذ قامت بعد هذا بعثات مختلفة بأعمال مسح أثرية في المنطقة منها البعثة الفرنسية التي يرأسها جاك كوفان ١٩٧٨، أدت أعمال المسح إلى اكتشاف أكثر من خمسة عشر موقعا جميعها على شكل تلال أي مواقع في الهواء الطلق Sites de plein-air، وتشكل منطقة الكوم منخفضا طوله ٨٠كم،وعرضه ٢٥كم تحيط به الجبال من الشرق والجنوب والجنوب الغربي وأودية من باقي الاتجاهات[١٥]. إن حوض الكوم أعطى الكثير ولازال يعطي فبالإضافة إلى آثار الاستيطان البشري حول ينابيع المياه التي كانت بجانب المواقع المكتشفة؛ تراكمت مئات الألوف من الأدوات الحجرية المقترنة بعظام الحيوانات الوفيرة والمتوضعة كلها ضمن طبقات سليمة بلغت سماكتها عشرات الأمتار[١٦].

كما اكتشفت في حوض الكوم صناعة حجرية جديدة هي الصناعة الهوملية تؤرخ على المرحلة الانتقالية بين العصر الحجري القديم الأسفل والأوسط، تتميز بالنصال الطويلة، علماً بأن هذه الصناعة لم يعثر عليها خارج منطقة الكوم حتى الآن، واختفت مع اختفاء الهومليين[١٧]. ومن المواقع الهامة التي اكتشفت في هذه المرحلة كان حوض الأزرق في الأردن، الذي اكتشف بداية في عام ١٩٥٠ من قبل Harding Zeuner وتبين أنه عائد للعصر الحجري القديم، إلا أن مشروع المسح و التنقيب في حوض الأزرق بدأ في عام ١٩٧٥ لمعرفة المزيد عن البدايات الإنسانية في

(١٥) Jaques Cauvin; cinq annees de recherches (1978-1983) dans L osis d el Kowm (syrie) A.A.A.S Vol33. .Part1 P. 56-16، &Eric Boeda et Sultan muhesen 1993; Umm el tlel (EL Koum Syrie) etude preleminaire des industries lethique du paleolithique moyen et superieur 1991-1992. Cahiers de L euphrate. Vol 7. Paris P47-49.

(١٦) محيسن عصور:مرجع سابق، ص ٣٦٥.

(١٧) . محيسن عصور:المرجع نفسه، ص ٣٦٦

شرق الأردن خلال البليستوسن المتأخر[١٨]، وعلى الرغم من اكتشاف عدة مواقع ما قبل التاريخ في منطقة حوض الأزرق إلا أن هناك موقعين هامين: الأول هو موقع عين الأسد الذي أنتج عدة مئات من الفؤوس اليدوية handaxes، والموقع الثاني هو نبع الأزرق عثر فيه على عدد كبير من الأدوات اللوفالوازية[١٩].

لم تتوقف عمليات المسح الأثري في هذه الفترة، حيث جرت العديد من حملات المسح أدت إلى اكتشاف مواقع أثرية هامة؛ مثل المسح الذي قام به فريق مسح سوري وياباني مشترك في جبل ليلول امتداد جبال سمعان قرب عفرين شمال غرب سورية أدى إلى اكتشاف عدة مواقع هامة تعود معظمها للعصر الحجري القديم[٢٠]، وقام فريق مؤلف من أحمد دياب ونيكولاس كونارد من جامعة توبنغن الألمانية في عام ١٩٩٩ بمسح أثري في منطقة ريف دمشق أدى إلى اكتشاف مواقع عدة تعود إلى العصر الحجري القديم[٢١].

وفي هذه الفترة أيضاً حصلت اكتشافات أثرية هامة مثل: هيكلين عظميين لطفلي نياندرتال في موقع الديدرية في منطقة عفرين شمال غرب سورية في عامي ١٩٩٣ و ١٩٩٨، ويعد الهيكل العظمي الأول المكتشف في ١٩٩٣ من أكمل الاكتشافات على مستوى العالم لإنسان نياندرتال؛ إذ تم العثور على الهيكل العظمي كاملاً[٢٢] كما اكتشف عظم جداري لجمجمة إنسان هوموأركتوس في موقع الندوية عين عسكر في حوض الكوم بالبادية السورية في عام ١٩٩٦ .[٢٣]

ولازال التنقيب جارياً في الكثير من المواقع العائدة لعصور ما قبل التاريخ والتي تتحفنا في كل موسم باكتشافات جديدة تسلط الضوء على كثير من الجوانب الغامضة في هذه العصور.

ثانياً: العصر الحجري القديم:

قبل الدخول في دراسة الأدوات الحجرية التي تم التقاطها في المسح الأثري الذي قمت به بالتعاون مع المديرية العامة للآثار والمتاحف السورية، والأدوات الحجرية العائدة لمواقع الدوادمي؛ لابد من التعريف بالعصر الذي نحن بصدد دراسته في أسيا الغربية وهو العصر الحجري القديم بأقسامه الثلاثة: العصر الحجري القديم الأسفل، العصر الحجري القديم الأوسط، والعصر الحجري القديم الأعلى.

(١٨) Copeland.L 1988; Environment Chronology and Lower – Middle Paleolithic Occupations of the Azraq Basin. Jordan. Paleorient. Vol 142/. P 66 .
A.N .Garrard ،S.Colledge1988 ; Enviroment and Subsistence During the Late Pleistocene and Early Holecen in the Azraq Basin. Paleorient Vol 142/ .P 40-41.

(١٩) Garrard. A.N.and Nicholas.P1975; A Survey of Prehistoric Sites in the (Azraq Desert، National Park) in Eastern Jordan. Annual XX. Amman. P 83.

(٢٠) Sultan Muhesen 1988 ;Prospection dans La Region d' Afrin (Syrie); Paleorient 142/ . P 145-146.

(٢١) تقرير البعثة الأثرية محفوظ في دائرة آثار ريف دمشق.

(٢٢) سلطان محيسن وتاكيرو أكازاوا ٢٠٠٢: مكتشفات متميزة من عصور ماقبل التاريخ في منطقة عفرين سورية، مجلة أدوماتو عدد ٥، ص ١٣-١٤.

(٢٣) Jagher.J. Le Tensorer. J.M 1997; Decovertes de Restes dans les Niveaux Acheuleen de Nadaouiyeh Ain Askar (El Kowm) Syrie Centrale. Paleorient 231/. PP.87-90.

يعد العصر الحجري القديم من أطول العصور التي مر بها الإنسان خلال رحلته في طريق تقدمه، كما تعد مواقعه الأكثر قدماً في أسيا الغربية.

سنحاول في هذا الفصل إلقاء الضوء على أهم المواقع في هذا العصر في كل إقليم من أقاليم أسيا الغربية كل على حده، والتعريف بأهم مميزاته من خلال الأدوات الحجرية المصنعة التي تم اكتشافها، التي كانت بمثابة الهوية المعبرة عنه، والمؤشر الرئيسي على تطور المجتمعات في العصور الحجرية القديمة.

١- العصر الحجري القديم الأسفل:

يعد العصر الحجري القديم الأسفل أطول العصور الحجرية زمنياً في بلاد الشام. يقسم هذا العصر إلى ثلاثة أطوار تبعاً للمكتشفات الأثرية التي كانت تميز كل طور، وقد درجت العادة في أغلب المناطق ربط تقسيمات العصور بالتقسيمات الأوربية للسبق الذي حققته أوربة في هذا المجال، وفيما يخص العصر الحجري القديم الأسفل في بلاد الشام يقسم إلى فترة غير بعيدة على أساس الثقافة الآشولية التي نشأت في أوربة وكان التقسيم آشولي (قديم، أوسط وحديث). وقد كان للأدوات الحجرية وخاصة ثنائية الأوجه والصفات النمطية والتقنية لها دوراً أساسياً اعتمد عليه الباحثين في تحديد مراحل العصر الحجري القديم الأسفل إلى قديم، أوسط وحديث[٢٤]، وبناء على اتساع رقعة المسح الأثري لمواقع ما قبل التاريخ في بلاد الشام وعلى تطور مناهج البحث بداية من سبعينيات القرن العشرين ولاسيما بعد دراسة العديد من الأدوات الحجرية المصنعة العائدة لمواقع أثرية متعددة في بلاد الشام[٢٥].

أ- العصر الحجري القديم الأسفل (القديم):

يعاصر العصر الحجري القديم الأدنى(القديم) الطور الآشولي القديم، الواقع في نهاية عصر البليستوسن الأدنى وبداية البليستوسن الأوسط، ويؤرخ ما بين مليون سنة إلى ٧٠٠ ألف سنة[٢٦].

يعد موقع ست مرخو الذي أُرخ بحوالي مليون سنة، الواقع في حوض نهر الكبير الشمالي في شمال غرب سورية أحد أهم مواقع الطور الآشولي القديم في بلاد الشام، عثر فيه على القواطع Chopper، شظايا ونوى، إضافة إلى الفؤوس اليدوية البدائية[٢٧]. بينما لم يعثر في مواقع أخرى على فؤوس يدوية، وكان السائد هو القواطع ولاسيما في موقعي خطاب على العاصي و برج قناريت اللبناني[٢٨]. ويعد موقع العبيدية الواقع على الضفة اليمنى لبحيرة طبرية في فلسطين من المواقع المهمة في الطور الآشولي القديم، إذ كانت الفؤوس اليدوية فيه أكثر تطوراً من أدوات موقع ست مرخو.[٢٩]

(٢٤) Hours Francis 1981; Le Paleolithique Inferieur de La Syrie et du Liban Le Point de la Question En 1980. IN Prehistoire du levant .CNR.S،Paris. P.165-166.

(٢٥) O.Bar- Yosef1980 ; Prehistory of the Levant. Anthropol. 9 /. P. 106.

(٢٦) محيسن سلطان١٩٨٩: بلاد الشام في عصور ماقبل التاريخ (الصيادون الأوائل) الأبجدية للنشر،دمشق .ص٧٣.

(٢٧) Bar. Yosef 1980; Op.Cit P106، وانظر محيسن ١٩٨٩:المرجع نفسه ص ٧٣ .

(٢٨) Hours 1981. op.cit. P. 167.

(٢٩) محيسن الصيادون المرجع نفسه ص ٧٣.

كما ينسب إلى هذه الفترة موقع حالاليم الواقع على الساحل الفلسطيني[٣٠].

شكلت القواطع Choppers الجزء المهم من الأدوات الحجرية المكتشفة في مواقع هذا الطور، أما الفؤوس اليدوية فلم يعثر عليها إلا في مواقع (ست مرخو، وبرج قناريت اللبناني، والعبيدية في فلسطين)، وكانت بدائية، ولم تأخذ الفؤوس اليدوية شكلاً معيناً، ويحتوي كل وجه من أوجه الأداة اقتطاعات كبيرة، وهي ذات حواف غير منتظمة وشبه مسننة، واستخدم الطرق المباشر بوساطة المطرقة الحجرية في عملية تصنيعها[٣١].


الشكل ١

وقد عثر في بلاد الشام على العصر الحجري القديم (العتيق) Le Paleolithique Archaique، الذي سبق الثقافة الآشولية، ويطلق عليه بعضهم ما قبل الآشولي Pre-Acheulean أو الألدوان المتطور Developed Oldowan، وقد كانت الأدوات الرئيسية في هذا العصر القواطع Choppers والأدوات القاطعة Chopping-tool.[٣٢] تم التعرف عليه في سبعينيات القرن العشرين، وذلك في موقع خطاب في سورية، والعبيدية في فلسطين[٣٣]، وكانت أحدث اكتشافات هذا العصر في سورية في موقعي بئر الهمل، وعين الفيل بداية من عام ٢٠٠٢[٣٤]. (الشكل رقم ١/١).

ب- العصر الحجري القديم الأسفل (الوسيط):

يقع هذا الطور في البلايستوسن الأوسط والرباعي النهري الثالث QFIII، والرباعي البحري الثاني QmII، ويعاصر الطور الآشولي الأوسط ويؤرخ ما بين ٧٠٠ إلى ٤٠٠ ألف سنة[٣٥].

انتشرت مواقعه في رقعة واسعة من بلاد الشام من الساحل حتى البادية السورية، كما برزت خلاله الفؤوس اليدوية كأداة رئيسية تم الاعتماد عليها في تمييز إقليمين من بلاد الشام: الإقليم الأول المنطقة الداخلية من بلاد الشام: سادت فيها الفؤوس اليدوية المتطاولة والمدببة، التي غطت مواقع عديدة كموقع جب جنين في وادي الليطاني في لبنان، وموقع سمرا وموقع السطحة

(٣٠) Bar-Yosef 1994; The Lower Palaeolithic of the Near East، Journal of World Prehistory، Vol 8،N3 Pp.211-266 Op.cit. P 239.
(٣١) Hours1981. Op.cit P 167.
(٣٢) Whalen and Fritz2004.Op.cit. P8-10.
(٣٣) Le Tensorer J.M 2007; Le Paleolithique Ancien de Syrie et L'Importance du Golan Comme Voie de Passage lors de L'Expannsion des Premirs Hommes Hors D'Afriqe. IN History and Antiquities of AL-Golan; Pp 37-55. P 44-47.
(٣٤) Le Tensorer2007. OP.cit. P39-44.
(٣٥) فرنسيس أور ١٩٩٥: حضارات العصر الحجري القديم، تعريب سلطان محيسن، مطابع ألف باء دمشق ط١. ص ٧٩.

في الأردن[٣٦]. ومواقع الندوية، والميرة في الكوم، وموقع اللطامنة على العاصي، ويعد الأخير الموقع الأهم في هذا العصر، الذي عثر على طبقاته الأثرية في مكانها الأصلي إلى جانب أرضية سكن تعد الأقدم خارج أفريقيا مما أعطى دفعا للدراسات حول هذا العصر ويؤرخ على نهاية البليستوسين الأوسط[٣٧]. إن أنموذج المنطقة الداخلية الذي يسمى محليا بنموذج اللطامنة يمثل بداية الطور الآشولي الأوسط[٣٨]. أما الإقليم الثاني: فقد شمل المواقع الساحلية في بلاد الشام مثل رأس بيروت، والبترون، وبير زين و خلاله، إذ سادت فيه الفؤوس اليدوية البيضاوية الشكل والعريضة[٣٩]، و تعود أدوات هذا الإقليم إلى فترة متأخرة عن صناعة الإقليم الداخلي[٤٠].

ووجد إلى جانب الفؤوس اليدوية الأدوات ثلاثية الأسطح Trihedral، ومتعددة الأسطح Polyhedrons، التي يمكن تفسير وجودها على أنها قطع أو شظايا تقطيع: يتغير شكلها حسب سير عملية تصنيع الأداة. وقد صُنعت الأدوات الحجرية بالطرق المباشر باستخدام المطرقة الحجرية مع ظهور بوادر التقطيع اللوفالوازي.[٤١] (الشكل رقم ٢/١)

جـ- العصر الحجري القديم الأدنى (الحديث):

تنتشر مواقع العصر الحجري القديم الأدنى (الحديث) على مساحة واسعة من بلاد الشام من الساحل حتى نهر الفرات، استوطن سكان هذا الطور البادية السورية، وشرق نهر الأردن والبحر الميت في فلسطين، وتوجد آثاره في رواسب الرباعي النهري الثاني الذي يرمز له بـ QfII، ويعاصر الطور الآشولي الحديث، ويؤرخ مابين ٤٠٠إلى ٢٥٠ ألف سنة[٤٢].

شكلت الفؤوس اليدوية في هذا الطور أداةً حجرية رئيسية، إذ ساد في هذا الطور نوعٌ واحدٌ من الفؤوس اليدوية ذات الشكل البيضاوي والقلبي. مَثّلَ تقليدا حضاريا غطى المنطقة بشكل عام مع بعض الاستثناءات التي حصلت في مواقع نهر الفرات، إذ سادت الأداة ثلاثية الأبعاد المسماة Pick.[٤٣] وكانت الفؤوس اليدوية أكثر تناسقاً وتنظيماً من حيث صناعتها عن الفؤوس اليدوية العائدة إلى الفترات السابقة.[٤٤] كما ظهرت أدوات جديدة وخفيفة وهي المقاحف والمكاشط Racloire & Qrattoire، كما تميز هذا الطور بقلة عدد القواطع، Chopper

---

(٣٦) Besancon.J، Copeland.L، Hours.F.*et al*1984; The Lower and Middle Paleolithic in The Upper Zarqa / khirbet Samra Area of Northern Jordan. 198283- Survey result. Annual 28;. PP91-142; P.103.

(٣٧) Le Tensorer J.M 2007; Le Paleolithique Ancien de Syrie et L'Importance du Golan Comme Voie de Passage lors de L'Expannsion des Premirs Hommes Hors D'Afriqe. IN History and Antiquities of AL-Golan; 37-55. PP48-49.

(٣٨) Gilead.D 1970; Handaxe Industries in Israel and the Near East، World Archaeology، Vol 2. No1. 1-10. P4.

(٣٩) Besancon.J، Copeland.L، Hours.F.*et al*1984; The Lower and Middle Paleolithic in The Upper Zarqa / khirbet Samra Area of Northern Jordan. 1982-83 Survey result. Annual 28; Pp 91-142; P.103.

(٤٠) Bar- Yosef1994، Op.Cit، P.225.

(٤١) Bar-Yosef 1980،Op.cit. P.109.

(٤٢) op.cit P 173 Hours وانظر محيسن صيادون المرجع السابق ١٩٨١. ص ٨١.

(٤٣) Hours. 1981. P.173 ، وتقي الدين دباغ ص ٤٢-٤٣.

(٤٤) Yosef; 1980. op.cit P.226.

وزيادة الأدوات الحجرية التي تم تقطيعها بالتقنية اللوفالوازية.[45] كما أن الاتجاه التقني العام في تصنيع الأدوات الحجرية خلال هذا العصر هو الميل نحو استخدام المطرقة اللينة (خشب أو قرن حيوان) في تصنيع الأدوات الحجرية.[46]

أدى انتشار الإنسان في هذا العصر على رقعة واسعة إلى العثور على مواقع عديدة منها مواقع البادية السورية (الكوم) حيث عثر على خمس عشرة سوية أثرية في مواقع متعددة عائدة لهذا العصر؛ مثل عين عسكر، أم تلال والندوية[47] ويعد الندوية من أفضل مواقع الكوم العائدة لهذا العصر، وهو عبارة عن تراكمات من الطمي يغطيها طبقات من الرمل بالقرب من بئر ارتوازي، يقع في الهواء الطلق.[48] أعطت الطبقات الأثرية الست العائدة لهذا العصر مجموعات من الأدوات الحجرية من بينها الأدوات ثنائية الأوجه لوزية الشكل مع عدد كبير من الشظايا، كما لوحظ وجود الأدوات التي تمت صناعتها بالتقنية اللوفالوازية.[49]

وهناك مواقع أخرى مشابهة مثل مغارة الطابون (السوية F) ومغارة أم قطفة (السوية D) في فلسطين، وموقع عين الأسد ومنطقة الأزرق في الأردن،[50] ورأس بيروت في لبنان. [51]

ويعد موقع القرماشي الذي اكتشف١٩٧٧ في حوض نهر العاصي في سورية من أهم مواقع هذا العصر كشفت التنقيبات فيه معسكراً سليماً سكنته جماعة بشرية صغيرة في هذا العصر، دلت على أرضية السكن الأحجار المنتظمة التي بقيت على أرضية الموقع وهو دليل آخر مع موقع اللطامنة في العصر السابق على تحرر الإنسان من الكهوف في وقت مبكر في هذه المنطقة. [52]

عثر في موقع القرماشي على مجموعة كبيرة من الأدوات الحجرية ٢٠٠٠ قطعة تقريبا تشمل على ١٨٠ أداة ثنائية الأوجه، كانت بصفة أساسية لوزية الشكل وبيضاوية، إضافة إلى المقاحف، الأدوات المسننة والشظايا التي تدل على أن عمليات تصنيع الأدوات قد حصلت على أرض المعسكر مباشرة.[53]

هذا وإن الاتجاه التقني العام في تصنيع الأدوات الحجرية خلال هذا العصر هو الميل نحو استخدام القادح اللين (خشب أو قرن حيوان) في تصنيع الأدوات الحجرية، كما تميز هذا العصر بوجود الأدوات المصنوعة بالتقنية اللوفالوازية أكثر من العصر السابق.[54]

---

(٤٥) Hours 1981. op.cit P.173، ومحيسن صيادون مرجع سابق ص ٨١

(٤٦) Yosef 1994. P.247.

(٤٧) محيسن الصيادون المرجع نفسه ص ٨١.

(٤٨) Yosef ; *Ibid* P 247.

(٤٩) Jean-Marie LE Tensorer1996 ; Les Cultures Paleolithiques De La Steppe Syrienne ;L'Exemple D'El Kowm. P. 46 AAAS. Vol 42.

(٥٠) Rollefson Gary.O 1980 ; The Paleolithic Industries of Ain El-Assad (Loin Spring)، Near Azraq، Eastern Jordan. Annual ،Vol 24،.P.130-132.

(٥١) محسن الصيادون المرجع نفسه ص ٨٣.

(٥٢) محيسن الصيادون المرجع نفسه ص ٨١.

(٥٣) Yosef ; The Lower Palaeolithic. Op.cit P 247.

(٥٤) Yosef ; *Ibid* P 247.

كما يدخل ضمن هذا العصر طوراً من الثقافة الآشولية يسمى الطور الآشولي الحديث المتطور الذي يأتي بعد الطور الآشولي الحديث وقبل الآشولي النهائي، يتسم هذا الطور بفؤوس يدوية متوسطة الحجم ودقيقة الصنع لوزية الشكل أو بيضوية، وهي أكثر تطوراً من الفؤوس اليدوية في الطور الآشولي الحديث، وأقل تطوراً من الآشولي النهائي، كما عثر في هذا الطور على السواطير، بينما تراجعت الأدوات الثقيلة فيه. يؤرخ الطور الآشولي الحديث المتطور على نهاية العصر المطير الثاني المسمى محليا أبو جمعة وبداية العصر المطري الفاصل الأول المسمى (أنفه – نعامه)[٥٥].

تنتشر مواقع هذا الطور في القرماشي السوية Ib، وموقع أرض حمد على نهر الأبرش في طرطوس، مع استخدام التقنية اللوفالوازية في موقع أرض حمد، بينما كانت النسبة في القرماشي ٠,٥ ٪من مجموع الأدوات[٥٦]. (الشكل رقم ٣/١)

٢- الفترة الانتقالية:

بين أواخر العصر الحجري القديم الأسفل وبدايات العصر الحجري القديم الأوسط حصلت فترة انتقالية، تمتاز بالتراجع الحاد لثنائيات الأوجه وأصبحت صغيرة الحجم مقارنة بحجمها في العصر السابق، وظهور صناعات محلية أخف من ثنائيات الأوجه أخذت تسمياتها من مواقعها المحلية التي ظهرت بها أول مرة، واختفت هذه الصناعات مع انتهاء المرحلة الانتقالية ودخول العصر الحجري القديم الأوسط، حققت بعض من الصناعات الجديدة انتشاراً واسعاً في مواقع بلاد الشام وبعضها الآخر بقي في محيط الموقع الذي اكتشف فيه، ولغرابة هذه الفترة سنعرض لأهم هذه الصناعات محاولين إلقاء الضوء على هذه الفسيفساء الحضارية في هذه الفترة القصيرة نسبياً دون الخوض في أسباب هذا التنوع الذي نجهله أصلاً كما العديد ممن نقبوا أو عملوا في مواقع ما قبل التاريخ في بلاد الشام وبقيت الكثير من الأسئلة حولها لم تجد لها أجوبة واضحة.

أ- الصناعة اليبرودية وما قبل الأورينياسية :

إن الباحث الألماني ألفريد روست اكتشف الصناعة الجديدة وسماها اليبرودية نسبة إلى موقع يبرود، الذي كان فاتحة مواقع ما قبل التاريخ التي نقبت في سورية.[٥٧] واليبرودية هي صناعة حجرية على شكل مقاحف ذات حواف متلاقية ومشذبة بشكل متدرج وعالي ومصنوعة على شظايا سميكة، قاعدتها مستوية[٥٨]، وتوالى بعد أعمال روست في يبرود العثور على الصناعة اليبرودية في

(٥٥) محيسن سلطان١٩٨٣: موجز نتائج التنقيب في القرماشي، الحوليات الأثرية العربية السورية، مج ٣٣/ ج٢،ص ص ١٠٥- ١٢٢، ص١١٧، ١٢٠.

(٥٦) محيسن١٩٨٣ المرجع نفسه، ص١١٧، ١٢٠.

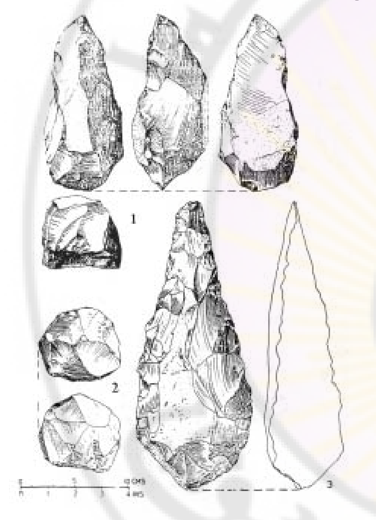
(٥٧) محيسن تقديم لـ الفريد روست المرجع السابق ص ٩.

(٥٨) Muhesen Sultan 1992; The Transitional Lower – Middle Palaeolithic Industries in Syria; IN Akazawa Takerue ; The Evolution and Dispersal of Modern Human In Asia. Tokyo. P. 52 .

مواقع متعددة في بلاد الشام مثل الطبقة E في كهف الطابون، عدلون، الزطية، جسر بنات يعقوب ونبع الأزرق.[٥٩]

لكن أغلب المواقع السابقة لم تتم فيها عملية تأريخ للصناعة اليبرودية إلا أن جاءت الاكتشافات المتتالية في منطقة الكوم بالبادية السورية حيث عثر على هذه الصناعة في أكثر من عشرة مواقع مثل أم تليل، بئر الهمل، الندوية عين عسكر، وتم تأريخ الصناعة اليبرودية في مواقع الكوم بطريقة اليورانيوم ثوريوم بين ١٥٠٠٠٠ و١٠٠٠٠٠.[٦٠]

إن الثقافة الثانية التي اكتشفها روست في الملجأ الأول في يبرود هي الثقافة ما قبل الأوريناسية أو العامودية كما تسمى في المواقع الفلسطينية عثر عليها في الطبقتين ١٣و١٥، اشتهرت هذه الصناعة بتصنيع النصال التي تنسب عادة إلى الإنسان العاقل ويعد روست هذه الثقافة لها تقاليد نصال نقية ولاتحتوي على عناصر أساسية من حضارة سابقة، فهي ثقافة نصال باليوليتية قديمة حقيقية لها سمة أورينياسية قديمة وتتراوح أطوال القسم الأكبر من الأدوات ما بين ٥-٦ سم وفي حالات استثنائية ٨ سم أو أقل من ٣ سم وقياس العرض ١-٣ سم ولاتتجاوز سماكتها ١سم.[٦١]



الشكل ٢

وقد أثار هذا نقاشاً بين الباحثين ومن بينهم فرانسوا بورد الذي رفض ظهور النصال في الشرق أقدم منه في أوربة.[٦٢] لكن اكتشاف الثقافة الهوملية دحض هذه الأفكار وأثبت أن صناعة النصال في بلاد الشام هي صناعة محلية أصلية. (الشكل رقم ٢/١).

ب- الصناعة الهوملية:

جاءت تسمية هذه الصناعة من الموقع الذي اكتشفت فيه أول مرة وهو بئر الهمل أحد المواقع في منخفض الكوم في البادية السورية، وهو حفرة بئر بعمق ٢٠ م تقريباً ظهرت الطبقات بشكل جيد وغني على الرغم من أن الموقع تم حفره على أساس بئر ماء من قبل السكان المحليين.[٦٣]

إن الصناعة الهوملية هي صناعة نصال بشكل أساسي يصل طول بعضها إلى حوالي ٢٠سم،

---

(٥٩) Muhesen Sultan ; The Transitional. Op.cit P 52.

(٦٠) Jean– Marie Le Tenserer 1996; Les Cultures Paleolithiques de la Steppe Syrienne; L`Exemple d`Elkowm AAAS .Vol 42. Pp 46،48. واذظر محيسن الصيادون، مرجع سابق.ص٩١.

(٦١) الفريد روست مرجع سابق ص ٧٨.

(٦٢) محيسن الصيادون مرجع سابق ص ٨٧،٩١.

(٦٣) Le Tenserer1996. Op.cit.P. 46 & Muhesen Sultan ; The Transitional .Op.cit P 55.

كما تتميز بقاعدة مستوية أو متعددة الأوجه غالباً ما يعثر عليها مكسورة نتيجة استخدام القادح الصلب في عملية الطرق أثناء تصنيع الأداة، تكون عملية التصنيع وحيدة المحور ونادراً ماتكون ثنائية المحور، أما النوى فقد كانت من النوع الموشوري[٦٤]، إلى جانب النصال الهوملية فقد صنع الهومليون رؤوس السلاح التي تشابه رؤوس السلاح الموستيرية مع تشذيب منحدر على جوانبها.[٦٥]

ومما يجدر ذكره أن الصناعة الهوملية عثر عليها في بعض مواقع الكوم مثل أم تليل، الندوية عين عسكر وجوال وتعلو سوياتها في مواقع الكوم السويات اليبرودية مما يعني أنها أحدث زمنياً.[٦٦]

لكن هذه الصناعة بقيت في مواقع الكوم، حيث لم يعثر على مثيل لها خارج منخفض الكوم واختفت هذه الصناعة مع اختفاء صانعيها الهومليين[٦٧]. مما يطرح الكثير من الأسئلة عن هذه الثقافة وهذا الموزاييك الحضاري الذي شهدته بلاد الشام خلال الفترة الانتقالية بين العصر الحجري القديم الأدنى والعصر الحجري القديم الأوسط. (الشكل رقم ٢/٢)

جـ- الصناعة الساموكية:

استمرت الصناعة الآشولية الممثلة بصناعة ثنائيات الأوجه ولكن هذه الأدوات طرأ عليها هي الأخرى بعض التطور إذ أصبحت سماكتها قليلة وطولها ما بين ٥-٦ سم، ويطلق عليها محلياً اسم الصناعة الساموكية نسبة إلى موقع مشيرفة الساموك في نهر الكبير الشمالي شمال غرب سورية، حيث أصبحت ثنائيات الأوجه مدببة يرافقها عدد كبير من الحجر المعدل التي تم صناعتها بالتقنية الليفلوازية التي بدأت تأخذ مكانها بشكل أفضل من السابق كما وجدت في موقع الطاحون في نهر العاصي.[٦٨] (الشكل رقم ٣/٢)

ولابد من الإشارة إلى أن الطبقات التي عثر فيها على الصناعات الانتقالية كان يرافقها أدوات ذات تقطيع لوفالوازي ولكن الغالبية العظمى كان للصناعات الانتقالية.

وستبقى الفترة الانتقالية بصناعاتها تطرح العديد من الأسئلة عن هذا التباين فهل هو نابع من وجود جماعات بشرية مختلفة سكنت المنطقة ؟ولم تكن على تواصل حضاري فيما بينها؟ أم أن البيئة هي التي فرضت على كل جماعة أن تصنع بما يتناسب مع الظروف التي تعيش فيها؟ هذا ما ستفسره لنا الأبحاث والتنقيبات مستقبلاً، التي ستجيب عن الكثير من الأسئلة حول هذا الموضوع.

(٦٤) Muhesen Sultan;The Transitional. Op.cit P.55، وانظر سورية في عصر الباليوليتك نشرة المعهد الفرنسي مرجع سابق، ص٢٢.

(٦٥) Muhesen Sultan *.Ibid*. P 55.

(٦٦) Le Tenserer; Ibid. PP. 46،48 .

(٦٧) محيسن الصيادون مرجع سابق ص ٩١.

(٦٨) Muhesen Sultan; The Transitional. op.cit. P. 58.

٣- العصر الحجري القديم الأوسط :

دخلت مجتمعات ماقبل التاريخ في بلاد الشام في مطلع العصر المطير الربع والأخير في أوربة؛ عصراً جديداً يؤرخ مابين ١٠٠,٠٠٠- ٥٠,٠٠٠ يدعى العصر الحجري القديم الأوسط، انتشر الإنسان في هذا العصر على مساحات واسعة في بلاد الشام لم تسكن من قبل، وسيطرت تقنية صناعة حجرية واحدة هي التقنية اللوفالوازية، التي ظهرت بوادرها في العصر السابق، عثر عليها في أغلب مواقع هذا العصر، وبذلك انتهى الموزاييك الحضاري الذي ساد الفترة الانتقالية السابقة للعصر الحجري القديم الأوسط، واختفى الدور الفاعل لثنائيات الأوجه[٦٩].

إن المعلومات كثيرة عن هذا العصر نتيجة الاكتشافات الكثيرة للمواقع العائدة لهذا العصر، التي كانت إما سطحية أو ملاجئ صخرية مثل رأس الكلب، كسار عقيل، رأس بيروت في لبنان وجرف العجلة، يبرود وكهف الدوارة ومواقع الكوم في سورية، والطابون وقفزة في فلسطين وشانيدار في العراق؛ كل هذا جعل الصورة واضحة أكثر من ذي قبل وبالتالي أصبح بالإمكان تلمس الخصائص الأساسية للصناعة الحجرية فيه[٧٠].

وقد طرحت عدة آراء حول تقسيم الصناعات الحجرية في العصر الحجري القديم الأوسط يمكن تلخيصها بوجهتي نظر: تعتمد وجهة النظر الأولى على القائمة النمطية لفرانسوا بورد التي تضم ٦٣ نوعا من الأدوات الحجرية المصنعة، قسم بورد الأدوات إلى خمس مجموعات: المجموعة الأولى (اللوفالوازية) من الرقم ١-٤، المجموعة الثانية (الموستيرية) من الرقم ٥- ٢٩، المجموعة الثالثة (مجموعة العصر الحجري القديم الأعلى) من الرقم ٣٠-٣٧، المجموعة الرابعة (المسنن) الرقم ٤٣، المجموعة الخامسة (العطيرية)[٧١]

إلا أن التقسيم الأكثر شيوعاً لصناعات العصر الحجري القديم الأوسط الذي وضعته كوبلاند L.Coeland[٧٢] حددت فيه ثلاث مراحل أساسية للصناعة الحجرية المسماة اللوفالوازية الموستيرية اعتمادا على الطبقات الأثرية في مغارة الطابون في فلسطين:

- المرحلة D: تعد أقدم المراحل وتتميز بالنوى ذات المحور الوحيد المتلاقي، استخرجت منها رؤوس السلاح والنصال الطويلة والرفيعة التي استخدمت التقنية اللوفالوازية في صناعتها، إضافة إلى ارتفاع نسبة أدوات أخرى مثل المكاشط والأزاميل، ومن مواقع هذه المرحلة كهف

(٦٩) محيسن الصيادون مرجع سابق ص ٩٧. و أور. حضارات مرجع سابق ص ١١٢-١١٣.

(٧٠) هورس حضارات المرجع نفسه ص ١١٢-١١٣.

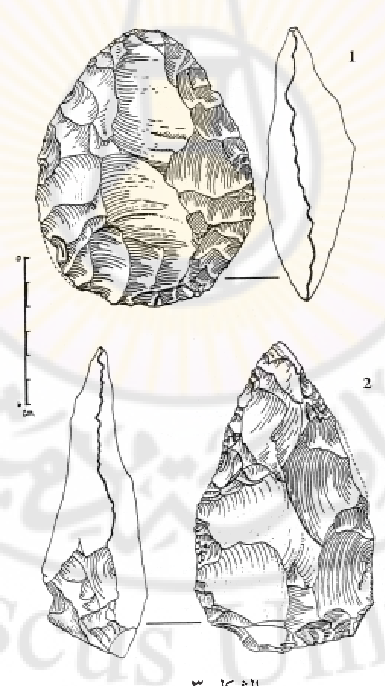
(٧١) Francois Bordes1953 ; Essai de classification des Industries Mousteriennes ; B.S.P.F .1953.

(٧٢) Copeland.L 1975; The Middle and Upper Paleolithic of Lebanon And Syria ;IN F.Wendorf. A.Marks. Problems in Prehistory: North AFRICA And the Levant. Dallas .

الدوارة في سورية، وأبو سيف في الأردن إضافة إلى السوية D في كهف الطابون في فلسطين[٧٣].

- المرحلة C: تتميز بالنوى ذات الطرق المركزي المتجه من المحيط باتجاه المركز، واستخرجت منها أدوات عريضة وقصيرة ذات أشكال بيضاوية، إضافة إلى المقاحف ومعروفة هذه المرحلة في مغاور السخول، قفزة والسوية c في مغارة الطابون في فلسطين•• [٧٤].
- المرحلة B: هي أحدث مرحلة في الصناعات الحجرية لهذا العصر تتشابه النوى فيها مع نوى المرحلة D بأنها ذات محور واحد متلاقٍ ولكن استخدمت لاستخراج رؤوس سلاح قصيرة وقاعدتها عريضة، ومن أهم مواقع هذا العصر (الطابون B، الكيبارا) فلسطين، الديدرية سورية، وكهف كيوي في لبنان.[٧٥] (الشكل رقم ٣)

هذا ولا يلقى هذا التقسيم لمواقع العصر الحجري القديم الأوسط استحسان الجميع، الذين وضع البعض منهم تقسيمات ذات نماذج محلية لكل إقليم من أقاليم بلاد الشام مثل نموذج أبو سيف نسبة إلى موقع أبو سيف في الأردن الذي يتشابه كثيراً مع صفات المرحلة D بإنتاجه رؤوس السلاح الطويلة[٧٦].



الشكل ٣

(٧٣) محيسن أدوماتو ص ١٦ -١٧.

•• عثر في مواقع قفزة والسخول في فلسطين على هياكل عظمية تعود إلى الإنسان العاقل مترافقة مع أدوات حجرية مصنعة عائدة للمرحلة c مما يطرح تساؤلات بين الأنتربوجيين عن أصل الإنسان العاقل في بلاد الشام. محيسن أدوماتو ص ١٧.

(٧٤) محيسن أدوماتو المرجع نفسه ص١٧. Yosef ; Prehistory op.cit P114.

(٧٥) محيسن أدوماتو المرجع السابق. ص ١٧.

(٧٦) Hours.Copeland. Aurenche; Les I Ndustries. P.260. و أور. حضارات. مرجع سابق ص ١١٣

ومع هذا يبقى موقع الطابون هو الأكمل من حيث سلامة الطبقات وتسلسلها، ويمكن أن يكون قاعدة لعقد مقارنات وتعريفاً للمواقع في بلاد الشام نتيجة المعلومات الوفيرة التي أعطتها طبقاته.

٤- العصر الحجري القديم الأعلى:

في النصف الثاني من العصر المطير الأخير المرادف لعصر فيرم الجليدي في أوربة دخلت منطقة بلاد الشام عصراً جديداً يمثل الحلقة الأخيرة من العصر الحجري القديم؛ هو العصر الحجري القديم الأعلى، اختفت فيه الصناعة اللوفالوازية الموستيرية التي غطت مختلف مناطق بلاد الشام، وأخذت الأدوات تميل أكثر فأكثر إلى صغر الحجم مع الدقة في التصنيع.

وإذا كانت الأدوات الحجرية الشاهد الرئيسي على التطور الحضاري للإنسان في العصور السابقة؛ فقد دخلت في هذا العصر الأدوات العظمية المصنوعة من قرون الحيوانات مثل الرماح والخطاطيف والإبر والمخارز، وبذلك أصبحت الآثار العظمية من الدلائل الزمنية والحضارية الهامة على مجتمعات ذلك العصر.[٧٧]

وعلى الرغم من ندرة مواقع العصر الحجري القديم الأعلى في بلاد الشام وقلة الاكتشافات فيه على غرار العصر السابق؛ فإنه أمكن من خلال الاكتشافات القليلة تلمس ثلاث مراحل تطورية لصناعة الأدوات الحجرية:

المرحلة الأولى: تعد هذه المرحلة انتقالية بين العصر الحجري القديم الأوسط والأعلى إذ تظهر فيها تأثيرات الصناعة اللوفالوازية الموسترية التي سادت العصر السابق، خاصة في صناعة المقاحف التي بقيت أداة أساسية كما في العصر السابق، ولكن ازداد إلى جانبها المكاشط والسكاكين ذات الظهر.[٧٨]

وأكثر ما تظهر تأثيرات الصناعة اللوفالوازية في هذه المرحلة برؤوس السلاح الأميرية نسبة إلى كهف الأميرية في فلسطين••، لايزيد طولها عن ٣سم.[٧٩]

من مواقع هذه المرحلة ملجأ يبرود رقم I في سورية، كسار عقيل في لبنان وكهف الأميرة في فلسطين.[٨٠]

(٧٧) محيسن عصور المرجع السابق ص ١٠٥.
(٧٨) زيدان كفافي: بلاد الشام في عصور ماقبل التاريخ، الوحدة الحضارية للوطن العربي من خلال المكتشفات الأثرية، دمشق٢٠٠٠ ص ٥٩، وانظر محيسن عصور المرجع نفسه ص ١٧٠.
•• اكتشف كهف الأميرية ضمن مسح منطقة الجليل من قبل Turvill-Peter 1925 وباشر التنقيب فيه بنفس العام ودرست هذه الصناعة بداية من قبل غارود :
D.A.E.Garrod; The Mugharet El-Emireh in Lower Galilee: Type-/station of the Emiran Industry. The Journal of the Royal Anthropological Institute of Great Britian and Ireland ;Vol 8 N5 1955.
(٧٩) Yosef ; Prehistory. Op.cit. P 116.
(٨٠) محيسن عصور المرجع السابق ص١٧٠.

المرحلة الثانية: ظهرت في هذه المرحلة الأدوات النموذجية للعصر الحجري القديم الأعلى من مكاشط ذات الجبهة العريضة والنصلات المشذبة وتسمى في هذه المرحلة بالأوريناسي المشرقي لتشابه النصال فيها مع النصال الأوريناسية، وتسمى محلياً الأنطلياسي نسبة إلى مغارة انطلياس في لبنان[81].

وقد جاءت اكتشافات هامة من موقع أم تليل في منطقة الكوم في سورية ألقت الضوء على كثير من صفات هذه المرحلة خاصة وان أعداد الأدوات الحجرية المكتشفة كان كبيراً، إذ يعتمد إنتاج النصال في هذه الفترة على النوى من كتل صغيرة ويطلق عليها تقليديا الإزميل المسطح Transverses Burin Plan، تنتج النوى بشكل رئيسي نصلات مشذبة ملتوية وبعض الأوقات مستقيمة ولكن الغالبية للملتوية ويتم إنتاجها من أضيق الأجزاء من النواة دون إجراء أي تحضير حقيقي للنواة[82]. هذا وقد تم تأريخ الطبقات الأوريناسية المشرقية في أم تليل بحوالي ٣٠ ألف سنة قبل الآن[83].

المرحلة الثالثة: بدأت هذه المرحلة في حوالي ١٨ ألف سنة ق.م ظهرت فيها عدة صناعات حجرية في منطقة بلاد الشام أطلق عليها أسماء مختلفة حسب المناطق التي اكتشفت فيها أول مرة، فسميت السكفتي نسبة لوادي سكفتا في يبرود في سوريا، تتميز بالنصلات الصغيرة ذات الظهر المشذب Baked Blades، وسميت العتليتي من موقع عتليت في فلسطين، تتميز أيضاً بالنصلات الصغيرة مع المكاشط ذات الجبهة العريضة[84].

كما ظهرت الأدوات الميكروليتية التي شكلت المرحلة الانتقالية إلى الصناعات الكبارية في المرحلة اللاحقة Epipaleolithic.[85]

يعد العصر الحجري القديم أطول فترة عاشها الإنسان في منطقة بلاد الشام تطورت في هذا العصر صناعة الأدوات الحجرية التي شكلت دليلاً هاما على تطور الإنسان الحضاري، تدرجت فيه صناعة الأدوات الحجرية من الثقيلة في البدايات الأولى إلى أن أصبحت تأخذ أشكالاً مثل ثنائيات الأوجه القلبية، اللوزية والرمحية الشكل، وأحدثت الصناعة الليفوازية الموستيرية نقلة كبيرة في مجال تصنيع الأدوات الحجرية من حيث استغلال الإنسان بشكل أكبر للكتلة الحجرية التي انتقاها ليصنع منها أدواته المتعددة من شظايا، نصال، رؤوس السلاح و مقاحف متعددة الأشكال، تنوع معها اعتماد الإنسان على أنواع جديدة من الأدوات الحجرية المصنعة إلى أن تتلاشى هذه الصناعة المثيرة شيئا فشيئاً حتى تحل محلها الصناعات الدقيقة في العصر الحجري القديم الأعلى. (الشكل رقم ٤).

---

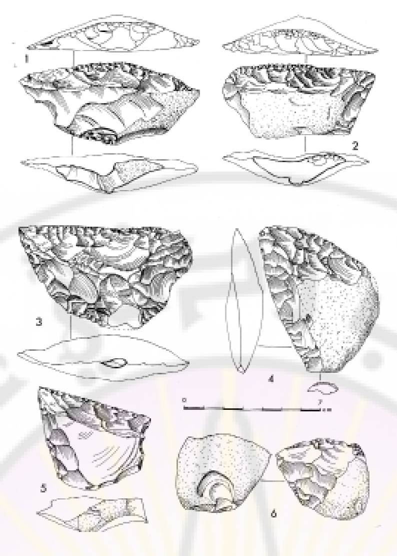
(٨١) زيدان كفافي المرجع السابق ص ٥٩، وانظر محيسن عصور المرجع نفسه ص ١٧٠.

(٨٢) Eric Boeda et Sultan muhesen ; Umm el tlel.Op.cit.P52،53 .

(٨٣) Eric Boeda et Sultan muhesen. *Ibid*. P53.

(٨٤) زيدان كفافي المرجع نفسه ص ٥٩،وانظر محيسن المرجع نفسه ص ١٧١.

(٨٥) زيدان كفافي: المرجع السابق ص ٥٩.



الشكل ٤

الفترة الانتقالية بين الباليوليت والنيوليت Epipaleolithic:

١- الثقافة الكبارية:

سميت بهذا الاسم نسبة إلى مغارة الكبارا في فلسطين حيث اكتشفت أول مرة، تطور الكباريون على مرحلتين تؤرخ الأولى ما بين ١٧-١٢ الف سنة، شهدت بناء البيوت الأولى التي سكنها الإنسان أثناء الصيد، كانت معزولة فيما بينها، وهي على شكل حفر دائرية جدرانها من الطين، اكتشفت نماذجها الأولى في موقع عين جيف١، أُرخت بطريقة الفحم المشع على ١٣٧٥٠ سنة بزيادة أو نقصان ٤١٥ سنة[٨٦].

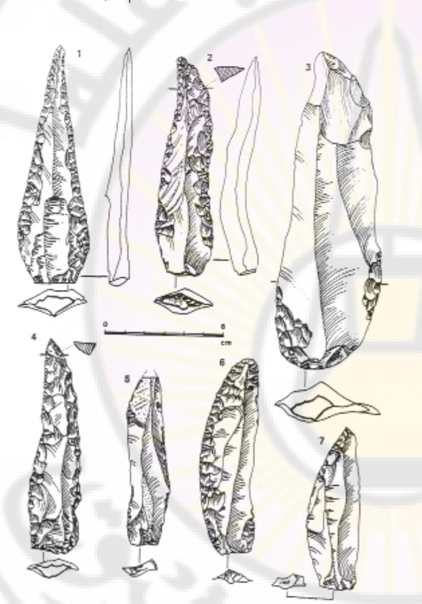
طور الكباريون أدواتهم في مرحلتهم الثانية المسماة بالكبارية الهندسية، وأنتجت أدوات ميكروليتية ذات أشكال هندسية، استخدمت في صيد الأسماك والطيور، إضافة إلى ظهور المجاريش والأدوات البازلتية الكبيرة والأجران التي مهدت للتحولات اللاحقة لنشوء الزراعة والتدجين في العصر اللاحق[٨٧].

٢ - الثقافة النطوفية

شهدت الثقافة النطوفية تطوراً ملحوظاً في تفاعل الإنسان مع المحيط الذي يعيش فيه من حيث البناء بانتشار قرى الصيادين الأولى في عدة مواقع في بلاد الشام، كما خزن مواده الغذائية، وكانت عقائده أكثر وضوحا، وظهرت لديه الفنون.

(٨٦) محيسن عصور مرجع سابق ص ١٥٤.
(٨٧) محيسن المرجع نفسه ص ١٥٥.

تقسم الثقافة النطوفية إلى مرحلتين: الأولى وتؤرخ على ١٢ألف سنة ق.م، حيث انتشر النطوفيون خلالها على مساحة واسعة امتدت من ضفاف النيل في موقع حلوان شمال مصر إلى أعالي الفرات. تمتاز صناعتهم الحجرية الميكروليتية في هذه المرحلة بظهور أداة صغيرة على شكل هلال شذبت حوافها من خلال طرقات مائلة على الوجهين سمي تشذيب حلوان، وتميزت المرحلة الثانية بمناخ جاف، هجر الإنسان خلالها الكهوف و المغاور اتجه نحو البناء، وتشكلت في هذه المرحلة قرى الصيادين الأولى، وكانت بيوتهم دائرية أو شبه دائرية حفرت أساساتها في الأرض، عثر عليها في مواقع عدة من المريبط وأبو هريرة على الفرات شمالاً وصولا إلى عين الملاحة وهايونيم جنوباً[٨٨]. ظهرت فيها النشاطات الفنية الأولى، ولا يعرف حتى الآن فنا يعود إلى العصر الحجري القديم في المشرق العربي قبل هذه الفترة[٨٩]. إذ احتل تجسيد الحيوانات ولاسيما الغزال والأيل مركز الصدارة في فن هذا العصر، وقد جسد الإنسان النطوفي فنه الحيواني في ثلاثة أشكال هي: دمى وأدوات الزينة، إضافة لتجسيده الحيوان على النقوش الصخرية التي كانت تخطيطية وتجريدية الشكل تقريباً، مرسومة بشكل إطاري، ولم تكن جيدة الهيئة والشكل، الأمر الذي يصعب فيه التعرف على ماهية هذا الحيوان، وعثر عليها في موقع كلوة[٩٠]



الشكل ٥

شكلت كل من الثقافة الكبارية والنطوفية خطوة أساسية للإنسان باتجاه الاستقرار وتعلم التدجين والزراعة وبناء قرى المزارعين الأولى. (الشكل رقم ٥)

ثالثاً: العصر الحجري الحديث والحجري النحاسي •••

يعد العصر الحجري الحديث Neolithic عصر الزراعة والتدجين و اختراع الفخار وغيره من الإنجازات الحضارية الأخرى، ويقسم الباحثون هذا العصر إلى قسمين: العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار حوالي ٨٥٠٠ إلى٥٥٠٠سنة ق. وبين ٩٥٠٠-٧٠٠٠ حسب التأريخ المعير، والعصر

(٨٨) سلطان محيسن١٩٩٤: بلاد الشام في عصور ما قبل التاريخ المزارعون الأوائل، الأبجدية، دمشق، ص١٦-١٧.
(٨٩) جاك كوفان١٩٩٥: القرى الأولى في بلاد الشام، ترجمة الياس مرقص، دار الحصاد، دمشق ط١، ص١٦٠.
(٩٠) أحمد دياب: تجسيد الحيوان في بلاد الشام من الفترة النطوفية حتى نهاية العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار، بحث قيد النشر مجلة دراسات تاريخية.

••• إن النتاج الحضاري للعصر الحجري الحديث والعصر الحجري النحاسي سيرد ذكره بشيء من التفصيل في القسم الثالث من هذا الكتاب للدكتور جمال تموم. وسنكتفي هنا بذكر الإطار الزمني والعناوين الرئيسة لهذين العصرين.

الحجري الحديث الفخاري الذي يمتد من ٧٠٠٠ إلى ٦٥٠٠، و يقسم العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار إلى قسمين أيضاً: العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار أ، يرمز له اختصاراً P.P.N.A أي Pre Pottery Neolithic A والعصر الحجري الحديث ما قبل الفخار ب، يرمز له اختصاراً P.P.N.B أي Pre Pottery Neolithic B. [٩١]

في نهايات الألف العاشرة وبدايات الألف التاسعة وصلت التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي بدأت في العصر الحجري الوسيط في بلاد الشام إلى قمتها، بالانعطاف الجذري والأهم في تاريخ البشرية المتمثل بالانتقال من الصيد واللقط إلى الزراعة والتدجين[٩٢].

أدى هذا الانتقال إلى تغير في إيقاع الحياة بأكملها، جلب معه قدراً من الاستقرار عوضاً عن عدم الانتظام الذي كان يتصف به جمع الغذاء والصيد، مما انعكس على جميع مناحي الحياة، من اتساع في مساحة البناء، كما تطورت تقنية صناعة الأدوات الحجرية؛ فظهرت الأدوات المصقولة، واتسع استخدام الأدوات الزراعية الثقيلة وخصوصا المناجل لجني الزرع ورؤوس السهام التي تنوعت أشكالها من منطقة لأخرى مما شكل بمجمله ثورة نيوليتية بحق[٩٣].

انعكست هذه التطورات الاقتصادية والاجتماعية على كافة مناحي حياة الإنسان، وكان الفن المرآة التي عكست أغلب هذه التطورات ولاسيما دخول حيوانات جديدة في حياة الإنسان جسد أغلبها من خلال أعماله الفنية.

١- العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار- أ P.P.N.A

يؤرخ هذا القسم من العصر الحجري الحديث على الفترة ما بين ٩٥٠٠-٨٧٠٠ ق.م، انتشرت مواقعه في معظم مناطق بلاد الشام، إذ عثر على آثاره في مواقع: تل عبر، جرف الأحمر وجعدة المغارة وتل حالولا والمريبط السوية الثالثة- التي جاءت منها أقدم تأريخ للزراعة في بلاد الشام ٧٧٠٠ق- في سورية. ومواقع عراق الدب وفينان والذراع في الأردن، وجلجال وأريحا ووادي فلاح في فلسطين[٩٤].

انتقل الإنسان في هذا العصر من نمط الحياة الرعوي شبه المستقر إلى مجتمعات زراعية أكثر ارتباطا فيما بينها، بنوا البيوت الدائرية، وقسموها إلى عدة أجزاء، وظهرت بيوت مستطيلة ومتلاصقة[٩٥]. و بلغت مساحة سوية موقع أريحا (العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار أ) حوالي ٢,٥ هكتاراً، إذ عثر في هذه السوية إلى جانب البيوت الدائرية، على نموذج مبتكر للتحصينات

---

(٩١) زيدان كفافي ٢٠٠٥: أصل الحضارات الأولى، دار القوافل للنشر والتوزيع، الرياض، ص ١٤٦، ١٤٧.

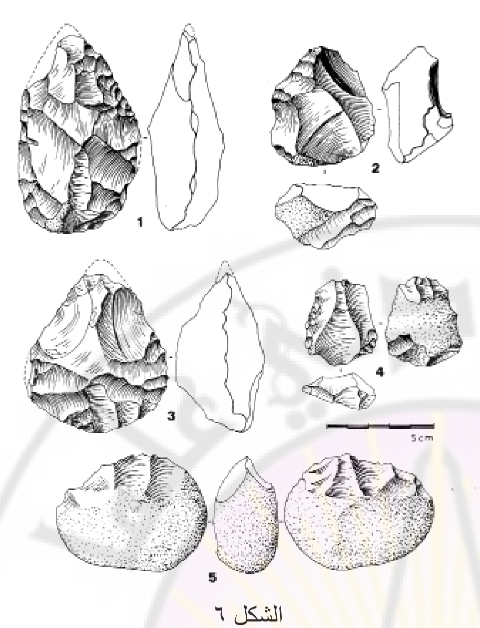
(٩٢) محيسن عصور مرجع سابق ص ١٧١.

(٩٣) عمار عبد الرحمن٢٠٠٥: الدمى في العصر الحجري الحديث في سورية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة دمشق، ص ٣٤-٣٥. وانظر ارنولد هاوزر: الفن والمجتمع عبر التاريخ، ترجمة فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢ ١٩٨١. ص٢٥.

(٩٤) كفافي مرجع سابق، ص ١٤٩-١٥٠.

(٩٥) محيسن عصور مرجع سابق، ١٨٢.

المبكرة المتمثلة ببرج أريحا والتحصينات المحيطة به؛ كالخندق والسور[٩٦].



الشكل ٦

ارتقى إنسان هذا العصر في فنه عما سبقه، وتنوعت الأعمال الفنية التي تجسد حيوانات متعددة وبطرق مختلفة إضافة إلى تجسيد الإنسان (الربة الأم)، جانب بعضها الواقعية إلى حد ما. ظهرت هذه الأعمال في مواقع تل عبر، جرف الأحمر، المريبط، وعلى شكل نقوش صخرية في موقع كلوة[٩٧].
(الشكل رقم ٦)

٢- العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار-ب P.P.N.B

يقسم هذا العصر إلى ثلاثة أجزاء وهي حسب التأريخ المعير: العصر الحجري الحديث ما قبل القديم: ٨٧٠٠-٨٢٠٠ ق.م، الأوسط: ٨٢٠٠- ٧٥٠٠ ق.م، الحديث: ٧٥٠٠- ٧٠٠٠ ق.م.

انتشرت مواقع هذا العصر على مساحة واسعة من بلاد الشام إذ سكن الإنسان مواقع جديدة كموقع أبي هريرة وبقرص وموقع تل الرماد وغيرها[٩٨].

ظهرت في هذا العصر القرى الزراعية المنظمة بشكل أفضل من السابق، إذ سادت البيوت المستطيلة المؤلفة من عدة غُرف يفصل بينها ممرات أو فناء صغير، وتحتوي على مواقد ومخازن، مما يدل على تطور وتزايد في عدد السكان والاستقرار، كما تزايد استخدام الأدوات الزراعية؛ كالفؤوس والمناجل والرحى والمكاشط، مع استمرار استخدام أدوات الصيد كرؤوس السهام، والأدوات العظمية كالمخارز والإبر[٩٩].

يعد هذا العصر من أهم أقسام عصور ما قبل التاريخ التي تطور فيها الفن بشكل عام وقارب الواقعية بشكل كبير، وحقق إنسان هذا العصر قفزة نوعية في تجسيده للحيوان بواقعية لم

(٩٦) مي الحايك ٢٠٠٥: عقائد الدفن وعبادة الأسلاف في بعض مواقع شرق البحر الأبيض المتوسط في عصور ما قبل التاريخ دراسة(أثرية-أنتروبولوجية)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة. ص ٦٥-٦٦.
(٩٧) دياب: تجسيد الحيوان، مرجع سابق.
(٩٨) محيسن عصور مرجع سابق،ص ١٨٤-١٨٥.
(٩٩) مي الحايك مرجع سابق ص ٧٢.

تغفل في بعض الأعمال التفاصيل الصغيرة، علما أن التطور الفني الذي حصل في هذا العصر لم يشمل الحيوان فقط وإنما شمل الإنسان أيضا، الذي لم يعد يجسد صغيرا كما في العصر السابق، وإنما جُسد بتفاصيل واقعية وحجم كبير، وظهر هذا بشكل جلي في النقوش الصخرية.

تنوعت الصور التي ابتكرها إنسان هذا العصر في تجسيده للحيوان، فكانت على شكل دمى، أو على شكل تمائم وأوانٍ، وكان أكثرها وضوحا تجسيد الحيوان من خلال النقوش الصخرية[١٠٠].

٣- العصر الحجري الحديث الفخاري

شهد العصر الحجري الحديث الفخاري أو ما يسمى قبل حلف Pre-Halaf إنتاج الفخار على نطاق واسع في كافة مناطق بلاد الشام، رغم أن مجتمعات العصر السابق انتجت الفخار لكن الأمر ظل محدوداً زمانياً ومكانيا، و يعد انتاج الفخار أحد المظاهر الحضارية الجديدة للإنسان بعد التدجين والزراعة والاستقرار، كما أن الأواني الفخارية هي دلالة أثرية واضحة أكثر من غيرها من الأدلة الأخرى كالأدوات الحجرية والأبنية.

وتشير الأدلة الأثرية إلى أن مواقع الفرات (تل أسود) كانت السباقة في انتاج الأواني الفخارية الأولى ذات اللون الأسود والأحمر المصقول، وقد أعطت مواقع العمق في شمال سورية معلومات متكاملة حول التطور الحضاري في تلك المنطقة استنادا إلى أنواع الأواني الفخارية على امتداد العصر الحجري الحديث الفخاري، وقد غطت مراحل العمق الأربع (A.B.C.D) جميع النتاج الحضاري لإنتاج الفخار في بلاد الشام، إذ ثبت أن بلاد الشام قد مرت بمراحل العمق مع فوارق زمنية بسيطة بين منطقة وأخرى[١٠١]. ومن المواقع الهامة في هذا العصر في سورية موقع رأس الشمرا الواقع على الساحل السورية الذي عثر في سويته الخامسة على الأختام الحجرية المسطحة، وموقع الصبي أبيض حيث اكتشف فيه وحدات سكنية مكونة من مجموعة من الغرف التي كانت تحيط بساحة مركزية.

أما في فلسطين فإن أقدم الأواني الفخارية جاءت من موقع هاغوشيرم إلى الشرق من بحيرة الحولة في حوض الأردن، حيث وجد الفخار الخشن والبسيط، وكان هناك موقعا عين غزال وتماثيله الآدمية المجصصة، وموقع وادي شعيب، كما ظهرت خلال هذا العصر ثلاث حضارات في جنوب بلاد الشام هي اليرموكية التي تطورت عبر ثلاث مراحل، وامتازت بالفنون الأنثوية، إضافة إلى ثقافة أريحا، وأريحا ٢ أو وادي رباح.[١٠٢] (الشكل رقم ٧)

(١٠٠) دياب تجسيد الحيوان مرجع سابق.
(١٠١) محيسن مزارعون مرجع سابق ص ٨١-٨٥، وانظر جمال تموم ٢٠١١: الجذور ما قبل التاريخية للحضارات التاريخية الباكرة في المشرق العربي القديم، منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف دمشق، ص ٦٢-٦٥.
(١٠٢) محيسن المزارعون المرجع نفسه، ص،٨٥، وانظر تموم المرجع نفسه ص ٦٦-٦٨.



الشكل ٧

ثقافة حلف والعبيد:

تمايزت بلاد الرافدين في مطلع الألف الخامس بشكل لافت عن حضارات بلاد الشام، فظهرت ثقافة حلف التي تعاصرت مع ثقافة سامراء في وسط بلاد الرافدين وثقافة العمق في بلاد الشام، وأصبح هناك تداخل بين العصر الحجري الحديث والعصر الحجري النحاسي، إذ إن ثقافة حلف تعاصرت مع سامراء والعمق فهي تعود زمنياً للعصر الحجري الحديث، وتنتمي حضاريا للعصر الحجري النحاسي بإنتاجها للنحاس مبكرا. ووصلت تجديداتهم وابتكاراتهم الحضارية في المجالات المختلفة(العمارة وتنظيم القرى الزراعية، تنظيم الحياة الروحية، التنظيم الاجتماعي والاقتصادي والفنون) وقد أنتج الحلفيون في مراحلهم الحضارية الثلاث (الباكرة، الوسطى، الأخيرة) أنواع متميزة من الفخار حتى إنهم تجاوزوا الحاجة الفعلية وأصبحت عندهم مادة تجارية، حتى وصلت أوجها في مرحلة حلف الأخيرة وأصبحت رقيقة إلى حد جعل الباحثين يطلقون عليها أواني (قشرة البيضة)، وتعددت الألوان والزخارف والأشكال وتطورت الموضوعات، إضافة إلى الدمى الطينية التي جُسدت بأوضاع مختلفة.

انتشر العبيديون في بلاد الشام اعتباراً من مرحلة العبيد الثالث التي جاءت متطورة عن مرحلة حجي محمد، حيث سادت حضارة واحدة غطت مساحة شاسعة من عربستان شرقاً حتى سواحل المتوسط غرباً، ومن زاغروس شمالاً حتى سواحل الخليج العربي جنوباً، ظهرت في هذا العصر الأبنية الضخمة (المعابد) المبنية من اللبن.[١٠٣]

(١٠٣) محيسن المزارعون المرجع نفسه، ص ١٠٤-١١٠، وانظر تموم المرجع نفسه ص ٧١-٨١.



الباب الأول

العمارة في بلاد الشام

د. علا التونسي





الفصل الأول

١- الألف الرابع ق.م (العصر الحجري النحاسي المتأخر):

يشتهر الألف الرابع قبل الميلاد بسلسلة من التطورات الحضارية الهامة جداً منها اختراع الكتابة بحلول ٣٢٠٠ ق.م تقريباً فانتهت بذلك الحقبة الطويلة المسماة بعصور ما قبل التاريخ. ثم دخلت البشرية بمرحلة جديدة تُسمى العصور التاريخية التي تتميز بوجود مصادر كتابية تسمح لنا بالتعرف على بعض نواحي الحياة للمجتمعات القديمة التي أصبحت خلال هذه الفترة أكثر تعقيداً من السابق. لكن هذه التطورات لم تحدث فجأة في منتصف الألف الرابع ق.م وإنما مرت بسلسلة طويلة من التحولات التدريجية والخطوات المتتالية بدءاً من التحول التدريجي نحو الاستقرار أو ما يطلق عليه العلماء اسم "الثورة الزراعية" (١١٠٠٠-٨٠٠٠ ق.م). وهي مرحلة انتقالية للكثير من الثقافات البشرية من نمط حياة مبني على الصيد والالتقاط إلى حياة بُني اقتصادها على الزراعة والاستقرار. حيث تحولت هذه الجماعات البشرية تدريجياً من حياة التنقل إلى مجتمعات مستقرة تعيش في قرى زراعية صغيرة. ثم في مرحلة أحدث بدأت هذه المجتمعات البسيطة بتحقيق تقدم على صعيد العديد من النواحي التقنية والإقتصادية فأصبحت القرى أكثر تنظيماً والمجتمعات أكثر تعقيداً وهذا ما يطلق عليه عادة اسم "الثورة المدنيّة" التي بدأت بوادرها الأولى منذ الألف السادس ق.م واكتملت بظهور المدن الأولى في الألف الرابع ق.م[١٠٤].

يقسم الألف الرابع ق.م إلى عدة مراحل ويستخدم العلماء عادةً المصطلح التاريخي "عصر أوروك" نسبةً إلى موقع كبير جداً في جنوب بلاد الرافدين (موقع الوركاء أو أوروك) المنقب من قبل بعثة ألمانية في بداية القرن الماضي. حيث أدت الحفريات الأثرية إلى اكتشاف ثمانية عشر سويةً أثريةً متتالية (XVIII-IV) سمحت بتقسيم هذا العصر إلى ثلاث فترات: "عصر الوركاء الباكر والوسيط والمتأخر"، المؤرخ عادةً بين ٤١٠٠ و ٣٠٠٠ ق.م. تأسس هذا الموقع خلال الألف الخامس ق.م (عصر العبيد) وتأتي أهميته من حيث استمرارية الاستيطان فيه حتى نهاية المرحلة اللاحقة (عصر الوركاء أو أوروك).

(١٠٤) للتوسع حول موضوع "الثورة المدنيّة" انظر: J.-D. Forest, 2006, p. 11-18.

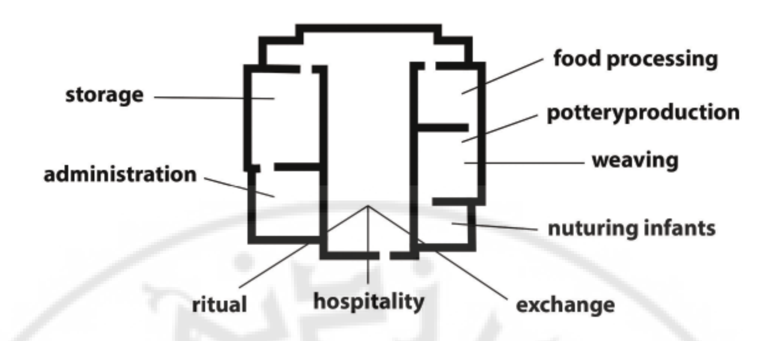
لكن التقسيمات الزمنية (الكرونولوجيا) تستخدم مصطلحاً آخراً وهو المصطلح التقني: العصر "الحجري النحاسي المتأخر" عوضاً عن المصطلح الحضاري أو الثقافي "عصر أوروك أو الوركاء".

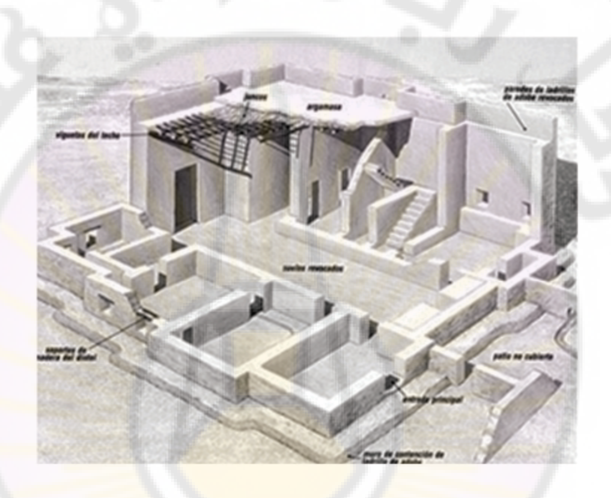
الحجري النحاسي المتأخر ١ Late Chalcolithic 1	٤٤٠٠-٤٢٠٠ ق.م
الحجري النحاسي المتأخر ٢ Late Chalcolithic 2	٤٢٠٠-٣٩٠٠ ق.م
الحجري النحاسي المتأخر ٣ Late Chalcolithic 3	٣٩٠٠-٣٦٠٠ ق.م
الحجري النحاسي المتأخر ٤ Late Chalcolithic 4	٣٦٠٠-٣٤٠٠ ق.م
الحجري النحاسي المتأخر ٥ Late Chalcolithic 5	٣٤٠٠-٣٠٠٠ ق.م

تُعد المرحلة الأولى من العصر الحجري النحاسي المتأخر (LC 1) هي الفترة النهائية من عصر العبيد أو ما يطلق عليه اسم مابعد العبيد (Post Ubaid phase)، حيث كُشف عن العديد من المواد (الفخار واللقى الأخرى) التي تحمل صفات ثقافة العبيد في كل من تل براك (براك: المرحلة D)[١٠٥] ومواقع الخابور الأوسط مثل تل مشنقة، المترافقة مع المنازل ذات المخططات الثلاثية الأجزاء (وهو المخطط الذي اشتهرت فيه ثقافة العبيد، الشكل ١).

تمتاز المرحلة اللاحقة من العصر الحجري النحاسي المتأخر بظهور أولى ملامح المجتمع المعقد المترافق مع اتساع في الاستيطان (أي اتساع المساحة المبنية في المواقع)، وظهور العمارة الضخمة (المباني أو المرافق العامة) لأول مرة في كلٍ من تل براك وحمام التركمان في وادي البليخ (المرحلة VB) وتل حمو كار. مما يوحي بأن بوادر النهضة المعمارية الأولى وموجة التحضر اللتين تبلورتا لاحقاً، قد بدأت بالظهور في سوريا منذ هذه الفترة المبكرة. حيث بلغت مساحة الاستيطان في تل براك خلال العصر الحجري النحاسي الثالث ٤٣ هكتاراً كانت كلها مسكونة، وهي أكبر مساحة وصل إليها الاستيطان على الإطلاق في التل. وتجاوز الاستيطان

(١٠٥) انظر جدول الكرونولوجيا الخاص بالألف الرابع ق.م: Akkermans, P. and Schwartz, G. 2003, fig. 6.3.





الشكل ١: مخطط منزل ثلاثي الأجزاء من عصر العبيد.

التل ذاته فظهرت حوله مجموعة من المواقع الصغيرة مشكلةً إكليلاً من المواقع الصغيرة التابعة له. فشكلا معاً (تل براك والتلال الصغيرة حوله) منظومة مارس فيها تل براك دور الإدارة الإقتصادية والسلطة المركزية. وهذا ما يُعدّ التجربة الأولى للنظام التراتبي أو الهرمي الذي عم المنطقة في المرحلة اللاحقة.

١-١ فجر المدنيّة (proto-urbaine):

يشكل العصر الحجري النحاسي المتأخر الرابع والخامس (LC 4-5) أهم فترات الألف الرابع ق.م، فهي تلك الفترة التي شهدت العديد من التطورات الحضارية التي شكلت مفصلاً هاماً على صعيد تاريخ الحضارة البشرية (مثل اختراع دولاب الفخار السريع واختراع الأختام الأسطوانية والكتابة) وظهور التنظيم الهرمي للمجتمعات القديمة. لذلك يطلق على هذه الفترة اسم: فجر أو بداية المدنيّة (proto urbaine). وقد كان الاعتقاد السائد عادةً هو أن

حصول هذه التطورات لم يتم بوقت واحد في كافة أنحاء الشرق الأدنى القديم، وأن منطقة الجنوب الرافدي كانت هي الرائدة، حيث ظهرت معظم هذه التحولات أولاً في جنوب بلاد الرافدين في منتصف الألف الرابع ق.م، ثم انطلقت لبقية أنحاء الشرق الأدنى القديم بعد ذلك[١٠٦] عندما انطلق سكان الجنوب الرافدي إلى الشمال وقاموا بتأسيس المدن الأولى هناك لذلك يطلق على هذه الفترة أيضاً اسم "توسع أوروك Uruk expansion".

ولكن هذه النظرية أصبحت تتعرض حالياً إلى العديد من التساؤلات بعد أن كشفت الحفريات الحديثة عن مدن أقدم من مدن الجنوب الرافدي المؤرخة بالنصف الثاني من الألف الرابع ق.م، يعود تاريخها إلى بداية الألفية في منطقة بعيدة عن الجنوب الرافدي وهي منطقة الجزيرة السورية. حيث دلت هذه التنقيبات على وجود مدينة في كلٍ من تل براك وتل حموكار مؤرخة بالنصف الأول من الألف الرابع ق.م.

يعتقد العلماء اليوم بأن ظاهرة التمدن حدثت بازدهار العديد من المدن في آن واحد وأنها لم تنتقل من الجنوب الرافدي شمالاً في النصف الثاني من الألف الرابع ق.م. بل إن ظهور المدن الأولى يعود لبداية الألفية في العديد من المناطق.

تتميز هذه المرحلة بعدة مميزات، ولكن أهمها هو **ظهور المدن والمجتمعات المعقدة**. إن ظهور المدينة لم يكن حدثاً مفاجئاً ولكنه كان ثمرة تحولات بدأت منذ الألفين السادس والخامس ق. م. تتميز المدينة بالتخطيط العمراني المنظم (تنظيم المساحات العامة والشوارع ومختلف القطاعات). وتعكس عمارتها (القصور والمنازل والقبور وما تحتويه من أثاث جنائزي) تمايزاً بين الأفراد حسب المكانة والثروة والسلطة (المجتمع الطبقي)، على عكس التساوي الملاحظ في القرى. ففي المدن لم تعد المشاكل تعالج على مستوى الأفراد والعائلة أو العشيرة بل أصبحت تعالج من قبل السلطة التي تنظم الحياة والتي تنحصر في طبقة النخبة[١٠٧].

ولم يقتصر الأمر على ظهور المدن فحسب بل إن تغيراً جذرياً أصاب نظام الاستيطان ككل، فأصبح منظماً بشكل تراتبي وهذا ما يطلق عليه **اسم التنظيم الهرمي**. في الفترة السابقة، أي خلال عصر العبيد (الألف الخامس ق.م) كانت المستوطنات عبارة عن مراكز صغيرة محاطة بمجموعة قرى تابعة لها. مع تقدم المدنيّة أصبحت المستوطنات منظمة في شبكة مؤلفة من القرى والمدن الصغيرة والمدن الأكبر، يسيطر عليها ويدير شؤونها مدناً كبيرةً جداً، مثل مدينة أوروك التي تصل مساحتها إلى ٢٠٠ هكتار. إن معلوماتنا عن مدينة أوروك خلال هذه الفترة مستقاة من السويات VI-IV (٣٥٠٠-٣١٠٠ ق.م)، ولكننا لا نملك معلومات

(١٠٦) Bennoit, A. 2003, p. 56.
(١٠٧) Forest, J.-D. 2006, p. 11-18.

شاملة عن هذه المدينة خلال فترة فجر المدنيّة بسبب عدم استكمال التنقيبات. حيث تتراوح تقديرات حجم المساحة المبنية ما بين ٢٣٠ إلى ٥٠٠ هكتار. ومن جهة أخرى أصبحت هذه المدن مراكزاً حضرية ومراكز قوة كبيرة تتحكم أو تفرض تنظيمات سياسية واسعة ومنظمة بشكل هرمي. فالميزة الأخرى لهذه المرحلة هي ظهور النظام السياسي المسمى ب الدويلات أو الولايات (states, états).

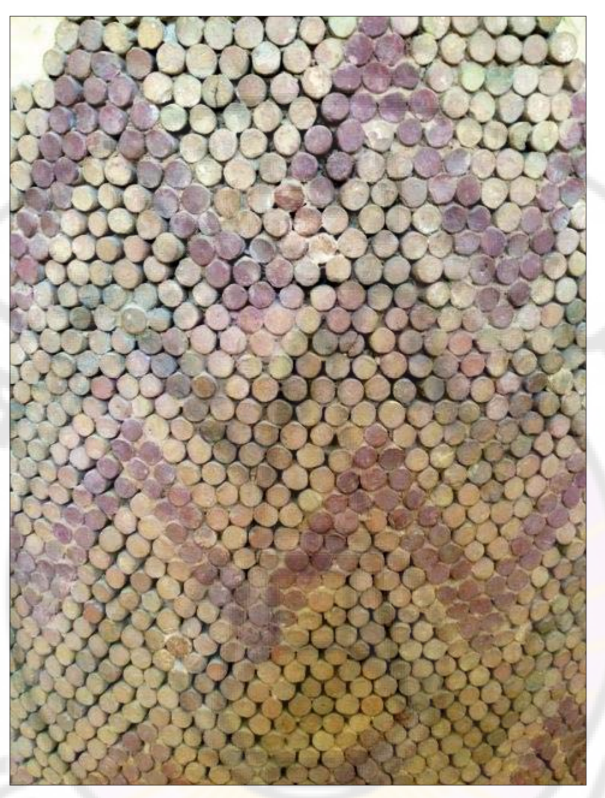
للتسلسل الهرمي أيضاً أهمية منفردة في تنظيم المجتمع ككل: فهو يقوم على شخص من النخبة أو بكلمة أخرى على زعيم يترأس الأفراد ذوي المكانة والثروة الأقل، وظهور طبقة النخبة من أفراد العائلة الحاكمة والموظفين المهمين.

بالتزامن مع هذه التطورات تم اختراع ممارسات أو عادات إدارية جديدة لتسجيل الممتلكات وتدوين المعاملات المتعددة والمعقدة التي تقوم بها السلطات المركزية. إن أهم ما اخترع في حياة البشر هو **الكتابة**. ومن الاختراعات الهامة أيضاً التي تميز هذه "الثورة المدنيّة" هو اختراع **الأختام الأسطوانية** المرتبط كالكتابة بالإدارة المركزية. حيث إن الأختام الحجرية الأسطوانية كانت تنقش برموز خاصة بالأشخاص أو بالمؤسسات. وعندما يدور الختم الأسطواني على الطين تنطبع هذه الرموز عليه مما يعرِّف بصاحب أو مالك الجرار الفخارية مثلاً[١٠٨].

من أحد أهم مميزات هذه المرحلة ظهور **العمارة الضخمة**، فخلال فترة العبيد كانت المباني صغيرة ومنعزلة ولكن خلال المرحلة الجديدة بدأت المباني الضخمة بالظهور وبدأت تشكل مجمعات كبيرة من خلال انتظامها بشكل عامودي أو متواز حول مساحة مركزية كبيرة لتؤلف بذلك مجمعات معمارية عملاقة (انظر لاحقاً المجمعات السكنية في حبوبة الكبيرة وتل جبل عارودة). تتميز عمارة هذه الفترة باستخدام المخطط الثلاثي الأجزاء (Tripartite plan) الموروث من الفترة السابقة (عصر العبيد). يتألف هذه المخطط من صفين من الغرف الصغيرة المتوضعة على جانبي الجناح المركزي المؤلف من غرفة واحدة طولانية الشكل. ولكن المباني العائدة لهذه المرحلة على الرغم من أنها بنيت وفق المخطط المعروف سابقاً إلا أنها تتميز بضخامتها وبأنها مزينة باستخدام تقنيات تزيين جديدة وهذا يستدعي كمية كبيرة من اليد العاملة وقدرة هائلة على التنظيم لتوظيف اليد العاملة ودفع أجورها وتمويل البناء. والأهم من كل ذلك هو تواجد المتخصصين مثل المعماريين، البنائين والحرفيين. يعتبر الموزاييك الملون المؤلف من لبنات مشوية (أو أحجار صغيرة) مخروطية الشكل ومطلية بثلاثة ألوان من أهم تقنيات التزيين خلال هذه المرحلة (الشكل ٢).

(١٠٨) Forest, J.-D. 2006, p. 11-18.

وهكذا نرى أن ظهور المدن، الدويلات، التنظيم الاجتماعي والسياسي الهرمي، التخصص الاقتصادي واختراع الكتابة هي عبارة عن سلسلة ثورات حضارية مترابطة فيما بينها.



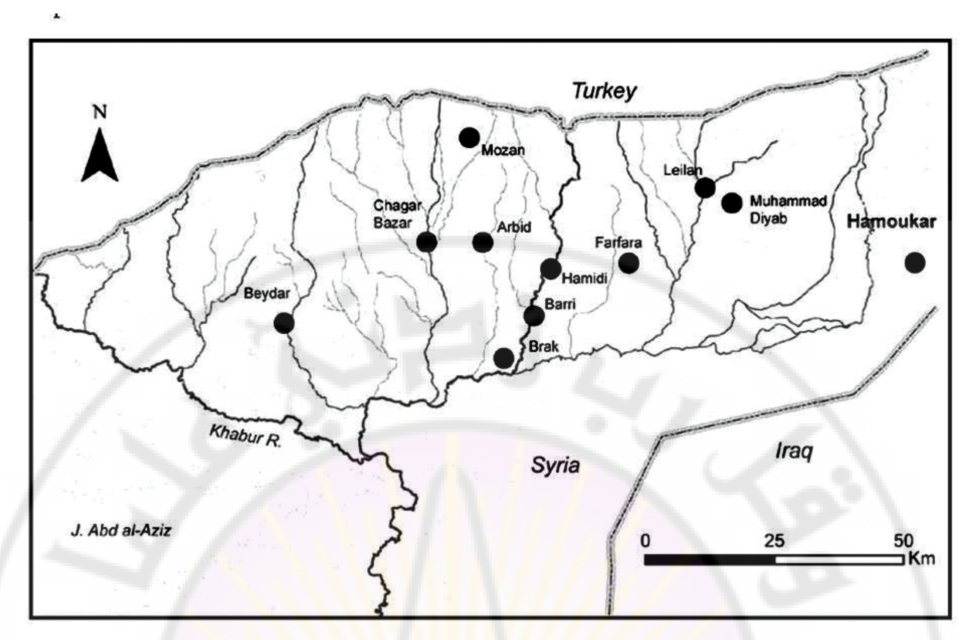
الشكل ٢: الفسيفساء الملونة، عن: (Benoit, A. 2003, fig. 67).

١-١-١ تل براك:

يُعدّ موقع براك موقعاً رئيسياً بالنسبة لنهاية الألف الخامس وبداية الألف الرابع قبل الميلاد بالإضافة للفترة اللاحقة (فترة توسع أوروك). وهو أيضاً موقع هام جداً بالنسبة للمراحل اللاحقة (الألف الثالث والثاني ق. م).

يقع تل براك في حوض الخابور الأعلى شمال شرق سوريا (الشكل ٣). إنه أحد أكبر التلال في هذه المنطقة، حيث تصل مساحته إلى ٤٣ هكتاراً وارتفاعه إلى ٤٥ متراً. وهو بموقعه في منطقة الهوامش الجنوبية الجافة نسبياً من حوض الخابور الأعلى[١٠٩] يشرف ويسيطر على المناطق الزراعية المحيطة. كما أنه يتمتع بموقع استراتيجي خاص كونه نقطة دخول لمنطقة الخابور

(١٠٩) تتلقى هذه المنطقة ما يعادل ٣٠٠ ملم سنوياً من الأمطار.



الشكل ٣: خريطة مواقع الالف الرابع ق.م في شمال شرق سوريا

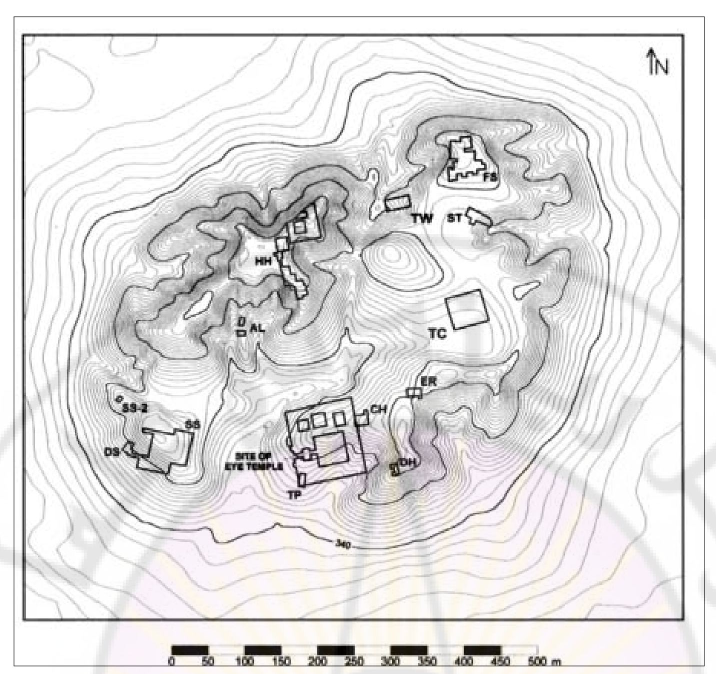
من الجنوب الشرقي، فهو يسيطر عملياً على ممرات العبور في منطقة سنجار. كما أنه يسيطر على أحد أهم الطرق المؤدية من دجلة إلى الشمال (بلاد الأناضول أحد أهم مصادر المعدن) وإلى الغرب (منطقة الفرات والبحر الأبيض المتوسط).

تاريخ التنقيبات:

بدأت التنقيبات في تل براك (الشكل ٤) من قبل ماكس مالوان في عام ١٩٣٧-١٩٣٨. ثم قام الباحث ديفيد أواتس (D. Oates) في عام ١٩٧٦ بمتابعة التنقيبات على التل وكان هدفه الكشف عن سويات الألف الثالث ق.م في الموقع، لأن منطقة الخابور تشكل الحدود الغربية لشمال بلاد الرافدين. وبفضل هذه التنقيبات ظهرت هوية تل براك، أي مدينة ناجار القديمة، أحد أهم مدن الشرق الأدنى القديم. حيث ذكرت ناجار في وثائق إيبلا.

تنظيم المدينة:

بدأ في تل براك أول ظهور للعمارة الضخمة والمعقدة خلال العصر الحجري النحاسي المتأخر الثاني (حوالي ٤٢٠٠-٣٩٠٠ ق.م)، حيث أظهرت التنقيبات أن السويات ٢٠-١٩ في المنطقة (TW) الواقعة في شمال شرق التل تضم عمارة ضخمة، ممثلة بجدران بعرض ٢م، عائدة لبناء ضخم له عتبة بازلتية كبيرة، يتألف من باحة أمامية وغرفتين (الشكل ٥).



الشكل ٤: مخطط طبوغرافي لتل براك، عن : (Emberling, G. and McDonald, H. 2000, fig. 1).



الشكل ٥: البناء الكبير والقطاع الصناعي في تل براك، عن:
(http://www.tellbrak.mcdonald.cam.ac.uk/latechalcolithic.html).

وعلى الرغم من أن مخططه غير مكتمل لأن التنقيبات لم تكشف عنه كاملاً إلا أنه على الأغلب مبنى إداري بسبب مساحته الكبيرة وطريقة بنائه الجيدة. يحده من الجهة الغربية منطقة أو قطاع صناعي مؤلف من مجمع فيه العديد من الغرف التي تحتوي على الكثير من الأفران الكبيرة والمخازن وأدلة على صناعة أدوات الصوان والأوبسيديان. أحيطت هذه المنطقة بشارع يصلها إلى بوابة المدينة الشمالية. استمر استخدام البناء الإداري الضخم والمنطقة الصناعية مع بعض التعديلات التي طرأت على مخطط المجمع الصناعي خلال المرحلة اللاحقة (السوية١٩).

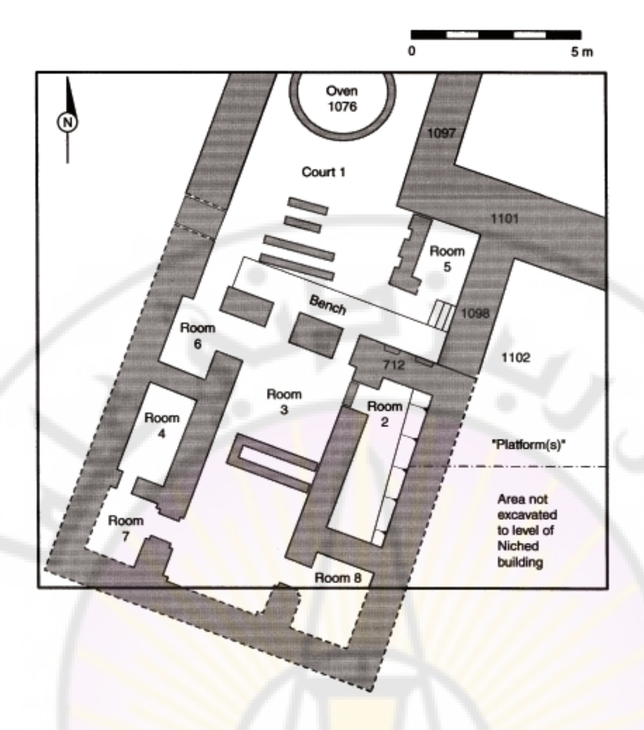
كما أن دلائل العمارة الضخمة ظهرت أيضاً في السويات العائدة للعصر الحجري النحاسي المتأخر الثالث وأهمها مبنى المحاريب (Niched building) في المنطقة TW نسبةً إلى جدرانه المزينة بالمحاريب وهي تقنية التزيين الأخرى التي تميز هذا العصر[١١٠].

مبنى المحاريب (Niched building):

يؤرخ هذا البناء ببداية الألف الرابع ق.م (الشكل ٦)، أي قبل فترة توسع أوروك. بُني على طبقة رقيقة من الحصى التي وضعت على كامل المنطقة كتهيئة لبنائه. للبناء مخطط ثلاثي الأجزاء ولكنه يحتوي على إضافة جديدة وهي وجود الباحة الواقعة على محور البناء الرئيسي. يتم الدخول للباحة بواسطة مدخل يقع على الطرف الغربي منها، ولكن هذه المنطقة مهدمة ولم تستطع البعثة أن تتأكد من وجود المدخل. ويُعتقد بأن المبنى يمتلك مدخلاً آخرَ في الجهة الشمالية. تزين جدران الباحة الداخلية المحاريب وهي عبارة عن دخلات وخرجات منتظمة (niches and butresses) في الجدران كنوع من الديكور أو التزيين. وهي تتميز في هذا البناء بأن لها نوعين: فبعضها ممتد ليصل إلى الأرض، وبعضها الآخر يتوقف قبل أرض المبنى بمتر أو أكثر قليلاً.

تحتوي الباحة على فرن مقبب بالإضافة لمواقد دائرية الشكل أصغر حجماً استخدمت للطبخ أيضاً. للباحة ثلاث أرضيات احتوت على فخار محلي الصنع يسمى (chaff tempered pottery). يتميز بأنه خشن الملمس وتحتوي عجينته على مواد نباتية. تضم الباحة أيضاً غرفة (رقمها ٥ على المخطط) مخصصة للتخزين. يقع مدخل البناء على الطرف الجنوبي للباحة. وواجهته مؤلفة من ثلاثة أبواب، يؤدي اثنان منها إلى الغرفة الرئيسية (رقم ٣) أما الممر الثالث الغربي فيؤدي إلى غرفة ربما استخدمت في التخزين أيضاً (الشكل ٦).

(١١٠) http://www.tellbrak.mcdonald.cam.ac.uk/latechalcolithic.html.



الشكل ٦: مبنى المحاريب في تل براك، عن: (Emberling, G. and McDonald, H. 2000, fig. 4).

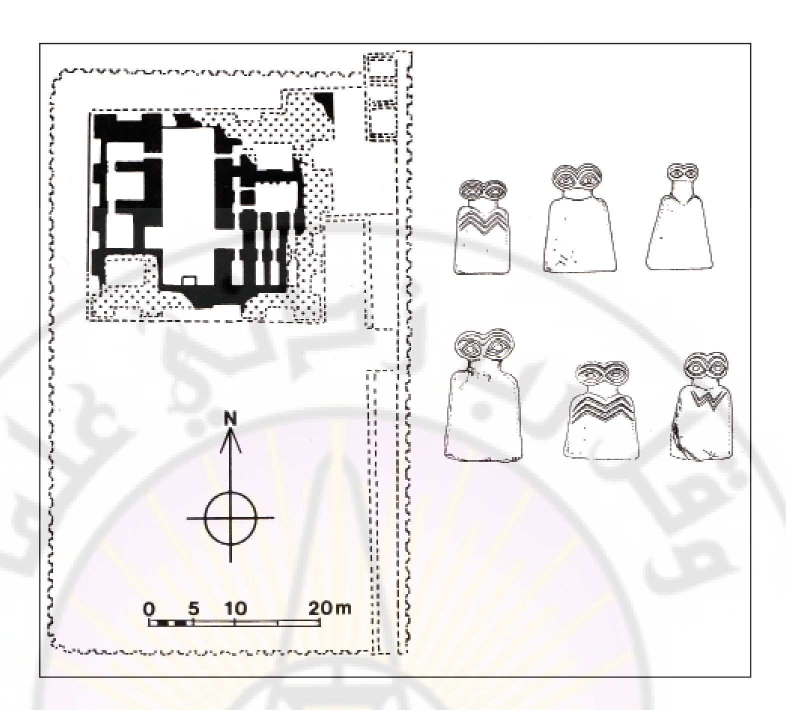
لكن تل براك خلال العصر الحجري النحاسي المتأخر الثالث (حوالي ٣٩٠٠-٣٦٠٠ ق.م) كان قد وصل إلى أكبر حجم استيطان ممكن. ليس فقط بالنسبة لاستيطان شمل التل كله (٤٣ هكتاراً) وإنما سكنت أيضاً مستوطنات صغيرة بجوار التل، مشكلةً إكليلاً حوله، مؤرخة جميعها بهذه الفترة. كانت هذه المواقع صغيرة لا تتجاوز مساحة الواحد منها ٥هكتارات، تشكل الحلقة الأولى في منظومة كان براك يمارس فيها دور الهيمنة (أو الزعامة) السياسية والاقتصادية[١١١].

يتميز فخار هذه المرحلة بأنه مصنوع يدوياً وبأنه غير مؤكسد تماماً (chaff-faced) وهو فخار خشن الملمس، تحتوي عجينته على مواد نباتية، انتشر في سوريا الشمالية وفي جنوب شرق الأناضول وهو فخار محلي ذو أشكال عديدة.

"معبد" العيون:

سمي البناء بهذا الاسم نسبةً إلى آلاف القطع المصنوعة من الحجر الجيري بصورة عيون (انظر الشكل ٧). بُني وفق المخطط الثلاثي الأجزاء وزُين بواسطة المحاريب والموزاييك المخروطي (الشكل ٧). ولكنه يختلف بجزئه الشرقي المحتوي على مخازن ضيقة مما يقترح تعديلاً محلياً على

(١١١) Emberling, G. and Mcdonald, H. 2001, p. 21-26.



الشكل ٧: معبد العيون وتماثيل العيون الحجرية، عن: (Akkermans, P. and Schwartz, G. 2003, fig. 6.10).

مخططه الثلاثي الأجزاء. يوجد تحت "معبد" العيون سلسلة مؤلفة من ثلاثة مبانٍ سابقة، كل مبنى كان قد قطع وملئ باللبن ليخدم كمصطبة (أو تراس) للبناء التالي. "فمعبد" العيون الأبيض (والذي سمي كذلك نسبةً إلى أرضيته المطلية بالجص الأبيض) كان قد بني فوق "معبد" العيون الرمادي (نسبةً إلى لبناته الرمادية اللون). يؤرخ "معبد" العيون الرمادي بالحجري النحاسي الثالث. وقد عثر فيه على آلاف العيون، وهي رقيقة ومسطحة لها رقبة طويلة فوقها العيون الكبيرة. فسرت هذه القطع سابقاً بأنها نذور وتقدمات لإله المعبد. ولكن الدراسات الأحدث قدرت أنها كانت أدوات استخدمت في الغزل والنسيج وبذلك قد لا يكون البناء معبداً. قدم هذا البناء أيضاً عدداً من طبعات الأختام والأختام الأسطوانية والرؤوس البشرية المنحوتة من المرمر وآلاف الخرزات. إن مرحلة البناء الأقدم هي ما يطلق عليه اسم "معبد" العيون الأحمر نسبةً إلى لبناته الحمراء[١١٢].

وهكذا نرى أن الفترة التي سبقت مباشرةً فترة توسع أوروك خارج نطاق الجنوب الرافدي أظهرت ولادة المجتمعات المعقدة. إن مدى اتساع الاستيطان وتطور التنظيم المدني في تل براك وفي تلالٍ أخرى مثل حموكار في منطقة الخابور الشرقية يقترح بدء التمدن.

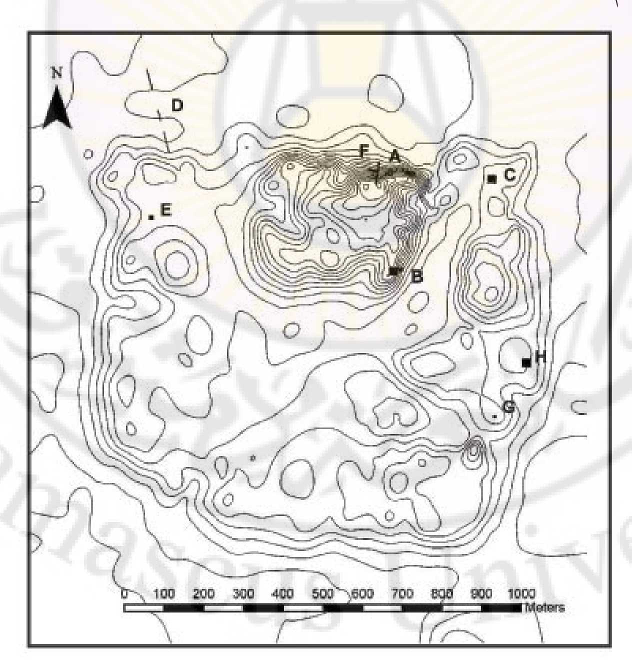
(١١٢) Akkermans, P. and Schwartz, G. 2003, p. 198-199 ;
انظر تقارير التنقيب على موقع معهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو الإلكتروني منذ التقرير الأول عام ١٩٩٩-٢٠٠٠: http://oi.uchicago

١-١-٢ تل حمو كار:

يقع تل حموكار شمال شرق سوريا (الشكل ٨)، في الحافة الشرقية لحوض الخابور (محافظة الحسكة). تأتي أهمية الموقع بسبب وجوده على الطريق التجارية القديمة المتجهة شرق- غرب، والتي تقطع نهر دجلة في منطقة نينوى. فكان حمو كار يتمتع بموقع مثالي للتجارة القديمة بين الشمال السوري والرافدي مروراً بالمواقع الكبيرة مثل تل ليلان وتل بيدر أو تل براك[١١٣].

تاريخ التنقيبات:

بدأ تنقيب الموقع عام ١٩٩٩ من قبل بعثة سورية-أمريكية مشتركة من معهد الدراسات الشرقية في شيكاغو والمديرية العامة للآثار والمتاحف في سوريا، بإدارة الباحث الشهير مكوير جيبسون (M. Gibson) بين عامي ١٩٩٩ و ٢٠٠١ ولكن أعمال البعثة توقفت بسبب الحرب في العراق[١١٤]. استؤنفت الأعمال الأثرية عام ٢٠٠٥ بإدارة كليمانس ريتشل (C. Reichel) عن الجانب الأجنبي وسلام قنطار عن الجانب السوري واستمرت البعثة المشتركة حتى عام ٢٠١٠.



الشكل ٨: مخطط طبوغرافي لتل حمو كار، عن: (Gibson, M. 1999, p. 66).

---

(١١٣) انظر تقارير التنقيب على موقع معهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو الإلكتروني منذ التقرير الأول عام ١٩٩٩-٢٠٠٠:
http://oi.uchicago
Gibson, M.1999_2000 (ANNUAL REPORT).
(١١٤) Reichel, C. 2005-2006, p. 65.

من أهم الإسهامات التي قدمها تل حموكار مع غيره من المواقع الشمالية (مثل تل براك) هو دفع الباحثين لإعادة التفكير بنظرية ظهور المدن الأولى في جنوب بلاد الرافدين خلال منتصف الألف الرابع ق.م وانتقال ظاهرة التمدن من الجنوب الرافدي باتجاه الشمال وبقية أنحاء الشرق الأدنى القديم. لأن التنقيبات في حمو كار أسفرت عن اكتشاف مدينة مسورة تعود إلى بداية هذه الألفية. يدل ذلك على أن المدن الأولى ظهرت في الشمال السوري في زمن أقدم مما هو معروف سابقاً. كما أن العديد من التنقيبات في جنوب شرق تركيا وشمال سوريا أثبتت أن العديد من المجتمعات البشرية كانت على درجة من التعقيد والتطور وقامت بتأسيس العديد من المدن قبل مرحلة توسع أوروك خلال منتصف الألف الرابع ق.م.

تنظيم المدينة:

يعود تاريخ الاستيطان الأول في موقع حموكار إلى نهاية الألف الخامس ق.م. ولكن هذا الاستيطان لم يكن موجوداً على التل المرتفع وإنما جنوبه في المنطقة التي أُطلق عليها اسم "الضاحية الجنوبية". حيث عثرت البعثة على ورشة لطَرق وتصنيع أدوات الأوبسيديان والصوان. ومن الملفت أن مساحة هذه الضاحية تبلغ ٢٨٠ هكتاراً أي أنها أكبر بثلاث مرات من مساحة المدينة العائدة للألف الرابع ق.م الواقعة على التل. ومن الملفت أيضاً بأن أقرب مكان لوجود خامة الأوبسيديان يقع على بعد ٧٠ ميل شمال حمو كار، غرب بحيرة فان في الأناضول في منطقة نمرود داغ . وذلك يعني بأن حمو كار كانت تستورد هذه الخامة من الأناضول وتقوم بتصنيع الأدوات وتصديرها -غالباً إلى الجنوب الرافدي- في هذا الوقت الباكر جداً من تاريخ الحضارة.

تقع مدينة الألف الرابع ق.م على التل المرتفع في الموقع وتبلغ مساحتها ١٦ هكتاراً. ثم توسعت مساحة المدينة بشكل مفاجئ وسريع في منتصف الألف الثالث ق.م فغطى الاستيطان كامل الموقع الذي تبلغ مساحته ١٠٣ هكتارات.

يؤرخ سور المدينة حسب كسر الفخار[١١٥] التي عثر عليها عند قاعدة السور بـ (٣٧٠٠ق.م)[١١٦]. حيث ظهر هذا السور في المنطقة A الواقعة شمال-شرق التل وهو بعرض ٤م وارتفاع ٣ م، ثم ظهرت أجزاءٌ أخرى منه في المنطقة B جنوب-شرق التل وفي المنطقة F مما أكد أن هذا الجدار هو سور المدينة المحيط بها[١١٧].

(١١٥) عثر على فخار أوروك الشمالي الوسيط عند قاعدة السور (Gibson, M. *et al*. 2002, p.50, fig.20.)، وهو فخار محلي الصنع، في حين أن الحفر التي اخترقت عمارة هذه المدينة احتوت على فخار جنوب أوروك وهو فخار جنوب رافدي مما يدل على أن نهاية هذه المستوطنة المحلية كانت غالباً على يد سكان الجنوب الرافدي خلال فترة توسع أوروك وتدل الكتل الطينية على أن حرباً هي الأولى في التاريخ قد جرت واستخدمت فيها المنجنيقات لقذف الكرات الطينية.

(١١٦) Reichel, C. 2005-2006, p. 67.

(١١٧) Reichel, C. 2011, p. 4.

تضم المنطقة B بقايا عمارة منظمة مؤلفة من مجمعين معماريين ضخمين (C-A و C-B). يتألف كل مجمع من باحة مربعة بني على طرفها الشمالي بناء كبير ثلاثي الأجزاء (المبنى Tp B-A والمبنى Tp B-B) بالإضافة إلى مجموعة من الغرف الجانبية المبنية على أطراف البناء والباحة (الشكل ٩)[١١٨]. بني كلا البنائين وفق اتجاه واحد هو شمال–شرق إلى جنوب–غرب (المدخل في الجنوب). وتبلغ أبعاد المبنى (Tp B-B) ٧,١ X ٧,٦ م في حين أن المبنى الشرقي (Tp B-A) أكبر قليلاً : ٨,٢ X ٧,٩ م. زينت جدران هذين البنائين بالمحاريب (Niches) التي تقابلها مداخل أو فتحتات على الجدران المقابلة. فمدخل الغرفة الجانبية D يقابله محراب أو "نيش" على جدار الغرفة B الخارجي. مما يدل على أن "النيشين" المتواجدين في الجدار الشمالي–الشرقي في البناء Tp B-B يقابلهما مدخلين على الطرف الجنوبي–الشرقي الذي تعرض للانهيار تماماً. تشير الدلائل الأثرية إلى أن هذه الأبنية الثلاثية الأجزاء لها طوابق علوية. وقد عثر على أجزاء من الأسقف المنهارة مما يؤكد على أن الجناح المركزي عبارة عن غرفة وليس باحة مفتوحة. وتشير أجزاء السقف المنهارة في البناء Tp B-B على أنه كان مؤلفاً من العوارض الخشبية فوقها حصير من التراب والتبن تفيد في العزل ثم أخيراً بطبقة سميكة من الطين التي تمنع مياه الأمطار من الوصول إلى داخل المبنى.

عثر في كلا البنائين على كميات كبيرة من جرار التخزين والكثير من الأختام (١٣٧ ختم في إحدى غرف البناء Tp B A) وطبعات الأختام على الجرار والسلال مما يدل على أن هذين المجمعين لهما وظيفة إدارية، يتم فيهما التخزين وإعادة التوزيع وفق نظام بيروقراطي يعتمد الختم للتوثيق. يقع البناء Tp B-C إلى الشمال من البنائين الإداريين، وهو مبنىً ثلاثي الأجزاء أيضاً يقع في مجمع آخر تعرضت بعض أجزائه للانهيارات، إلا أن وظيفة هذا المجمع لا تزال غير واضحة تماماً ولكنها قد تكون مرتبطة بإعداد الطعام بكميات كبيرة[١١٩]. دمر المجمعان حوالي ٣٥٠٠ ق.م بحريق كبير[١٢٠] بسبب حرب تُعدّ أول حرب في التاريخ والتي كانت غالباً نتيجة اجتياح سكان الجنوب الرافدي للشمال السوري كما يدل على ذلك وجود فخار أوروك في السويات اللاحقة لطبقة الدمار وذلك ضمن ما يسمى "توسع أوروك".

---

(١١٨) Reichel, C. 2006-2007, p. 63-65.
(١١٩) Reichel, C. 2011, p. 7.
(١٢٠) Reichel, C. 2008-2009, p. 78-80.



الشكل ٩: أبنية العصر الحجري النحاسي المتأخر، القطاع B في تل حمو كار، عن: (Reichel, C. 2011, fig. 2).

١-٢ مستوطنات أوروك في سوريا (العصر الحجري النحاسي المتأخر الرابع والخامس):

يطلق على المرحلة الممتدة بين منتصف ونهاية الألف الرابع ق.م اسم أو مصطلح (Uruk expansion). حيث عُثر في سوريا على مستوطنات تستخدم النمط المعماري والفخار الجنوب رافدي كما في أوروك تماماً. إن هذا التوسع والانتشار للنمط الجنوب الرافدي (الثقافة المادية) خلال الألف الرابع قبل الميلاد لم يصل إلى سوريا فقط وإنما عثر عليه أيضاً في الشمال الرافدي، وجنوب شرق تركيا وغرب إيران.

ظهرت في سوريا خلال تنقيبات الإنقاذ بسبب بناء سد الطبقة في منطقة الفرات الأوسط عام ١٩٦٠ عدة مواقع فيها منتجات حضارية أوروكية، وأظهرت الأعمال الأثرية أن هذه المواقع بنيت حديثاً في منتصف الألف الرابع ق.م، بمعنى أنها بنيت على الأرض البكر (لم تكن مأهولة أو مبنية قبل ذلك التاريخ). ثم هجرت هذه المواقع فجأةً في نهاية الألف الرابع ق.م. الأمر الذي جعل العلماء يعتقدون بوجود مستوطنات أوروكية في شمال سوريا قام ببنائها سكان جنوب رافديين توسعوا شمالاً لتأسيس مستوطنات أو "مستعمرات" (كما يطلق عليها بعض العلماء). حيث نظمت هذه المواقع ضمن شبكة اتصالات تجارية تهدف لتزويد الجنوبيين بالمواد الأولية التي يفتقرون إليها من الأناضول. تمتد فترة التوسع أو المستوطنات خلال العصر النحاسي المتأخر الرابع والخامس (LC 4-5) حوالي ٣٦٠٠-٣٠٠٠ ق.م. وأحد أشهر تلك المواقع في سوريا هو موقع حبوبة الكبيرة.

تبرز نهاية هذه الفترة إشكالية هامة: "فالمستعمرات" أو المستوطنات الأوروكية كحبوبة الكبيرة وجبل عارودة هُجرت بعد فترة استيطان قصيرة نسبياً. أما المواقع ذات التاريخ الأطول التي بنيت قبل هذه المرحلة مثل تل براك وتل حموكار (أي أنها تحتوي على استيطان محلي ولم تكن مستعمرات أوروكية رغم تأثرها بالثقافة المادية الرافدية من منتصف وحتى نهاية الألف الرابع ق.م) فقد استمر فيها الاستيطان ولم تهجر، ولكنها بنهاية هذه الفترة أظهرت فجأة تحولاً نحو طابع ثقافي محلي مستقل كلياً عن التأثر بجنوب بلاد ما بين النهرين. هل كانت المستوطنات الأوروكية تتوجس خطراً ما، كما يدل على ذلك نظام التحصينات الضخمة المكتشف في حبوبة ؟ تقترح طبعة الحريق التي عثر عليها في كلٍ من جبل عارودة والشيخ حسن (السوية ٦) على أن كارثة لها علاقة بالعنف والحرب قد وقعت في هذه المواقع (على الرغم من أن الحريق قد لا يكون سببه الحرب دائماً). ويدعم هذه النظرية وجود "الحصن" في مشنقة في حوض الخابور الأوسط. من هنا تأتي الأسئلة : من هم الأعداء وما هو الدور الذي قام به هؤلاء الأعداء (في حال وجودهم طبعاً) بنهاية الاستيطان في المستعمرات الأوروكية؟[١٢١]

(١٢١) Akkermans, P. and Schwartz, G. 2003, p. 203-205.

١-٢-١ حبوبة الكبيرة:

يقع تل حبوبة الكبيرة الجنوبي على الضفة اليمنى لنهر الفرات قرب قرية حبوبة الكبيرة الحديثة (الشكل ١٠)، على بعد ٨٠ كم من حلب. يتمتع تل حبوبة الكبيرة بموقع استراتيجي هام على منحنى نهر الفرات، أي الطريق الواصل بين بلاد الرافدين في الشرق والجزء الغربي من سوريا وساحل البحر الأبيض المتوسط في الغرب. وهو طريق نهري يسمح بتمرير المواد الأولية كالمعادن والأخشاب إلى الجنوب الرافدي الفقير جداً بهذه المواد.

تاريخ التنقيبات:

بدأت الحفريات الأثرية عندما قررت السلطات السورية إقامة سد على نهر الفرات عام ١٩٨٦. حيث قام فريق ألماني من جمعية الشرق الألمانية بتنفيذ مواسم الإنقاذ من عام ١٩٦٩ حتى عام ١٩٧٤.

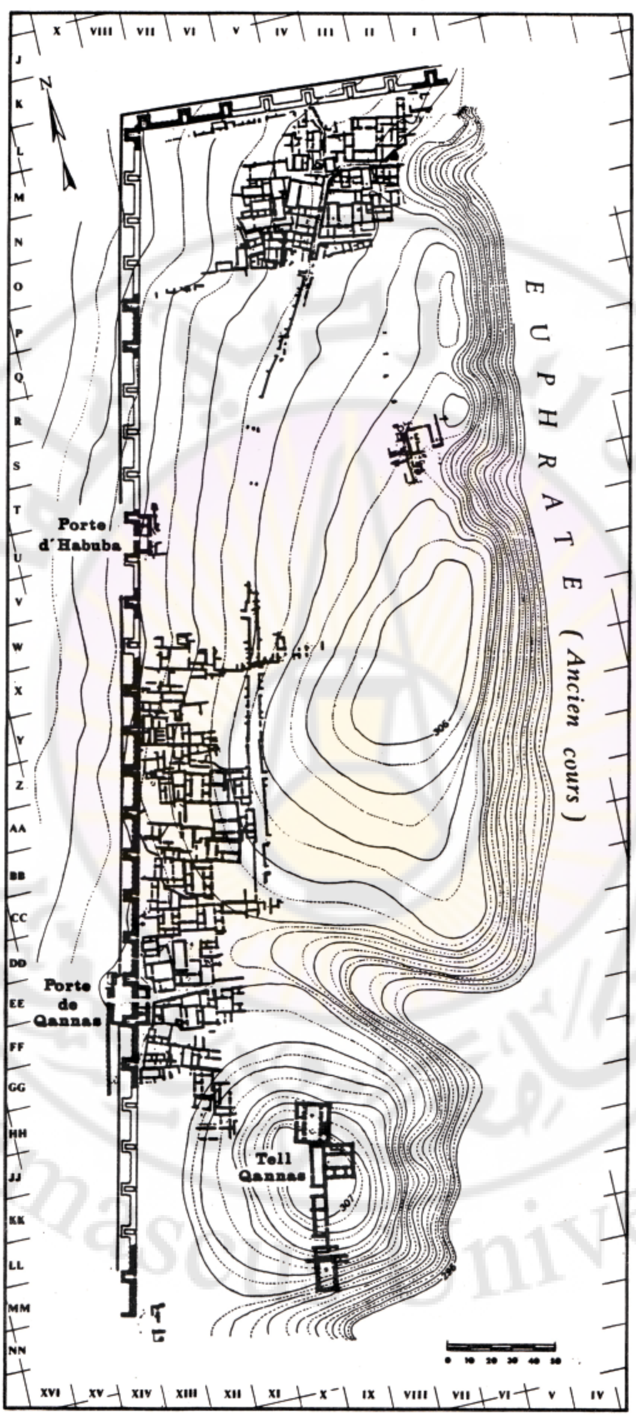
تنظيم المدينة:

تبلغ مساحة الموقع ١٨ هكتاراً وهو مؤلف من منطقة مسورة مساحتها ١٠ هكتارات وتل ملحق في الجهة الجنوبية-الغربية (تل قناص) يقع فيه المركز الإداري للمدينة التي أقيمت على تل حبوبة الكبيرة والتي لم يعرف اسمها القديم حتى الآن. أسست هذه المدينة الجديدة في منتصف الألف الرابع ق.م وفق مخطط مسبق، وفيها ثلاث سويات معمارية فقط، مما يدل على أنها سكنت خلال فترة قصيرة نسبياً (خلال قرن أو قرنين من عصر أوروك المتأخر أو العصر الحجري النحاسي المتأخر الخامس: ٣٤٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م) وبعد ذلك هجرت حبوبة الكبيرة فجأةً بدون أي أثر لدمار أو حريق في الموقع. يتألف الموقع من المدينة المنخفضة والمدينة المرتفعة (أكربول/ تل قناص) في الجهة الجنوبية-الغربية من المدينة.

تدل العمارة وتنظيم المدينة في حبوبة الكبيرة على وجود إدارة مركزية قادرة على تطبيق هذا التنظيم وتمويل البناء وتوظيف المهارات المتخصصة مثل المعماريين والحرفيين وغيرهم.

بنيت تحصينات المدينة (انظر الشكل ١٠) باللبن وهي ضخمة وذات نظام معقد. الجدار الرئيسي أو السور بعرض ٣ م وطول ٦٠٠ م، يحتوي على أبراج مستطيلة الشكل متباعدة عن بعضها بمسافات موحدة. للمدينة بوابتين واحدة مخصصة للمدينة المرتفعة الواقعة في الجنوب (أكربول :Acropole) وهو تل قناص، وأخرى للمدينة المنخفضة المحتوية على المنازل السكنية. أما الجدار الثاني الأقل سماكة من الأول فهو خارجي ومهمته حماية السور الرئيسي (خط دفاعي أول). كما عثر على جزء من جدارٍ ثالث بالقرب من البوابة الجنوبية وهو جدار تظهر فيه المحاريب[١٢٢].

(١٢٢) Akkermans, P. and Schwartz, G. 2003, p. 191.

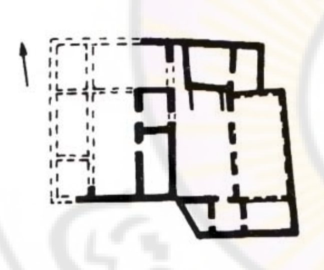


الشكل ١٠: مخطط حبوبة الكبيرة، عن (Vallet, R. 1997, fig. 1).

انتظمت الشوارع الرئيسية في المدينة ضمن شبكة مؤلفة من شوارع باتجاه شمال–جنوب وأخرى باتجاه شرق–غرب، تخدم عملية السير والتنقل ضمن المدينة كلها. وهي مبلطة أو مرصوفة بالحجارة الصغيرة ومزودة بنظام صرف معقد، مؤلف من أنابيب فخارية مدرجة في خنادق أو ممرات محفورة خصيصاً لها.

المدينة المرتفعة (الأكربول): بنيت المدينة المرتفعة وهي المركز الإداري للمدينة على تل قناص. حيث عثر على مجموعة أبنية رسمية مبنية بواسطة اللبنات الصغيرة ذات المقطع المربع (Riemchen) كما في أوروك تماماً. ولأن هذه الأبنية أنشئت بحسب المخطط الثلاثي الأجزاء المذكور سابقاً (tripartite plan) وجدرانها الداخلية مزينة بالمحاريب (وهي جدران عريضة من اللبن المزين بالفسيفساء المخروطية الشكل) فقد فسرت وظائف هذه الأبنية بأنها معابد[١٢٣]، على الرغم من أنها قد تكون منازل فخمة أو قصور صغيرة لمجموعة من أفراد النخبة الحاكمة والتي تقوم بإدارة شؤون المدينة في تل حبوبة الكبيرة (مركز السلطة).

المنازل: بنيت البيوت في حبوبة الكبيرة وفق المخطط الثلاثي الأجزاء الموروث من عصر العبيد. ولكن أبنية هذا العصر امتازت بأنها لم تكن منفردة كما كانت عليه في عصر العبيد، بل هي عبارة عن مجمعات معمارية مؤلفة من العديد من العناصر المجتمعة وفق نظام معين (الشكل ١١).



الشكل ١١: المجمع السكني ٢٢ في حبوبة الكبيرة، عن: (Vallet, R. 1997, fig.4).

تتألف العناصر المؤلفة للسكن في حبوبة الكبيرة من البناء الثلاثي الأجزاء وهو العنصر الأول والأساسي في هذه المجمعات لأنه المنزل المعد للسكن. يتألف المخطط من غرفة مركزية مساحتها وسطياً ٣٧ م^{٢}، محاطة بجناحين جانبيين مؤلفين من غرفتين أو على الأغلب من ثلاث غرف صغيرة في كل صف. تقع غرفة المدخل في إحداها وتؤدي إلى الغرفة الرئيسية. أثثت القاعة المركزية بمواقد وهي غرفة المعيشة التي يتجمع فيها كل أفراد الأسرة وتتم فيها ممارسة النشاطات المنزلية اليومية المختلفة، لتناول الطعام ولممارسة الأعمال الأخرى. تحتوي هذه الغرف عادةً على مواقد إجاصية الشكل موضوعة على الأرضية. أما الغرف الجانبية الملحقة فكانت تستخدم في التخزين وإعداد الطعام والنوم.

---

(١٢٣) Margueron, J.-C. 2003, p. 218.

أما العنصر الثاني فهو غرفة الاستقبال مساحتها وسطياً ٣٣ م٢ مجهزة كغرفة المعيشة في المنزل بمواقد التدفئة وهي تقع بشكل متعامد أو بشكل مقابل للمنزل. وتنفتح مباشرةً على الباحة عبر مدخلين وأحياناً عبر ثلاثة مداخل عريضة (انظر الشكل ١١)، دون غرفة مدخل خاصة على عكس المنازل تماماً وقد تكون الصالات مزينة بالمحاريب أو الكوات بشكل كثيف كما في المجمع ٢٢.

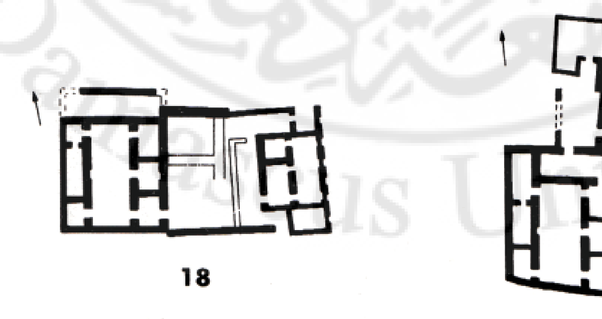
العنصر الثالث هو البناء الثنائي الأجزاء المخصص للاستقبال (الشكل ١٢)، حيث بني أحياناً بناء كامل عوضاً عن قاعة الاستقبال. يتألف من صالة مستطيلة وملحقاتها الجانبية في صف واحد بشكل موازٍ لجدار القاعة الطويل. حيث يضاف إلى القاعة صف من الغرف من جهة الباحة مؤلف من ثلاث غرف غالباً منها غرفة مدخل او غرفتين وغرفة مستودع للترتيب.

العنصر الرابع هو الغرف الخدمية الملحقة بالمنزل وبقاعة أو بناء الاستقبال، خصص بعضها لورشات العمل وبعضها الآخر عبارة عن مداخل وأخرى مخازن.

العنصر الأخير من المنازل هو الباحة، مساحتها وسطياً ٨٠ م٢. وهي إما مربعة أو مستطيلة. الباحة هي مساحة تفيد في التنقل ولها وظائف عديدة في قلب المجمع. لها وظائف منزلية بسبب العثور على قناة تصريف المياه ومواقد الطبخ.

انتظمت هذه العناصر في المجمعات السكنية بأشكال مختلفة نذكر منها مثلاً المنزل الثلاثي الأجزاء وقاعتي استقبال حول الباحة[١٢٤].

عثر في منازل حبوبة الكبيرة على سجلات مكتوبة، رقم تحتوي على رموز عددية، وعلى أختام أسطوانية، بالإضافة إلى بعض الطبعات على الجرار والرقم مما يؤكد بأنها رمز مؤشر على الملكية والإدارة كما في جنوب بلاد الرافدين.



الشكل ١٢: المجمع السكني ١٨ و ٢٣ في حبوبة الكبيرة، عن: (Vallet, R. 1997, fig. 5).

(١٢٤) Vallet, R. 1997, p. 105-119.

بسبب وجود الطابع الجنوب رافدي (نمط ثقافة أوروك) الذي أبرزه الفخار والعمارة (استخدام المخطط الثلاثي الأجزاء) والسجلات الإدارية فإنه من الصعب تجنب النظرية القائلة بأن حبوبة الكبيرة كانت مستوطنة أنشئت من قبل أشخاص من جنوب بلاد الرافدين في سوريا. كذلك الأمر بالنسبة لمواقع أخرى مثل:

١-٢-٢ جبل عارودة:

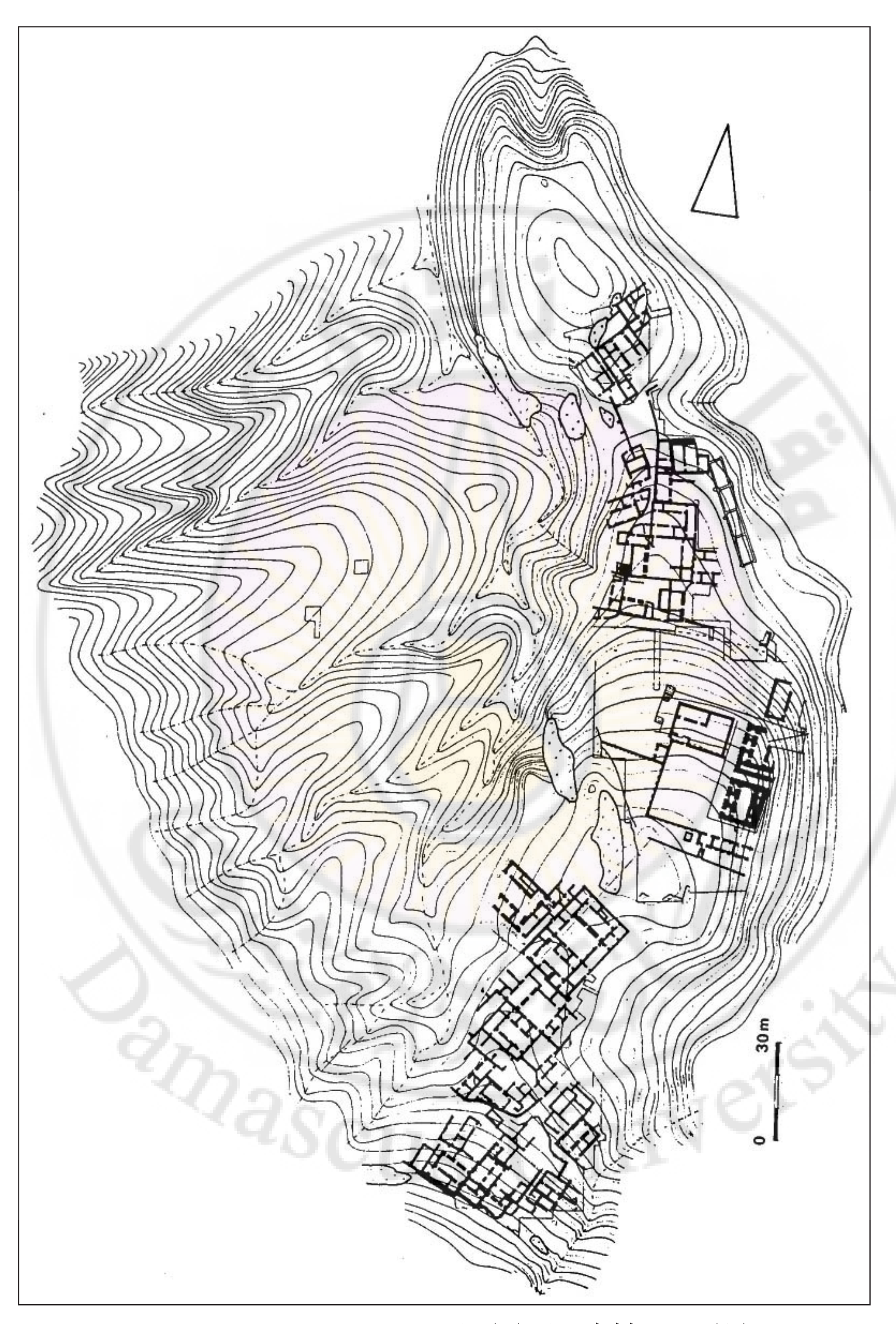
يقع جبل عارودة (الشكل ١٣) على بعد ٨ كم من حبوبة الكبيرة، نقب بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٨٢ من قبل بعثة هولندية بإشراف الباحث فان دريل (Van Driel)[١٢٥]. وهو كالموقع الأخير بني على الأرض العذراء وشهد استيطاناً قصيراً في عصر أوروك المتأخر (العصر الحجري النحاسي المتأخر الخامس: LC 5). ولكنه يتميز بأنه أصغر حجماً (٤هكتارات فقط)، ويعتقد بأنه مركز ديني/أو إداري لمقاطعة أو مستعمرة جنوب رافدية في سوريا. تحتوي المدينة المرتفعة في موقع جبل عارودة على بنائين بنيا وفق المخطط الثلاثي الأجزاء، زينت واجهاتهما بالمحاريب، هما على الأغلب مراكز السلطة في المدينة. يحيط بهذه الأبنية منازل بنيت أيضاً وفق المخطط المعماري الثلاثي الأجزاء، تدل أحجامهما وطريقة بنائها المميزة بأنها منازل النخبة.

يصنف موقع جبل عارودة كحبوبة الكبيرة بأنه مستعمرة أوروكية، هجر الموقع في نهاية الألف الرابع ق.م ولم يستوطن بعد ذلك. أعطى الموقع عمارة سكنية ذات طراز جنوب رافدي، حيث أن المنازل بنيت جميعها وفق الطراز الثلاثي الأجزاء وفيما يلي شرح لأحد المجمعات السكنية الموجود في الجزء الجنوبي من الموقع.

تنظيم المدينة:

بني القطاع السكني بسبب انحدار الأرض في الجزء الجنوبي من الموقع على مصطبتين أساسيتين فصلتا عن بعضهما بجدار استنادي غير مستقيم. تعرض القطاع السكني المبني على المصطبة الجنوبية الأكثر ارتفاعاً إلى الانجراف. وصمم القطاع السكني على المصطبة الشمالية الأكثر انخفاضاً على طرفي شارع (باتجاه شمال-جنوب)، جزؤه الشرقي منهار أيضاً. يحتوي الجزء الغربي منه على أربعة مجمعات معمارية تقع على الطرف الغربي من الشارع. المجمع الأول (الشكل١٤) شكله مستطيل (٢٨,٥٠ X ٢٠م) أي أن مساحته ٥٧٠ م^{2}. ويتألف من بنائين أساسيين يقعان على طرفي باحة مركزية هما عبارة عن منزل وبناء استقبال. أحيطت الباحة والبنائين بشريط من عدة غرف ملحقة تحيط بهما من كل الجهات (الغرف ١-٢، ١٨، ٢٣، ٢٩، ٣٩-٢٦-٢١-١٦-١٧، ١٥).

(١٢٥) Van Driel, G. et Van Driel Murray, C. 1983, p. 2-28.



الشكل ١٣: مخطط طبوغرافي لجبل عارودة، عن: (Forest, J.-D. 1997, fig. 2) .

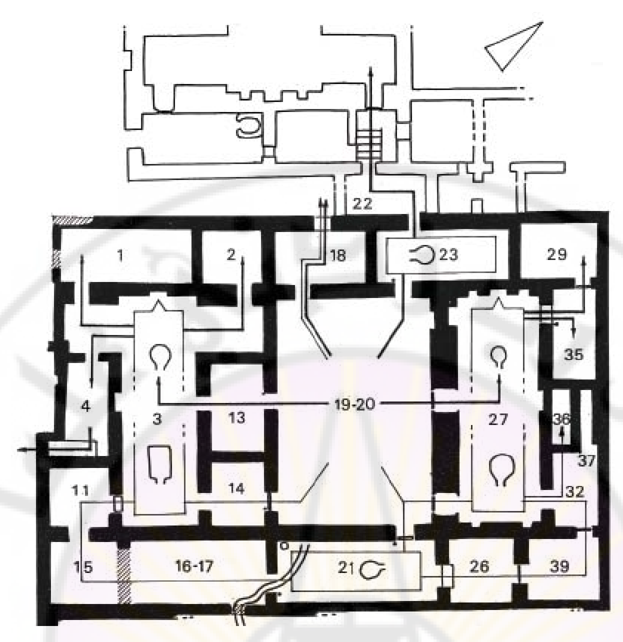
يقع مدخل المجمع في منتصف الجدار الشمالي- الغربي (غرفة المدخل رقم ١٨). تنفتح هذه الغرفة على الشارع من جهة وتؤدي إلى الباحة المركزية من جهة أخرى. البناء الجنوبي الغربي هو عبارة عن منزل بني وفق المخطط الثلاثي الأجزاء. له جناح مركزي مؤلف من غرفة واحدة مستطيلة وجناحين جانبيين مؤلفين من عدة غرف صغيرة يقعان على طرفي الجناح المركزي بشكل موازٍ لأضلاعه الطويلة. يتصف الجناح المركزي بأنه غرفة مستطيلة أكبر حجماً من كل الغرف الأخرى (٤ X ١٢م) وبموقعها المركزي في قلب البناء وبأنها تحتوي على موقدين للتدفئة في الفصل البارد من العام وهي أيضاً تتميز بوجود كوة في منتصف جدارها الشمالي الغربي. تشير هذه الخصائص إلى أنها غرفة المعيشة الرئيسية في المنزل. تحيط الغرف الملحقة بالبناء من الجهتين الجنوبية الشرقية والشمالية الغربية وهي الغرف ١-٢ و ١٥، ١٦-١٧.

خدمت الغرفة الرئيسية (الغرفة ٣ على المخطط) كغرفة معيشة أما غرف الجناحين الجانبيين (١٣-١٤ و ٤-١١) فهي إما مستودعات للترتيب وللتخزين (الغرفتين ٤ و١١) أو غرف مداخل لتسهيل الحركة والتنقل بين البناء والباحة الرئيسية (الغرفتين ١٣ و١٤)، حيث لا يمكن الدخول مباشرةً من الباحة إلى غرفة المعيشة في المنزل. أما شريط الغرف الملحقة بالبناء، الغرف رقم ١- ٢ ، ٤ و١١ فهي على الأغلب مخصصة أيضاً للركن والترتيب والتخزين.

يتألف البناء الثاني الواقع في الجهة الشمالية-الشرقية للباحة المركزية من غرفة كبيرة مستطيلة (قاعة استقبال) مجهزة أيضاً بموقدين كالغرفة رقم ٣ من البناء الأول. ولكنها تتميز بوجود تزيينات بشكل كثيف أكثر من الأخيرة، فهي تحتوي على ثلاث كوات في الجدار الشمالي-الغربي واثنتان في الجدار الجنوبي الشرقي. تنفتح هذه القاعة (على عكس الغرفة المركزية في البناء الأول) مباشرة على الباحة دون غرف مدخل وسيطة بينهما. يتميز بناء الاستقبال هذا بأنه لم يبنَ وفق المخطط الثلاثي الأجزاء فهو مؤلف فقط من جناحين: الغرفة المركزية المستطيلة المخصصة للاستقبال وجناح واحد آخر مؤلف من غرفتين جانبيتين (رقم ٣٥ و٣٢) يقع على طول الضلع الطويل للغرفة الرئيسية (لا يحتوي هذا البناء على صفين من الغرف الجانبية كما البناء الأول). ويتميز هذا الجناح الجانبي بوجود درج (غرفة الدرج ٣٦/٣٧) يفضي إلى السطح[١٢٦].

يحتوي شريط الغرف الملحقة ببناء الاستقبال على مجموعة غرف، بعضها مخصص للتخزين والترتيب (٢٦-٣٩ و ٢٩)، وبعضها الآخر (٢٣و٢١) يحتوي على مواقد التدفئة مما يدل على تواجد بشري فيها. قد تكون هذه الغرف عبارة عن ورشات عمل لمزاولة النشاطات والحرف التي يقوم بها سكان المنزل.

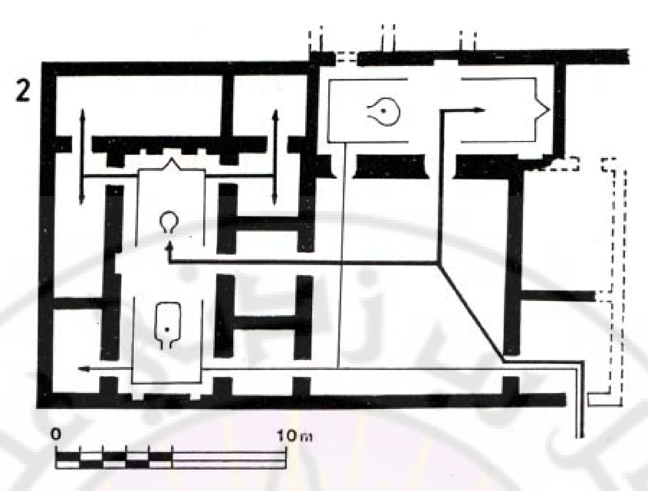
(١٢٦) Forest, J.-D. 1997, p. 217-234.



الشكل ١٤: البناء B في جبل عارودة، عن: (Forest, J.-D. 1997, fig. 7).

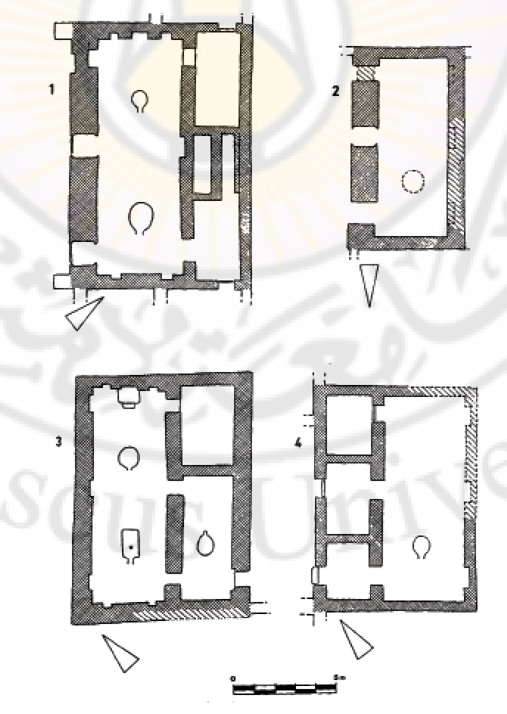
تشكل الباحة المركزية الواقعة بين المنزل وغرفة الاستقبال قلب المجمع ومساحة هامة للتنقل بين مختلف عناصره، والمكان الذي يمكن أن تدور فيه العديد من النشاطات من عمل واسترخاء وحتى إعداد الطعام وتناوله (في الصيف).

يتكرر هذا الشكل المعماري في العديد من المجمعات السكنية في جبل عارودة، حيث نلاحظ أن المجمع الواقع إلى جنوب شرق المجمع السابق يتألف من ذات العناصر (الشكل ١٥): البيت ذو المخطط الثلاثي الأجزاء المحاط من جهة الشمال الغربي بغرفتين ملحقتين. يتألف هذا المنزل من الجناح المركزي المؤلف من غرفة واحدة كبيرة ومستطيلة (غرفة المعيشية الأساسية) وصفين من الغرف الجانبية الواقعة بمحاذاة الأضلاع الطويلة للجناح المركزي. يقع هذا المنزل جنوب غرب الباحة، أما في طرفها الشمالي الغربي فيوجد غرفة مستطيلة أيضاً تنفتح على الخارج بواسطة مدخلين وتنفتح أيضاً على الباحة بواسطة مدخلين، هي عبارة عن غرفة مدخل كبير. أما صالة الاستقبال فتقع في جنوب-شرق الباحة وهي كغرفة الاستقبال في المجمع الأول عبارة عن غرفة مستطيلة ولكنها تختلف بأنها لا تنفتح على الباحة بشكل مباشر وإنما عبر غرفتين (٥٤ و ٤٨ على المخطط) تقعان في صف الغرف الجانبية التي تسبق غرفة الاستقبال.



الشكل ١٥: المجمع السكني C في جبل عارودة، عن: (Forest, J.-D. 1997, fig. 12).

من الجدير بالذكر أنه لغرف الاستقبال العديدة التي عثر عليها في جبل عارودة يمكن تمييز ثلاثة مخططات متشابهة (الشكل ١٦): المخطط الأول هو الذي عثر عليه في المجمع الأول تكون فيه بناء الاستقبال عبارة عن قاعة مستطيلة محاطة بصف من الغرف الجانبية وتنفتح مباشرة على الباحة المركزية عبر بابين في الطرف المقابل لصف الغرف الجانبية.



الشكل ١٦: صالات الإستقبال في أبنية جبل عارودة، عن: (Forest, J.-D. 1997, fig 11.).

أما المخطط الثاني تكون فيه قاعة الاستقبال غير متصلة بصف غرف جانبي وتنفتح على الباحة مباشرة عبر بابين أيضاً. أما المخطط الثالث فنلاحظ أن صف الغرف الجانبية تكون سابقة لغرفة الاستقبال، تؤدي بعضها إلى الباحة فلا تنفتح غرفة الاستقبال على الباحة مباشرة عبر أبواب وإنما عبر غرفتين في صف الغرف الجانبي[١٢٧].

١-٣ مواقع الاستيطان المحلي خلال فترة توسع أوروك:

على العكس من تل حبوبة الكبيرة وجبل عارودة لم يتأسس تل براك في منتصف الألف الرابع ق.م وإنما كان لمدة عقود سابقة مركزاً مدنياً كبيراً في المنطقة. ولكنه أظهر أيضاً تأثراً بحضارة الجنوب الرافدي خلال فترة توسع أوروك (منتصف الى نهاية الألف الرابع ق.م.) حيث ظهر في السويات العائدة لهذه الفترة فخار جنوب رافدي.

إن السويات١٧-١٤ في المنطقة (TW) هي ذات طابع حضاري محلي (فخار محلي الصنع). ولكن ظهور عدد من كسرات الفخار المشطوفة الحافة (Beveled rim bowl) وهو فخار جنوب رافدي في السوية ١٤ يدل على بدء الاتصال بأوروك. في السوية ١٣ أصبحت التأثيرات الجنوب رافدية أكبر، يدل على ذلك وجود فخار فترة أوروك الوسيط (الحجري النحاسي المتأخر الرابع) جنباً إلى جنب مع أمثلة من الفخار المحلي (Chaff-Faced Ware).

ثم ظهر في السوية اللاحقة ١٢ فخاراً جنوب رافدي فقط وهو فخار العصر الحجري النحاسي المتأخر الخامس (أوروك المتأخر). عثر على هذا الفخار في الغرف المحتوية على مواقد إجاصية الشكل كتلك المكتشفة في موقع حبوبة الكبيرة الجنوبي.

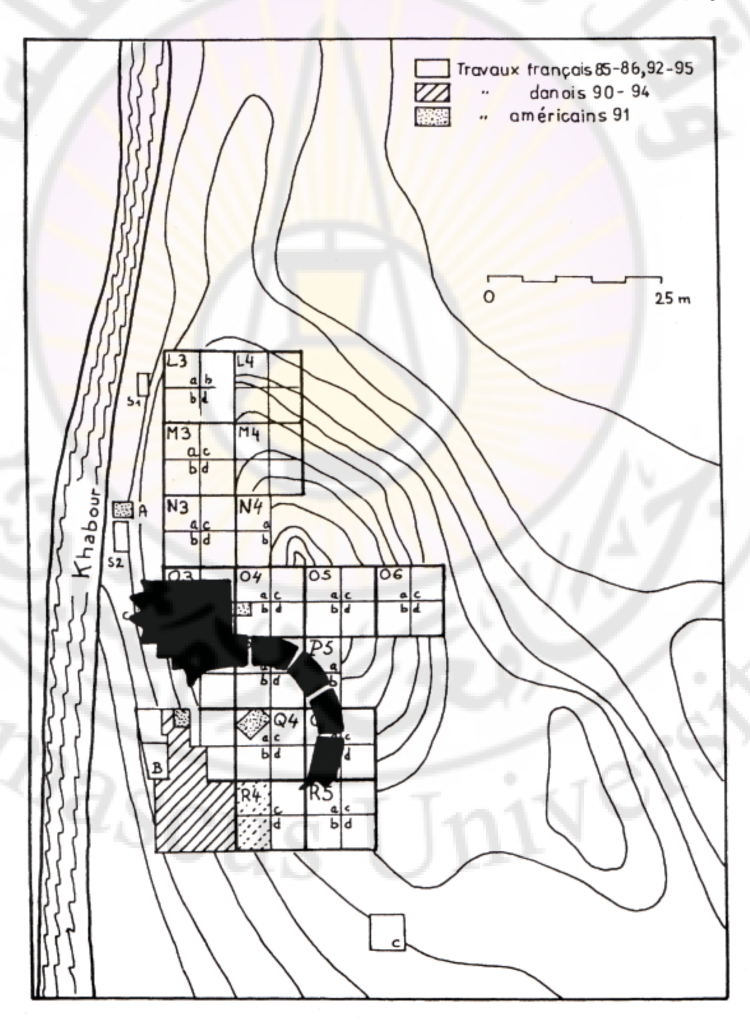
يوضح لنا مثال تل براك (من منتصف إلى آخر الألف الرابع قبل الميلاد) امتزاجاً مميزاً بين الثقافة المادية المحلية والجنوب رافدية. على الرغم من أن تل براك لا يصنف كمستعمرة مثل حبوبة الكبيرة، لأنه لم يتأسس في خلال فترة انتشار أوروك كمستوطنة جديدة، ولأنه يحتوي على أمثلة واضحة وكثيرة من منتجات الثقافة المادية المحلية[١٢٨].

هناك بعض المواقع الأخرى في منطقة الخابور كتل ليلان وكشكشوك ٣ ومشنقة أظهرت تمازجاً بين الثقافة المادية المحلية والجنوب رافدية. إن موقع مشنقة (الشكل ١٧) في منطقة الخابور الوسطى يشكل مثالاً آخر كتل براك وإن كان أصغر حجماً بكثير. فهو موقع ذو طابع ثقافي محلي ولكنه احتوى أيضاً على فخار جنوب رافدي وعلى منشأة كبيرة دائرية الشكل لها

(١٢٧) Forest, J.-D. 1997, p. 227.
(١٢٨) Akkermans, P. and Schwartz, G. 2003, p. 199-200.

جدران من اللبن بعرض ٣,٥ م، هي ربما حصن لأنها تحتوي على برج في الجزء الشمالي الغربي وعلى فتحات منتظمة تدل على وجود جدار إضافي خارجي لم يعثر عليه في الحفرية.

تعد الضفة اليمنى لنهر الفرات الحد الغربي للتوسع الأوروكي في سوريا. حيث عثرت الأعمال الأثرية في كلٍ من حماة ومواقع سهل العمق وعلى الساحل السوري على فخار محلي بشكل أساسي ولم تعثر على أي دليل لثقافة مادية أوروكية غرب الفرات. كما أن هذه التنقيبات قد أظهرت أن المستعمرات الأوروكية التي تأسست حديثاً في فترة توسع أوروك بنيت كلها في منطقة الفرات الأوسط، وأن المواقع التي أظهرت مزيجاً من المواد المحلية والجنوب رافدية توجد شمال وغرب هذه المنطقة.



الشكل ١٧: تل مشنقة، عن: (Akkermans, P. and Schwartz, G. 2003, fig. 6.12).

٤-١ نهاية الألف الرابع ق.م:

تدل المعطيات الأثرية على أنه في نهاية الألف الرابع ق.م حدثت تغييرات جذرية في الجنوب الرافدي: انخفاض في عدد السكان وهجران المستوطنات. أما في سوريا فإننا نرى كما ذكر سابقاً بأن المدن التي بنيت على الصورة أو الطراز الجنوب رافدي كانت قد هجرت في نهاية الألفية دون سبب واضح تماماً.

تقترح بعض الأبحاث أنه في نهاية الألف الرابع ق.م عانت المنطقة من الجفاف. ومهما كان سبب الانهيار في هذه الفترة فإنه من المهم أن نذكر بأن الجنوب الرافدي قد توجه بعدها إلى الشرق من أجل التجارة، أي إلى منطقة الخليج العربي وإيران.

إن اكتشاف العلاقة والارتباط بين المجتمعات المتمدنة الأولى في جنوب بلاد ما بين النهرين والمجتمعات المعاصرة لها في سوريا والمناطق الأخرى من الشرق الأدنى قد غير وجهة نظرنا المتعلقة نهاية عصور ما قبل التاريخ وبدء المراحل التاريخية في المنطقة. فأصبح العلماء ينظرون إلى هذه المجتمعات بنظرة شمولية أكثر وأصبحوا يعتقدون بوجود نوع من أنواع «العالمية» (international)، فالعالم القديم لم يكن مؤلفاً من تجمعات منفردة (منكفئة على ذاتها) ومكتفية ذاتياً على الصعيد السياسي والثقافي، وإنما هي عبارة عن مجموعة من الكيانات المترابطة جداً في الكثير من الجوانب الاقتصادية والإيديولوجية وغيرها. إن التوسع الأوروكي يعد ظاهرة فريدة، غير مسبوقة ولا متبوعة في تاريخ سوريا. فنادراً ما ظهر انتشار ثقافة مادية غريبة في سوريا في الفترات اللاحقة. يعتقد بأن أحد أسباب التوسع الأوروكي هو الرغبة في الحصول على المواد الأولية ذات المصدر البعيد عن الجنوب الرافدي. وأحد الأسباب الأخرى هو الرغبة في السيطرة على طرق التجارة كما يدلنا على ذلك تجمع المستعمرات الأوروكية في منطقة الفرات الأوسط. من جهة أخرى، إن العديد من المواقع التي وجدت فيها مواد جنوب رافدية لم تكن مستعمرات ذات سكان جنوب رافديين، ولكنها كانت مستوطنات سورية محلية تحاكي أو تقلد أو تتبع الخطوط الجنوب رافدية في الثقافة المادية. تل براك هو أفضل الأمثلة المتاحة لهذه الظاهرة، فهو مركز محلي قوي قامت طبقة النخبة فيه بتقليد ومحاكاة الطابع الجنوب رافدي لدعم وإضفاء الشرعية على سلطتهم.

الفصل الثاني

٢- الألف الثالث ق.م (عصر البرونز القديم) :

تميزت بداية الألف الثالث ق.م بانقطاع تأثر الثقافة المادية السورية بجنوب بلاد الرافدين، فتطورت الأنماط والأساليب المحلية. شهدت سوريا وجنوب شرق الأناضول وشمال بلاد الرافدين خلال هذه الفترة حالة من الرجوع إلى نمط "ريفي" أو بمعنى آخر ظهور للمراكز الصغيرة وعدم العثور على المراكز المدنيّة الكبيرة بعد. يطلق على هذه الفترة اسم "ما بعد أوروك" (Post-Uruk) (النصف الأول من الألف الثالث ق.م). ظهر خلالها في سوريا مجتمعات صغيرة وشواهد قليلة من العمارة الضخمة. من الملفت أن المدن الكبيرة والمجتمعات التي تستخدم الكتابة ظهرت في سوريا بعد مئات السنين من انهيار أوروك حوالي ٢٦٠٠/٢٥٠٠ ق.م. فتل ليلان انتقل خلال فترة ليلان IIId (المؤرخة بحوالي ٢٦٠٠ ق.م) من مركز صغير مساحته ١٥ هكتار إلى مدينة محصنة كبيرة تصل مساحتها إلى ٩٠ هكتاراً.

يقسم الألف الثالث ق.م أي عصر البرونز القديم في الجزء الغربي والجنوبي من بلاد الشام إلى عدة مراحل:

التأريخ التقني	التسلسل الزمني
البرونز القديم الأول	٣١٠٠-٢٩٠٠ ق.م
البرونز القديم الثاني	٢٩٠٠-٢٧٠٠ ق.م
البرونز القديم الثالث	٢٧٠٠-٢٥٠٠ ق.م
البرونز القديم الرابع آ	٢٤٠٠-٢٢٥٠ ق.م
البرونز القديم الرابع ب	٢٢٥٠-٢٠٠٠ ق.م

٢-١ عصر البرونز القديم الأول والثاني:

شهدت المنطقة الغربية من بلاد الشام تفكك النظام الاجتماعي والسياسي السابق وتوجه نحو نظام "قروي" في الفترة التي تلت انهيار أوروك. فمعظم المواقع المنقبة (الشكل ١٨) هي مواقع صغيرة، عثر فيها على القليل من العمارة الضخمة والتنظيم الاجتماعي الهرمي (المجتمع الطبقي). ولكنها من جهة أخرى أعطت انطباعاً بأنها مجتمعات على درجة معينة من التطور الاقتصادي والتقني. وهي كمجتمعات الجزيرة السورية عرفت التخصص الاقتصادي وأهم ما يميزها هو الصناعات المعدنية. أتت التقسيمات الزمنية لهذه المنطقة من الأسبار في مواقع الفرات مثل تل الشيوخ الفوقاني والشيوخ التحتاني وتل خميس وقرا قوزاق وتل حديدي وتل حلاوة، ومن مواقع البليخ أيضاً مثل حمام التركمان، ومن مواقع سهل العمق ومن حماة في حوض العاصي[١٢٩]. أعطت تأريخات الكربون ١٤ إطاراً تاريخياً لهذه الفترة: ٣١٠٠-٢٦٠٠/٢٥٠٠ ق.م. وتميز فخار هذه الفترة بأنواع خاصة نذكر منها: الطاسات والجرار ذات الشفة المقلوبة للخارج وهي مزينة بشرائط أفقية أو بشكل قوس وأحياناً بنمط متقاطع أو بشكل زكزاك.

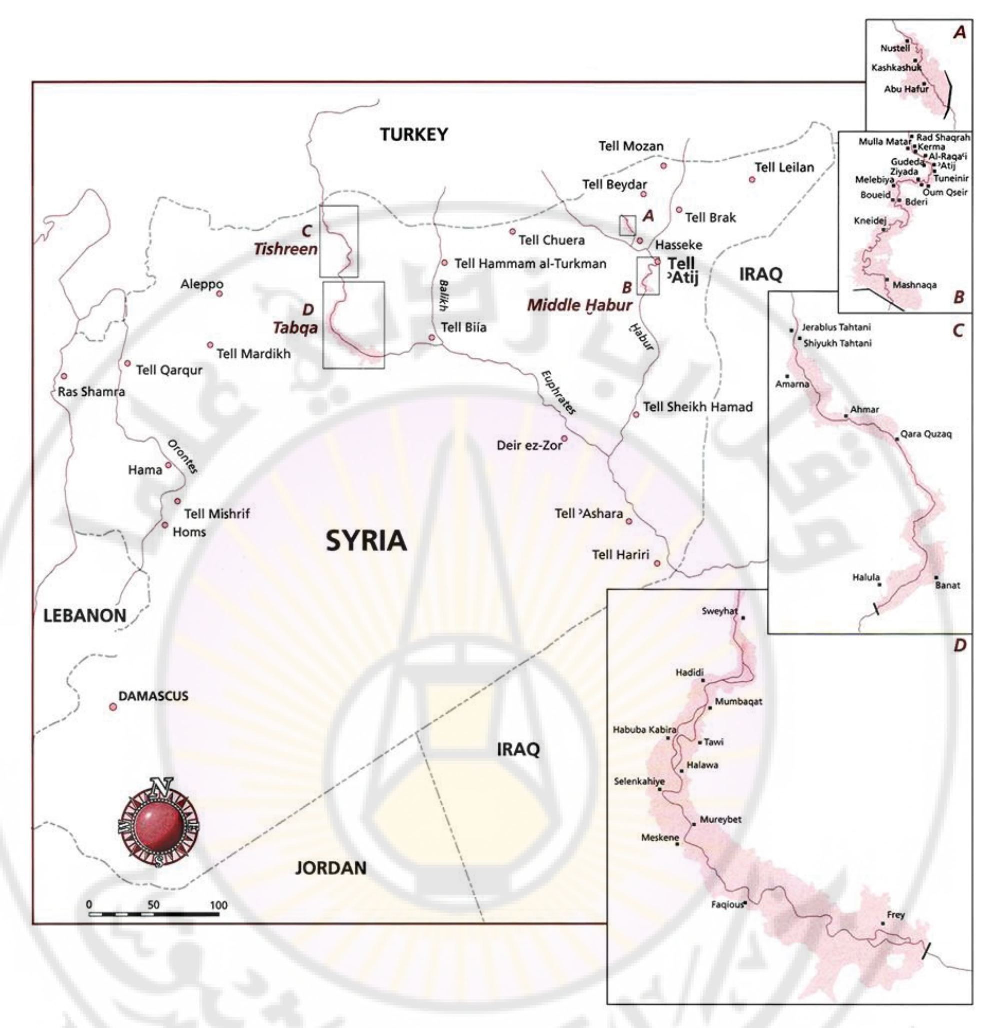
ظهرت في حماة -الفترة K- عمارة سكنية محلية دون أي مؤشر على تخطيط مركزي أو أبنية عامة كبيرة. كانت القبور فيها عبارة عن حفر تحت أرضيات المنازل وفي جرار فخارية (خصوصاً قبور الأطفال). احتوت على أثاث جنائزي متواضع بشكل عام مما يدل على أن التمايز الطبقي قليل أو طفيف. أعطت العديد من المواقع في الجزء الغربي من سوريا صورة مشابهة لعمارة سكنية متواضعة مثل تل الجديدة (المرحلة H) في سهل العمق، ورأس الشمرا (السوية IIIA.1) على الساحل.

٢-١-١ منطقة الفرات

شهدت منطقة الفرات السوري كثافة في الاستيطان خلال الألف الثالث ق.م تدل عليها خريطة توزع المواقع العديدة في حوض النهر (الشكل ١٩). حيث ضمت التلال بقايا قرى ومدن صغيرة تؤرخ بعصر البرونز القديم. تتسم مواقع وادي الفرات الشمالي العائدة لبداية الألف الثالث ق.م بأنها مواقع صغيرة جداً، لا تتجاوز مساحة معظمها ٥ هكتارات. نذكر منها تل الشيوخ الفوقاني (١,٨ هكتاراً) والشيوخ التحتاني (١,٢ هكتاراً) وتل الصويحات (٥-٦ هكتاراً)، تل قرا قوزاق (٠,٨ هكتاراً) وتل حلاوة أ (١,٤ هكتاراً)[١٣٠]. ولكنها في نفس الوقت تشهد تخطيطاً عمرانياً منتظماً في هذه الفترة الباكرة من الألفية.

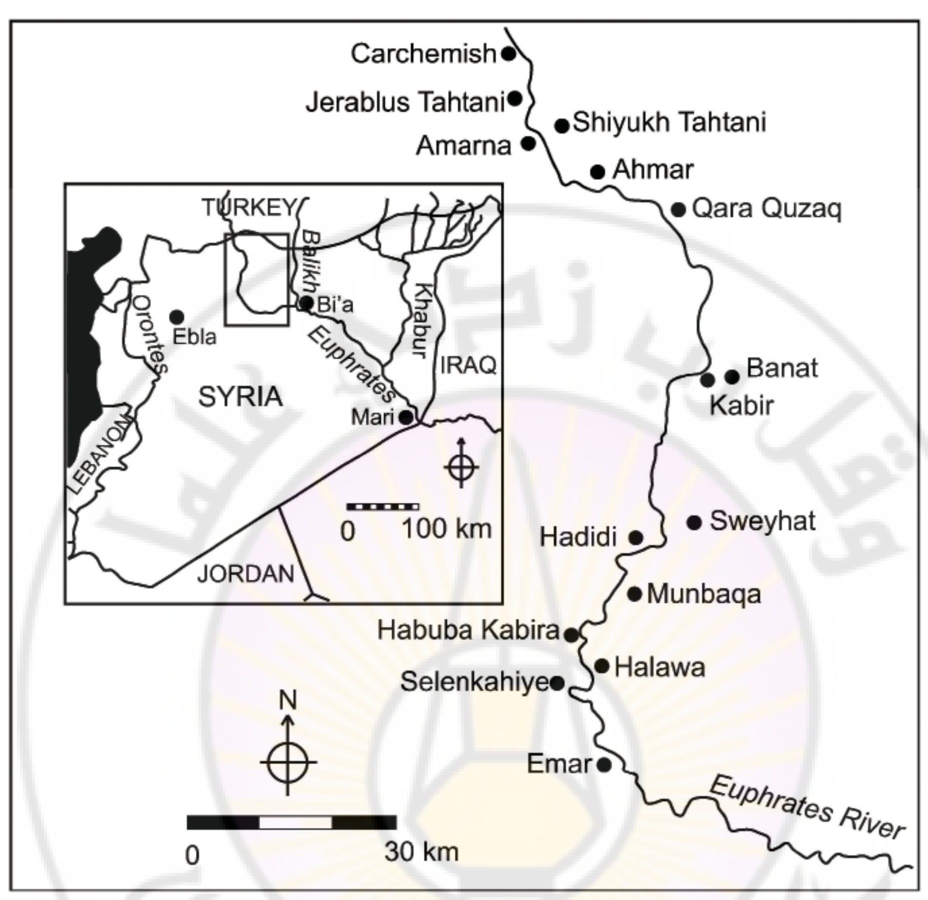
(١٢٩) انظر جدول الكرنولوجي العائد للنصف الأول من الألف الثالث في: Akkermans, P. and Schwartz, G. 2003, fig. 7.3.

(١٣٠) هناك بعض المواقع المتوسطة مثل تل البنات التي تبلغ مساحته ٣٠ هكتاراً وهناك مواقع بدأ فيها الاستيطان صغيراً في بداية البرونز القديم واتسع خلال العصر كتل الصويحات الذي اتسعت فيه مساحة الاستيطان من ٥-٦ هكتاراً في بداية البرونز القديم حتى وصلت مساحته إلى ٤٠ هكتاراً في نهاية الألف الثالث ق.م. يستثنى من ذلك تل حديدي الذي بلغت مساحة الاستيطان فيه منذ بداية البرونز القديم ٥٦ هكتاراً. انظر: Cooper, L. 2006, p. 49-58.

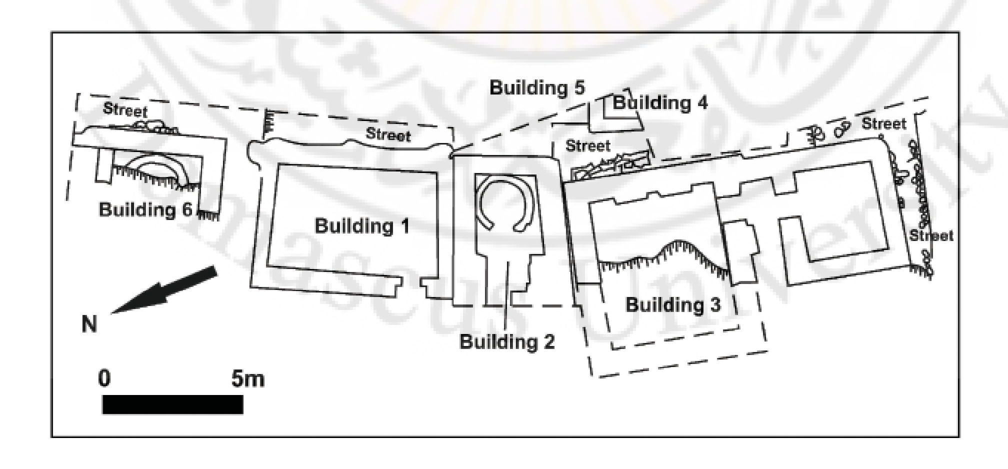


الشكل ١٨: خريطة توزع مواقع الألف الثالث ق.م في سوريا، عن: (Fortin, M. 1998, p. 16)

تدل العمارة السكنية في بعض المواقع على التخطيط والتنظيم الملفت، حيث نشاهد مثلاً في تل الشيوخ الفوقاني (الشكل ٢٠) أن البيوت الواقعة على المنحدر الغربي للتل (القطاع D) انتظمت على أحد أطراف شارعٍ يتجه من الشمال إلى الجنوب. بنيت هذه البيوت وفقاً لذات المخطط البسيط المؤلف من غرفة واحدة. بنيت هذه المنازل من اللبن، فيها مواقد ومدافئ وأدوات الطحن وجرار التخزين الكبيرة. يدل إذاً انتظام الشوارع والقطاعات السكنية واستخدام المخطط الموحد في بناء المنازل على وجود تخطيط مركزي وإدارة تقوم بتنظيم شؤون حياة المستوطنة.



الشكل ١٩: مواقع الفرات السوري، عن: (Cooper, L. 2006, fig. 1.1).



الشكل ٢٠: مخطط عام لتل الشيوخ الفوقاني، عن: (Cooper, L. 2006, fig. 5.6).

٢-١-١-أ تل حلاوة:

يقع تل حلاوة في حوض الفرات الأوسط في منطقة سد الطبقة. على الطرف الشرقي لنهر الفرات، مقابل تل السلنحكية (الشكل ١٩). يتألف الموقع الأثري من تلين متجاورين يدعى التل الشمالي الغربي والأصغر تل حلاوة ب (١,٤ هكتاراً)، أما التل الأكبر فهو حلاوة-أ (١٦ هكتاراً تقريباً)[١٣١]. يتضمن الموقع الأثري أيضاً مقبرة تقع إلى الجنوب والشرق من حلاوة-أ (برونز قديم). بدأ السكن الأول العائد لبداية الألف الثالث ق.م على تل حلاوة-ب، ثم انتقل الاستيطان في منتصف الألف الثالث إلى تل حلاوة-أ.

تاريخ التنقيبات:

نقب تل حلاوة من قبل بعثة ألمانية ضمن أعمال إنفاذ المواقع الأثرية المهددة بالغمر بالمياه بسبب بناء سد الطبقة (منطقة الثورة). جرت التنقيبات بين عامي ١٩٧٧ و ١٩٨٧. وهي بعثة مشتركة من جامعة سارلاند وجامعة كايزرسلاوترن بإدارة الباحث الألماني وينفرد أورثمان (W. Orthmann).

تنظيم المدينة:

على الرغم من أن تل حلاوة-ب يعد موقعاً صغيراً جداً، لكنه قدم دليلاً باكراً على التنظيم العمراني في منطقة الفرات (الشكل ٢١). احتل التل بلدة صغيرة محصنة، تعتبر أسوارها أساس طراز التحصينات التي تطورت وشاع استخدامها خلال عصر الحديد في بلاد الشام وهو نظام الأسوار المسمى الكازميت (Casmate)[١٣٢]. تتألف هذه التحصينات من جدارين متوازيين يحصران بينهما مساحةً قسمت بواسطة الجدران المتعامدة مع الجدارين الأساسيين إلى غرف صغيرة مربعة الشكل، تبلغ أبعادها (١,٥ X ١,٥م). ولكن هذه الغرف الصغيرة ملئت بالطين والركام في محاولة لتدعيم السور وجعله مصمتاً وأكثر توازناً. ولتخفيف نفقات البناء ومواده المصنعه أيضاً، فملئ الفراغات في الغرف بالركام والتراب أقل كلفة من تشكيل اللبن أو نحت الأحجار[١٣٣]. تدل هذه التحصينات الباكرة على أهمية حلاوة ب على الرغم من صغر حجمه. كما أنها تدل على وجود تنظيم للعمل الجماعي والتخصص الوظيفي وتوظيف المصادر في مشروع ضخم (بناء الأسوار). كما أنها تدل على أن سكان حلاوة القدماء كانوا يتوجسون أخطاراً خارجية.

---

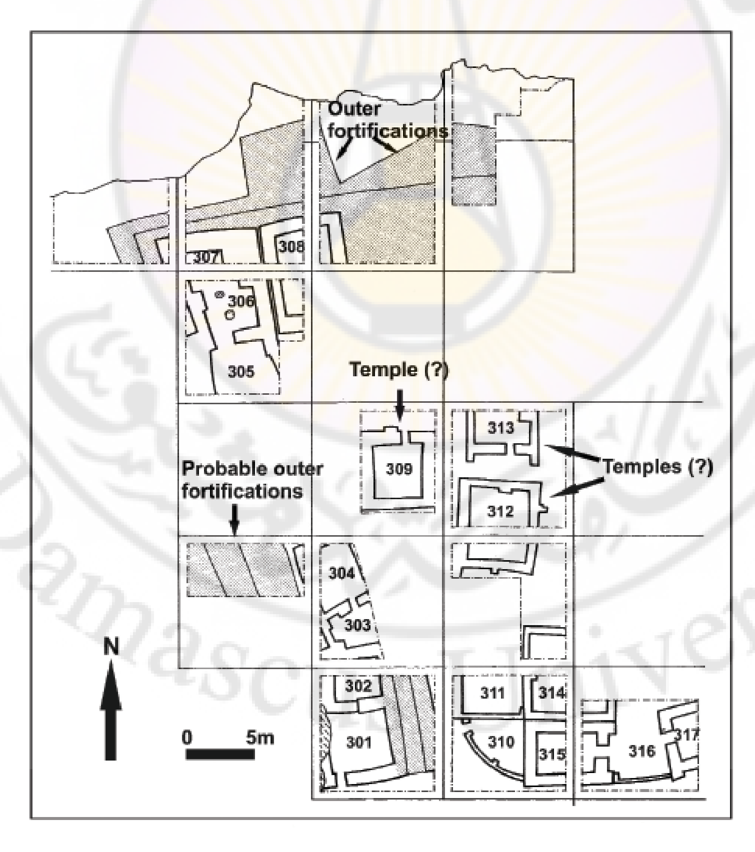
(١٣١) Orthmann, W. 1989, p. 8-10.

(١٣٢) تعتبر منطقة الفرات في هذا الوقت الباكر جداً المكان الذي ظهرت فيه أولى الأسوار التي تسمى الكازميت، حيث ظهرت في تل حلاوة ب وفي تل منباقة (الاستيطان العائد للألف الثالث ق.م). ثم أصبح الكازميت في وقت لاحق (عصر الحديد) الطراز الأكثر استخداماً في بلاد الشام خصوصاً في المنطقة الجنوبية ولكنها تختلف عن الأولى بأن الغرف الداخلية بين الجدارين لم تُملأ بالركام، انظر التحصينات في تل عرقة في الفصل الرابع من الكتاب.

(١٣٣) Cooper, L. 2006, p. 79.

أعطى حلاوة ب في بداية البرونز المبكر دليلاً على وجود سلطة أو قوة مركزية تقوم بتخطيط الحيز المدني في المستوطنة، بدءاً من الأسوار وتنظيم مختلف القطاعات في البلدة الصغيرة داخل الأسوار (سواءً في حلاوة ب أو في حلاوة أ).

انتظم السكن في حلاوة ب داخل أسوار البلدة، حيث عثرت البعثة على ستة منازل تعود كلها لبداية البرونز المبكر (السوية ٣). بنيت هذه المنازل من اللبن غير المشوي بشكل متلاصق أحياناً (الشكل ٢١)، وقد انتظمت كلها حول الشوارع الضيقة أو الأزقة. بنيت هذه المنازل وفقاً لمخطط واحد (أحادي الغرف كمنازل تل الشيوخ الفوقاني) مما يقدم دليلاً إضافياً على التنظيم أو التخطيط المدني في هذا الوقت الباكر من الألف الثالث ق.م. استُخدم هذا المخطط في بلاد الشام بشكل عام في بداية الألف الثالث ق.م وكان له أمثلة مشابهة في مواقع مجاورة في منطقة الفرات السوري كتل الشيوخ الفوقاني (الشكل ٢٠) وتل الصويحات.



الشكل ٢١: مخطط سوية البرونز القديم في تل حلاوة ب، عن: (Cooper, L. 2006, fig. 5.1).

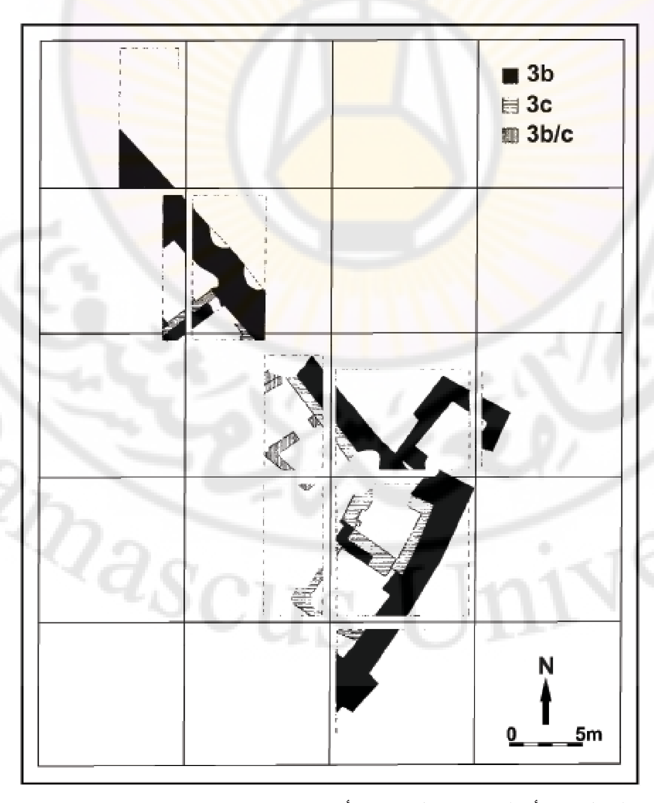
يتميز هذا المخطط ببساطته وحجمه الصغير نسبياً حيث يتألف كل بيت من غرفة واحدة محاطة بأربعة جدران، لها مدخل واحد. تتميز هذه المنازل بأن جدرانها مستقيمة تشكل عند التقائها زوايا قائمة، وهي مبنية بشكل كامل فوق الأرض. كما أنها تتميز بأسقف مستوية بنيت على الأغلب بواسطة عوارض خشبية متوضعة بشكل عرضاني. عثر في العديد من هذه المنازل على حفر لوضع عمود خشبي لدعم السقف في وسط الغرفة أو بالقرب من أحد جوانبها. كما عثر في بعض المنازل مثل تلك المكتشفة في تل حلاوة ب على العديد من الدعامات الداخلية أو الخارجية، المبنية من اللبن لدعم السقف والجزء العلوي من البناء (انظر الدعامة الخارجية في الغرفة رقم ٣١٢ والدعامة الداخلية في الغرفة رقم ٣٠٦، الشكل٢١). يتألف الأثاث المنزلي في هذه المنازل من المواقد والأفران والمصاطب المبنية بشكل ملاصق للجدران. وفيها أيضاً الجرار الكبيرة المغروسة في الأرضيات والتي استخدمت للتخزين.

يتميز هذا المخطط بكونه قابلاً للتوسع في وقت لاحق للبناء، حيث عثر على أمثلة من منازل مؤلفة من غرفتين أو أكثر، كانت في الأصل منازلاً متجاورةً أحادية الغرف، تم جمعها سويةً بواسطة الجدران لتوسيع المساحة الداخلية للمنزل. كالمنزل (٣١٠-٣١٤،٣١١-٣١٧) الموجود في الجزء الجنوبي من المستوطنة (الشكل ٢١). يتألف هذه البناء من العديد من الغرف والباحات الداخلية ولكنه في السابق كان مؤلفاً من العديد من المنازل المستقلة الأحادية الغرف. جُمعت مع بعضها بواسطة جدار يقع في الجهة الجنوبية، فأصبح البناء عبارة عن مجمع من الغرف ومن باحة داخلية (٣١٦ على المخطط) كانت بالأصل ساحة عامة أو شارع صغير بين المنزلين ٣١٥ و ٣١٧ تم ضمها لمساحة المنزل الخاصة في أثناء عملية التوسيع فأصبحت بذلك باحةً داخلية. تميزت الغرفة ٣١٤ بالرسومات الجدارية فيها. فمن الملفت العثور على العديد اللوحات الجدارية المرسومة في العديد من منازل حلاوة ب. أفضلها حفظاً تلك الموجودة في الغرفة ٣١٢. رسمت اللوحة بالأحمر والأسود، وهي عبارة عن مشهد ميثولوجي، فيه مساحة دائرية محاطة بمجموعة أشخاص، ربما هم في حالة شعائرية أو تعبدية حول رمز ديني (الشكل ٢٢، انظر الرجل برأس الطائر).

في مرحلة لاحقة من عصر البرونز القديم (خلال النصف الثاني من الألف الثالث ق.م) انتقل السكن بشكل مفاجئ إلى تل حلاوة أ، الواقع إلى الجنوب من حلاوة ب. بني الموقع على مصطبة ضيقة ومرتفعة، ينحدر طرفه الشرقي بشكل متدرج إلى النهر، بينما يحيط الوادي المجاور بطرفه الشمالي. فيتمتع بذلك بموقع محصن طبيعياً. وعلى الرغم من ذلك كان الموقع محصناً بسور مبني من اللبن ومدعماً بالأبراج ومسبوقاً بساتر دفاعي أيضاً (الشكل ٢٣-أ).

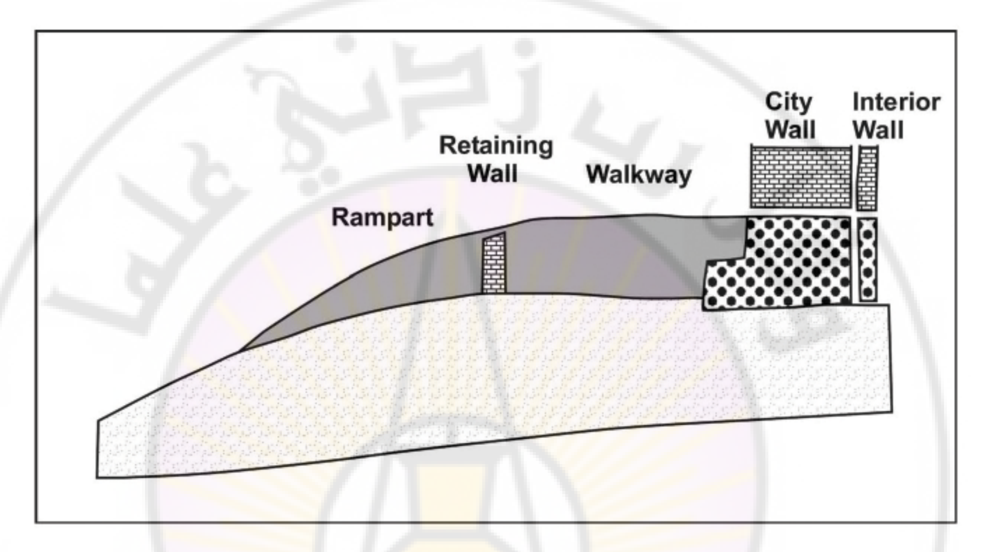


الشكل ٢٢: رسم جداري من حلاوة ب، عن: (Cooper, L. 2006, fig. 5.2).



الشكل ٢٣-أ: السور في تل حلاوة أ، عن: (Cooper, L. 2006, fig. 4.6).

يبلغ عرض السور ٣,٦ م وهو عرض متواضع نظراً لكون الموقع يتمتع بتحصين طبيعي[١٣٤]. دعم هذ الجدار في مرحلة لاحقة للبناء بالأبراج البارزة عن طرفه الخارجي والمتباعدة عن بعضها بمسافات موحدة تقريباً. أما الساتر الدفاعي فقد أضيف في نهاية البرونز القديم (الشكل ٢٣-ب).



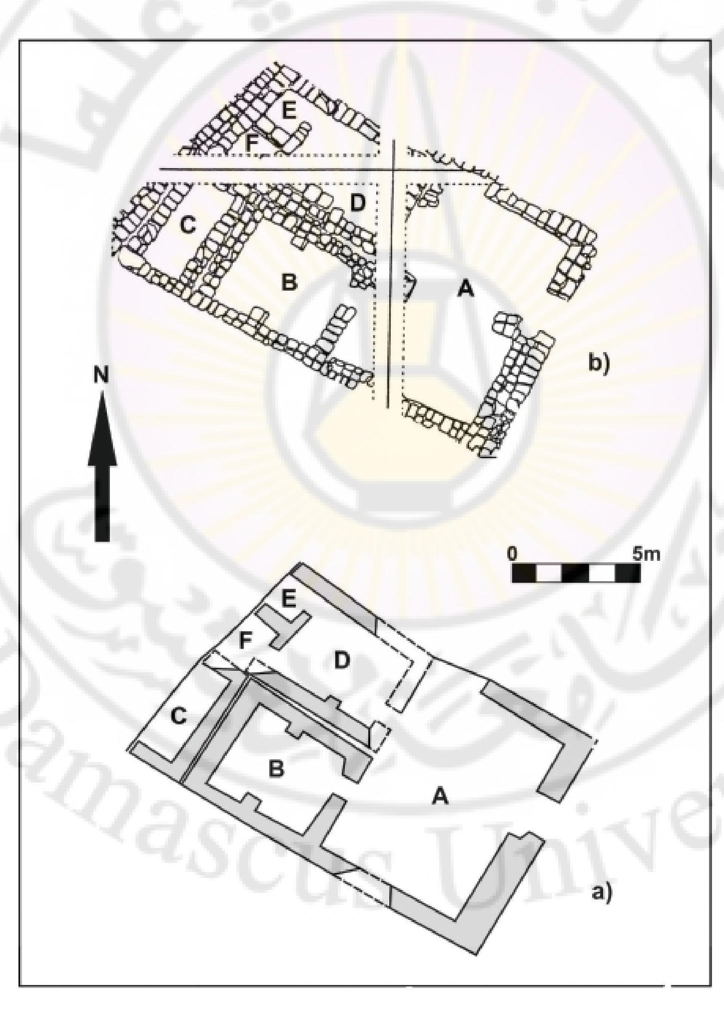
الشكل ٢٣-ب: تفاصيل التحصينات في تل حلاوة أ، عن: (Cooper, L. 2006, fig. 4.7).

بنيت المنازل في حلاوة أ داخل منطقة الأسوار وقد انتظمت بشكل متجاور ضمن قطاعات وأحيطت بشوارع منتظمة تخدم كامل المستوطنة. ولكن مخططات هذه المنازل اختلف شكلها من منازل أحادية الغرف إلى منازل متعددة الغرف (الشكل ٢٤). بنيت باللبن على أساسات حجرية، شكلها الخارجي مستطيل تقريباً وتتألف من باحة أمامية بعد المدخل، أُتبِعت بغرفتين في وسط البناء تمثلان قلب المبنى السكني، أما في الجزء الخلفي فقد بنيت غرفة أو غرفتان صغيرتان خصصتا للتخزين.

تتميز منطقة الفرات خلال هذه الفترة الباكرة من الألفية الثالثة ق.م بكثافة التخصص الحرفي، وأتت الأدلة على صناعة المعادن من وادي الفرات بشكل خاص في مناطق سوريا الحالية وصولاً إلى أجزاء من تركيا عبر الحدود الحالية. عثر ليونارد وولي (C. L. Woolley) في تنقيباته الشهيرة في قبور كركميش على كمية وفيرة من الأدوات والأسلحة النحاسية. كما عُثر في تل حلاوة ب –السوية ٣– على قالب مصنوع من الحجر الجيري لصناعة رؤوس

(١٣٤) Cooper, L. 2006, p. 78.

الفؤوس الهلالية الشكل التي تميز هذه الفترة. عثر على هذه القوالب أيضاً في قبور تل طاوي شمال حلاوة وفي قرا قوزاق، بالإضافة إلى الخناجر ورؤوس الرماح. ولكن من أهم ما عثر عليه في هذه المنطقة هو كنز صغير مدفون في تل الجديدة (المرحلة G) في سهل العمق المؤلف من ستة تماثيل، ثلاثة منها لرجال وثلاثة لنساء. ترتدي تماثيل الرجال خوذ من الفضة ويحمل كل تمثال بيده صولجان ورمح. اثنان من تماثيل النساء يرتديان أيضاً أغطية من الفضة. ومن الملفت بأن أجسام التماثيل صنعت من البرونز عوضاً عن النحاس الشائع الاستخدام في هذه الفترة.



الشكل ٢٤: مخطط منزل في حلاوة أ، عن: (Cooper, L. 2006, fig. 5.10).

٢-١-٢ منطقة الجزيرة:

تتميز هذه المرحلة في المنطقة الشرقية من سوريا (منطقة وادي الخابور، انظر خريطة توزع المواقع، الشكل ١٨) بظهور نوع من الفخار المسمى بفخار نينوى ٥، نسبةً إلى السبر العميق الذي قام به ماكس مالوان (M. Mallowan) عام ١٩٣١ في موقع نينوى الشهير شمال العراق. حيث ظهر في السوية الخامسة من السبر فخارٌ ملونٌ وآخر مزينٌ بالحز سماه فخار نينوى٥. فيما بعد ظهر هذا الفخار في مواقع الخابور حتى سفوح جبال زاغاروس. فأطلق اسم نينوى ٥ على هذه الفترة وعلى ثقافتها.

أرخت فترة نينوى ٥ بواسطة الكربون ١٤ بحوالي ٣١٠٠ – ٢٥٥٠ ق.م[١٣٥]. يتميز فخار نينوى ٥ بتزييناته الهندسية والحيوانية أيضاً. أما أشكاله فهي الجرار التي لها عنق طويل وقواعد مرتفعة ومخصورة والطاسات العريضة والقواعد المرتفعة والمخصورة.

إن تل ليلان هو أحد المواقع الهامة في هذه المرحلة لأنه أعطى سلسلة من السويات الأثرية المتتابعة وغير المنقطعة والعائدة لمرحلة نينوى ٥ في سوريا. قسمت فترات الاستيطان فيه إلى أربع فترات صغيرة (sub-periods) حسب تطور فخار نينوى[١٣٦]، ثم أصبح العلماء حديثاً وخصوصاً بفيلتسنر ومارك لوبو (Pfälzner, Lebeau) يطلقون على التقسيمات الزمنية في منطقة الجزيرة اسم عصر الجزيرة المبكر وهو مقسم إلى العديد من المراحل حسب تطور واختلاف فخار نينوى: فعصر الجزيرة المبكر الأول (Early Jezireh I) يقابل فترات ليلان (Leilan IIIa-c) أما عصر الجزيرة المبكر الثاني (Early Jezireh II) فيقابل فترات ليلان (Leilan IIId)[١٣٧].

على الرغم من انتشار المجتمعات الصغيرة وعدم العثور على مدن كبيرة في شرق سوريا إلا أن المعطيات الأثرية كشفت بالمقابل عن المظاهر الاجتماعية والسياسية المعقدة لهذه المجتمعات الصغيرة. فعلى الرغم من أنه لم يعثر على كتابات خلال هذه الفترة، ولكن ممارسات التدوين أو التسجيل كانت مستخدمة، مثل الأختام الأسطوانية التي كان استخدامها شائعاً.

من جهة أخرى، فإنه وباستثناء الأبنية الكبيرة التي اكتشفت مؤخراً في تل ليلان العائدة لنهاية هذه المرحلة، لم يعثر على أبنية ضخمة ولم تعد المخططات الثلاثية الأجزاء (tripartite plans) الشائعة خلال الألف الرابع ق. م موجودة أو مستخدمة خلال هذه المرحلة.

---

(١٣٥) Akkermans, P. and Schwartz, G. 2003, p. 211-216.

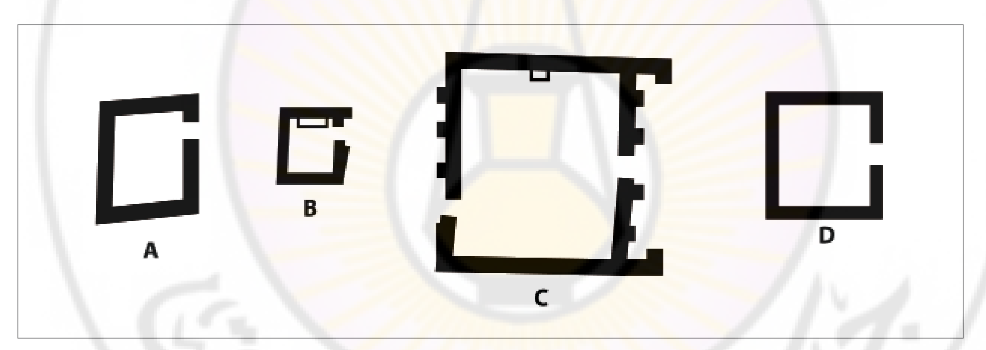
(١٣٦) فترة ليلان (IIIa) تتميز بفخار نينوى الملون وليلان (IIIb) تتميز بفخار نينوى المزين بالحز، ثم ليلان (IIIc) تتميز بفخار نينوى الملون والمزين بالحز والمزين بالقطع والتفريغ.

(١٣٧) Lebau, M. 2000, p. 167-192.

بالمقابل فإن الأبنية التي عُرِفّت بأنها "معابد" في كلٍ من شاغار بازار وفي كشكشوك ٣ والرقاي وتل براك هي مباني صغيرة الحجم جداً مؤلفة من غرفة واحدة مؤثثة بمنصة (أو مصطبة platform) يطلق عليها اسم "مذبح" مخصصة حسب التفسير الشائع لتمثال أو لرمز إله "المعبد" (الشكل ٢٥).

وقد تم بناء هذه الأبنية فوق مصاطب خاصة. نذكر كمثال "معبد" تل الرقاي الذي بني فوق أساسات خاصة تحت الأرض تتألف من حفرة كبيرة ملئت باللبن وبني فوقها مصطبة من اللبن أيضاً ثم بني المعبد فوق هذه المصطبة.

أما بالنسبة للمستوطنات فقد أظهرت الدراسات أنه في هذه الفترة كان هناك مستويان من التسلسل الهرمي: المراكز الصغيرة (التي تتراوح مساحتها بين ١٥ و ٢٠ هكتار) مرتبطة بقرى صغيرة تابعة لها. نذكر من المواقع الكبيرة : تل ليلان وتل موزان وبراك في وادي الخابور الأعلى وماري على الفرات.



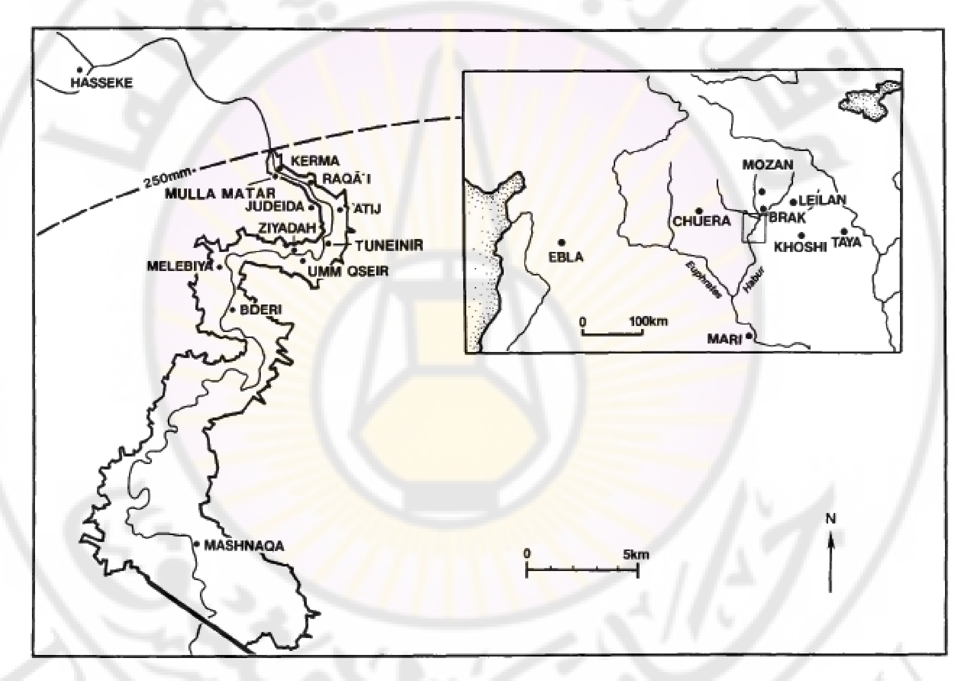
الشكل ٢٥: مخططات المعابد في : A. كشكشوك ٣، B. راقاي، C. حلاوة، D. قرا قوزاق، عن: (Akkermans, P. and Schwartz, G. 2003, fig. 7.5).

شهدت المنطقة المحيطة بتل براك انقلاباً في كثافة الاستيطان والميل الملاحظ نحو التمدن اللذين يميزانها خلال الألف الرابع ق.م حيث انخفض عدد المواقع في هذه الفترة من خمسة وعشرين موقعاً (تعود للألف الرابع ق.م) إلى خمسة عشر موقعاً (خلال النصف الأول من الألف الثالث ق.م). كما أن مساحة الاستيطان في تل براك ذاته قد تقلصت. على العكس من ذلك، فإن وادي الخابور الأوسط، جنوب الحسكة شهد ازدياداً في عدد المواقع الصغيرة على طول النهر في بداية الألف الثالث ق.م، فدلت المسوحات الأثرية أن هذه المنطقة كان فيها خمسة مواقع خلال الألف الرابع ق.م ولكن في بداية الألف الثالث ق.م ظهر فيها اثنان وعشرون موقعاً صغيراً[١٣٨].

(١٣٨) جيسن أور ١٩٩٩-٢٠٠٠ معهد الدراسات الشرقية-جامعة شيكاغو.

المواقع الصغيرة ومنشآت التخزين:

دلت التنقيبات التي وصلت حتى الأرض البكر أن مواقع مثل الرقاي وعتيج والبديري هي مواقع تأسست كلها في بداية الألف الثالث ق.م (الشكل ٢٦). تتميز هذه المواقع الصغيرة، على عكس ما هو متوقع من القرى عادةً، بأنها عرفت التخصص الاقتصادي. فهي مواقع صغيرة جداً تهيمن عليها مرافق (منشآت) كبيرة لتخزين وتجهيز الحبوب (بمعنى آخر احتلت منشآت التخزين فيها مكاناً مركزياً)، كموقع كيرما الصغير (٠,٣ هكتار) الذي احتل مركزه بناءً كبيراً لتخزين الحبوب وُجد محروقاً، وبداخله كمية كبيرة من الشعير والقمح المتفحمة.



الشكل ٢٦: خريطة مواقع الخابور الأوسط، عن: (Schwartz, G. and Curvers, H. 1992, fig. 1).

٢-١-٢-أ تل الرقاي وتل عتيج:

عثر على منشآت التخزين في العديد من المواقع، ومن أهم هذه المواقع تل الرقاي (مساحته ٠,٤ هكتار) الواقع على ضفة الخابور اليمنى. يقع على بعد ١٢ كم من الحسكة، شكله مفلطح وارتفاعه ٧ م، نقب من عام ١٩٨٦ وحتى عام ١٩٨٨ من قبل بعثة مشتركة من جامعتي أمستردام وجامعة جون هوبكنز[١٣٩]. تأتي أهمية موقع الرقاي من حيث اتساع مساحة التنقيب فيه (١٤٠٠ م^{2}) مما يعطينا فكرة واضحة عن المجتمعات الصغيرة التي ميزت

(١٣٩) Schwartz, G.and Curvers, H. 1990, p. 3-23.

بداية الألف الثالث ق.م. قدمت السويات القديمة فيه (٧-٥) مبانٍ مؤلفة من صفوف متوازية من الجدران تحدد فيما بينها مساحات ضيقة هي غرف تجفيف وتخزين الحبوب (الشكل ٢٧).

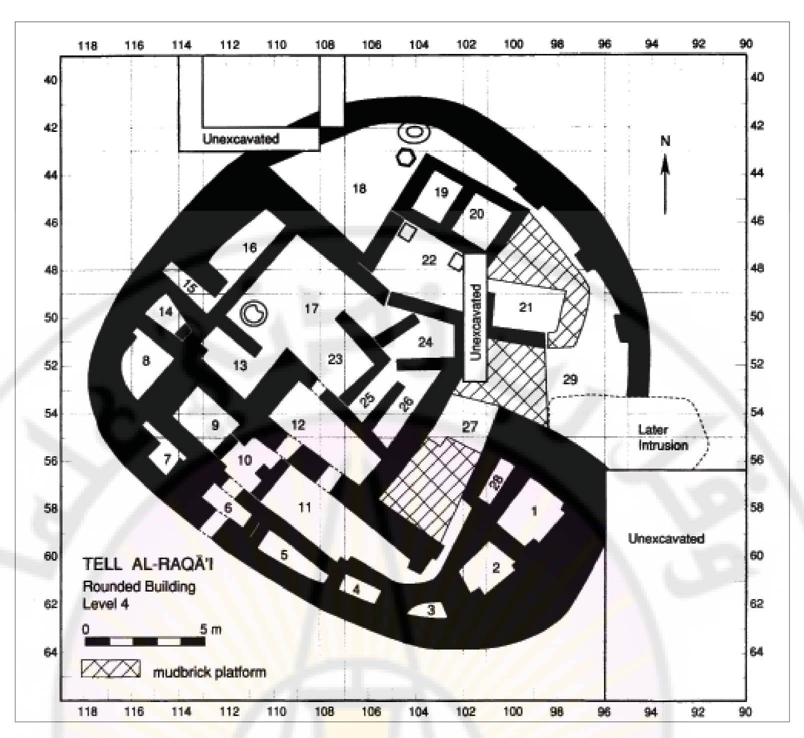
بعد ذلك في السوية الرابعة احتل مركز التل بناءً دائرياً كبيراً (قطره ٢٠م) بجدران خارجية عريضة يحتوي على مخازن عميقة مقببة، مصاطب من اللبن وأفران كبيرة (الشكل ٢٨). أما خلال السوية اللاحقة-السوية ٣- فقد أعيد بناء المبنى الدائري وبنيت حوله المنازل الصغيرة، وأنشئت منطقة "دينية" يوجد فيها بناء صغير مؤلف من غرفة واحدة، وكذلك منطقة "صناعية"، أنشئت جميعها حول مبنى التخزين بشكل دائري (الشكل ٢٩)[١٤٠]. تميز موقع الرقاي إذاً بتخصصه في تخزين وإنتاج الحبوب تماماً كما هو حال موقع الزيادية ومشنقة.



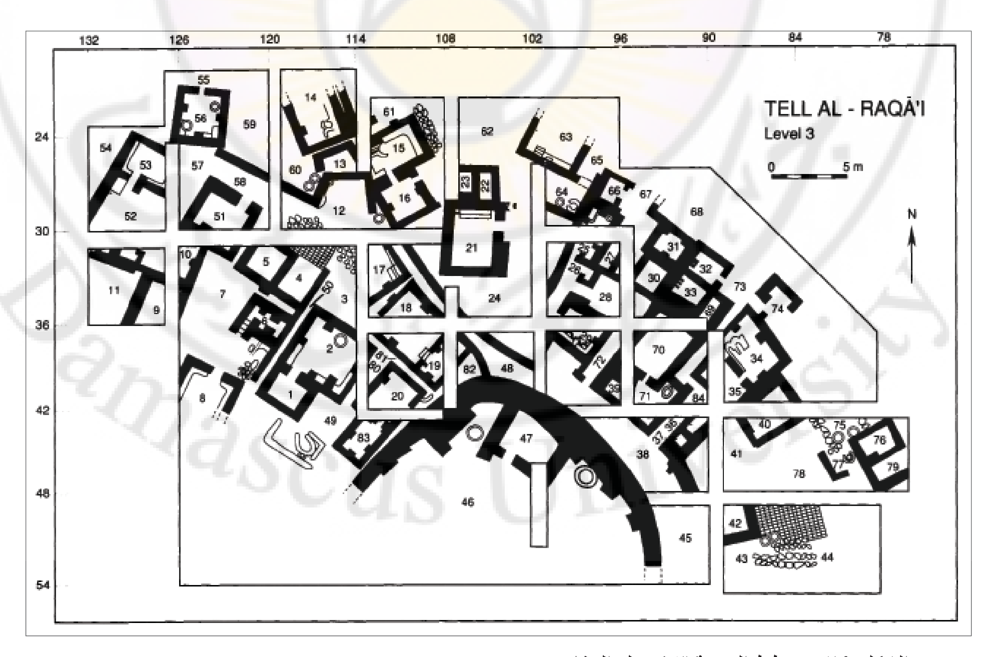

الشكل ٢٧: مباني التخزين في تل الرقاي، السويات: ٥-٧، عن:
.(28-Schwartz, G. and Curvers, H. 1992, fig. 27)

على بعد ٢ كم من الرقاي أعطى موقع عتيج صورة مشابهة للصورة التي أعطاها الرقاي (الشكل ٣٠). حيث عثر في الطبقات الأقدم من موقع عتيج على ذات المباني المؤلفة من سلسلة جدران متوازية تحصر بينها غرف التخزين، ثم ظهر في السويات اللاحقة مبنى معقد وكبير فيه مخازن عميقة مقببة من دون أبواب. حميت هذه المخازن بجدار عريض من اللبن (عرضه ٢,٥ م) ويصل ارتفاعه حتى ٤ م. ولكن على العكس من موقع الرقاي لم يعثر فيه على عمارة سكنية[١٤١].

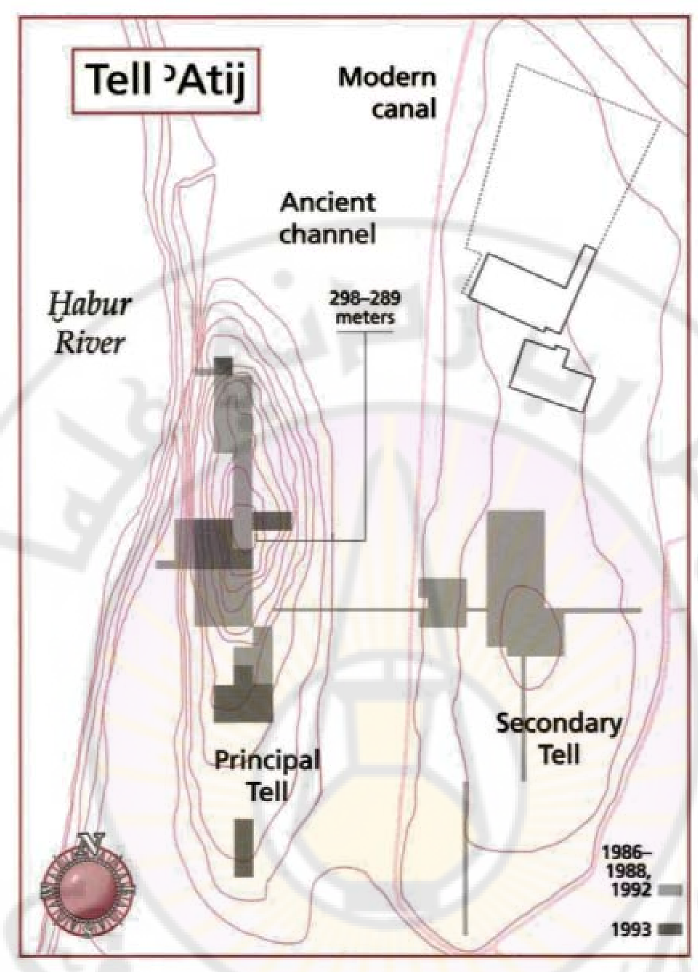
(١٤٠) Schwartz, G.and Curvers, H. 1992, p. 397-419.
(١٤١) Fortin, M. 1998, p. 15-24.



الشكل ٢٨: مبنى التخزين الدائري في تل الرقاي، عن: (Schwartz, G. and Curvers, H. 1992, fig. 10).



الشكل ٢٩: مخطط السوية ٣ في تل الرقاي، عن: (Schwartz, G. and Curvers, H. 1992, fig. 8).



الشكل ٣٠: تل عتيج، عن: (Fortin, M. 1998, p. 17).

تعطي مواقع الخابور الأوسط التي لم يعثر فيها على مباني تخزين الحبوب فكرةً أخرى عن صفات هذه المجتمعات الصغيرة. أحدها هو موقع رد شقرا[١٤٢]، الواقع على نهر الخابور، ظهرت فيه عمارة سكنية توضح تطور هذه المنازل من غرفة واحدة إلى منازل بغرفتين ومنازل بغرف متعددة[١٤٣]. بالإضافة للتحصينات المؤلفة من سور عريض من اللبن مسبوق بساتر دفاعي، مما يوضح تطور العمارة العامة واستخدام تقنيات معمارية معقدة حتى في هذا الموقع الصغير جداً الذي لا تتجاوز مساحته هكتاراً واحداً فقط. ظهرت أيضاً نماذج من هذه العمارة الضخمة أيضاً في موقع ملة مطر، وفي موقع بديري (يعتقد بأنه مركز صغير للمنطقة، مساحته ٥ هكتار) الذي عثر فيه على سور مسبوق بساتر مبني من اللبن.

(١٤٢) Bieliński, P. 1991, p. 77-85.
(١٤٣) Bieliński, P. 1995, p. 160-170.

إن تزايد عدد المواقع الصغيرة على طول الجزء الأوسط من نهر الخابور في بداية الألف الثالث ق.م وتخصص هذه المواقع بتخزين وإنتاج الحبوب أدى إلى ظهور أسئلة عديدة. فمنشآت التخزين الضخمة في الرقاي وعتيج مثلاً هي عائدة لتجمعات بشرية محلية وصغيرة، مما جعل العلماء يعتقدون بأن هذه الحبوب لم تكن مخصصة للاستهلاك المحلي. نلاحظ أيضاً أن ظهور العمارة المعقدة وأدوات الإدارة مثل الأختام الأسطوانية جعل العلماء (كشفارتس مثلاً) يعتقدون بأن هذه المواقع تعمل "كصومعات" تحت إشراف سلطة مركزية معنية بتعبئة وتوزيع الفائض الزراعي (السؤال أين هي هذه المراكز، إحدى النظريات تقول بأن براك أحدها وبعضها الآخر يقول بأنها ماري على الفرات). من المهم أن نلاحظ أولاً من دراسة مواقع الخابور التي أسست في بداية الألف الثالث ق.م أنها لم تكن بسيطة، أو قرى تعيش من اكتفائها الذاتي من خلال الزراعة، ولكنها اشتركت باقتصاد المنطقة وكان فيها دلائل واضحة على التخصص الاقتصادي. وبدراسة هذه المنطقة في شمال شرق سوريا نستنتج أنه على الرغم من عدم وجود مراكز مدنيّة كبيرة ولكن هناك تخصص اقتصادي ومؤسسات وهذا يدل على وجود قوى اقتصادية وسياسية.

٢-٢ عصر البرونز القديم الثالث والرابع:

شهدت سوريا في منتصف الألف الثالث ق.م أحد أهم التطورات في تاريخها، وهو التبني الكامل للحياة المدنيّة والمؤسسات المرتبطة بها. هذا ما يطلق عليه اسم "الثورة المدنيّة الثانية" أو "النهضة المعمارية الثانية". حيث انتشرت خلال عقود قليلة المجتمعات المعقدة بسماتها الكاملة في جميع أنحاء المنطقة. من أهم هذه السمات: المدن المحصنة المرتبطة بمستوطنات منظمة تابعة لها، التنظيمات السياسية المنظمة بشكل هرمي (الممالك والمدن)، العمارة الضخمة الممولة من قبل النخب القوية. إضافةً لظهور العمارة الجنائزية المسرفة التي تعكس المكانة الاجتماعية العالية لأفراد النخبة. وأخيراً استخدام الكتابة. لم تظهر هذه المميزات فقط في سوريا وإنما في المناطق المجاورة: شمال بلاد الرافدين (في مواقع مثل تل خوشي، تل تايا، تل الهوى) وفي جنوب شرق الأناضول (في مواقع مثل تتريش هويوك، خزنة هويوك). شهدت هذه الفترة نشوء ما يسمى بدويلات-المدن (city-states) التي تختلف عن بعضها حسب قوتها واتساعها. يتألف هذا النظام من مدن كبيرة تسيطر على منطقة واسعة أو غير واسعة حسب قوة نفوذها، فيها عدد من المدن الصغيرة والقرى التابعة لها. وهي غالباً ما تدخل في نزاعات للسيطرة على مناطق أوسع وغالباً ما تنشأ اتفاقيات حدود بين هذه الدويلات أو الممالك. ازدهرت هذه المجتمعات المعقدة من منتصف وحتى نهاية عصر البرونز القديم (حوالي ٢٦٠٠-٢٠٠٠ ق.م).

بعد عدة قرون من بدء التمدن، أي حوالي ٢٣٠٠ ق.م تدخل الجنوب الرافدي في سوريا من خلال المحاولة الأولى للملوك الأكاديين لخلق إمبراطورية شرقية بعد توحيد جنوب بلاد الرافدين. حيث قاموا بهجوم عسكري على سوريا وأسسوا فيها مركزاً إدارياً. وفي نهاية الألف الثالث ق.م عانت الحضارة السورية من أزمة كبيرة وانهيار شامل. أحد أهم المراكز المدنيّة خلال هذه الفترة هي إيبلا و قطنا وماري.

٢-٢-١ تل مرديخ (إيبلا):

يقع تل مرديخ بالقرب من بلدة سراقب في محافظة إدلب (الشكل ٣١)، على بعد ٦٠ كم جنوب-غرب حلب. تبلغ مساحة تل مرديخ الأثري ٦٠ هكتاراً، شكله شبه منحرف، أبعاده: ١٨٠٠ X ٧٠٠ م.

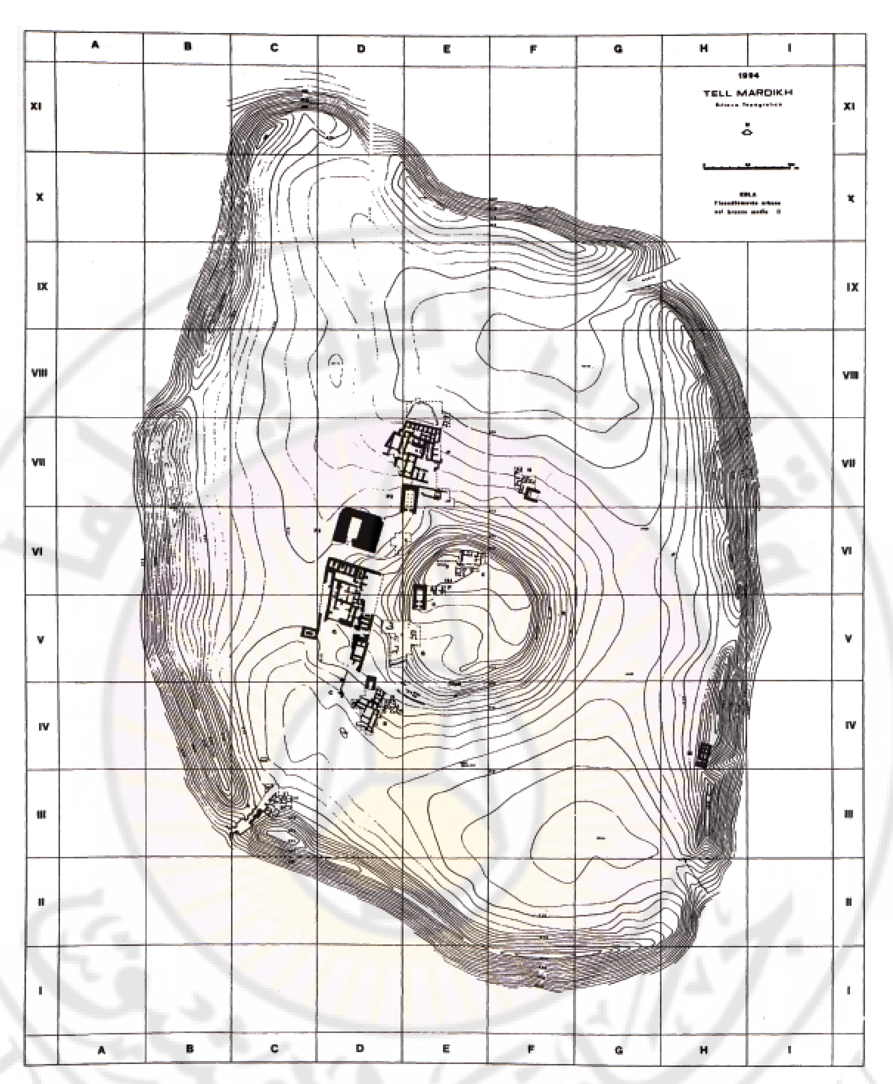
تاريخ التنقيبات:

بدأت التنقيبات في تل مرديخ عام ١٩٦٤ من قبل بعثة ايطالية من معهد دراسات الشرق الأدنى القديم بجامعة روما بإدارة الباحث الشهير باولو ماتييه (P. Matthiae). وفي عام ١٩٦٨ عثرت البعثة على جذع تمثال رجل منحوت من البازلت الأسود، يحمل نقوشاً عبارة عن كتابة مسمارية باللغة الأكادية ورد فيه اسم إيبلا مرتين مما أكد هوية التل الأثري وهو مدينة إيبلا القديمة[١٤٤]. وفي عام ١٩٧٣ كشفت التنقيبات عن القصر الملكي العائد للألف الثالث ق.م. ومن أحد أهم هذه المكتشفات هي الرقم (١٧٠٠٠ رقيّم بين كاملة ومكسرة لأجزاء) المكتوبة بالمسمارية عثر عليها منتشرة في عدة غرف من القصر[١٤٥].

القصر الملكي (G):

تقع بقايا قصر إيبلا الملكي (الشكل ٣٢) على المنحدر الغربي للتل المركزي (الأكربول/ المدينة المرتفعة)، وهو مبنى ضخم يعود إلى الألف الثالث ق.م، بُني باللبن وحفظت جدرانه على ارتفاع ٧ م. كشفت البعثة الأثرية الإيطالية برئاسة الباحث باولو ماتييه عن بقايا القصر على المنحدر الغربي للتل المركزي عام ١٩٧٣ (ونُقب بين عامي ١٩٧٤-١٩٧٧)[١٤٦]، ثم أثبت تقدم الحفريات بأنه القصر الملكي وأنه حُرق في الماضي مما سمح للآثاريين باكتشاف الكثير من اللقى والمواد في مواضعها. بُني القصر باللبن وحفظت جدرانه على ارتفاع ٧م.

(١٤٤) Matthiae, P. 1984, p. 19.
(١٤٥) Matthiae, P. 1976, p. 94-113.
(١٤٦) Matthiae, P. 1984, p. 19.

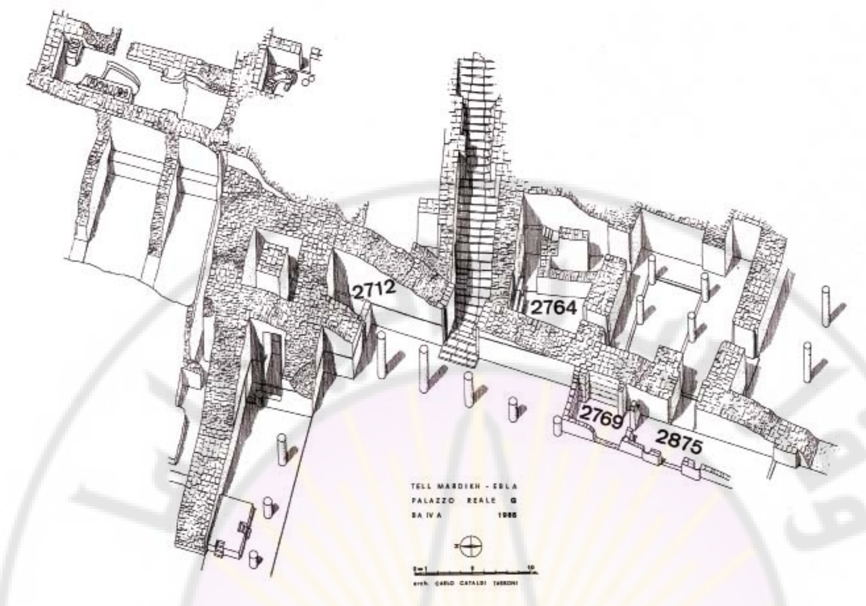


الشكل ٣١: القصر الملكي G ايبلا، عن: (Matthiae, P. 1976, fig. 8).

إن القصر الملكي G والعائد لعصر البرونز القديم ٤-أ أي ما يقابل فترة إيبلا (Ebla IIB1) كان كبيراً ومنظماً حول باحة كبيرة تسمى "باحة الاستقبال"[١٤٧] ولكن مخطط القصر غير مكتمل بسبب تعرضه للانجرافات.

يتألف القطاع الرئيسي في القصر من باحة الاستقبال المربعة، وهي مروقة من الجهتين الشمالية والشرقية (انظر الأعمدة في الشكل ٣٢). ومجهزة بمصطبة من اللبن (في الرواق الشمالي) مبنية بشكل ملاصق للجدار الشمالي للباحة، يعتقد بأنها قاعدة للعرش الملكي.

(١٤٧) Matthiae, P. 1978, p. 54043-; Matthiae, P. 1976, p. 98.



الشكل ٣٢: القصر الملكي G ايبلا، عن: (Matthiae, P. 1976, fig. 8).

تفسر وظيفة هذه الباحة بأنها المكان الذي تدار منه الشؤون السياسية والإدارية ولكن من المرجح بأن قاعة العرش الرسمية لم يعثر عليها بسبب الانجرافات.

يرتبط العرش الملكي بالمساكن الملكية الموجودة في الطابق العلوي مباشرةً، بواسطة درج موجود في زاوية الباحة الشمالية الشرقية، وهو درج مبني في برج مربع.

وإلى الشمال من باحة الاستقبال يوجد جناح التخزين المؤلف من العديد من الغرف، عثر في أحدها على كمية من الجرار وفي أخرى على أثاث خشبي وقع من الطابق العلوي عند دمار القصر. إلى الشرق من هذه المنطقة يوجد جناح أطلقت عليه البعثة مجازاً اسم "الجناح المركزي" المحتوي على حجارة الطحن والمدقات الحجرية مما يدل على أن هذا الجناح كان قد خصص لتجهيز المواد الغذائية.

في الجزء الشرقي من باحة الاستقبال هناك درج ضخم جداً ذو درجات من البازلت يصعد على منحدر الأكربول (حوالي ٦ م) إلى غرف في الأعلى لم يعد لها أثر اليوم. أما الجناح الإداري للقصر فيقع إلى الجنوب من الدرج الضخم. حيث عثر في هذا المكان على الكثير من الرقم وهو جناح يحتوي غالباً على باحة صغيرة وربما على قاعة عرش. عثرت البعثة أيضاً على غرف تخزين تابعة للقصر سميت "المخزن الجنوبي" تقع إلى الشرق من القصر الملكي. احتوى هذا المخزن على بقايا حبوب وبذور الزيتون. وفي فترة أحدث عثرت البعثة على قبر ملكي يقع

على مسافة ٥ م تحت أرضيات القصر، ولكنه كان منهوباً بشكل كامل ومؤلفاً من غرفتين مبنيتين بشكل كامل بالألواح الحجرية وهو ذو سقف مقبب[١٤٨].

الرقم المسمارية:

إن الرقم المسمارية التي عثر عليها في عدة مناطق من القصر الملكي سمحت بالتعرف على عدة أنواع من الأرشيفات المرتبة حسب موضوعاتها. احتوت الغرفة (٢٧٦٩) على أكبر مجموعة من الرقم (٢٥٠٠ نص). عثر عليها بشكل أكوام واقعة على أرضية الغرفة وكانت قبل وقوعها مرتبة على رفوف خشبية لازالت آثارها مرئية على الجدران، وهي غرفة صغيرة ملحقة بالطرف الشرقي من باحة الاستقبال. كانت هذه الرقم تحتوي على نصوص إدارية سُجلت فيها كميات الأنسجة الموزعة، أو المخزنة أو المرسلة إلى القصر. أما الغرفة المجاورة (٢٨٧٥) التي تقع جنوب الغرفة السابقة فاحتوت على رقم بالإضافة إلى الأدوات التي استخدمت في النقش على الرقم مثل الأقلام المصنوعة من العظم. احتوت الغرفة الصغيرة رقم (٢٧١٢) التي تقع في الزاوية الشمالية الشرقية من باحة الاستقبال على أرشيف من النصوص التي تسجل الحصص الغذائية المخصصة لأتباع القصر (القصر كمؤسسة). أما الغرفة رقم (٢٧٦٤) جنوب الدرج الضخم فاحتوت على سجلات زراعية.

تغلب على نصوص إيبلا السجلات الإدارية العائدة لمؤسسة القصر الملكي وهي مؤسسة مركزية كبيرة تعمل وفق نظام بيروقراطي، مؤلفة من آلاف الموظفين والحرفيين والعمال التابعين كلهم للقصر، بمعنى أنهم يقبضون أجورهم منه. هذا بالإضافة إلى قطيع الخراف الهائل الذي يملكه القصر، كما أن الأنسجة الصوفية الموزعة على أشخاص من إيبلا وبعض النبلاء من خارج إيبلا كانت كلها مسجلة في النصوص. احتوى قصر إيبلا أيضاً على نصوص أدبية ومعاجم لغوية.

أعطتنا نصوص إيبلا معلومات عن المنطقة الشمالية من سوريا، كانت مؤلفة من مجموعة دويلات–المدن القائمة على تنظيم سياسي ثلاثي الأجزاء : الملك وموظفي الملك والقدماء (وهم شيوخ العشائر أو الممثلين عن أهم العائلات). كما أن هذه النصوص أعطتنا صورة عن طبيعة العلاقة بين ماري وإيبلا، وهي علاقة تنافس على السيطرة على المناطق الاستراتيجية وخصوصاً على منطقة الفرات. ففي أكثر فترات إيبلا ازدهاراً وقوةً خلال فترتي حكم كل من اركاب–دامو وإيشار–دامو كانت إيبلا تسيطر على منطقة تمتد من سهل العمق في الغرب إلى الفرات في الشرق وحماة في الجنوب، وكانت حينها ماري تدفع ضريبة سنوية مرتفعة من الفضة والذهب. أحد أهم الأدلة على ثراء إيبلا هي مجموعات من قطع اللازورد الخام عثر

(١٤٨) Akkermans, P. and Schwartz, G. 2003, p. 235-238.

عليها متناثرة فوق أرضيات الغرف في القصر الملكي، تصل لحوالي ٢٢ كغ. لقد كان اللازورد موجوداً في باداخستان، شرق أفغانستان. وكان يصل إلى إيبلا عن طريق ماري كونها نقطة عبور أساسية بين جنوب بلاد مابين النهرين وبلاد الشام. هذا بالإضافة لقطع الألباستر المصري وأواني الديوريت. مما يدل على علاقات إيبلا القوية مع مصر والتبادلات التي كانت تمر عن طريق جبيل (بيبلوس) في لبنان، وهو المرفئ الواصل بين مصر وبلاد الشام.

ذكرت إيبلا في الوثائق الملكية الأكادية، حيث تذكر وثائق الملكين سارجون وحفيده نارامسين بأنهما أخضعا إيبلا، خصوصاً نارامسين الذي قال " لم يخضع ملك قبلي أراموم وإيبلا". ولكن وثائق إيبلا ودراسة القطع الأثرية التي عثر عليها في القصر الملكي G تدل على توافق زمني بين إيبلا ونهاية السلالة الثالثة أو بداية الفترة الأكادية، ولذلك يغلب الظن بأن سارجون هو الذي دمر القصر الملكي وتسبب في حرقه. بعد دمار القصر الملكي من قبل الهجمة الجنوب رافدية، استمرت إيبلا بأداء دور خاص في المنطقة خلال الفترة اللاحقة (Ebla IIB2) المؤرخة ب ٢٣٠٠ ٢٠٠٠ ق.م (Early Bronze IVB/ برونز قديم ٤ب) وظهرت أسماء ملوك إيبلا أيضاً في وثائق أور الثالثة ولكن القصر الملكي بعد دماره كان قد هجر. فاقتصر الاستيطان على الجزء الشمالي من الموقع. وبُني قصر آخر في الجزء الشمالي من المدينة المنخفضة بمخطط شبه منحرف. ثم تعرضت المدينة حوالي ٢٠٠٠ ق.م لحريق آخر وانتهى عندها الاستيطان العائد لفترة البرونز القديم الرابع ب.

تدل الحفريات في مناطق أخرى من سوريا أن عدد المستوطنات كان قد ازداد في منتصف الألف الثالث ق.م بالإضافة لظهور مواقع كبيرة جداً كانت عبارة عن مراكز مدنيّة للمناطق المجاورة، منها وادي نهر قويق قرب حلب (مركزه تل رفعت) وسهل الجبول شرق حلب (موقعي أم المرا وأبو دان) ومنطقة إيبلا، ووادي العاصي وسهل العمق (المشرفة–قطنا وحماة) إضافةً لتل النبي مند (قادش) غرب قطنا (انظر الخريطة في الشكل ١٨).

٢-٢-٢ تل الحريري (ماري):

يقع تل الحريري على نهر الفرات إلى الأسفل من التقائه مع الخابور ويتمتع بموقع استراتيجي مسيطر على الطرق الواصلة بين جنوب بلاد الرافدين وسوريا. كانت مدينة ماري حسب النصوص القديمة منافسة لإيبلا خلال فترة القرن الرابع والعشرين ق.م من أجل السيطرة على منطقة الفرات.

تاريخ التنقيبات:

بدأت التنقيبات في ماري منذ عام ١٩٣٣ من قبل بعثة فرنسية من متحف اللوفر في باريس بإدارة الباحث أندريه بارو(A. Parrot) على أثر العثور على تمثال عندما كانت جماعة من البدو تحفر قبراً. وهو تمثال رجل دون رأس يحمل كتابةً مسمارية. تابعت البعثة عملها حتى عام ١٩٣٩ وتوقفت بسبب الحرب العالمية الثانية. ثم استؤنفت التنقيبات عام ١٩٥١ بإدارة علماء هامين مثل جان–كلود مارجرون (J.-C. Margueron) وجان–ماري دوران (J.-M. Durand) منذ عام ١٩٨٠ بسبب وفاة الباحث بارو[١٤٩]. استلم إدارة البعثة مؤخراً الباحث وأستاذ مادة الآثار الشرقية في جامعة باريس الأولى–السوربون باسكال بوترلان (P. Butterlin) حتى آخر موسم تنقيب عام ٢٠١٠.

تنظيم المدينة:

على الرغم من ازدهار وقوة المراكز المدنيّة في منطقة الخابور والبليخ خلال عصر البرونز القديم الثالث والرابع إلا أن ماري (تل الحريري) كانت المركز الاقتصادي والسياسي الرئيسي في شرق سوريا منذ بداية الألف الثالث ق.م بسبب موقعها الاستراتيجي على نهر الفرات.

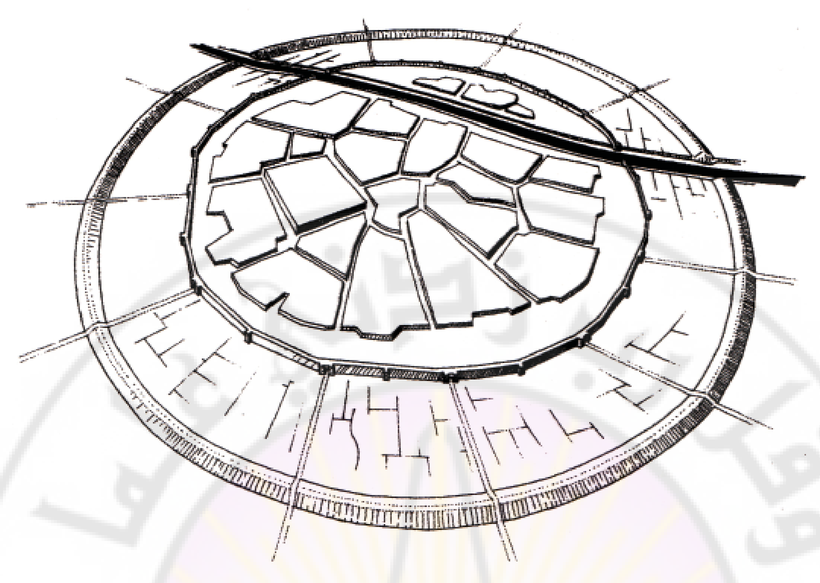
المدينة الأولى: تأسست المدينة الأولى (الشكل ٣٣) حوالي ٢٩٠٠ ق.م (برونز قديم٢) وفق الشكل الهندسي الدائري[١٥٠] الشائع استخدامه في بناء المدن خلال الألف الثالث ق.م، مثل تل خويرة والروضة وإيبلا ومجيدو. تصل مساحة ماري حالياً لحوالي ١٠٠ هكتار ولكنها في الماضي كانت أكبر.

بنيت ماري في بداية الألف الثالث ق.م. حيث إنها (حسب فرضيات الباحث والمنقب مارجرون) احتاجت منذ تأسيسها إلى الحماية من فيضان النهر وإلى المنافذ على مياه النهر. لذلك يعتقد أن الساتر المحيط بالمدينة والذي يسبق السور الداخلي (يضم منطقة مساحتها ٢٥٠ هكتار أو ١,٩ كم) بالإضافة إلى القناة المائية بطول ٢ كم التي تصل المدينة بالنهر كان تم بناؤها منذ نشوء المدينة الأولى. وبما أن بناء التحصينات وحفر القناة هي من الأعمال التي تحتاج إلى مركز إداري قوي، يُعتقد بأن ماري بنيت كمركز مدني منفذ وفق مخطط مسبق من قبل إدارة سياسية قوية.

---

(١٤٩) Margueron, J.-C. 2004.

(١٥٠) ما تبقى من المدينة قد لا يسمح بتأكيد هذه الفرضية، انظر مخطط المدينة ولكن المقارنة مع المدن الأخرى ذات الشكل الدائري السائد في هذه الفترة بالإضافة إلى بعض النقاط الأخرى سمحت للباحث مارجرون بالافتراض أن ماري كانت مدينة دائرية. انظر: .Marugeron, J. –C. 2008, p. 8

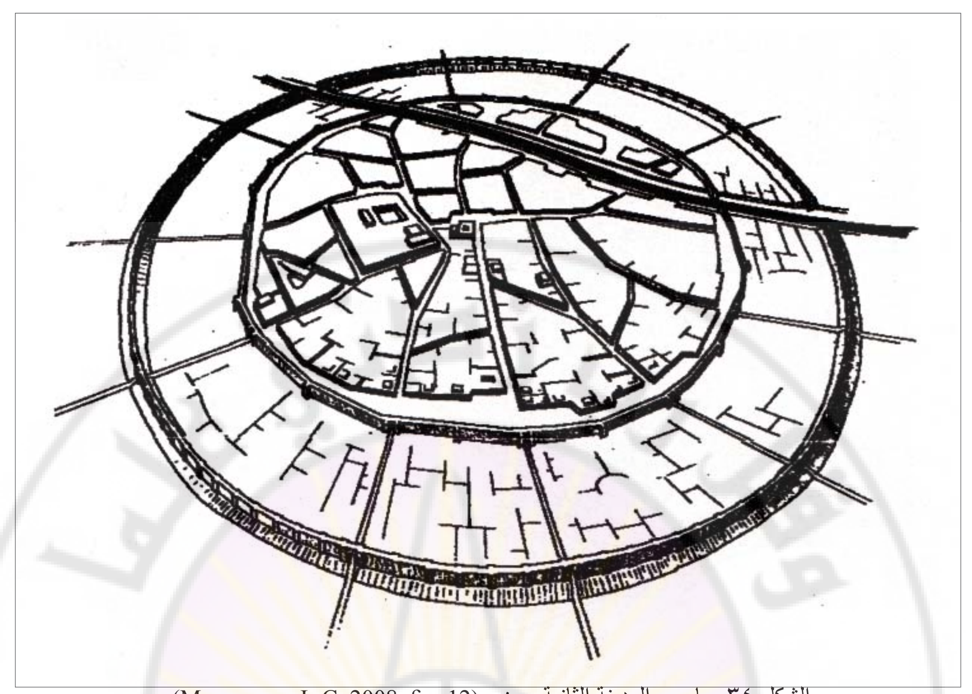


الشكل ٣٣: ماري، المدينة الأولى، عن: (Margueron, J.-C. 2008, fig. 2).

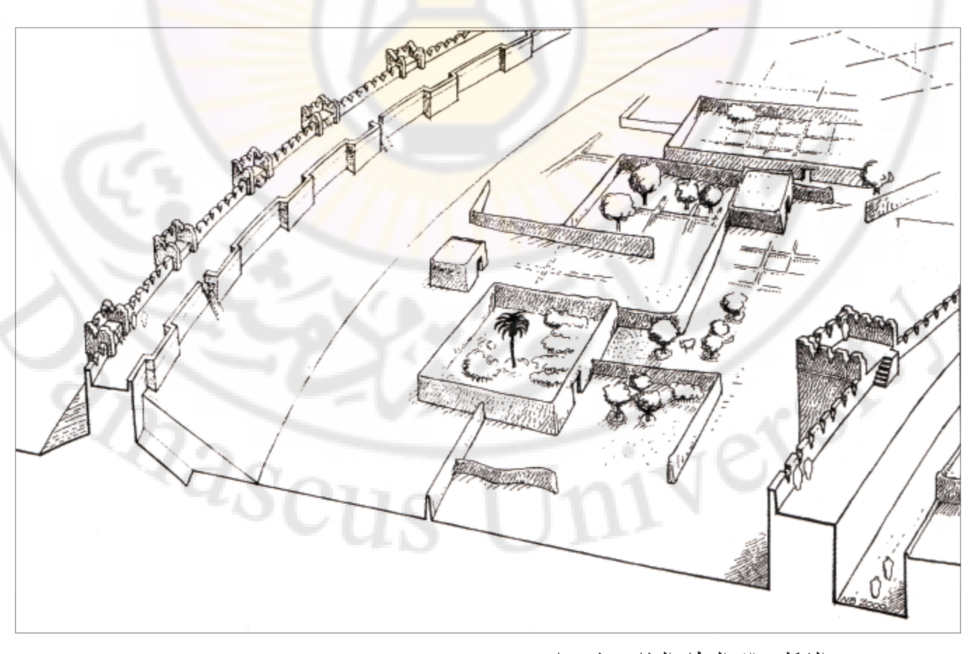
يتألف الموقع من المدينة المرتفعة (الأكربول) ومن المدينة المنخفضة ولها نظام حماية مضاعف (لكل منها تحصينات خاصة). تتألف التحصينات الخارجية من ساتر مبني من اللبن على قاعدة من الحجر لحماية المدينة من الفيضانات، ربما كان يعلوه جدار أو سور. أما السور الداخلي فهو يبعد عن التحصينات الخارجية بمسافة ٣٠٠ م وله قطر ١,٣ كم وعرضه من ٤ إلى ٦ أمتار يؤلف السور الحقيقي للمدينة وكان مزوداً بأبراج دفاعية وببوابات للدخول إلى المدينة. زودت المدينة بنظام خاص من الطرق والشوارع وهو نظام "شعاعي". أولاً الشوارع العامودية (نصف قطر) تربط قلب المدينة بالمناطق الهامشية وتربط هذه الطرق ببعضها شوارع أخرى دائرية الشكل بما يتناسب مع شكل المدينة. تحدد هذه الشوارع بينها جزر سكنية (أحياء أو قطاعات سكنية)[١٥١].

المدينة الثانية: (٢٦٠٠/٢٥٠٠-٢٣٠٠ ق.م): أعيد بناء المدينة الثانية (الشكل٣٤) وفق الصفات العامة الموروثة من المدينة الأولى. حيث احتفظت المدينة ٢ بذات الشكل الدائري (قطره ١,٩ كم)، كما أن سورها الداخلي أعيد بناؤه في ذات المكان (الشكل ٣٥)، هذا بالإضافة إلى الحفاظ على ذات التخطيط العمراني والشوارع ذات الشكل الشعاعي. أوضحت التنقيبات الأثرية أنه قد تم بناء جدار ذي عرض متواضع على القلب الحجري للساتر الخارجي[١٥٢]. وبما أن سماكة هذا الجدار قليلة (نحو ٢م) فإنه على الأغلب لم يكن

(١٥١) Marugeron, J. –C. 2003, p. 226.
(١٥٢) Marugeron, J. –C. 2008, p. .16



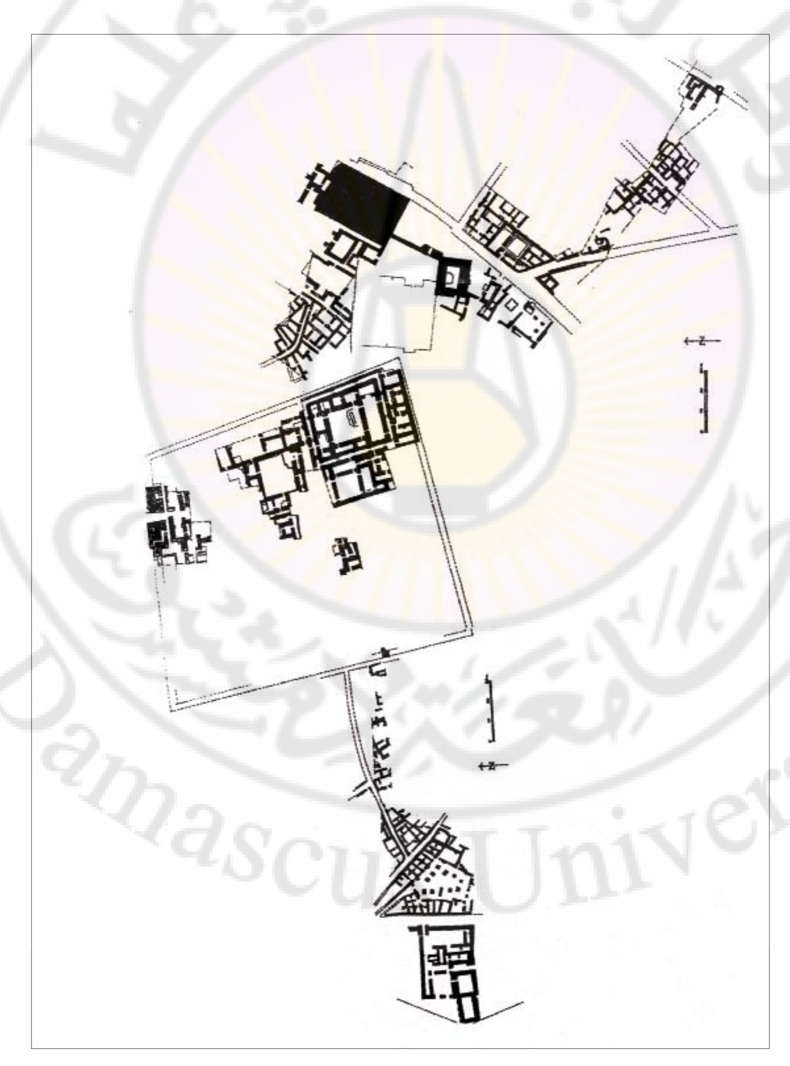
الشكل ٣٤: ماري، المدينة الثانية، عن: (Margueron, J.-C. 2008, fig. 12).



الشكل ٣٥: النظام الدفاعي في ماري، عن: (Margueron, J.-C. 2008, fig. 13).

مخصصاً ليؤدي دوراً دفاعياً فعالاً إلا أن أهميته تأتي من كونه جدار مساعد أو خط دفاعي أول بالإضافة إلى التحصينات الداخلية التي حافظت على موقعها.

بنيت المدينة الثانية على قاعدة المدينة الأولى، وهي وإن كانت قد احتفظت بشكلها الخارجي إلا تنظيمها الداخلي كان قد اختلف تماماً (الشكل ٣٦). يقع القصر في الجزء الشمالي من الأكربول، ومعبد عشتار ملتصق بالسور في محيط المدينة (بالقرب من الطرف الغربي للأكربول). نلاحظ أيضاً وجود تخصص وظيفي لأحياء المدينة، فأحد هذه القطاعات أو الأحياء هو السوق فضلاً عن الجزر السكنية والقطاع الديني.



الشكل ٣٦: تنظيم المدينة في ماري، عن: (Margueron, J.-C. 2008, fig. 16).

عثر أيضاً على سلسلة من القنوات ذات نظام معقد وعدد كبير تخدم مختلف قطاعات المدينة، مما يدل على وجود التخطيط المركزي المنظم للعمران في المدينة. ومن الملفت أن هذه القنوات لا تخدم في تصريف المياه المستخدمة في الأحياء وإنما تخدم في تجميع مياه الأمطار لتخزينها ولكن هذه المخازن لم يعثر عليها بعد.

نقبت البعثة مدينة ماري بدءاً من السور الغربي وصولاً إلى الأحياء السكنية الواقعة في جهة الشرق مروراً ب: معبد عشتار، السوق، الحي السكني، القصر والمركز الديني في وسط الأكربول، حيث يصل طول هذه الوحدات المدنيّة لحوالي ٧٠٠ م (الشكل ٣٦). يتألف المركز الديني من خمسة معابد: معبد الكتلة الحمراء ومعبد عشتارات ومعبد نيني زازا ومعبد شمش ومعبد نينهور ساج، أما معبد عشتار بالقرب من السور الغربي فهو بعيد عن هذه المنطقة الدينية وكذلك معبد القصر.

السوق: هو أحد الأمثلة النادرة من هذه الفترة الباكرة، يتشكل حول باحة (غير مسقوفة) مثلثة الشكل، محاطة بأروقة، تنفتح عليها مجمعات صغيرة مؤلفة من غرفتين أو ثلاثة غرف وهي متاجر صغيرة أو مشاغل. أحيط هذا السوق بالشوارع الرئيسية والتي تتفرع عنها الممرات الضيقة المسقوفة غالباً التي تسمح بالوصول إلى باحة السوق المركزية (الشكل ٣٧).

القصر الملكي: يؤلف القصر في المدن الشرقية مركزاً للسلطة السياسية. وهو ومنذ النصف الأول من الألفية الثالثة ق.م أحد الأعمدة الأساسية للمجتمع الحضري.

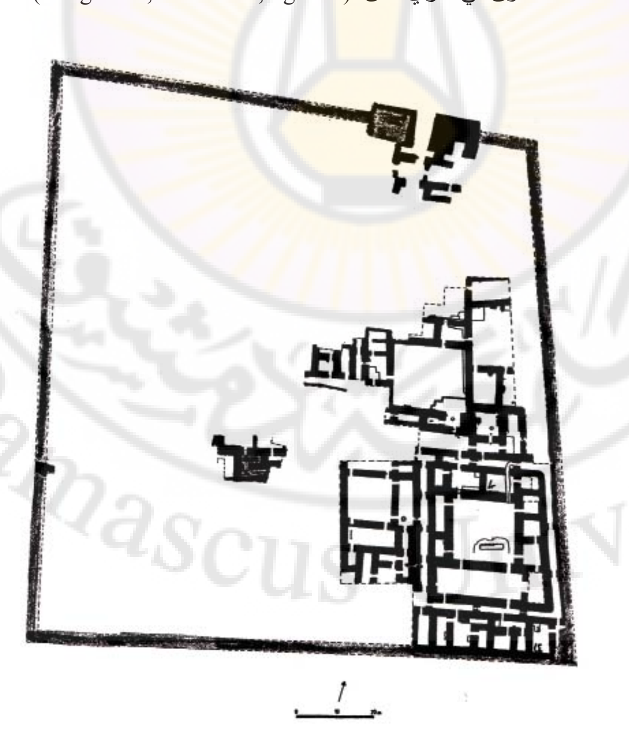
يقع قصر الألف الثالث ق.م في الجزء الشمالي من الأكربول (يعود إلى المدينة الثانية، حيث عثر تحته على مشاغل حرفية/تعدين ومبانٍ سكنية تعود إلى المدينة الأولى)[١٥٣]. عثر على هذا القصر تحت قصر زمري –ليم العائد للألف الثاني ق.م. نُقِّب منذ ثمانيات القرن الماضي ولازالت العديد من قطاعاته غير منقبة[١٥٤].

يُعد القصر الملكي في مدينة ماري أحد أفضل الأمثلة كشاهد على مسألة تطور القصور في الشرق الأدنى القديم. حيث تعرض القصر لأكثر من ترميم وإعادة بناء. سُميت هذه المراحل المخلتفة ب :P-3 هي الفترة الأقدم ثم P-2 ثم P1 وهذا القصر الأخير هو القصر الذي تعرض لحريق (على يد الأكاديين) وبعده رمم القصر جزئياً، يطلق على هذه الفترة اسم P-0 المؤرخة بنهاية الألف الثالث ق.م (الشكل ٣٨).

(١٥٣) Margueron, J.-C. 2008, p. 17.
(١٥٤) Margueron, J.-C. 1993a, 5-38.



الشكل ٣٧: السوق في ماري، عن: (Margueron, J.-C. 2003, fig. 130).

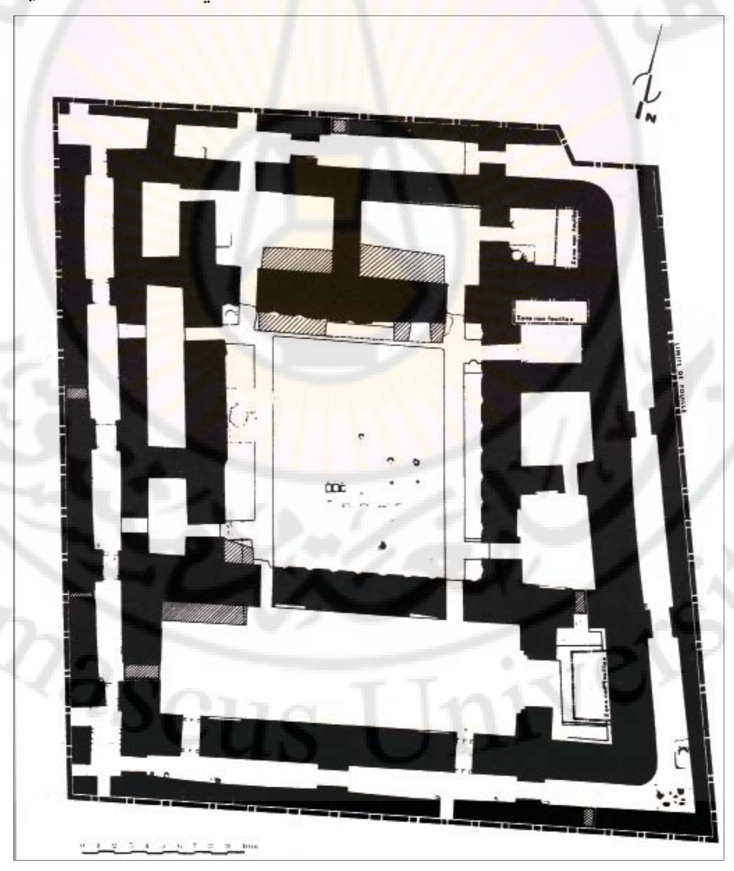


الشكل ٣٨: قصر ماري الملكي المرحلة P-1، عن: (Margueron, J.-C. 2008, fig. 18).

لم يتعرض مخطط القصر الملكي لتغير كبير خلال إعادة البناء والترميم، حفظت بعض الجدران في بعض الأماكن على ارتفاع ٥ أو ٦ م وهو يتميز باحتوائه على معبد منخرط فيه يقع في الجزء الجنوبي منه[١٥٥].

يقع مدخل القصر في الجزء الشمالي منه (لم يتغير موضع المدخل خلال مراحل القصر المختلفة)، حصنت بوابته ببرج من كل طرف. أحيط بقطاع المدخل العديد من الغرف المخصصة للصناعات الحرفية وكذلك الغرف الموجودة إلى الغرب من غرفة العرش (العائدة للقصر اللاحق).

يحتل معبد القصر الملكي الجزء الجنوبي الشرقي من القصر، ويطلق عليه اسم (Enceinte Sacrée) أي الحيز المقدس (الشكل ٣٩). وهو يشكل وحدة معمارية مستقلة داخل القصر (استمرت هذه الوحدة الدينية حتى دمار القصر بشكل نهائي على يد حمورابي عام١٧٦٠



الشكل ٣٩: معبد القصر الملكي في ماري، عن: (Margueron, J.-C. 2008, fig. 17).

(١٥٥) Margueron, J.-C. 2008, p. 18-20 ; Margueron, J.-C. 1993b, p. 281-313.

ق.م). يتألف من مساحة مركزية طول ضلعها ١٦ م محاطة بمجموعة غرف من كل جهاتها، يقع المدخل في الجزء الشمالي. أما الجزء الجنوبي فكان محجوزاً بغرفة مستطيلة طولها ٨ م فيها محلق صغير في الجهة الشرقية. تمتد هذه الغرفة على كامل مساحة الضلع الجنوبي للمجمع. وهي تنفتح على المساحة المركزية بواسطة بابين في ضلعها الشمالي. أما الملحق أو الغرفة الصغيرة في جزئها الشرقي فهي ذات مدخل عريض ومزين بالمحاريب والخرجات المنتظمة. يتميز هذا الملحق الشرقي بوجود منصة قليلة الارتفاع (تُفسر عادةً بأنها المنصة التي تحمل تمثال أو رمز الإله).

أحيط هذا الجزء الديني في القصر بممر طويل من كل الجهات وهو ضروري جداً للتنقل وللإضاءة. تتصف الباحة المركزية بأنها تحتوي على تزيينات على الجدران الداخلية (محاريب وخرجات منتظمة) وفيها كنز تأسيسي.

يوجد جنوب المعبد بناء ممتد على كامل المساحة الجنوبية مشكلاً الحدود الجنوبية للقصر، يتميز هذا القطاع باحتوائه على أدراج.

هناك بناء آخر إلى الغرب من المعبد ذو مخطط مركزي مشابه جداً لمخطط المعبد. شكله مربع يتألف من مساحة مركزية مربعة الشكل تحيط بها مجموعة الغرف. تدل الحفريات أن هذين القطاعين (الغربي والجنوبي) لهما وظيفة سكنية.

انتهى القصر P1 بحريق عثر على آثاره أيضاً في المدينة. تدل طبعات الأختام المنقوشة باسم إشكي-ماري والتي عثر عليها إلى الغرب من بوابة القصر على اسم الملك الذي سكن هذا القصر قبل الحريق، إلا أننا لا نعرف اسم الملك الأكادي الذي هاجم ماري.

أعيد بناء القصر جزئياً وسمي القصر P-0 (كانت فترة استخدامه قصيرة، انظر الشكل٤٠)، حافظ خلالها على أجزائه وعلى مخططه العام. ولكنه يختلف باحتوائه على قاعة ضخمة مستطيلة الشكل، يقوم سقفها على صفين من الأعمدة أو الدعائم المربعة (المنفدة باللبن غير المشوي). يوجد في الجزء الغربي من ضلعها الجنوبي مدخل. وهي مجهزة بمنصة أو مصطبة في منتصف ضلعها الشمالي، خصصت المنصة على الأغلب كقاعدة لعرش الملك، مما يدل على أن الغرفة هي قاعة العرش. تجدر الإشارة إلى أن هذه القاعة هي أولى صالات العرش الواضحة بشكل شبه مؤكد في تاريخ بناء القصور في الشرق الأدنى القديم[١٥٦]. وقد يعد هذا الأمر بمثابة نقطة تحول في طبيعة السلطة الملكية، المترافقة زمنياً بصعود نارامسين كملك لأول دولة شرقية وحدت دويلات-المدن المتنازعة تحت لواء الدولة الأكادية.

(١٥٦) تتميز القصور السابقة للقصرP-0 بأنها تحتوي على صالات كبيرة قد تصلح لتكون صالة عرش ولكنها تفتقد لأدلة واضحة على ذلك ولذلك يعتقد بأنها صالات استقبال وليست قاعات عرش. لذلك تعد قاعة العرش في القصرP-0 هي أول قاعة عرش في منطقة الشرق الأدنى القديم ويترافق تاريخها مع تغير في طبيعة السلطة الملكية. للاستفاضة حول هذا الموضوع انظر: Margueron, J.-C. 2007, p. 69-106.



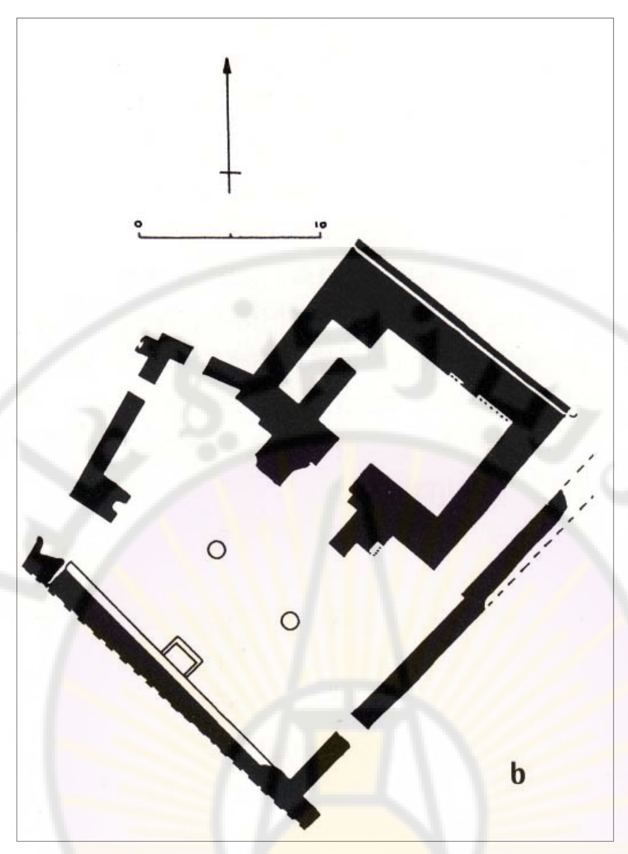
الشكل ٤٠: القصر الملكي P-0 في ماري، عن: (Margueron, J.-C. 2008, fig. 19).

المعابد:

تشبه بعض معابد المدينة ٢ معبد القصر الملكي في مخططها. ولكن بعض المعابد الأخرى تنتمي لطراز آخر مختلف لأن عمارة ماري تظهر تأثيرات شرقية (رافدية، المشابهة لمعبد القصر الملكي) وغربية (سوريّة كمعبد نينهور ساج). يمثل طراز المعابد الآخر المكتشف في ماري وهو النمط السوري معابد أخرى كمعبد الكتلة الحمراء ونيني زازا ومعبد نينهور ساج.

معبد نينهور ساج (الشكل ٤١): يقع المعبد في القطاع أو الحيز الديني للمدينة في قلب الأكربول. وهو محاط بسور لفصله عن المحيط العمراني ولتحديد الدخول إليه وإبراز أهميته. يخدم السور أيضاً بتشكيل باحة خاصة للمعبد تدور فيها بعض الشعائر الدينية.

تقع الباحة خارج البناء الرئيسي، مقابل مدخله. يتألف المبنى من مخطط مربع ذي غرفة واحدة أبعادها ٦ F٥ x م. يحيط بها من الجهة الشمالية-الغربية بيت الدرج وهي مسبوقة

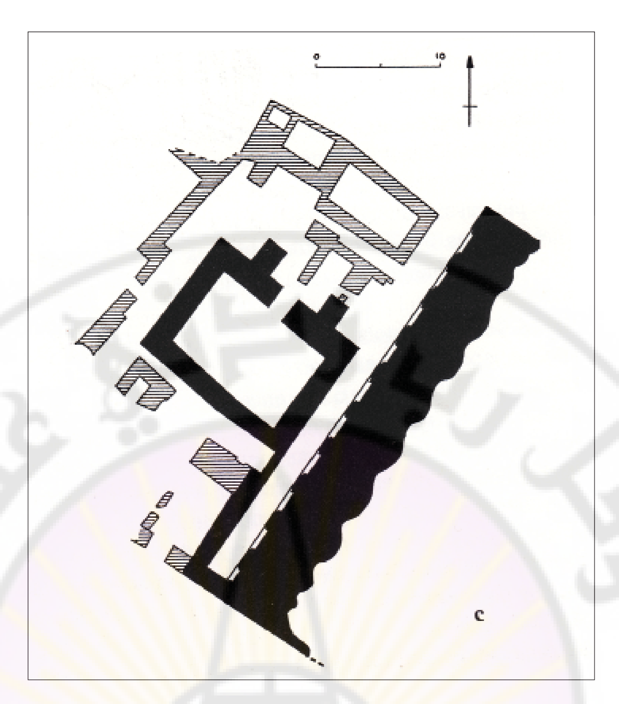


الشكل ٤١: معبد نينهورساج في ماري، عن: (Margueron, J.-C. 2003, fig. 201b).

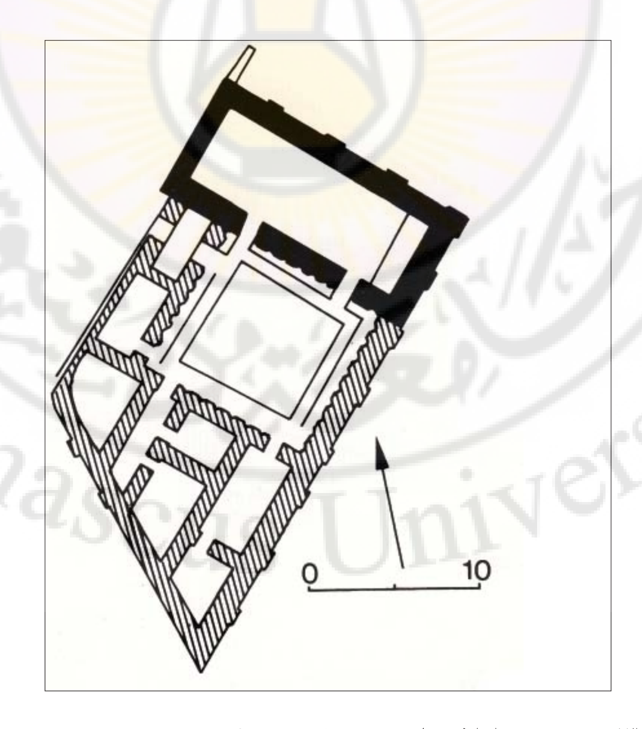
بمدخل. أحد أهم مميزات هذا الطراز المعماري هو الشكل المتكتل لأن البناء مربع الشكل وذو جدران عريضة وأحد أهم مميزاته أيضاً وجود الدرج الذي يقود إلى الطابق العلوي المحتوي ربما على غرفة أو إلى سطح المبنى حيث تمارس الشعائر الدينية (يطلق على هذا الطراز اسم الطراز البرجي وهو طراز سوري تنتمي له في فترة أحدث معابد آلالاخ وأغاريت).

ينتمي لذات الطراز المعماري معبد آخر ضمن القطاع أو المركز الديني وهو معبد الكتلة الحمراء (الشكل ٤٢)، له ذات المخطط المعماري ولكن دون آثار واضحة لدرج. يرتبط المعبد بتراس مرتفع بالقرب منه ويسمى بمعبد الكتلة الحمراء نسبةً لهذه المصطبة المرتفعة المخصصة للأضاحي. يتمتع المعبد أيضاً بغرف خارجية خدمية.

أما معبد نيني زازا (الشكل ٤٣): فينتمي للطراز الرافدي. يتألف هذا الطراز من اندماج غرفة المعبد الرئيسية ضمن مجمع متعدد الغرف على العكس من الطراز السابق المتكون من غرفة واحدة فقط. تتميز الأبنية المنتمية لهذا الطراز بأنها بُنيت وفق مخطط مسبق ولم تتعرض لتعديلات خلال فترات استخدامها.



الشكل ٤٢: معبد الكتلة الحمراء في ماري، عن: (Margueron, J.-C. 2003, fig. 201c).



الشكل ٤٣: معبد نيني زازا في ماري، عن: (Margueron, J.-C. 2003, fig. 205a).

تختلف هذه الأبنية عن أبنية الطراز السابق بأنها أكثر تعقيداً وأن أحجامها غالباً ما تكون أكبر من مباني المجموعة السابقة. يتألف معبد نيني زازا من مساحة مركزية مربعة الشكل (غرفة مركزية مسقوفة) يحيط بضلعها الشمالي الشرقي غرفة قدس الأقداس وهي تنفتح على المساحة المركزية عبر بابين. بينما تتوزع حول الضلعين الآخرين لهذه المساحة المركزية ملحقات البناء أو مجموعة الغرف. من الأمثلة الأخرى لهذا الطراز : معبد عشتارات في ماري ومعبد نينجال في أور (كوريجالسو) والمعبد المربع في تل أسمر في العراق (طراز رافدي).

عثر في معبد عشتار على مجموعة من أفضل التماثيل التي زودنا بها العالم السوري- الرافدي التي عثر عليها في ماري. منها تمثال الموظف ايبيح الثاني وهو جالس على معقد أسطواني ويمتاز بأنه نصف عار يضم يديه في حالة تعبدية أو شعائرية، وهو حليق الرأس وطويل اللحية. عثر معه على سلسلة شخصيات أخرى.

أما سلسلة التماثيل الأخرى فعثر عليها في معبد نيني زازا، أهمها تمثال المغني أور ناشي الذي يعتقد بأنه المنشد الرئيسي للقصر الملكي.

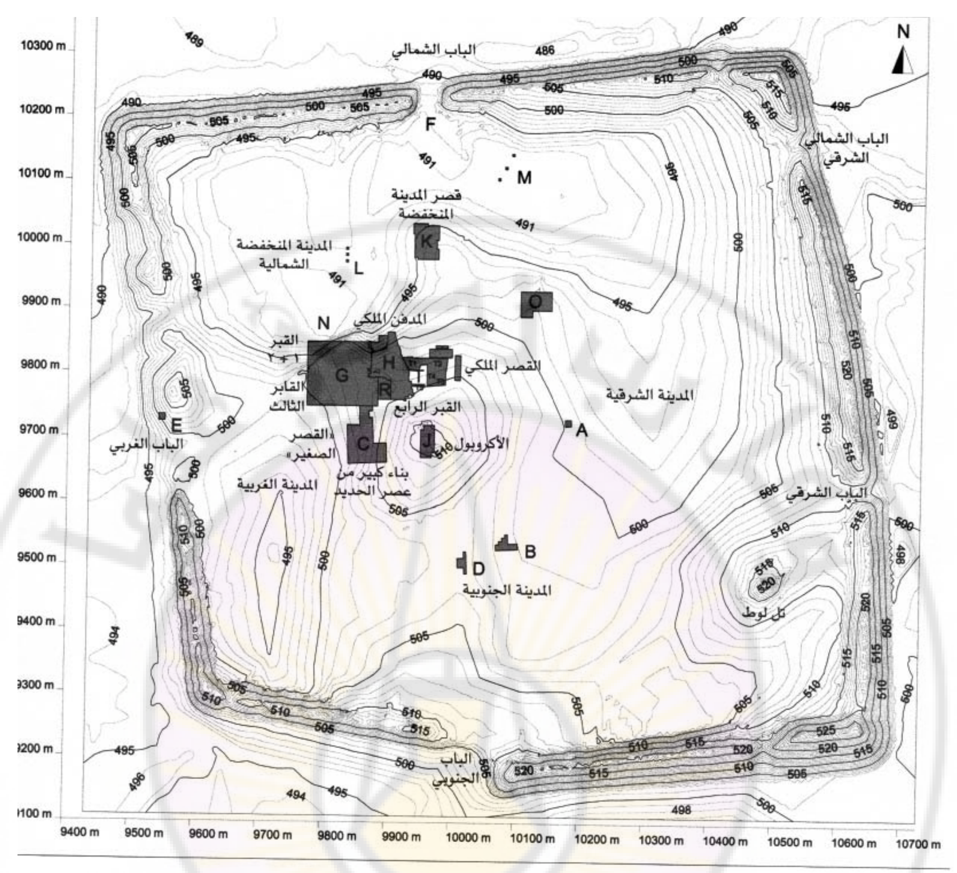
انتهت المدينة بحريق شامل منسوب إلى الملك سارجون الأكادي أو إلى حفيده الملك نارامسين.

٢-٢-٣ وادي العاصي وتل المشرفة (قطنا):

تعد المشرفة إحدى أهم مواقع الألف الثالث والثاني ق.م (الشكل ٤٤). تأسس الموقع على الطرف الشرقي من وادي العاصي حوالي ٢٧٠٠/٢٦٠٠ ق.م (خلال عصر البرونز القديم الثالث)، على مرتفع من الصخر الكلسي. يبعد تل المشرفة مسافة ١٨ كم شمال شرقي حمص. ويتميز بموقع استراتيجي على ملتقى اثنين من أهم الطرق التجارية القديمة في المشرق هما: أولاً الطريق الشمالي الجنوبي، الممتد من الأناضول شمالاً عبر سوريا إلى فلسطين ومصر جنوباً والطريق الشرقي الغربي الواصل بين بلاد مابين النهرين شرقاً وساحل المتوسط غرباً مروراً بالبادية السورية. تبلغ مساحة الموقع الأثري ١١٠ هكتاراً.

تاريخ التنقيبات:

نقبت المشرفة لأول مرة من قبل الباحث روبير دو ميسنيل دو بويسون (De Boisson) بين عامي ١٩٢٤ و ١٩٢٩ كشف خلالها عن أجزاء من القصر الملكي (برونز وسيط). وبدءاً من عام ١٩٩٤ قامت المديرية العامة للآثار والمتاحف بإرسال بعثة سورية إلى الموقع، ثم شكلت المديرية بعثة سورية-ألمانية-إيطالية مشتركة عام ١٩٩٩. ترأس التنقيبات عن الجانب



الشكل ٤٤. مخطط تل المشرفة الطبوغرافي ، عن: (المقدسي، م. 2009، ص. 120).

السوري من المديرية العامة للآثار والمتاحف الباحث ميشيل مقدسي وعن الجانب الألماني بيتر بفالتزنر (P. Pfälzner) من جامعة توبنغن وعن الجانب الإيطالي دانييل موراندي بوناكوسي (D. Morandi Bonacossi) من جامعة أوديني[١٥٧].

تنظيم المدينة:

على الرغم من أن آثار الاستيطان البشري الأول في تل المشرفة يعود إلى نهاية الألف الرابع ق.م ولكن هذه الآثار قليلة ولا تعطي فكرة واضحة عن العمران[١٥٨]. تؤرخ المرحلة العمرانية الأولى ب ٢٧٠٠/٢٦٠٠ ق.م. تميزت بوجود منازل مزودة بمخازن ومواقد وغيرها من الأثاث المنزلي. في بداية البرونز القديم الرابع (٢٤٠٠-٢٠٠٠ ق.م) دخل الموقع ضمن موجة من عمليات التحول الحضري التي عمت المنطقة كلها في أواسط الألف الثالث قبل

(١٥٧) المقدسي، م. وبوناكوسي، د. ٢٠٠٥، ص. ١٦-١٨.
(١٥٨) المقدسي، م. وبوناكوسي، د. ٢٠٠٥، ص. ١٦-١٨.

الميلاد ضمن ما يطلق عليه اسم "الثورة المدنيّة الثانية". فتأسست مدينة الألف الثالث ق.م في تل المشرفة وهي دائرية الشكل مثل باقي المدن العائدة لهذه المرحلة (كتل الروضة في البادية الواقع إلى الشمال الشرقي من المشرفة وموقع الشعيرات إلى الجنوب منها وموقع إيبلا إلى الشمال). بلغت مساحتها ٢٥ هكتاراً. تألفت آثار هذه المرحلة من حي سكني ومدفن ومخزن للحبوب.

يقع الحي السكني في القسم الشمالي من الجزء المرتفع وهو القطاع أو المنطقة G-H (انظر الشكل ٤٤). أما المدفن فهو مكون من حجرة واحدة على الطرف الغربي من الأكربول (المنطقة C)، عثر فيها على أربعين هيكلاً عظمياً وأكثر من مئة قطعة سلاح نحاسية/برونزية وحلي نادرة مستقدمة من الخارج (زجاج مصري، وعقود من العقيق) بالإضافة إلى ٢٩٢ آنية فخارية ويشير هذا الأثاث الجنائزي الغني بأن الموتى كانوا من طبقة النخبة أو علية القوم. أما منطقة التخزين فتقع في قمة التل المركزي (المنطقة J) فيها دلائل أثرية على تخزين الحنطة. يتألف قطاع التخزين في المدينة من العديد من المستودعات وصوامع الحبوب ومنشآت العمل الخاص بها (كغربلتها وتصنيعها لمواد غذائية). مما يدعو للاعتقاد أن هذه المستودعات والصوامع ومنشآت الحبوب تعمل كلها وفق نظام معين بإشراف سلطة مركزية مسؤولة عن هذا النظام الاقتصادي[١٥٩].

عثر في المنطقة المحيطة بتل المشرفة على مجموعة من المواقع الأصغر مساحة (عددها سبعة عشر موقعاً). حيث توزع الاستيطان في هذه الفترة وهذه المنطقة في شبكة تراتبية مرتبطة بتل المشرفة، الذي شكل مركزاً حضرياً (متوسط الحجم) يشرف على هذه المواقع التابعة، فهو بمثابة مقر السلطة المركزية.

شهدت سوريا كما ذكرنا سابقاً خلال منتصف الألف الثالث ق.م ظهور المدن الكبيرة والممالك، فتل ليلان مثلاً توسع لتصل مساحته لحوالي ١٠٠ هكتار في القرن السادس والعشرين ق.م. ولكن توزع المراكز الكبيرة شهد تمايزاً إقليمياً : فالمدن في غرب سوريا وفي منطقة الفرات الأوسط والبليخ تراوحت مساحتها من ٥٠ إلى ٦٠ هكتاراً ولكن مواقع الخابور الأعلى وماري أيضاً في الجزيرة السورية كانت مساحتها تتراوح من ١٠٠ هكتاراً فما فوق. أما المراكز الثانوية مثل حمام التركمان وتل بيدر فكانت مساحتها تتراوح بين ١٥ و٣٠ هكتاراً[١٦٠]. ومن الملاحظ أن العواصم الإقليمية والمراكز الثانوية والمواقع الصغيرة كانت كلها محصنة بجدران من اللبن على أساسات حجرية كما بدأ ظهور السواتر الترابية وهي منحدرات مبنية قبل الأسوار. تشهد هذه التحصينات على حدوث العمليات الحربية كما يشهد على ذلك اكتشاف الأسلحة في القبور

(١٥٩) المقدسي، م. وبوناكوسي، د. ٢٠٠٥، ص. ٣٥-٣٦.

(١٦٠) Akkerman, P. and Schwartz, G. 2003, p. 268-269.

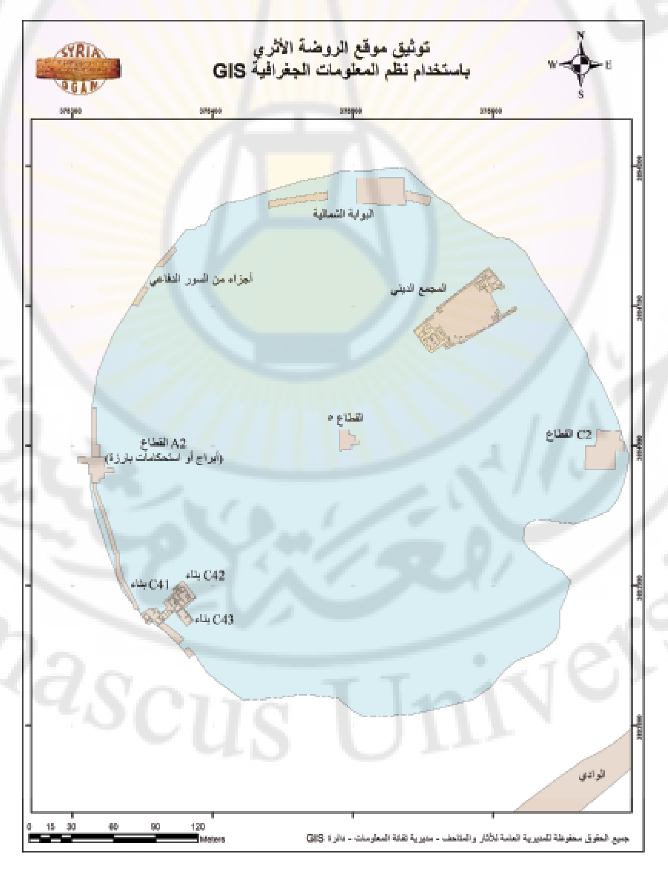
والمشاهد الحربية في فن إيبلا وماري والنصوص التي تذكر الحروب بين ماري وإيبلا.

٢-٢-٤ تل الروضة:

يقع تل الروضة (الشكل ٤٥) في منطقة السهوب على أطراف البادية السورية إلى الشرق من حماة، شمال جبل البلعاس على بعد ٥٠ كم شرق مدينة السلمية، وعلى بعد ٧٠ كم شمال-شرق تل المشرفة (قطنا القديمة).

تاريخ التنقيبات:

يعود اكتشاف تل الروضة إلى عام ١٩٩٦ خلال المسح الذي قامت به بعثة فرنسية في منطقة الشامية. فبدأ التنقيب فيه منذ عام ٢٠٠٢ من قبل بعثة سورية-فرنسية مشتركة بإدارة الباحثة كورين كاسل (C. Castel)[١٦١].



الشكل ٤٥: مخطط تل الروضة، عن: (Castel, C. *et al*. fig. 2).

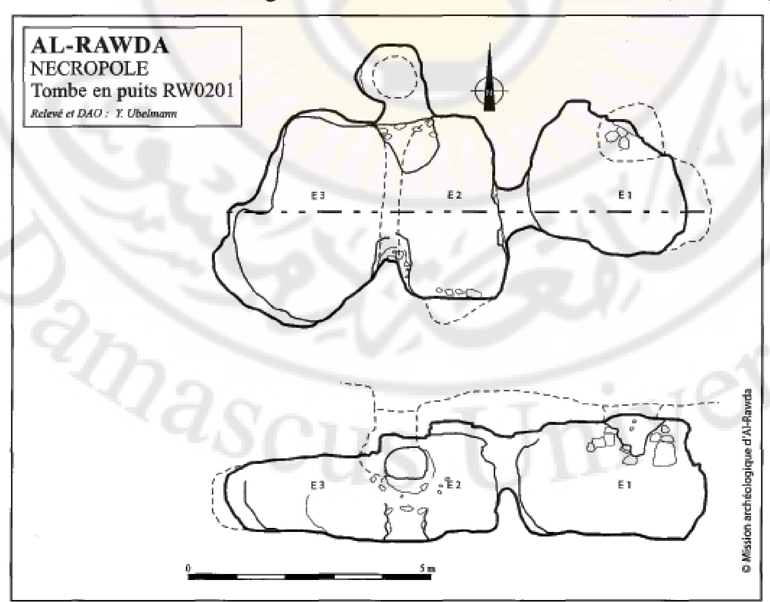
(١٦١) Castel, C., p. 40-42.

تنظيم المدينة:

تعود بداية الاستيطان في تل الروضة الى منتصف الألف الثالث ق.م (حوالي ٢٤٠٠ ق.م) خلال موجة التحضر التي عمت المنطقة في عصر البرونز القديم الرابع، ولكنه استمر لفترة قصيرة لا تتجاوز نهاية الألف الثالث[١٦٢]. يتألف الاستيطان من مدينة حديثة (بنيت خلال هذه الفترة وفق مخطط مسبق دون أن يكون الموقع مستوطناً في العصور السابقة). وهي دائرية الشكل على غرار الطراز المدني السائد في هذه الفترة (الشكل ٤٥). تقع مقبرة المدينة (Necropole) في الجهة الغربية خارج الأسوار (القطاع R ٢٠١). عثر فيها على قبر جماعي بشكل نفق أو بئر مؤلف من ثلاث حجرات مدفنية (الشكل ٤٦).

تبلغ مساحة المدينة ١١ هكتاراً داخل الأسوار (ولكن المساحة الإجمالية مع الأسوار تصل إلى ١٦ هكتاراً). يضاف إليها قطاع آخر خارج الأسوار تبلغ مساحته ٤ هكتارات .

تتميز هذه المدنية بنظام دفاعي معقد مؤلف من أربعة خطوط دفاعية تشكل طوقاً حول المدينة: سورين وخندقين. بني السوران الدفاعيان من اللبن غير المشوي على قاعدة من الألواح الحجرية (وحفظ السور الداخلي على ارتفاع ٢,٢٠م). يبعد السور الأول عن السور الثاني مسافة ١٠م. وقد سبقت هذه الأسوار بخندق مضاعف. يشير نظام التحصينات المعقد والضخم إلى دور المدينة الدفاعي في المنطقة (حيث إن مساحة هذه التحصينات تشكل ثلث المساحة الإجمالية للمدينة).



الشكل ٤٦: قبر نفقي في تل الروضة، عن: (Castel, C. *et al*. fig. 13).

(١٦٢) Castel, C. *et al*. 2008, p. 5.

للمدينة خمس بوابات رئيسية بني معظمها وفق الطراز السائد المعروف خلال الألف الثالث ق.م وهو نظام البوابات المحصنة بالأبراج (كما في البوابة الشمالية والشرقية). بنيت البوابة الشمالية مثل أسوار المدينة باللبن غير المشوي على قاعدة من الحجر، لها باب يبلغ عرض مصراعه ٣ م، يقع بين البرجين الجانبيين.

أما البوابة الشرقية (E239 E242، الشكل ٤٧) المحاطة أيضاً ببرجين دفاعيين (E238-E247) فلها بابان، للباب الخارجي ردفتان والداخلي أيضاً ردفتان (انظر أنجرة الأبواب الأربعة على المخطط)[١٦٣]. يتم الوصول إليها عبر رصيف مائل من خارج المدينة[١٦٤]. أما البوابة الجنوبية–الغربية (E 416) فقد بنيت في عرض السور وهي تشبه البرج المتقدم عن الأسوار (الشكل ٤٨) ولها أيضاً باب خارجي وآخر داخلي[١٦٥].

انتظمت الشوارع في شبكة خاصة تلائم شكل المدينة الدائري، حيث تتألف من شوارع دائرية تتقاطع مع شوارع أخرى مستقيمة على شكل نجمة أو شبكة. تحدد هذه الشوارع المنتظمة الأحياء السكنية في المدينة، وينقسم كل حي بدوره إلى عدة جزر أو قطاعات سكنية صغيرة ومنتظمة أيضاً. تدل كثافة البناء في المدينة على تعداد السكان المرتفع. تقع إحدى القطاعات السكنية المنقبة في تل الروضة في الجزء الجنوبي–الغربي (القطاع ٤، انظر الشكل ٤٨)، بنيت منازل هذا القطاع من اللبن على أساسات حجرية. عثر فيه على ثلاثة منازل. تبلغ مساحة المنزل (C 42) ١٥٠ م^2. وهو المنزل الأكبر في القطاع، تجاوره منازل أصغر ليس لها باحات داخلية. يقع مدخله في الجدار الشمالي. يفضي المدخل إلى باحة تتوزع الغرف على ضلعيها الغربي والشمالي–الغربي. بنيت الغرف الخدمية الصغيرة في الزاوية الجنوبية–الشرقية من الباحة. عثر فيها على منشآت التخزين والطبخ والمشاغل التي احتوت على مطاحن حجرية وبازلتية[١٦٦].

احتوت المدينة بالإضافة إلى المنازل والأحياء السكنية على ثلاثة أبنية رسمية كبيرة بنيت كلها وفق الطراز السوري المعروف باسم (in-antis)[١٦٧] يقع أكبرها مساحةً في القطاع ١ في الجزء الشمالي–الشرقي من التل (انظر مخطط المدينة في الشكل ٤٥). وهو مؤلف من بناء مستطيل بشكل طولاني. يقع المدخل في منتصف الضلع القصير بشكل متراجع عن واجهة البناء، لأن الجدران الطولانية تمتد فتتجاوز الواجهة وتشكل بذلك رواق أمامي أو غرفة مدخل ليس لها جدار رابع ومفتوحة على الخارج.

---

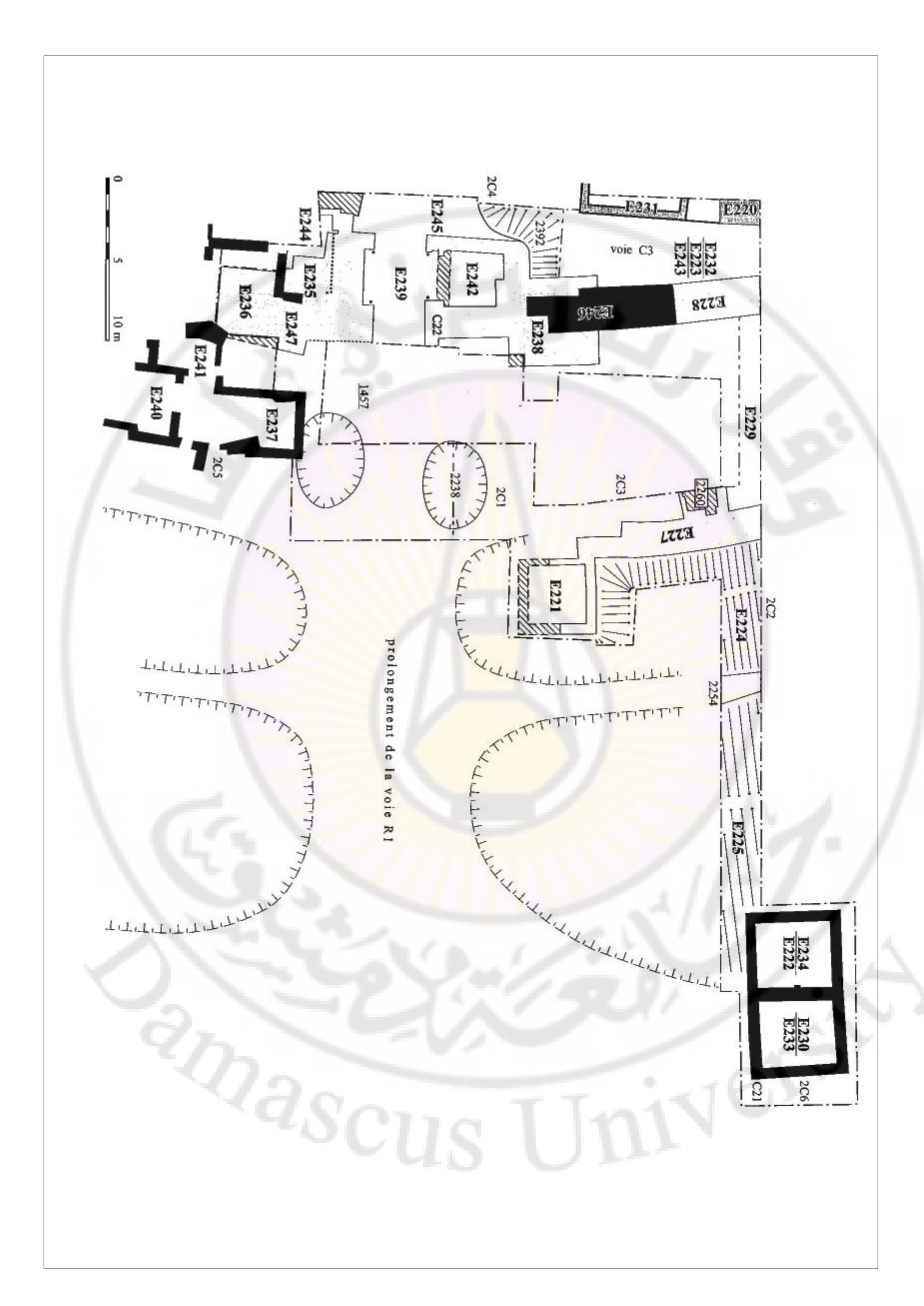
(١٦٣) النجران (Crapaudine) هو الثقب الذي يدور فيه عقب الباب وكان يصنع قديماً من الحجر ويقال له باللغة العامية زعرور الباب.

(١٦٤) Castel, C. *et al*. 2008, p. 28-31.

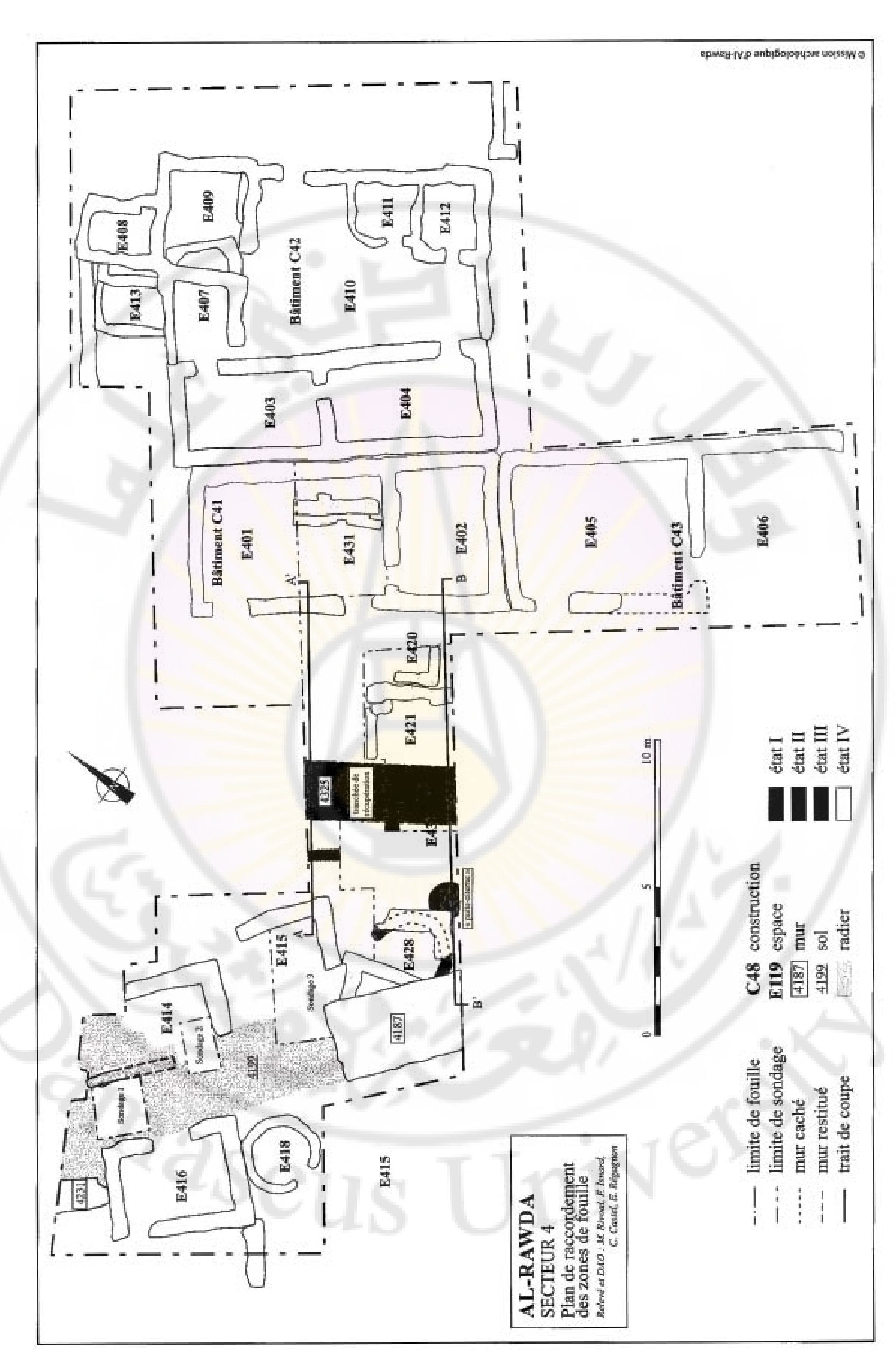
(١٦٥) *Ibid.*, p. 22.

(١٦٦) Castel, C. and Peltenburg, E. 2007, 604-605.

(١٦٧) فسرت أبنية هذا الطراز بأنها معابد ولكن خصائصها المعمارية تدل على أنها أبنية إدارية، انظر مباني منباقة وايمار (الفصل الثالث، عصر البرونز الحديث). للاستفاضة حول التحليل الوظيفي لهذا الطراز من الأبنية انظر: . Al Mhdi Al Tounsi, O.2013, p. 353-376.



الشكل ٤٧: بوابة تل الروضة الشرقية، عن: (Castel, C. *et al*. fig. 12).



الشكل ٤٨: البوابة الجنوبية والحي السكني في القطاع ٤، عن: (Castel, C. *et al*. fig. 8) .

احتلت مدينة الروضة المركز الإداري للمنطقة المحيطة بها، فقد أثبتت المسوحات الأثرية أن المنطقة المحيطة بتل الروضة كانت مؤهلة بشكل كثيف نسبياً، حيث عثر على العديد المستوطنات العائدة لعصر البرونز القديم الرابع في المنطقة المحيطة بالتل. وقد دلت الدراسات على أن هذه المواقع كانت تؤلف شبكة من أربعة مستويات: يتألف النوع الأول من المستوطنات من مزارع صغيرة غير مسورة، أما النوع الثاني فهي المواقع الصغيرة التي لا تتجاوز مساحة إحداها ١ هكتار. تليها مواقع أكبر تترواح مساحتها بين ٨ إلى ١٠ هكتارات، تقع على بعد ٣ كم من تل الروضة. تتبع هذه المستوطنات إلى مركز المنطقة وهو المدينة المحصنة الموجودة في تل الروضة[١٦٨]. وقد دلت الدراسات الأولية إلى أن بعض هذه المواقع سكنت بشكل جزئي خلال العام مما يدل على بنية السكان البدوية، أما بعضها الآخر فكانت مسكونة بشكل مستمر خلال العام.

٢-٣ الإمبراطورية الأكادية وعلاقتها بسوريا:

ظهرت خلال الألف الثالث ق.م أول "إمبراطورية" في الشرق الأدنى القديم وهي الإمبراطورية الأكادية التي قامت بهجوم على أنحاء واسعة من سوريا في القرن الثالث والعشرين ق.م. ضمت هذه الإمبراطوية تحت لوائها جميع دويلات-المدن السابقة في جنوب بلاد ما بين النهرين، فضلاً عن أجزاء واسعة من المناطق المجاورة. قام نارامسين وهو رابع الملوك الأكاديين بتأليه نفسه وهذه ظاهرة غير مسبوقة وأعطى نفسه لقباً عالمياً : ملك الجهات (جهات العالم) الأربع.

تأسست الإمبراطورية الأكادية من قبل سارجون حوالي ٢٣٥٠ ق.م الذي بنى عاصمته في مدينة أكاد بالقرب من كيش (لم يعثر عليها بعد). تشرح النقوش الملكية العائدة لهذا الملك كيف أعطاه الإله إنليل كل المنطقة الممتدة بين البحر الأعلى (البحر المتوسط) والبحر الأدنى (الخليج العربي-الفارسي) وهذا يعني خضوع ماري. وكيف أعطاه الإله دجن (إله توتول) البلاد العليا ومن ضمنها ماري وايراموتي (يرموتي) وإيبلا وصولاً إلى غابة الأرز (الأمانوس أو لبنان) وجبال الفضة (طوروس). تذكر النصوص الأخرى أيضاً -وخصوصاً نصوص حفيده نارامسين- حملات الأكاديين على سوبارتو (شمال بلاد الرافدين وشمال شرق سوريا). أما نصوص الملك شاركاليشاري وهو آخر الملوك الأقوياء في الإمبراطورية فتذكر معركة ضد الآموريين في منطقة جبل بشري شمال شرق تدمر. انتهت الإمبراطورية الأكادية عملياً حوالي ٢٢٠٠ ق.م (استمر وجود الملوك ولكن الدولة كانت تحتضر).

(١٦٨) Castel, C. *et al*. 2008, p. 39.

تشهد آثار سوريا على هذا الهجوم الجنوب رافدي كما تشهد أيضاً على وجود مركز إداري أكادي فيها. حيث لوحظت آثار دمار هائل وواسع النطاق في المواقع السورية الرئيسية خلال فترات معاصرة لعهد سارجون، مثل دمار القصر الملكي في إيبلا (القصر G) والقصر الملكي في ماري وقصر تل البيعة (توتول القديمة). وقد سميت هذه القصور المدمرة كلها في وثائق سارجون. كما عرف تل براك بأنه نقطة إدارية أكادية في المنطقة خلال عصر نارامسين. أحد أهم وأفضل الأمثلة على فترة السيطرة الأكادية أتت من تل براك (ناغار القديمة). حيث اختارها الحكام الأكاديين كمركز إداري لمنطقة الخابور الأعلى. وأظهرت حفريات ماكس مالوان خلال ثلاثينيات القرن المنصرم أساسات ضخمة تعود لبناء مربع الشكل يغطي مساحة ١ هكتار، تحتوي على لبنات منقوشة باسم نارامسين وهو البناء المسمى "قصر نارامسين". يتألف المبنى من غرف ضيقة طويلة تتوزع حول باحات مربعة وكبيرة، وهي تدل على وظائف تخزين وعلى وظائف إدارية مرتبطة على الأغلب بالضرائب التي تدفعها المنطقة المجاورة لتل براك، والتي تخزن في هذا المبنى وتستخدم لتمويل قطع الجيش السارجوني.

في تل ليلان (شمال شرق تل براك) ارتبط استيطان الفترة (IIb) بالسيطرة الأكادية. حيث عثر في المنطقة الدينية في الأكربول على رقيم وختم منقوشين بالأكادية القديمة، وهي اللغة الرسمية لإمبراطورية سارجون. كما أن آثار الهيمنة الأكادية في منطقة الخابور العليا ظهرت أيضاً في تل موزان (أوركيش القديمة). حيث عثر على لبنات أبواب مختومة وطبعات أختام تحمل اسم تارعام-أكاد وهي ابنة نارامسين. كما عثر أيضاً على رقم كتبت بالأكادية القديمة في تل موزان وفي شاغار بازار. أما ماري فكانت محكومة من قبل الشاكاناكو وهم حكام معينون من قبل الملوك الأكاديين. ومن الملاحظ أن الثقافة المادية السارجونية أو الأكادية في سوريا كانت تقتصر على الأختام والنصوص الكتابية وبعض نماذج الفن. ولكن الثقافة المادية كانت محلية الطابع كالفخار وغيره على العكس من فترة توسع أوروك وعلى العكس من عيلام التي كان مجتمعها يقلد الفخار الرافدي تماماً.

على العموم تدل آثار براك والمواقع الأخرى على وجود الإدارة التابعة للإمبراطورية الأكادية في منطقة الخابور وماري ولكن ليس في الغرب. كانت الدولة الأكادية مسؤولة عن القضاء على السلطات المركزية والمؤسسات القوية في إيبلا وتل البيعة (توتول) وماري وبراك (ناغار). وقد كان التأثير كارثياً في بعض المناطق مثل منطقة الخابور الأوسط، الذي شهد انهياراً عاماً في الاستيطان حوالي ٢٣٠٠-٢٢٠٠ ق.م. ولكنه لم يكن كارثياً في المناطق الأخرى مثل الفرات الأوسط وغرب سوريا. حيث استمرت الحياة الحضرية حتى نهاية الألف الثالث ق.م.

٢-٤ أهم مواقع الألف الثالث ق.م في المناطق الأخرى من بلاد الشام:

٢-٤-١ فلسطين:

يتميز عصر البرونز القديم الأول في فلسطين (الشكل ٤٩) بأنه يحمل خصائص حضارية موروثة من المرحلة السابقة (الحجري النحاسي المتأخر) كاستمرار استخدام بعض المخططات المعمارية في العمارة السكنية واستمرار ثقافة القرى. ولكنه يتميز أيضاً بأنه يحمل عناصر تجديد منها زيادة في عدد المستوطنات والسكن في مناطق جديدة لم تكن مأهولة سابقاً. حيث هجرت معظم مواقع الاستيطان العائدة للألف الرابع ق.م في المناطق الصحراوية والشبه صحراوية من فلسطين في بداية الألف الثالث ق.م وظهرت مستوطنات جديدة في المناطق الساحلية.

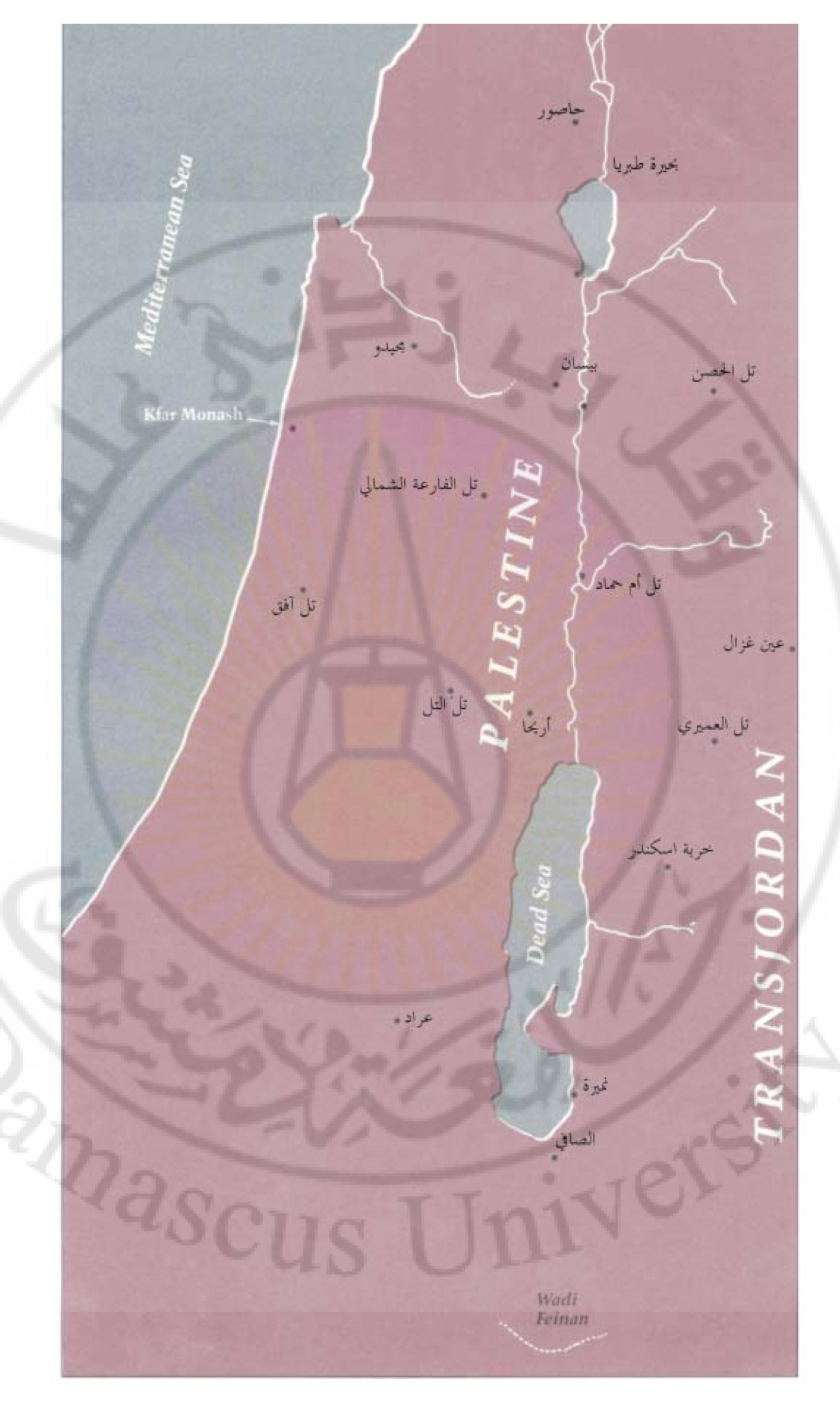
بقيت المنطقة الجنوبية من بلاد الشام متأخرة نسبياً عن المنطقة الشمالية ففي حين ظهرت المدن الأولى خلال الألف الرابع ق.م (النهضة المعمارية الأولى) في شمال شرق سوريا (بدءاً من المدن في كل من حمو كار وتل براك وصولاً إلى حبوبة الكبيرة وجبل عارودة)، يعود ظهور المدن الأولى في فلسطين إلى بداية الألف الثالث ق.م.

تظهر الدراسات الأثرية أن الاستيطان في بعض المواقع الهامة في فلسطين (تل التل، تل الفارعة الشمالي وتل عِرَاد) كان قد استمر دون انقطاع، حيث تحولت هذه المواقع من قرى غير مسورة إلى مدن محصنة في بداية الألفية.

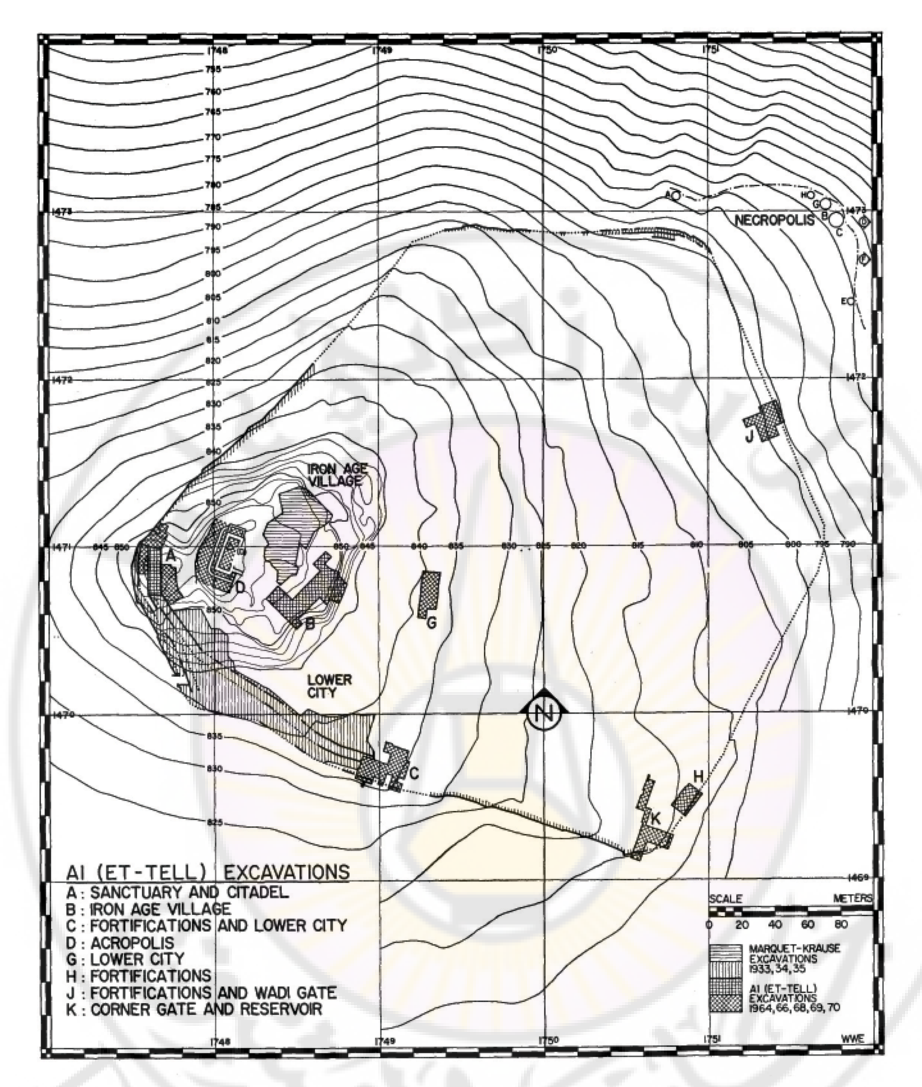
٢-٤-٢ تل التل:

يقع تل التل في فلسطين شمال القدس (الشكل ٥٠)، على بعد حوالي ٣ كم من قرية بيتين الحديثة، في منطقة هضبية تشرف على وادي الأردن وعلى موقع أريحا الواقع على بعد ١٤ كم شرقاً منه. تبلغ مساحته حوالي ١١ هكتار وهو من أهم المواقع الفلسطينية التي ظهر فيها الاستقرار منذ العصر الحجري-النحاسي واستمر خلال المراحل الثلاثة الأولى من عصر البرونز الباكر. حيث تحول هذا الاستيطان من قرية غير مسورة إلى مدينة منظمة ومحصنة خلال الربع الأول من الألف الثالث ق.م. ولكن الاستيطان انقطع بحوالي ٢٤٠٠ ق.م ولم يعد السكن للتل حتى عصر الحديد الأول[١٦٩].

(١٦٩) Callaway, J. and Livingston, G.H. 1970, p. 12-19.



الشكل ٤٩: خريطة توزع المواقع في فلسطين، عن: (Richard, S. 1987, p. 26).



الشكل ٥٠: تل التل، عن: (Callaway, J. A. and Schoonover, K. 1972, fig. 1).

تاريخ التنقيبات:

بدأت أولى الأعمال الأثرية في تل التل عام ١٩٢٨ بإدارة الباحث الإنكليزي الشهير جون جارستانغ (J. Garstang)، ولكن نتائج هذه الحفرية لم تنشر نهائياً. ثم نقب التل مرةً أخرى بين عامي ١٩٣٣ و ١٩٥٥ على يد الباحثة جوديت ماركيه كراوس (J. Marquet-Krause). وفي تاريخ أحدث تابعت الأعمال الأثرية بعثة أمريكية بين عامي ١٩٦٤ و١٩٧٠ بإدارة الباحث جوزيف كالويه (J. Callaway). ممولة من المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية (American Schools of Oriental Research).

تنظيم المدينة:

ظهرت ملامح المدن في تل التل خلال الفترة ٣ المؤرخة بالبرونز القديم الثاني. حيث أحاطت التحصينات بكامل المدينة (١١ هكتاراً)، وهي عبارة عن سور بعرض ٤ أمتار تتخلله بوابات يبلغ عرض الواحدة ١ م. حميت هذه البوابات بأبراج بيضوية ودائرية الشكل[١٧٠].

يحتوي الأكربول على بناء مستطيل بشكل عرضاني (يقع المدخل في منتصف الجدار الطويل) الذي فسرت وظيفته على أنه "معبد" (انظر الشكل ٥٠). ولكنه لا يقدم أدلة قاطعة تجزم بأن وظيفته دينية، بل إن مخططه مطابق لمخططات المنازل الموجودة في الموقع والتي تميز بداية البرونز القديم في فلسطين وفي بعض مواقع الفرات السوري (انظر لاحقاً). تحتوي المدينة المنخفضة على قطاعات سكنية تمتد من سفح الأكربول الشرقي، عثر فيها على أفران ومواقد وغيرها من المعدات الضرورية كجرار التخزين ومطاحن الحبوب.

انتهت المرحلة ٣ في تل التل بدمار شامل، فأعيد بناؤها لاحقاً خلال المرحلة ٤. حيث أعيد بناء "المعبد" في نفس المكان (على التل المرتفع، القطاع A). وشهدت الأسوار عملية تقوية وترميم. انتهت هذه المدينة أيضاً بدمار شامل يعتقد بأن سببه هو تعرضها لزلزال مدمر عام ٢٧٢٠ ق.م (حسب الكربون ١٤).

تتميز المدينة اللاحقة (برونز قديم ثالث) ببعض التغيرات التي طرأت عليها، منها مثلاً تغير طفيف في نظام الأسوار وشكل البرج المجاور لبوابة الأكربول في الجزء الغربي من الموقع (القطاع A)، الذي أصبح مستطيلاً تبلغ أبعاده ٣٠ X ٨٠ م). انتظم فيها العمران في المنطقة المحاطة بهذه الأسوار، حول بناء هام هو حوض مفتوح استخدم كخزان لتجميع مياه الأمطار.

٢-٤-٣ تل عِرَاد:

يقع تل عِرَادَ في الجزء الجنوبي من فلسطين وهو أحد مواقع الجزء الشمالي من صحراء النقب (الشكل ٤٩، الشكل ٥١)، على بعد ٢٥ كم غرباً من البحر الميت و ٣٠ كم إلى الشمال الشرقي من بئر السبع. تبلغ مساحته ١٠ هكتارات، حيث اشتهرت فيه مدينة محصنة مؤرخة من بداية عصر البرونز القديم. كان لهذا الموقع دور اقتصادي هام واشتهر بعلاقاته التجارية مع سيناء ومصر. نقب الموقع خلال ثمانية عشر موسماً بدءاً من الستينات وحتى الثمانينيات من القرن الماضي.

---

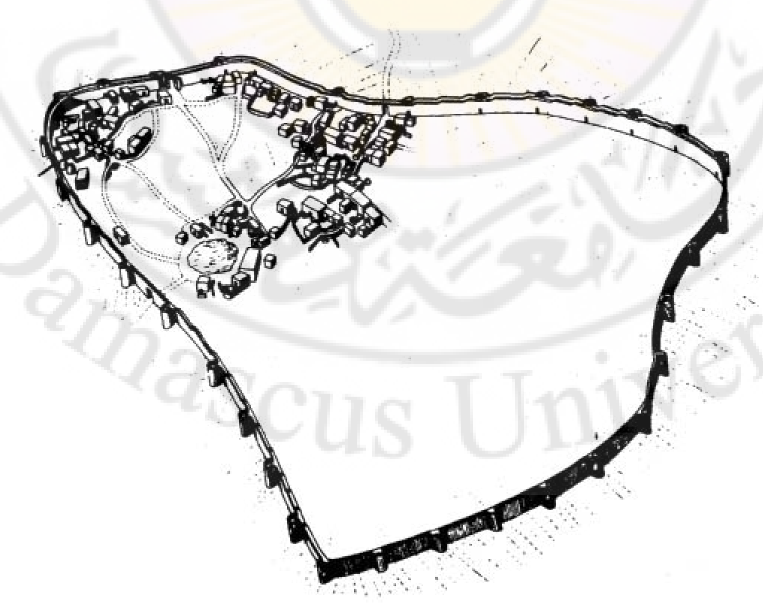
(١٧٠) Callaway, J. and Schoonover, K. 1972, p. 41-53.

تنظيم المدينة:

أعطت المدينة المكتشفة في تل عِرَادَ خلال السويتين ٢ و ٣ العائدة لعصر البرونز القديم الثاني أفضل الأمثلة على تخطيط المدن في هذه الفترة (الشكل ٥١). أحيطت بسور دفاعي بعرض ٢,٤ م يحتوي على أبراج ذات شكل نصف دائري متباعدة عن بعضها بمسافات موحدة. يعكس تنظيمها وعمارة بعض أبنيتها الضخمة مجتمعاً طبقياً منظماً، حيث انتظم العمران حول الحيز المركزي من الموقع وخدمته شبكة من الشوارع المنتظمة التي تفصل بين قطاعات سكنية متباينة في طبيعتها.

يحتل مركز المدينة خزان ماء كبير إضافةً للأبنية العامة الكبيرة التي لا تقع على مرتفع أو تل وإنما في مركز المدينة بالقرب من خزان المياه المركزي. مما يدل على وجود سلطة مركزية تنظم توزيع المياه وتقوم بممارسة الإدارة. تشهد على هذه التراتبية أيضاً المباني السكنية، فالمنازل غير متشابهة تماماً، حيث تقع المنازل الكبيرة وذات التنظيم الجيد في القسم الشمالي من الموقع أما المنازل الأصغر حجماً والأقل تنظيماً فتقع في الجزء الجنوبي من الموقع.

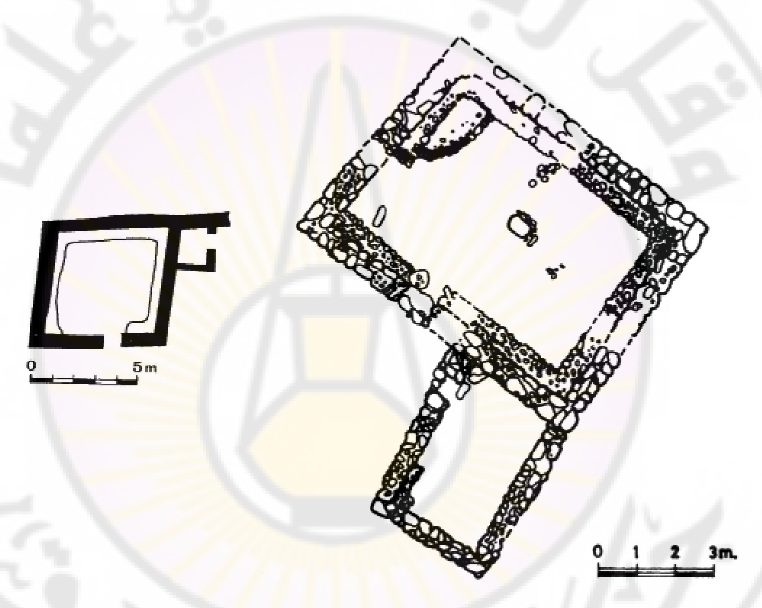
يتضح تخطيط المدينة خلال السويتين ٢و٣ أيضاً من خلال تنظيم الشوارع والقطاعات السكنية. حيث تقع الشوارع الرئيسية بشكل موازٍ لأسوار المدينة في المحيط تصل إليها شبكة من الشوارع العامودية المنطلقة من مركز المدينة إلى محيطها.



الشكل ٥١: عِرادَ، عن: (Richard, S. 1987, p. 29).

تميزت المنازل في عراد بأنها أحادية الغرف وهي ذات جدران مستقيمة. تتميز أيضاً بأنها مستطيلة بشكل عرضاني أي أن مدخلها الوحيد يقع في منتصف الجدار الطويل (الشكل٥٢).

أعطى موقع عراد الكثير من المنازل ذات الغرف الأحادية والشكل المستطيل عرضانياً فأطلق قديماً على هذا الشكل المعماري اسم "منزل عراد". ولكن العديد من المواقع الفلسطينية أعطت نماذجَ من البيوت التي بنيت وفق ذات المخطط منها تل الفارعة الشمالي وأريحا وامتد هذا النمط حتى سيناء في الجنوب (تل النبي صلاح، المؤرخ بعصر البرونز القديم الثاني)، فضلاً عن مواقع الجزء الشمالي من بلاد الشام (كمنازل تل حلاوة ب).

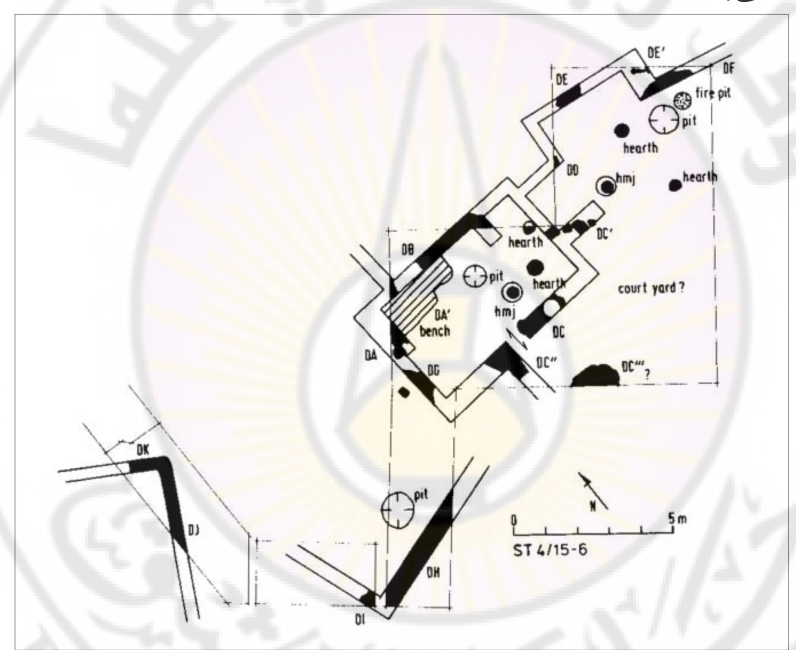


الشكل ٥٢: مخطط المنازل أحادية الغرف في تل عِرادَ وتل الفارعة الشمالي. (Beit-Arieh, I. 1981, fig. 3.a).

استمر استخدام هذا المخطط في بناء المنازل في فلسطين حتى عصر البرونز القديم الثالث في عدد من المدن الهامة كمدينة حاصور. كما ظهر هذا الطراز في القرى العائدة للبرونز الباكر كالقرية المؤرخة بالبرونز القديم الثالث في موقع أم حماد في وادي الأردن. حيث أظهرت السوية٤ (EB II) منازلاً سكنية يتألف أحدها من غرفة مستطيلة بشكل عرضاني، وبمدخل على الضلع الطويل، بالإضافة إلى مصطبة مبنية بشكل ملاصق للجدار العرضاني المقابل للمدخل (انظر الشكل ٥٣). يحتوي المنزل على جدار فاصل لتقسيم الغرفة الرئيسية وللحصول على غرفة جانبية. عثر فيه على أفران، بالإضافة إلى جرة ماء كبيرة مدفونة في أرض الغرفة الرئيسية بالقرب من المدخل[١٧١].

(١٧١) انظر : Betts, A.V.G. 1992, p. 35, fig. 41

تشترك المنازل العائدة لهذا الطراز بمميزات عامة أهمها العرض المتراوح بين ٢,٧٥ و ٥ م والطول بين ٥,٥ م و١٠ م. ترتبط أحياناً بغرفة خدمية صغيرة ومن الممكن أيضاً أن تكون مسبوقة بباحة خارجية. وهي مؤثثة بمصاطب على طول الجدران يتراوح عرضها بين ٠,٦٠ و ٠,٧٠م. مزودة بأثاث منزلي مكون من الأفران والمخازن والحفر والمواقد. وعلى الرغم من أن معظمها عبارة عن بيوت وحيدة الغرف ولكن بعضها احتوى على غرفة صغيرة ملحقة بالغرفة الرئيسية (الشكل ٥٣). وامتازت بأبوابها التي تفتح إلى الداخل متبوعة بدرجتين أو ثلاثة لأن الأرضية تنخفض عن مستوى الشارع، عثر بداخلها على قاعدة لدعامة أو عمود يحمل السقف.



الشكل ٥٣: منزل من عصر البرونز القديم الثاني في موقع أم حماد، عن: (Betts, A.V.G.,1992, fig. 41).

٢-٤-٤ تل الفارعة الشمالي:

يقع تل الفارعة الشمالي في فلسطين على بعد ١ كم تقريباً إلى الشمال من تل بلاطة في نابلس على طريق تجاري قديم ربط منطقة نهر الأردن مع منطقة جبال السامرة (الشكل٥٤). تبلغ مساحته حوالي ٦,٥ هكتاراً. كان مأهولاً بالسكان خلال أول مرحلتين من العصر البرونزي الباكر ومحصناً خلال المرحلة الثانية منه. هجرت المدينة في منتصف الألف الثالث ق.م ولم يعد الاستيطان للموقع حتى عصر البرونز الوسيط[١٧٢].

(١٧٢) de Vaux 1971.



الشكل ٥٤: تل الفارعة الشمالي، عن: (Richard, S. 1987, p. 25).

نقب الموقع خلال تسعة مواسم من قبل الباحث الفرنسي دو فو (de Vaux) بين عامي ١٩٤٦ و ١٩٦٠.

تنظيم المدينة:

يعتبر تل الفارعة الشمالي مثالاً آخراً على التخطيط المدني الواضح خلال عصر البرونز القديم الثاني في جنوب بلاد الشام (الشكل ٥٤). كانت الشوارع مبلطة تفصل بين قطاعات سكنية احتوت على منازل مستطيلة (الشكل ٥٣)، عثر في العديد منها على مصاطب وعلى صفوف من قواعد الأعمدة الداعمة للسقف. تميزت المدينة الواقعة في تل الفارعة الشمالي أيضاً باحتوائها على مشغلين لصناعة الفخار وعلى موقدين لشي الفخار يتألف كل واحد منهما من طابقين لفصل الأواني المراد شيها عن التماسها بالنار مباشرةً. مما يشهد على التخصص في إنتاج الفخار (صناعة غير سكنية وغير مخصصة للاكتفاء الذاتي).

تشتهر المدينة بأسوارها (يبلغ عرض السورفي مرحلته الأولى ٢,٦٠-٢,٨٠م) التي رممت عدة مرات خلال هذه الفترة ودعمت بساتر الترابي. يبلغ عرض الأسوار في الجزء الجنوبي من الموقع ٨,٥٠م (مع الساتر). واشتهرت ببوابتها المؤلفة من غرفتين والمحمية ببرجين (يبلغ طول الواحد منها ١٠م)، بينهما ممر عريض للعبور (عرضه ٤م في الجزء الخارجي و٢م في الجزء الداخلي)[١٧٣].

٢-٥ نهاية الألف الثالث ق.م:

شهدت المجتمعات المتمدنة في سوريا في العقود الأخيرة من الألفية الثالثة ق.م حالة ضغط وانهيار، فهجرت العديد من مواقع الخابور في فترة متزامنة تقريباً أو لاحقة مباشرةً للوجود الأكادي في سوريا. حيث هجر تل ليلان والمواقع المجاورة له مثل خويرة وبيدر وأبو حجيرة وكل المواقع المنقبة في منطقة الخابور الأوسط بحوالي ٢٢٠٠ ق.م، عدا موقعي تل براك وتل موزان. في غرب سوريا ظهرت آثار تفكك النظام الحضري السائد بحوالي ٢٠٠٠ ق.م الموافقة لنهاية إيبلا IIB2 أو لنهاية عصر البرونز القديم الرابع ب. تعرضت بعض المواقع لحريق مثل إيبلا وغيرها وتقلص الاستيطان فيها كثيراً أو هجرت جزئياً أو كلياً مثل تل أحمر وتل أم المرا وحمام التركمان وتل حديدي. ولم تكن هذه الظاهرة فريدة في سوريا، لأنها لوحظت أيضاً في مناطق أخرى مثل فلسطين، ومصر وقبرص والأناضول وبحر إيجة.

وضعت الكثير من النظريات التي تفسر الانهيار الحضري في نهاية الألف الثالث ق.م في سوريا، أحدها: تغيرات الطقس حيث ساد الجفاف مما أثر سلباً على النظام الزراعي الذي تقوم على أساسه المجتمعات المتمدنة.

ولكن انهيار المجتمعات الحضرية في وقت متأخر من الألف الثالث ق.م كان له استثناءات واضحة، فبعض المراكز الحضرية ازدهرت خلال فترة كانت فيها بعض المراكز الأخرى تنهار. تذكر النصوص التي عثر عليها في منطقة الخابور وجود مملكة أوركيش (تل موزان) في الفترة التي تلي فترة السيطرة الأكادية (Post-Akkadian) كما أن النصوص توضح أسماء الملوك الذين حكموا ناغار /تل براك، وهي أسماء حورية. مما يدل على أن أوركيش وناغار كانتا في ازدهار في ذلك الوقت المتأخر من الألف الثالث ق.م. وعلى الأغلب فإن الحوريين الذين ظهروا في وقت متأخر من الألف الثالث ق.م في أجزاء من بلاد الرافدين وسوريا كانت أصولهم من شرق جبال طوروس أو غرب مرتفعات زاغاروس. على الرغم من أن الأدلة الأثرية ليست كافية ولكن يبدو أن براك ازدهرت في فترة ما بعد السيطرة الأكادية كواحدة من مراكز القوة التابعة لكيان أوركيش-ناغار[١٧٤].

(١٧٣) Wright, G. E. 1971, p. 284.
(١٧٤) Akkermans, P. and Schwartz, G. 2003, p. 282-285.

الفصل الثالث

٣-الألف الثاني ق.م (عصري البرونز الوسيط والحديث):

عصر البرونز الوسيط الأول	٢٠٠٠-١٨٠٠ ق.م
عصر البرونز الوسيط الثاني	١٨٠٠-١٦٠٠ ق.م
عصر البرونز الحديث الأول	١٦٠٠-١٥٥٠/١٤٥٠ ق.م
عصر البرونز الحديث الثاني	١٤٥٠-١٣٥٠ ق.م
عصر البرونز الحديث الثالث	١٣٥٠-١٢٠٠ ق.م

٣-١ عصر البرونز الوسيط

بعد الاضطراب والارتباك اللذين رافقا نهاية الألف الثالث ق.م وصل عصر البرونز القديم أو الباكر إلى نهايته. في العصر اللاحق، عصر البرونز الوسيط المؤرخ ب ٢٠٠٠-١٦٠٠ ق.م نجد أنفسنا في مواجهة سؤال هام: كيف قامت المجتمعات السورية المعقدة بإعادة إحياء نفسها بعد الانهيار؟ على الرغم من عدم وجود أسباب واضحة إلا أنه بإمكاننا افتراض نجاة بعض الكيانات الإدارية الصغيرة في المنطقة، إضافةً لتحسن المناخ.

ظهرت في وثائق القرون الأولى من الألف الثاني ق.م أسماء حكام آموريين بالإضافة إلى انتشار اللغة السامية في منطقة سوريا وبلاد الرافدين وهي عائدة أو مرتبطة بكيانات سياسية واضحة، أحد أهم ممثليها شمشي حدد، مؤسس أول إمبراطورية شمال رافدية حوالي ١٨٠٠ ق.م. والملك المعاصر له حمورابي في بابل. كان هؤلاء الملوك أحياناً يذكرون قرابتهم أو نسبهم لملوك آموريين آخرين مثل حمورابي الذي ذكر بأنه من سلالة شمشي حدد.

من هم الآموريون؟ إن أول ذكر مسجل في النصوص الأثرية لجماعة "مارتو" أي الآموريون كان في نصوص منتصف الألف الثالث ق.م حيث كان هذا الذكر مرتبطاً بجبل بشري، وهي منطقة صحراوية تقع شمال شرق تدمر. في نهايات الألف الثالث ق.م شكلت

جماعات الآموريين خطراً على ملوك سلالة أور الثالثة في بلاد ما بين النهرين، لذلك قام هؤلاء الملوك ببناء "جدار ضخم" بين دجلة والفرات سمي ب "جدار مارتو". وعلى الرغم من أن الآموريين شكلوا في بلاد الرافدين خطراً خارجياً إلا أن أفراداً منهم كانوا يعملون بشكل فعّال داخل بلاد ما بين النهرين الجنوبية فوصل بعضهم إلى مناصب سياسية عليا. بعد انهيار مملكة أور وملوك عصر البرونز القديم في سوريا، وجد الأموريون كحكام في كامل المنطقة الممتدة من البحر الأبيض المتوسط إلى الخليج العربي-الفارسي. وقد أسس الأموريون دولتين قويتين في سوريا في بداية الألف الثاني ق.م وهما يمحاض وعاصمتها حلب وقطنا (المشرفة).

يقسم عصر البرونز الوسيط في سوريا إلى عصر البرونز الوسيط الأول (٢٠٠٠-١٨٠٠ ق.م) وعصر البرونز الوسيط الثاني (١٨٠٠-١٥٠٠ ق.م)، هذا ما يقابل في سويات إيبلا: مرديخ IIIA (برونز وسيط ١) و مرديخ IIIB (برونز وسيط ٢). تتميز هذه الفترة بحدوث انقطاع عام بين الثقافة المادية للبرونز القديم وثقافة البرونز الوسيط، حيث أبرز الفخار اختلافاً واضحاً في الأشكال والتزيينات وطرق التصنيع، كذلك الأمر بالنسبة للتماثيل الطينية التي أصبحت بأشكال مختلفة. فضلاً عن العمارة، حيث تغيرت مخططات البيوت وتنظيم المدن (اختلاف العمران). ولكن معطيات التنقيب الحديثة في مواقع الفرات الأوسط مثل تل كبير والصويحات وتل حديدي بدأت تعطينا صورة أوضح عن الانتقال التدريجي فيما يتعلق بالفخار على الأقل في هذه المواقع.

يتميز فخار الألف الثاني ق.م بأنه أكثر خشونة من فخار الألف الثالث ق.م وبأن صناعته أقل دقة من السابق وبأن جدران الأواني أثخن وعجينته أخشن ودرجات شيّه كانت منخفضة أكثر. أما الأشكال فكانت أقل عدداً وتنوعاً من السابق وكذلك الأمر بالنسبة للتزيينات. استخدمت العجلة السريعة في صناعة هذا الفخار وخصوصاً لصناعة الجرار الكبيرة وقدور الطبخ. من أكثر أشكال فخار البرونز الوسيط الأول تداولاً هي الطاسات قليلة العمق ذات الحواف المقلوبة للخارج وجسم مقعر، هي طاسات مسطحة القاعدة، أما الأواني الأكبر فجزؤها العلوي مفتوح بشكل كبيرة وشفاهها مقلوبة للخارج، وهي غالباً منقوشة في الأعلى. كما أن الجرار لها أعناق طويلة وحواف منقوشة. أما الجرار الأكبر حجماً فهي غالباً ما تكون مزينة بخطوط أفقية أو متموجة[١٧٦].

شهد النصف الأول من الألف الثاني (٢٠٠٠-١٦٠٠ ق.م) ظهور الممالك الآمورية التي كانت تتصارع للسيطرة على الممرات الاستراتيجية، التي تضمن استمرار مسيرة الطرق التجارية التي تربط مناطق شرق البحر المتوسط من جهة والعالم الرافدي والهضبة الإيرانية وسهل

(١٧٦) للتوسع حول فخار عصر البرونز الوسيط انظر : المقدسي، م. ٢٠٠٦/٢٠٠٧، ص. ٥٥-٨٠.

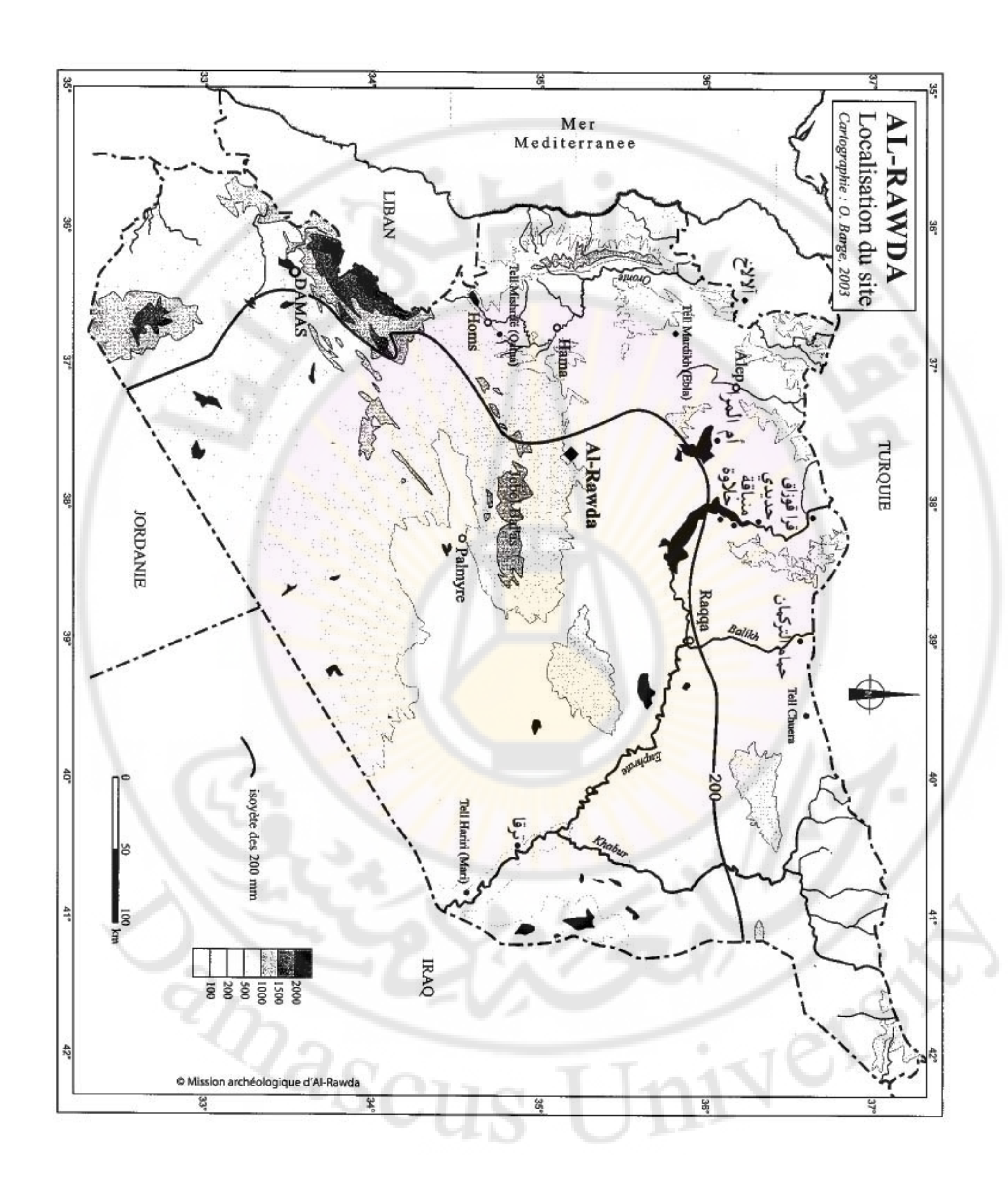
السند والهضاب الأفغانية من جهة أخرى. ولقد أنتج نظامها الإداري الكثير من النصوص المكتوبة، كماري وآلالاخ وليلان (مدينة شوباط انليل القديمة). كانت عواصم هذه الممالك هي المدن المهمة ولكنها كانت تتحكم بمناطق أوسع وتقوم بممارسة إشراف إداري أكثر مباشرةً مما كان سائداً في الألف الثالث ق.م. أهم هذه القوى الإقليمية هي يمحاض وقطنا في الغرب (الشكل ٥٥)، وإمبراطورية شمشي حدد في الشرق بالإضافة إلى ماري وخليفتها مملكة خانا في الجزيرة السورية. سيطر ملوك يمحاض (عاصمتها حلب) على منطقة تمتد من البحر المتوسط إلى وادي الفرات الأوسط ولكنهم كانوا يتدخلون في سياسة المنطقة الشرقية أيضاً وكذلك منطقة الجنوب الرافدي. ولعله من أهم أسباب ازدهار هذه المملكة هو موقعها الاستراتيجي المهم في نقطة تقاطع طرق التجارة الشمالية-الجنوبية مع الطرق الشرقية-الغربية، هذا بالإضافة لأراضيها الزراعية الغنية فهي كانت مسيطرة عملياً على كامل المنطقة الغربية الوسطى من سوريا، كما كانت حاصور مسيطرة على شمال فلسطين. أما مملكة قطنا فكانت مسيطرة على منطقة العاصي حتى حدود البادية من الشرق وفجوة حمص من الغرب. ومملكة آبوم في منطقة دمشق وحوضي بردى والأعوج. ومملكة آمورو عند الساحل المتوسطي بين سهل عكار شمالاً ومرفأ جبيل جنوباً.

٣-١-١إيبلا:

بعد انهيار إيبلا في نهاية الفترة 2IIB، تمتعت المدينة بفترة قوة وازدهار مرةً أخرى في بداية الألف الثاني ق.م. كما شهدت أيضاً تغيراً في العمران، حيث اختلف شكل المدينة من الدائري إلى المضلع (الشكل ٣١). وأحيطت المدينة بتحصينات خارجية هي عبارة عن ساتر دفاعي من الطين كُسي بسطح حجري بارتفاع ٢٢ م وبسماكة ٤٥ م بني في فترة إيبلا IIIA (كذلك الأمر بالنسبة للبوابة الجنوبية الغربية التي ينسب بناؤها لذات الفترة).

احتوت التحصينات على أربع بوابات: البوابة الشمالية-الغربية (بوابة حلب)، البوابة الشمالية-الشرقية (بوابة الفرات)، البوابة الجنوبية-الشرقية (بوابة البادية)، البوابة الجنوبية-الغربية (بوابة دمشق) وهي البوابة الأفضل حفظاً. ارتبطت بوابة دمشق بالطرق المؤدية إلى قطنا ودمشق في الجنوب، أما بوابة حلب فارتبطت بالطرق المؤدية إلى حلب وكركميش شمالاً. وبوابة الفرات فارتبطت بالطريق المتجه شمال-شرق باتجاه نهر الفرات حيث يمكن الوصول إلى إيمار وتوتول، أما بوابة البادية فتصل إلى المنطقة الجافة في الشرق والجنوب الشرقي من إيبلا[١٧٧].

(١٧٧) Pinnok, F. 2001, p. 13-33.



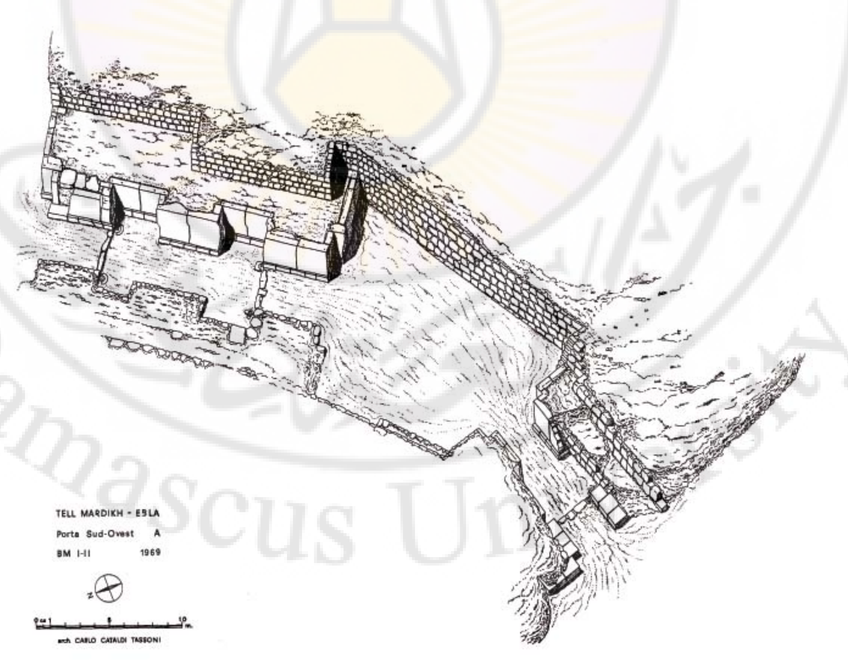
الشكل ٥٥: توزع مواقع الألف الثاني ق.م

تتألف **البوابة الجنوبية الغربية** (الشكل ٥٦) من جزء خارجي (البوابة الخارجية) ذي غرفة واحدة وزوجين من الركائز المتقابلة، وجزء داخلي (البوابة الداخلية) مؤلف من غرفتين وثلاثة أزواج من الركائز المتقابلة وباحة ذات شكل شبه منحرف بين البوابتين (أو بين الجزأين، طولها ١٥ م). تتميز الأقسام السفلية من جدران البوابة الداخلية بأنها مكسوة بألواح حجرية منحوتة يطلق عليها اسم "الأورتوستات Orthostat).

أما الشوارع فقط انتظمت في مدينة إيبلا بدءاً من بوابات المدينة الأربعة وصولاً إلى الأكربول، كما أن الشوارع الرئيسية في المدينة المنخفضة انتظمت بشكل طولاني شمال-جنوب وعرضاني شرق-غرب كما فضلاً عن الممرات الضيقة التي تؤدي إلى البيوت.

تنظيم المدينة:

كانت المدينة المرتفعة على التل المركزي محاطة أيضاً بتحصينات خاصة مبنية من الحجر واللبن، وهي تضم قصر ومعبد (الشكل ٣١). تتألف تحصينات المدينة المرتفعة من الأسفل إلى الأعلى: قاعدة حجرية قوية، ساتر مرتفع من الطين المدكوك وفي الأعلى جدار من الحجر واللبن.



الشكل ٥٦: البوابة الجنوبية-الغربية إيبلا، عن: (Huot, J.-L. 2004, p. 36).

يقع قصر الأكربول في الجزء الشمالي منه (وهو المسمى بالقصر E) ويقع المعبد في الجزء الغربي منه وهو معبد عشتار (أو المعبد D). كان الأكربول محاطاً بسلسلة مبانٍ دينية وقصور في المدينة المنخفضة، التي كانت بدورها محاطة بالتحصينات الخارجية. تتألف هذه المباني من : المعبد الصغير N، القصر P والمعبد P2، والمبنى الشعائري أو الديني P3 المخصص لعشتار، ثم القصر الكبير Q، والمعبدB1 والمبنى الديني أو المعبد B2. إلى الجنوب الشرقي من الأكربول يوجد حي سكني في المدينة المنخفضة، كما يتوضع قطاع سكني آخر في الجزء الغربي، بالقرب من التحصينات. ذكرت تحصينات إيبلا وغيرها من تحصينات المدن المهمة خلال الألف الثاني ق.م في الوثائق الحورية الحثية، وهي ملاحم كتبت بلغتين اكتشفت في العاصمة الحثية حاتوشا (مدينة بوغازكوي في وسط الأناضول). على الرغم من أن النصوص تذكر تبعية إيبلا لمملكة يمحاض خلال عصر البرونز الوسيط الثاني إلا أنها كانت مركزاً قوياً، لملوكه السلطة والقدرة المادية على بناء هذه المنشآت الضخمة.

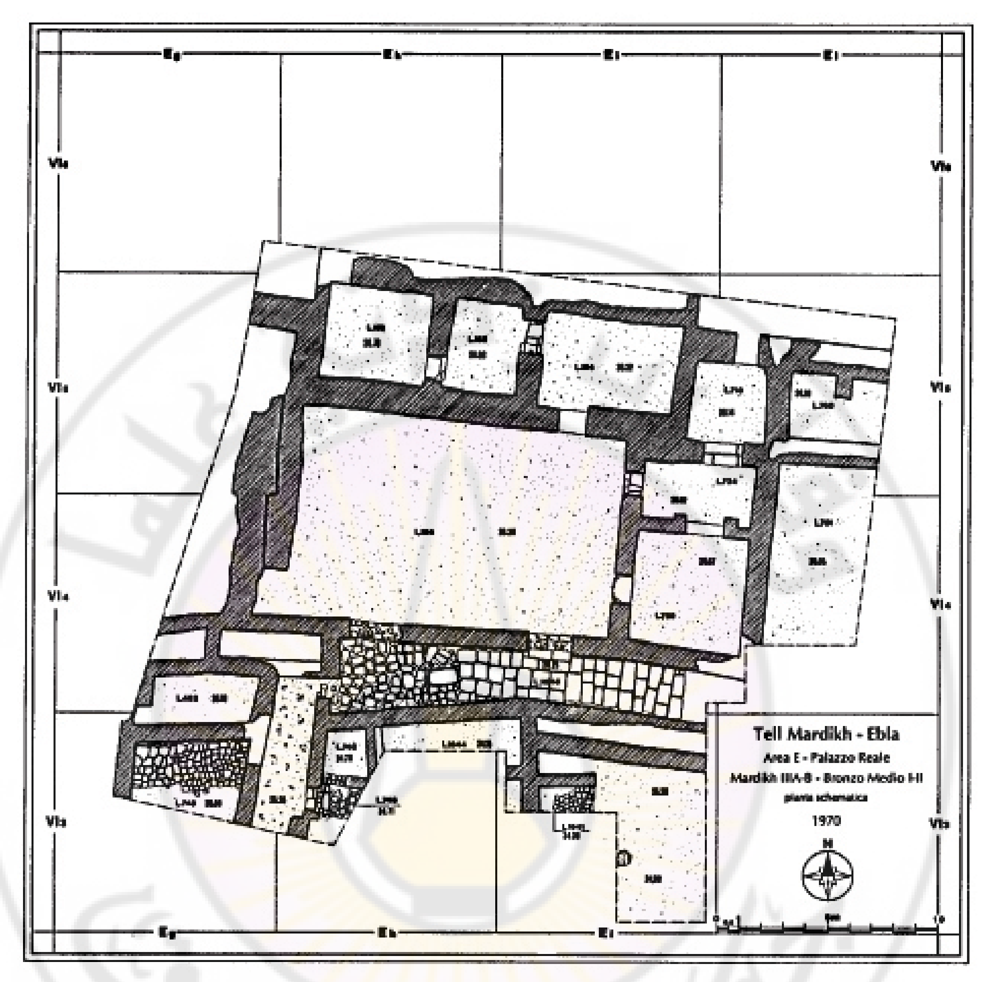
قصور إيبلا العائدة للألف الثاني ق.م:

تحتوي إيبلا على ثلاثة قصور، أرخت كلها بفترة البرونز الوسيط الثاني (إيبلا IIIB) ولكن بناءها ربما يعود إلى الفترة الأسبق (إيبلا IIIA). يقع القصر الملكي على أكربول المدينة، تحيط به في المدينة المنخفضة سلسلة من القصور الأخرى التابعة له. وهي مقرات سكن الأمراء وأفراد الأسرة الملكية أو أفراد طبقة النخبة بالإضافة لكونها مجمعات معمارية تخدم الأعمال الإدارية المرتبطة بالقصر الملكي.

القصر الملكي E:

يقع قصر المدينة المرتفعة (المسمى القصر E)[١٧٨] على المنحدر الشمالي للأكربول وهو غير محفوظ بشكل جيد، ولكنه كان مبنياً على سلسلة من المصاطب (الشكل ٥٧). عثر فيه على باحة يتوزع حولها صف من الغرف. تقدر مساحته ب ١٥,٠٠٠ م^{٢}. إن الألواح الحجرية المنقوشة التي تزين الأجزاء السفلية من الجدران (أورتوستات) والعتبات الحجرية أو البازلتية الضخمة تشابه ما عثر عليه في قصر آلالاخ السوية السابعة وهي من مميزات العمارة الضخمة (القصور والمعابد) في هذه الفترة. والقصر إضافةً لكونه مقر الملك الأساسي، فهو أيضاً مقر الإدارة المركزية، والمكان الذي يحتوي على المخازن الملكية والمشاغل التي تصنع فيها الأدوات الثمينة بإشراف القصر.

(١٧٨) Pinnock, F. 2001, p. 17, 26, fig. 2.



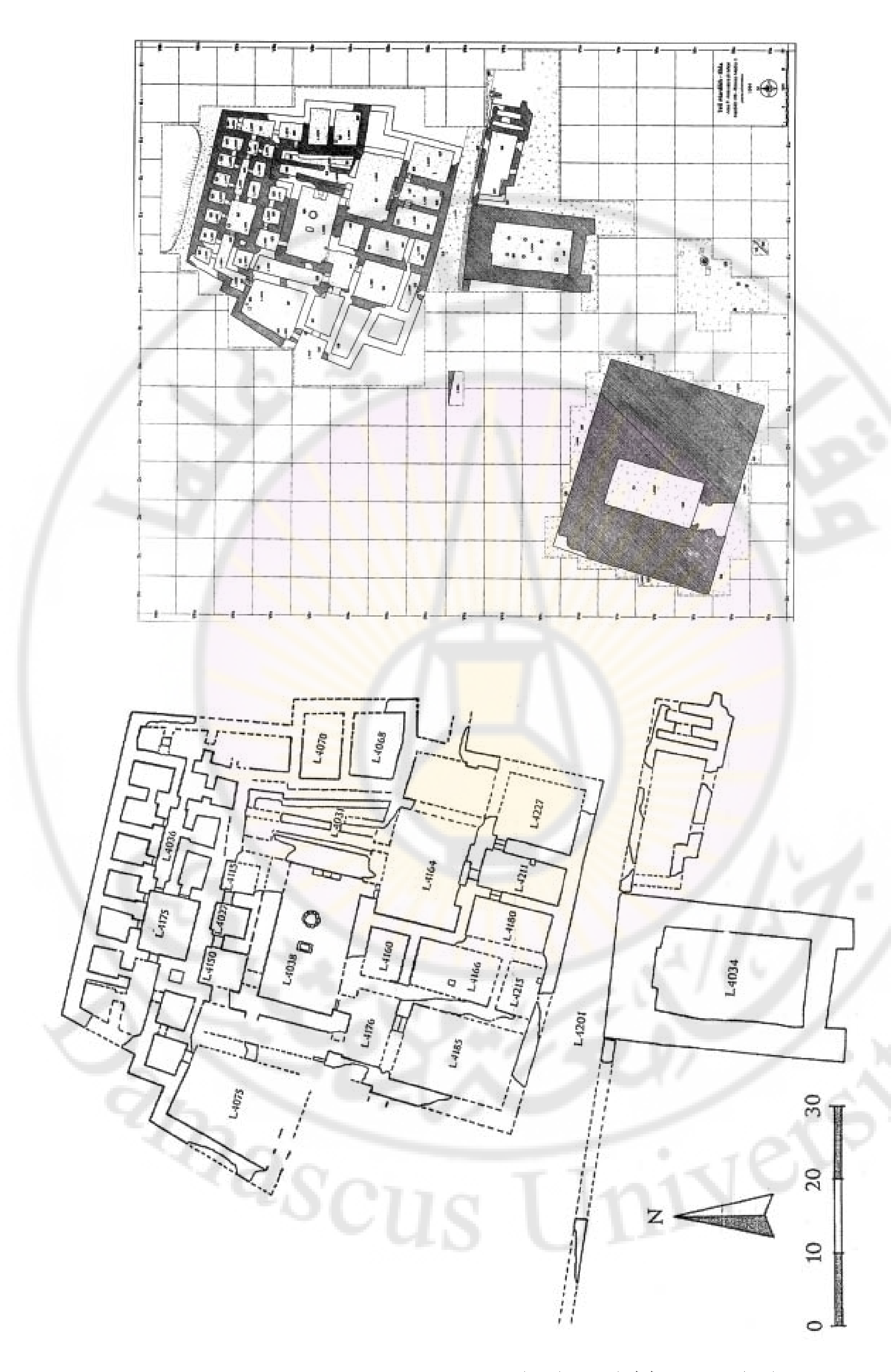
الشكل ٥٧: مخطط قصر الملكي E في إيبلا، عن: (Pinnock, F. 2001, fig. 2).

القصر الشمالي P:

يقع هذا القصر في القطاع الشمالي (P) من المدينة المنخفضة (الشكل ٥٨)[١٧٩]، نُقب لأول مرة خلال عام ١٩٨٦. يؤرخ بناؤه في بداية عصر البرونز الوسيط الثاني ودمر كبقية القصور في إيبلا حوالي ١٦٠٠ ق.م من قبل الغزو الحثي لإيبلا. تعرض هذا البناء للانهيار في أجزائه الشرقية والغربية، تقدر مساحته ب ٣٦٠٠ م٢.

يتم الدخول إلى القصر على الأغلب من الجهة الغربية. يتألف الجناح المركزي في القصر من قاعة العرش (L 4038) وملحقاتها الثلاث (L 4150-L 4027-L 4115) في الشمال (على غرار قصر السوية السابعة في آلالاخ). يقع مدخل الغرفة (L 4038) في الجزء الجنوبي

(١٧٩) Huot, J.-L. 2004, p. 38.



الشكل ٥٨: مخطط القصر الشمالي P في إيبلا، عن: (Huot, J.-L. 2004, p. 36).

الغربي منها (نظام دخول غير مباشر). تبلغ أبعادها ٢٠ X ١٠,٣م، وهي مجهزة بمنصة أو مصطبة مرتفعة مبنية بملاصقة الجدار الشرقي (قاعدة العرش)، عثر مقابلها على حوض حجري وعلى قاعدة حجرية ذات شكل دائري[١٨٠].

يتألف القطاع الجنوبي من مجموعة غرف موزعة حول مساحة مركزية، وهي باحة (L٤١٦٤) عثر فيها على بئر ماء. خصص القطاعين الشمالي والشرقي من القصر لتجهيز الطعام وللتخزين وللمشاغل. يختلف هذا القصر عن القصور الأخرى بعدم احتوائه على أدراج فهو مؤلف فقط من الطابق الأرضي، مما يدفع إلى الاعتقاد بأن له وظيفة مختلفة عن باقي القصور المكتشفة في إيبلا[١٨١]. خصص الجناح الجنوبي الشرقي (حسب المنقب ماتييه) لسكن الملك[١٨٢].

القصر الغربي Q:

من أكثر القصور المكتشفة في إيبلا توثيقاً هو القصر الغربي (المسمى بالقصر Q) في المدينة المنخفضة (الشكل ٥٩). اكتشفته البعثة الإيطالية عام ١٩٧٨، تبلغ مساحة القصر ٧٥٠٠ م^{٢}، بني باللبن فوق أساسات حجرية كشف فيه عن أكثر من خمسين غرفة.

تتميز جدران العديد من غرفه بأن قواعدها مكسوة بالألواح الحجرية المنقوشة[١٨٣].

على العكس من النمط الرافدي المؤلف من الغرف المتناظرة حول باحات كبيرة مربعة الشكل مثل قصور تل ليلان وماري، يتألف القصر من جزء أو قطاع مركزي وهو القطاع الرسمي المخصص لاستقبال الملك ضيوفه والمراجعين. تتوزع حول هذا القطاع الباحات الصغيرة والممرات ومجموعات الغرف ذات التوزيع غير المتناظر المرتبطة بالباحات الصغيرة.

تتألف واجهة القصر الجنوبية من رواق قائم على أربعة أعمدة (المدخل الوحيد للقصر) ويقترح المنقب أن غرفة العرش كانت في القسم المركزي من القصر. يتألف القصر من أكثر من طابق (لاحظ الدرج الضخم في الجزء الشمالي الشرقي). أحد أفضل القطاعات حفظاً في القصر هي غرف تخزين الحبوب وتهيئها في الجزء الشمالي، عثر في أحد هذه الغرف الواقعة بالقرب من الدرج الضخم على مصطبة مبنية بملاصقة الجدار عليها ست عشر مطحنة متباعدة عن بعضها بمسافات موحدة.

تأتي أهمية هذا القصر من حيث احتوائه على عشرة قبور محفورة في الصخر تحت أرضياته

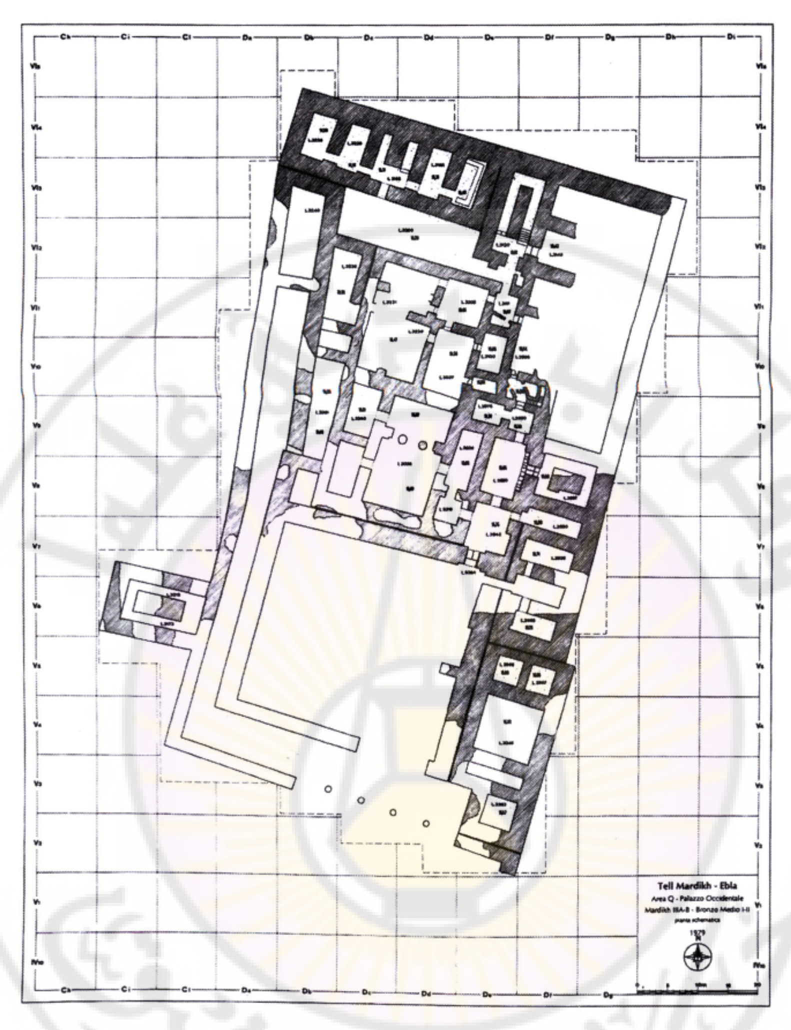
---

(١٨٠) Marchetti, N. 2006, p. 280-281.

(١٨١) يعتقد المنقب باولو ماتييه بأن لهذا القصر وظيفة احتفالية غير سكنية (شعائر دينية)، انظر: Matthiae, P. 1989, p. 171-175

(١٨٢) Matthiae, P. 1997, p. 132.

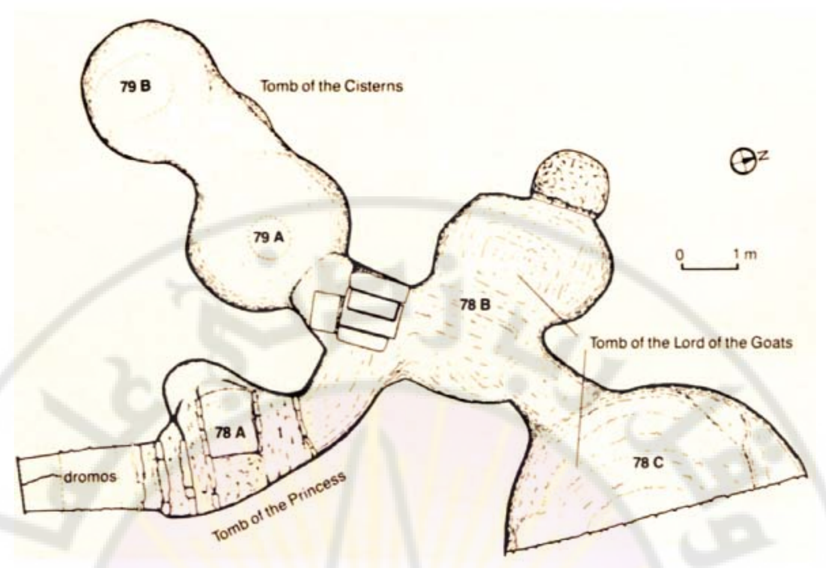
(١٨٣) Matthiae, P. 1984, p. 18-32.



الشكل ٥٩: القصر الغربي Q في إيبلا، عن: (Matthiae, P. 1984, p. 21).

تسمى عادةً بقبور الأمراء (الشكل ٦٠)، نُهب أغلبها بعد دمار القصر بحوالي ١٦٠٠ ق.م. أرخت هذه القبور بين ١٨٥٠ و١٦٥٠ ق.م[١٨٤] يتم الدخول إليها عبر ممر طويل فيه درج يتم النزول إليه من إحدى غرف القصر. من أشهر المدافن فيه المدفن المسمى بمدفن سيد الماعز لأنه احتوى على رأسي ماعز لها عيون مطعمة كانا ربما جزءاً من أثاث، مثل مسند ذراع العرش[١٨٥]. وهو القبر الذي عثر فيه على صولجان نقش عليه اسم الملك حوتبب رع وهو ملك غامض (غير معروف كثيراً) من ملوك الأسرة الثالثة عشرة (القرن الثامن عشر ق.م). لم يعثر في هذا القبر على جثة ولكنه احتوى على ستين جرة فخارية بالإضافة إلى جرار حجرية وأدوات من

(١٨٤) Huot, J.-L. 2004, p. 38.
(١٨٥) Matthiae, P. 1984, p.22 .



الشكل ٦٠: قبور الأمراء، عن: (Matthiae, P. 1984, p. 22).

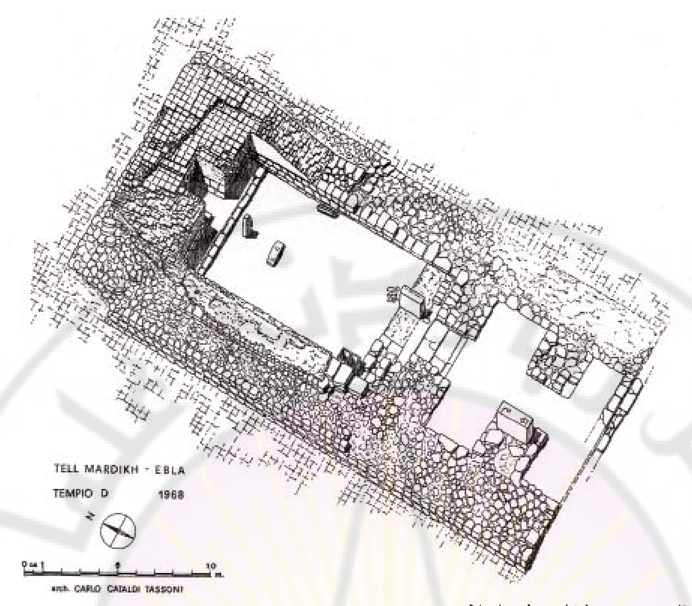
الخشب مكسوة بطبقة نحاس وبعض الحلي من الذهب والأحجار الكريمة وأدوات من العاج وأوانٍ من الفضة.

المباني الدينية:

كشف في إيبلا عن عدة مبانٍ دينية تعود كلها إلى بداية الألف الثاني ق.م من أشهرها "معبد" عشتار أو "**المعبد D**" (الشكل ٦١)، الواقع في المدينة المرتفعة. شكل المبنى مستطيل طولاني (يقع مدخله في منتصف الضلع القصر الجنوبي) وهو مبنى متناظر وذو نظام دخول مباشر، ويتميز بأنه لا يحتوي على باحات داخلية.

يتألف من غرفة مستطيلة طولانياً أبعادها ١١ **X** ٢٨م. تحتوي هذه الغرفة على محراب وحيد يقع في منتصف الجدار الشمالي، فسرت وظيفته على أنه المكان المخصص لوضع تمثال أو رمز الإله، لذلك تسمى هذه الغرفة "سيلا Cella" أو الغرفة الأكثر قدسية، سُبقت بغرفة يطلق عليها اسم (آنتي سيلا- anti cella)، أي الغرفة الواقعة قبل السيلا. وهي بدورها مسبوقة بغرفة مدخل مفتوح : أي أنها مؤلفة من ثلاثة جدران بينما ضلعها الرابع مفتوح كلياً على الخارج (انظر الشكل ٦١)[١٨٦]. عثر في هذا "المعبد" على تمثال الملك إيبيت-ليم.

(١٨٦) تفسر هذه المباني عادةً بأنها معابد ولكنها قد تكون أبنية إدارية مخصصة للإجتماعات (انظر: Al Mhdi Al Tounsi, O., 2013, p.353-376). ومهما كانت وظيفتها إلا أن هذا الطراز كان قد ظهر في بلاد الشام منذ عصر البرونز القديم في مواقع عديدة مثل تل حلاوة أ وتل خويرة، ثم استمر وشاع استخدامه خلال الألف الثاني ق.م في مواقع عديدة مثل إيبلا وغيرها انظر فصل البرونز الحديث (إيمار ومنباقة).



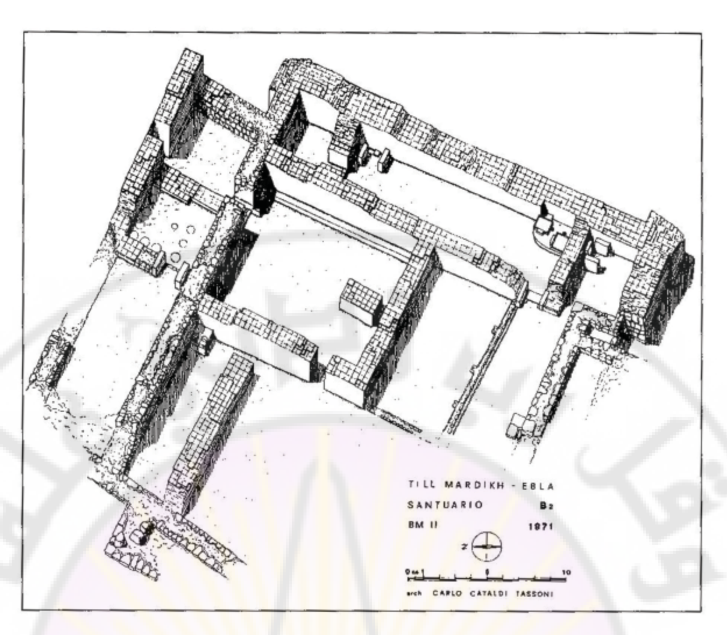
الشكل ٦١: «معبد عشتار» في إيبلا، عن: (Akkermans, P and Schwartz, G. 2003, fig. 9.8).

المعبد B2 : لهذا المبنى مخطط معقد ومختلف تماماً عن "معبد" الأكربول والمعابد الأخرى، فهو غير متناظر ومدخله غير مباشر (الشكل ٦٢). يتألف من مجموعة غرف منتظمة حول غرفة مركزية كبيرة (اعتقد المنقب بأنها مخصصة لتناول وجبات جماعية). احتوت معظم هذه الغرف على منصات ملتصقة بالجدران أو منفصلة عنها وعثر في بعضها على قواعد حجرية فيها فتحات لتصريف السوائل. فسرت هذه الغرف من قبل المنقب على أنها غرف مقدسة (غرف الآلهة، سيلا) وبأن القواعد الحجرية والمنصات هي عبارة عن "مذابح". فهو يعتبرها غرف لعبادة الملوك المتوفين. وهذا برأيه ما يفسر اختلاف مخطط البناء عن مخطط المعابد السورية.

المعبدين P2–P3: يقعان جنوب القصر الشمالي **P** (الشكل ٥٨)، في الجزء الشمالي من المدينة المنخفضة (خصص القطاع P حسب المنقب للإلهة عشتار إلهة المدينة الرئيسية). إن المعبد **P2** هو من أكبر معابد إيبلا. يتألف من غرفة واحدة مسبوقة برواق (مثل "معبد عشتار") وتبلغ أبعاده ٣٣,٣٠ X ٢٠م. للمبنى جدران سميكة جداً، حيث يبلغ عرض جدرانه الطولانية الشرقية والغربية ٣,٩٠ أو ٤م أما جداره الخلفي (الشمالي) فيصل إلى ٧ أمتار.

وبسبب عرض الغرفة الكبير (عرض داخلي ١٢م) اقترح المنقب وجود صفين من الأعمدة لحمل السقف (انظر المخطط) ولكنه لم يعثر في التنقيب على أية قاعدة.

بالقرب من هذا المعبد عثر المنقب أيضاً على مبنى غريب سماه **P3** (الشكل ٥٨) وهو عبارة عن باحة مستطيلة مزودة بمدخل موجودة ضمن تراس أو مصطبة ضخمة جداً مبنية من الحجر



الشكل ٦٢: المعبد B2 في إيبلا، عن: (Matthiae, P. 1984, p. 31).

(مؤرخة بحوالي ١٧٠٠ ق.م). أبعاد الباحة ٢٣,٥٠ X ١٢,٤٠م وهي لا تحتوي على أثاث. أما أبعاد المصطبة فهي ٤٢ X ٥٣م وهي مساحة أصغر قليلاً من زقورات أور وأريدو ونيبور في جنوب بلاد الرافدين. يعتقد بأن وظيفة هذه المصطبة دينية ولكنها حقيقةً غير معروفة تماماً. وقد اقترح المنقب بأنها مرتبطة بالمعبد **P2** لقربها منه ومخصصة للإلهة عشتار، ربة الحب والخصب والحرب. فالباحة في هذه المصطبة خصصت حسب الاقتراح لوضع أسود الربة عشتار المقدسة (الأسود هي رمز عشتار) ولقد اعتمد الباحث في هذه النظرية على نقوش الحوض الحجري في المعبد **P2** التي تظهر عليها أشكال الأسود.

دُمرت إيبلا من قبل مورشيلي بحوالي ١٥٩٥ ق.م تتحدث النصوص الحثيّة التي عثر عليها في حاتوشا بأن "المدينة تهدمت أو انكسرت كآنية فخارية".

توضح مواقع عصر البرونز الوسيط الأخرى في غرب سوريا ذات الملامح العامة الموجودة في إيبلا، فهي تعطي صورة مكملة عن مميزات هذه المجتمعات الحضرية الكبيرة في سوريا خلال النصف الأول من الألف الثاني ق.م، خصوصاً فيما يتعلق بالعمارة. حيث اشتهرت في هذه الفترة التحصينات في كلٍ من المدن الخارجية والداخلية (التي تسمى أيضاً قلاع) بالإضافة إلى البوابات التي لها غرف، ونظام التحصينات المؤلف من السواتر الدفاعية المبنية قبل الأسوار والأبراج الدائرية. حيث ظهرت هذه المميزات في أغلب مواقع عصر البرونز الوسيط التي من أهمها تل طوقان وتل آفس في نواحي إيبلا، وتل أبو دان وأم المرا في سهل الجبول وموقع تيلمان هيويك.

يعطينا موقعا أم المرا وحماة (السويات 3-H 1) أمثلة عن العمارة السكنية العائدة لعصر البرونز الوسيط. ولكن آثار عاصمة يمحاض حلب غير معروفة نهائياً بسبب وجود المدينة الحديثة وطبقات الاستيطان الأحدث عهداً فوق آثار عصر البرونز الوسيط، وهكذا تأتينا أخبار مملكة يمحاض من المواقع المجاورة كإيبلا وآلالاخ (تل العطشانة).

٣-١-٢ تل العشطانة (آلالاخ):

تقع آلالاخ (تل العطشانة) في الجزء الجنوبي من سهل العمق بالقرب من العاصي (الشكل٦٣). استفادت المدينة من موقعها على العاصي وامتلكت قاعدة اقتصادية قوية قوامها الأراضي الزراعية الخصبة. إضافةً لموقعها الاستراتيجي المسيطر على التجارة القادمة من المتوسط غرباً إلى حلب وسوريا الداخلية شرقاً، والأناضول شمالاً وبلاد الرافدين شرقا[١٨٧]. تبلغ مساحة تل العطشانة حوالي ٢٢ هكتاراً وهو تل بيضوي الشكل تبلغ أبعاده (٧٥٠ X ٣٢٥م)[١٨٨].

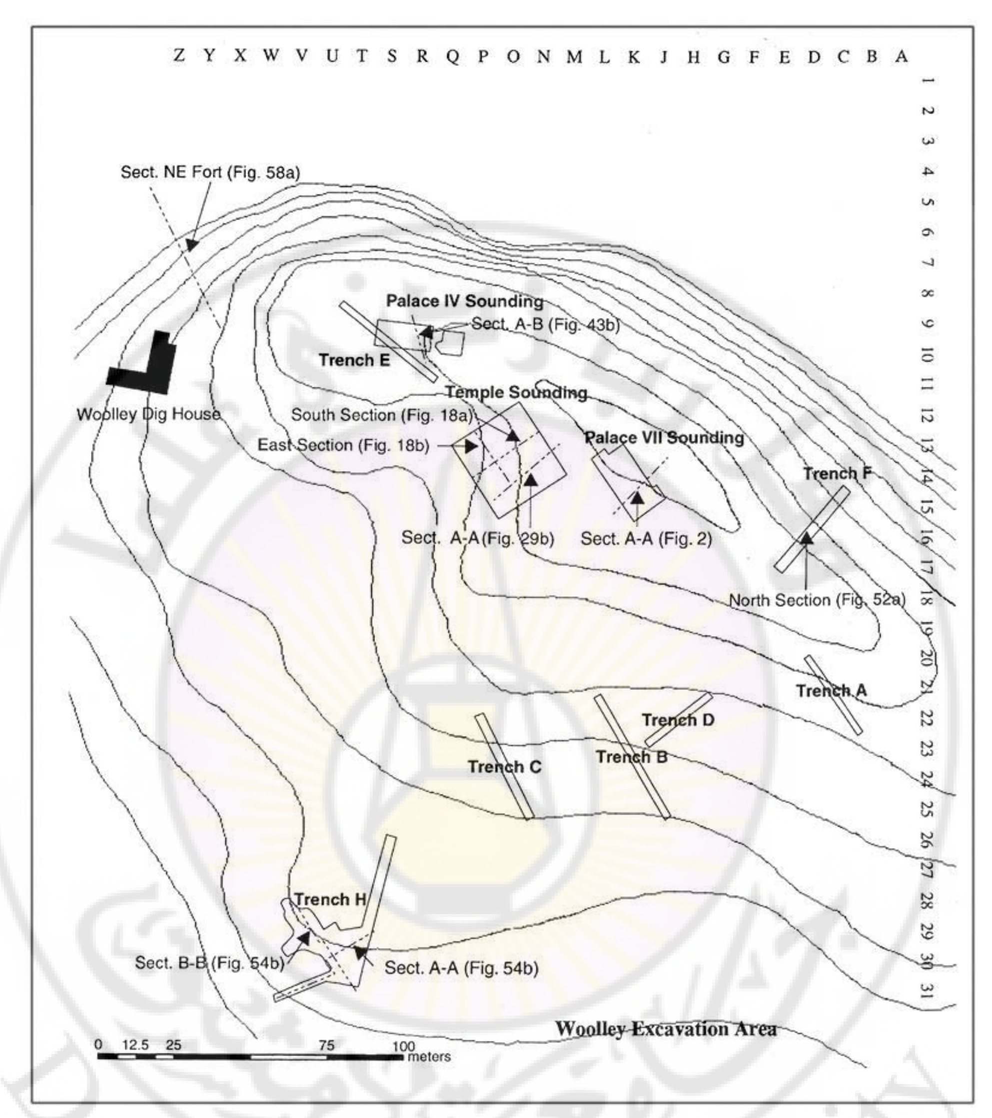
تاريخ التنقيبات:

حدد موقع تل العطشانة العالم بريدوود (R. Braidwood) في أثناء أعمال المسح التي قام بها عام ١٩٣٠ في وادي العاصي. ثم قام الباحث الشهير ليونارد وولي (C. L. Woolley) منقب أور[١٨٩] بأولى الأعمال الأثرية في تل العطشانة في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي بين عام ١٩٣٦ و ١٩٣٩ ثم بين عامي ١٩٤٦ و ١٩٤٩. ثم استؤنفت الحفريات حديثاً عام ٢٠٠٠ على يد الباحثة ينير (K. A. Yener)[١٩٠].

تنظيم المدينة:

عثر في سوية عصر البرونز الوسيط الثاني (السوية السابعة) على عمارة مميزة أهمها: قصر المدينة المرتفعة بالقرب من السور ومن المعبد ذي الطراز البرجي. يشتهر القصر الملكي باحتوائه على أرشيف ملكي مكون من رقم مكتوبة بالمسمارية وبلغة أكادية، وهي الوثائق التي سمحت بتعريف الموقع بأنه عاصمة موكيش التابعة ليمحاض، التي كان ملوكها ينتمون إلى عائلة ملوك يمحاض.

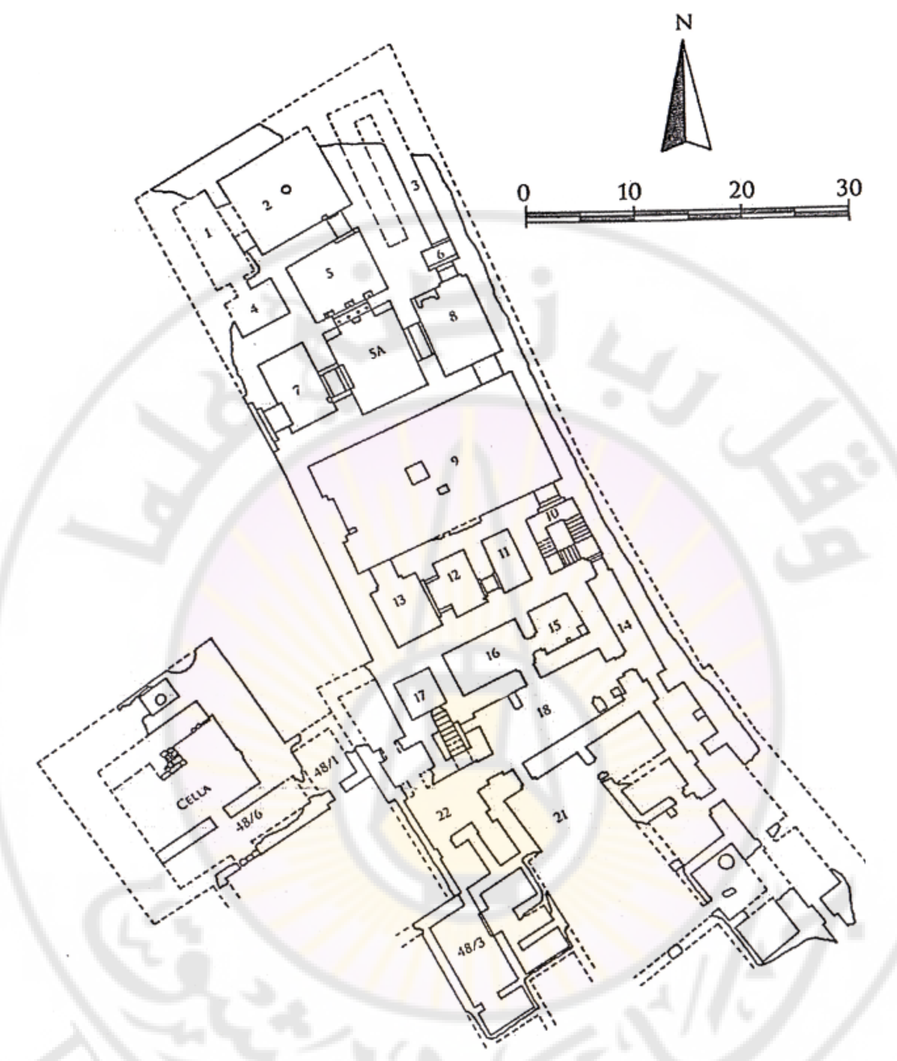
(١٨٧) للحصول على فكرة موسعة حول تاريخ الاستيطان في سهل العاصي انظر: Gerritsen, F. *et al*. 2008, p. 41- 314.
(١٨٨) Stein, D. L. 1997, p. 55.
(١٨٩) Woolley, L. 1955.
(١٩٠) Yener, K. A. *et al*. 1996, p. 49-84 ; 2001, p. 1-6.



الشكل ٦٣: تل العطشانة ، عن: (Yener, K. A. 2005, fig. 4.2).

قصر آلالاخ (السوية VII):

نُقب قصر السوية السابعة في آلالاخ خلال عام ١٩٣٩ وخلال عامي ١٩٤٦ و١٩٤٧ من قبل منقب آلالاخ وليم وولي. بُني على ثلاث مصاطب بالقرب من سور المدينة المرتفعة وبالقرب من المعبد البرجي (انظر الشكل ٦٤). تتميز عمارة القصر باستخدامها الأعمدة في ممرات الأبواب بين الغرف (انظر الأعمدة بين الغرفتين ٥ و أ-٥)، واستخدام الفريسكو الذي يصور مشاهد طبيعية متأثرة بالفن المينوي (حضارة عصر البرونز في جزيرة كريت ازدهرت من القرن ٢٧ وحتى القرن ١٥ ق.م). وقد وجد هذا التأثر بالفن المينوي أيضاً في فلسطين وفي



الشكل ٦٤: مخطط القصر الملكي السوية ٧ في الالاخ، عن: (Woolley, L. 1955, fig. 35).

مواقع الدلتا في مصر. وهو كقصور إيبلا بعيد كل البعد عن القصور الرافدية فلا يحتوي على الباحات ولا على التناظر في توزع غرفه حول الباحات الكبيرة. عثر في آلالاخ على عدد كبير من طبعات الأختام على الرقم وهي تميز أختام عصر البرونز الوسيط الثاني[١٩١]. حيث تتألف مختلف المشاهد من صورة الملك أو مالك الختم في مواجهة إله مصحوباً بإلهة شفيعة كحاشية له. ويمكن التعرف في هذه الآلهة على آلهة حلب المهمين مثل حدد وإله الطقس وزوجته هبات. وتبدو أيضاً على هذه الطبعات بعض الرموز المصرية مثل رمز آنخ وبعض الآلهة المصرية أو الرموز الملكية وتظهر هذه الأشكال المصرية في إيبلا وفي تل سكا جنوب سوريا. مما يدل

(١٩١) Woolley, L. 1955, p. 91-106.

على تقليد فن ورموز النخبة للمصادر الراقية والمستوردة وهو لا يفسر أبداً على كونه ارتباط أو خضوع اقتصادي أو سياسي لمصر الفرعونية. اشتهر القصر أيضاً باحتوائه على رقم أفادت في تحصيل معلومات تاريخية هامة جداً يتعلق قسم منها ببناء هذا القصر من قبل الملك ياريم-ليم.

يقع القطاع الرسمي في الجزء الشمالي من القصر وهو مؤلف من قاعات كبيرة، كسيت جدرانها بالأورتوستات، عثر فيه على الأرشيف الملكي. وضمن القصر درج ضخم يقود إلى المساكن الملكية في الطابق العلوي في الجزء الجنوبي من القصر، كما أن القطاع الجنوبي من الطابق الأرضي خصص أيضاً للسكن وللغرف الخدمية.

ينفتح مدخل القصر في الجهة الغربية على الغرفة ٧ (انظر المخطط، الشكل ٦٤) ويتألف القصر من العديد من القطاعات المتجاورة بالإضافة إلى احتوائه على طابق أو طوابق عليا يدل عليها وجود الأدراج[١٩٢].

يتألف القطاع الرسمي الواقع في الجزء الشمالي من القصر من الغرف (٥ و ٥-أ و ٢ و١ و٤). حيث يتم الدخول إلى الغرفة (٧) ومنها إلى هذا الجناح، تتصل الغرفة الأولى من جناح الاستقبال (الغرفة ٥-أ) بالغرفة (٨) وهي بمثابة موزع يؤدي شمالاً إلى درج ضخم يقع في الغرفتين (٦ و ٣)[١٩٣]. كما أن هذا الموزع ينفتح على الجناح المركزي من القصر الذي تحتله قاعة العرش الكبيرة (الغرفة رقم ٩) وملحقاتها الثلاثة إلى الجنوب منها (الغرف ١١-١٢-١٣). تبلغ أبعاد صالة العرش (٩ X ٢١٠م)، وهي ذات محور دخول منكسر، وتتصل بجناح الاستقبال شمالاً وبالملحقات الثلاثة التي تخدم كغرف أرشيف ومخزن الأدوات الملكية الثمينة (عثر في الغرفة ١١ على العديد من الرقم الكتابية).

يتألف الجزء الجنوبي من القصر من مجموعة قطاعات تنفتح جميعها على ممر طويل في الشرق يسهل عملية التنقل بينها (١٤،١٩،٢٥ و٢٩). يحتوي هذا الجزء على أدراج إضافية لبلوغ الطابق العلوي من القصر. أحد هذه القطاعات هي مجموعة الغرف المتجمعة حول الغرفة ١٨ حيث يوجد فيه قبر الملكي (الغرفة ١٧)، أما غرف القطاع الأخر فتتوزع حول الباحة رقم ٢١ وهي غرف يُعتقد بأنها تحتوي على ورش العمل ومخازن القصر[١٩٤].

أما بالنسبة لمواقع الساحل فإن موقع رأس الشمرا (أوغاريت) ذكر في نصوص ماري ويعتقد بأن معابد المدينة العائدة لعصر البرونز الحديث قد تكون قد بنيت خلال عصر البرونز الوسيط الثاني، كما ظهرت السويات العائدة لهذه الفترة من موقع تل سوكاس وموقع تل كزل

(١٩٢) Woolley, L. 1955, p. 91-106.
(١٩٣) Akkermans, P. and Schwartz, G. 2003, p. 304-305.
(١٩٤) Marchetti, N. 2006, p. 279-280.

وعمريت. إن كلاً من البيوت والقبور أعطت أمثلةً عن فخار مستورد مثل الفخار القبرصي والمينوي مما يشهد بأن أوغاريت وغيرها من مدن الساحل كانت تشارك في تجارة شرق البحر المتوسط خلال هذه الفترة.

٣-١-٣ منطقة الفرات:

كان وادي الفرات خلال عصر البرونز الوسيط الثاني عبارة عن منطقة حدودية متنازع عليها غالباً بين القوى العظمى في منطقة الجزيرة (مثل شمشي حدد والملك زمريليم في ماري) وفي الغرب (مملكة يمحاض). أهم المراكز المهمة في منطقة الفرات هي إيمار في الجنوب وكركميش في الشمال (منطقة الحدود بين سوريا وتركيا حالياً). عثر على آثار عصر البرونز الوسيط في إيمار مؤخراً بينما اكتشفت حفريات كركميش القليل جداً من الآثار العائدة لهذه الفترة. إلا أن حفريات الإنقاذ التي نفذت بسبب بناء سدي تشرين والطبقة أسهمتا في إعطاء معلومات عن الآثار العائدة للبرونز الوسيط في منطقة الفرات. حيث أعطت هذه المنطقة العديد من المواقع المتخصصة اقتصادياً كموقع قرا قوزاق (منطقة سد تشرين) الذي ظهرت فيه مخازن الحبوب الدائرية والتي احتوت على الشعير مما يدل على أن الموقع استخدم كمخزن على الطريق بين كركميش وماري. كذلك موقع تل أحمر وتل خميس والشيوخ التحتاني التي أعطتنا صورة عن الاستيطانات التابعة للبرونز الوسيط (خصوصاً الشيوخ الفوقاني الذي أعطى صورة عن العمارة السكنية).

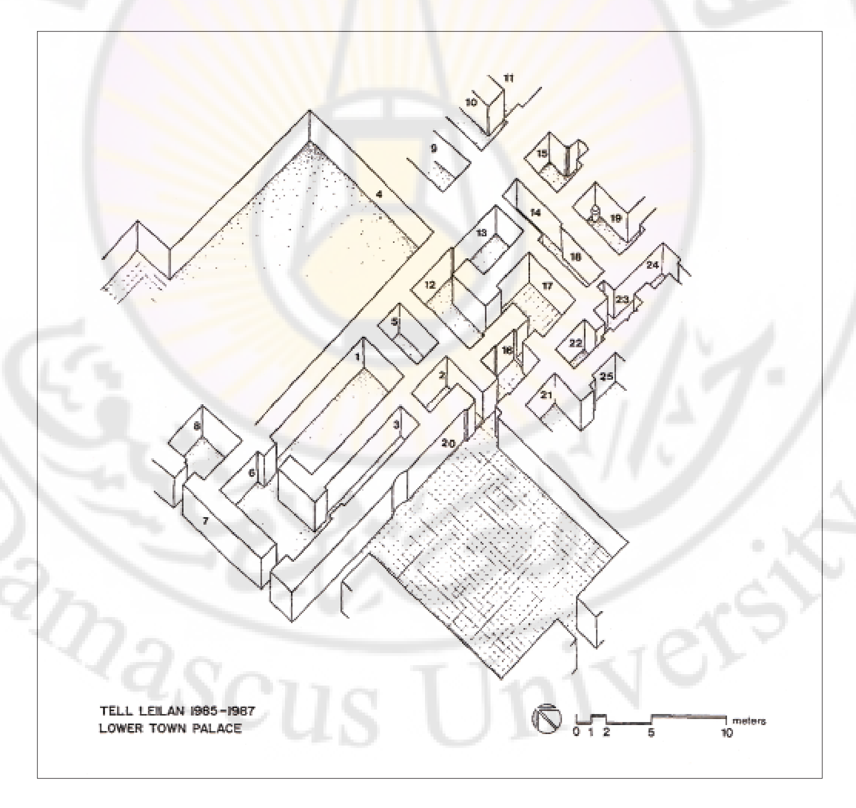
٣-١-٤ منطقة الجزيرة:

كانت الجزيرة واقعة خلال هذه الفترة تحت تأثير عائلة ليم (الآمورية) في ماري المتحالفة مع مملكة يمحاض. ولكنهم كانوا متنافسين مع شمشي حدد حليف قطنا. أهم ملوك هذه السلالة هو يخدون-ليم، الذي ذكر في النصوص أنه أعاد بناء أسوار ماري وترقا وحفر العديد من القنوات. ولكن الملك يخدون-ليم هزم خلال القرن الثامن عشر ق.م حيث قام شمشي حدد بتكوين دولة ممتدة من منطقة وادي الفرات الأوسط وحتى آشور وسفوح جبال زاغاروس. ثم قام باختيار عاصمة له في تل ليلان في منطقة الخابور الأعلى وسماها شوباط إنليل (مقر إقامة الإله إنليل). ولكن بعد وفاة شمشي حدد استطاعت عائلة ليم في ماري أن تنهض من جديد فاستلم زمريليم الحكم وأصبحت قوى عظمى مستقلة في منطقة الجزيرة.

وهكذا نرى أن أهم المراكز الحضرية في الجزيرة خلال هذه الفترة هما تل ليلان عاصمة شمشي حدد وماري على الفرات اللتان كانتا من أهم مدن الألف الثالث ق.م. وكان اسم ليلان قبل أن تصبح عاصمة شمشي حدد "شيخنا" وقد استعادت اسمها الأصلي بعد موته،

فحكمتها سلالة ملوك أرض "أبوم"، وأرض أبوم هي المنطقة المحيطة بتل ليلان في الخابور الأعلى (يجب عدم الخلط بينها وبين مملكة أبوم في منطقة دمشق). قضى عليها الملك البابلي سمسو-ايلونا حوالي ١٧٢٨ ق.م.

من أشهر ما عثر عليه في تل ليلان هو قصر ملوك أبوم في الجزء الشرقي من المدينة المنخفضة (عصر البرونز الوسيط، الشكل ٦٥)، المبنى على الطريقة الرافدية حيث تتوزع الغرف بشكل متناظر حول باحات كبيرة لها أرضيات مبلطة باللبن المشوي. من ضمنها غرف متخصصة بالخدمات، كانت على الأغلب عبارة عن مطابخ. عثر في هذا المبنى على أربع مراحل، حيث احتوى القصر الأول (الذي أظهرت منه الحفرية جزءاً صغيراً فقط) على أختام عائدة لشمشي حدد ولابنه. ولكن الفترات اللاحقة احتوت على مئات الرقم العائدة لملوك أبوم من ضمنها رسائل ملكية ومعاهدات وقائمة بملوك سومر.



الشكل ٦٥: القصر الشرقي في المدينة المنخفضة في تل ليلان، عن:
(Akkermans, P and Schwartz, G. 2003, fig. 9,16).

٣-١-٤-أ ماري، المدينة الثالثة:

دمرت مدينة ماري الثانية على يد الملك نارامسين ولكن الملك الأكادي كان لا ينوي سحق المدينة نهائياً بل أراد لها أن تعاود وظيفتها لأنها تقع على ملتقى الطرق التجارية التي تربط شمال سوريا وغربها بمنطقة الخابور، وتشرف على الطريق المؤدي إلى جنوب بلاد الرافدين. ولذلك قام نارامسين بإعادة بناء القصر الملكي وأرسل حاكماً أو شاكاناكو اسمه إديديش وأرسل ابنته لتكون كاهنة للإله شمش في ماري[١٩٥]. ولكن انتهاء الإمبراطورية الأكادية أدى إلى إضعاف الحكم المركزي فاستقل الشاكاناكو في ماري وعادت المدينة لتحظى بكونها عاصمة مهمة، تماماً كمدن الجنوب الرافدي لمدة لا تقل عن ثلاثة أو أربعة قرون.

عثر في القصر الملكي الذي دمره حمورابي البابلي على أكثر من ١٥٠٠ نص تغطي فترة آخر خمسين عاماً من تاريخ ماري، كانت المدينة حينها تحت حكم سلالة ليم الأمورية، ومن الملفت غياب الوثائق العائدة لفترة حكم الشاكاناكو التي امتدت حوالي القرنين من الزمان.

من أهم معالم مدينة ماري الثالثة خلال حكم الشاكاناكو والسلالة الآمورية : ترميم التحصينات الخارجية والداخلية وبناء معابد جديدة (مثل معبد الأسود والمصطبة المرتفعة الملتصقة به) وإعادة بناء القصر الملكي وبناء قصر جديد هو القصر الشرقي.

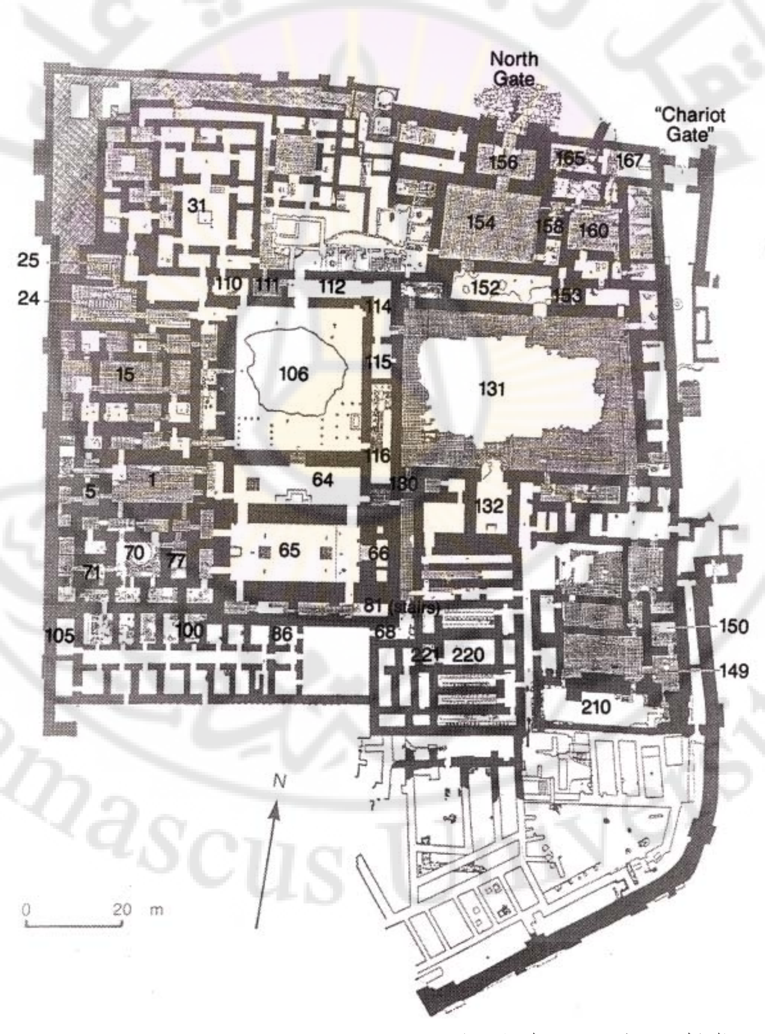
القصر الملكي (قصر زمري ليم):

عثر في القصر الملكي (الشكل ٦٦) على حجر منحوت باسم حنون-داجن مما سمح بتأريخ بناء القصر لحوالي ٢٠٠٠ ق.م. استخدم القصر إذاً حوالي قرنين ونصف منذ فترة الشاكاناكو. كما احتوت الغرفة ١٣٢ على رسومات جدارية مؤرخة بفترة حكم الشاكاناكو ولكنها كانت لا تزال قائمة في فترة حكم زمريليم. إلا أن القصر القديم العائد لهذه الفترة لم يبقَ منه أي شي آخر يسمح بتخيل مخططه والمخطط الحالي هو قصر الملك الآموري زمريليم.

يحتوي قصر زمري ليم (الشكل ٦٦) في الطابق الأرضي على ثلاثمائة غرفة وهو يمتد على مساحة ٢,٥ هكتاراً. يتألف القصر من مجموعات من الغرف الممتدة حول باحتين متجاورتين. يقع مدخل القصر الرئيسي في الجزء الشمالي الشرقي منه. أحيطت غرفة المدخل ببرجين دفاعيين وهي متبوعة بباحة وبغرفة مستطيلة ذات مداخل غير متقابلة (صعوبة الدخول لحمايته). تؤدي هذه الممرات المتعرجة إلى الباحة الكبيرة (أكبر باحة في القصر) التي تتوزع غرف القصر حولها (رقم ١٣١ على المخطط). وهي باحة مستطيلة الشكل، تعدّ موزعاً هاماً

(١٩٥) Margueron, J.-C. 2008, p. 30-37 ; 2003, p. 278-282.

للتنقل داخل القصر (يوجد تحتها خزان مياه). وكانت جدران هذه الباحة مزينة برسومات جدارية. تنفتح الباحة على غرفة صغيرة (رقم ١٣٢) إلى الجنوب، التي كانت جدرانها مكسوة برسومات جدارية ذات طابع ديني ومثيولوجي مما جعل بعض الباحثين يفسرونها كمصلّى صغير. في الجزء الجنوبي الشرقي من القصر (جنوب الباحة) يوجد قطاع ديني بني فوق معبد القصر العائد للألف الثالث ق.م. وهو الجزء الذي عثر فيه على تماثيل بعض الحكام الشكاناكو.



الشكل ٦٦: قصر زمريليم في ماري، عن: (Margueron, J.-C. 2008, fig. 33).

أما القطاع الإداري أو الرسمي فيوجد في الجزء الغربي من القصر وهو مؤلف من الباحة المربعة (رقم ١٠٦) والغرفتين المستطيلتين (رقم ٦٤ و ٦٥). تسمى الباحة ١٠٦ بباحة النخيل التي ذكرت في نصوص ماري، وهي غنية بالرسومات الجدارية الملونة المحفوظة بشكل جيد على الجدار الجنوبي. يعتبر مشهد التنصيب من أهم ما عثر عليه الآثاريون من لوحات جدارية. وهو يصور الملك زمري ليم عند استلامه لرموز السلطة من الإلهة عشتار. نلاحظ أن القطاع الرسمي محدد جيداً داخل القصر، يتم الدخول لباحة النخيل عبر باب في منتصف ضلعها الشمالي، وتنفتح الباحة عبر باب مقابل تماماً للباب الأول في منتصف الضلع الجنوبي على غرفة المدخل رقم ٦٤. لهذه الغرفة شكل مستطيل، كانت مجهزة بمصطبة مخصصة لوضع تمثال الإلهة التي تحمل جرة الماء (ربة الينبوع)، حيث عثر على جذعه أسفل المنصة وعلى رأسه في الباحة ١٠٦ (هذا التمثال أحد الكنوز الثمينة حيث صنع من الحجر الأبيض ويحتوي على قناة يجري فيها الماء ليخرج من جرة الإلهة). يحتوي ضلع الغرفة الجنوبي على بابين، أحدهما في الجزء الجنوبي الغربي والآخر في الجزء الجنوبي الشرقي يؤديان إلى صالة العرش (رقم ٦٥) التي لها أيضاً شكل مستطيل، تبلغ أبعادها ٢٥ X ١١,٢٥. تنفتح قاعة العرش على غرفة صغيرة في الشرق، عثر فيها على آثار العرش الملكي.

أحيط هذا القطاع الرسمي بالمنازل السكنية وبالمخازن. أما المساكن الملكية فكانت في الطابق العلوي. تقع المطابخ في الجزء الغربي من القصر بالإضافة إلى غرف فيها مصاطب وهي مخصصة للتخزين، أما مجموعة الغرف المتشابهة في الجزء الجنوبي الغربي فهي مخصصة إما للتخزين أيضاً أو على الأغلب هي غرف الخدم.

احتوت المدينة الثالثة على قصر آخر هو القصر الصغير الشرقي، الذي احتوى على الأرشيف الإداري العائد لصهر الملك زمريليم إضافة إلى احتوائه على القبور الملكية.

نهاية ماري: بعد أن أخضع الملك البابلي حمورابي كل دويلات-المدن في جنوب بلاد ما بين النهرين، شرع في القضاء على خصمه الرئيسي في الشمال وهو زمريليم. حيث استطاع في عام ١٧٦٠ ق.م أن يدمر ماري وقام بحرق قصر زمري ليم. انتهت حينها ماري كمدينة كبيرة وكقوة سياسية لا يُستهان بها. وفي الفترة اللاحقة استطاعت مملكة خانا والتي عاصمتها ترقا (تل العشارة حالياً) أن تخلف مدينة ماري. تؤرخ آثار تل العشارة بالربع الثاني من الألف الثاني ق.م، وقد كشفت الوثائق الكتابية التي عثر عليها في مبنى إداري كبير عن كون ترقا قد خضعت لخلفاء حمواربي البابلي ولكنها حوالي ال ١٥٠٠ ق. م انضمت تحت لواء المملكة الميتانية.

٣-٢ نهاية عصر البرونز الوسيط:

كانت نهاية عصر البرونز الوسيط في سوريا مرتبطة بحدث عسكري في الغرب ففي حوالي ١٦٠٠ ق.م هاجم الحثيون يمحاض ودمروا حلب وآلالاخ. ثم توجهوا للقضاء على سلالة آمورية أخرى من خلال حملة على بابل. ومن المحتمل أن هذه الهجمات العسكرية هي التي قضت على إيبلا فلم تستطع بعدها أبداً أن تعاود الحصول على مكانتها كمركز حضري أساسي في المنطقة. أما في منطقة الجزيرة فكانت نهاية عصر البرونز الوسيط غير مرتبطة بالعنف ولكن الثقافة المادية في كلا المنطقتين توضح انتقالاً سلساً بين عصر البرونز الوسيط وعصر البرونز الحديث.

٣-٣ عصر البرونز الحديث:

تعد بداية عصر البرونز الحديث مظلمة تاريخياً حيث اختفت الوثائق الكتابية بين القرن السادس عشر والنصف الأول من القرن الخامس عشر ق.م. ويقسم هذا العصر أيضاً إلى العديد من المراحل[١٩٦].

اندمجت سوريا خلال عصر البرونز الحديث (١٦٠٠-١٢٠٠ ق.م) بشبكة اتصالات عالمية واسعة. فمن مميزات هذا العصر انتعاش التجارة والتبادلات العالمية. وأدى الساحل السوري-الفلسطيني دوراً هاماً في التجارة خصوصاً مع قبرص واليونان. وعلى صعيد الحياة السياسية كانت سوريا بمثابة ساحة المواجهة بين القوى العظمى السائدة مثل الميتانيين والمصريين والحثيين والإمبراطورية الآشورية. كانت قاعدة أو مركز الميتانيين هي منطقة الخابور، أما العاصمة الميتانية "واشوكاني" فلم يعثر عليها بعد. على الصعيد التاريخي كان المتيانيون في حالة صراع مع فراعنة الأسرة الثامنة عشر. ولأول مرة قامت مصر بعمليات حربية هجومية متكررة في سوريا وفلسطين للسيطرة عليها. واجه المصريون حكام المدن في بلاد الشام، الموالين للملك الميتاني. وانتصر المصريون في معركة مجيدو (مدينة في فلسطين). وعلى الرغم من أن الفرعون تحوتمس الثالث قام بحملات عسكرية تجاوزت الفرات ولكن سيطرته الفعلية في بلاد الشام لم تتجاوز منطقة الساحل وجنوب قطنا، بينما بقي الميتانيون متمركزون في شمال سوريا الداخلية وشمال بلاد الرافدين.

تألفت الدولة الميتانية من الملوك المحليين الموالين للملك الميتاني ولم تكن الدولة تدار بنظام إداري مركزي بإحكام. أما السيطرة المصرية في الجنوب وعلى الساحل فكانت مشابهة لنظام الحكم الميتاني. حيث حكم فعلياً حكام أو ملوك محليون أقوياء ولكنهم كانوا يدفعون الجزية

(١٩٦) انظر الجدول الزمني في بداية الفصل الثالث.

لسيدهم الأعلى وهو الفرعون المصري. وبقي المصريون والميتانيون على طرفي ميزان السلطة في سوريا حتى قدوم الحثيين في منتصف القرن الرابع عشر ق.م.

كان مركز الحثيين في وسط الأناضول ولكنهم تحركوا جنوباً وشرقاً واستطاعت قوات شوبيلو إيلوما الأول ملك حاتي من هزيمة الميتانيين والسيطرة على شمال سوريا، فحكم من خلال الحكام المحليين الموالين له بالإضافة إلى نائبين عنه مقيمين في كركميش وفي حلب. جرت أهم المواجهات بين المصريين والحثيين خلال القرن الثالث عشر ق.م في معركة قادش (قادش هي المدينة الموجودة في تل النبي مند قرب حمص) التي انتهت بمعاهدة سلام تقسم مناطق السيادة بين الحثيين والمصريين. أما في الجزيرة فتعرض الملوك الميتانيون الضعفاء لهجوم من الشرق من قبل ملوك آشور في دجلة، فقضوا على الميتانيين نهائياً وضموا الجزيرة إليهم في القرن الثالث عشر ق.م ثم نافسوا الحثيين للسيطرة على سوريا.

٣-٣-١ قطنا:

كانت قطنا (الشكل ٤٤) خلال عصر البرونز الحديث عبارة عن مملكة محلية تقع في مناطق حدودية يتنافس عليها النفوذ العسكري والسياسي المصري والميتاني والحثي. تم بناء منطقة كبيرة لصناعة الخزف على قمة الرابية المتوسطة من أكربول المدينة وعند قاعدة تلك التلة يوجد القصر الملكي في القطاعات (G-H)، وإلى الشمال من المدينة أظهرت عمليات التنقيب الأثري قصراً آخر يُسمى قصر القطاع C على المنحدر الغربي للمدينة المرتفعة.

قصر قطنا الملكي:

اكتشف القصر الملكي في قطنا عالم الآثار الفرنسي الكونت دو بويسون عام ١٩٢٨ وفي عام ١٩٢٩. غادر هذا العالم قطنا معتقداً بأنه كشف كامل القصر (الشكل ٦٧). لم ينقب بعده الموقع حتى عام ١٩٩٩ عندما تابعت البعثة السورية-الإيطالية-الألمانية التنقيب وخصوصاً في منطقة القصر الملكي. حيث تولى الجانب الألماني العمل في الجزء الغربي منه (القطاع G)[١٩٧] أما البعثة الإيطالية فقد عملت على تنقيب الجزء الشرقي (القطاع H)[١٩٨].

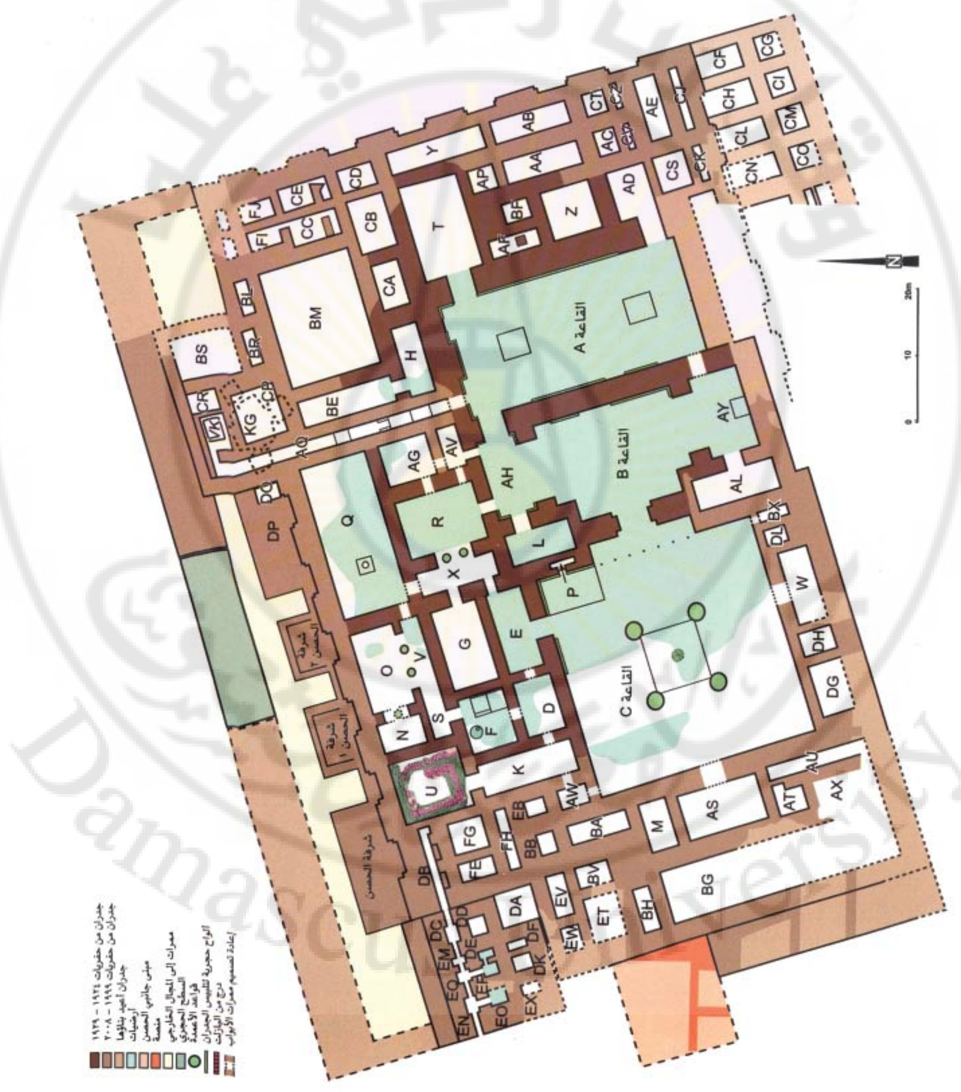
يحتل القصر الملكي الجزء الشمالي من الأكربول. يعد هذا القصر واحداً من أكبر القصور في سوريا القديمة (تبلغ أبعاده ١٥٠ X ١١٠ م)[١٩٩] وهو يضم أكثر من ٨٠ غرفة في الطابق الأرضي. نُفذت أساساته باللبن، وهي أساسات ضخمة وعميقة تصل إلى ٤ أمتار تحت

(١٩٧) تبلغ مساحة هذا القطاع ١٦٠٠ م٢ انظر: Novák, M. and Pfälzner, P. 2002, p. 63-110.

(١٩٨) انظر: Barro, A. 2002, p. 111-122.

(١٩٩) انظر: Barro, A. 2002, p. 111-122.

مستوى الأرضية، و يبلغ عرضها ما يقارب ١٠م[٢٠٠]. أضيف إليها أقنية تهدف إلى تصريف المياه. يشتهر القصر بطريقة بنائه في استخدام اللبن والعوارض الخشبية واستخدام الأعمدة في ممرات الأبواب بين الغرف (انظر الغرفةR على المخطط، الشكل ٦٧) تماماً كما في قصور بلاد الشام الأخرى وأهمها قصر آلالاخ العائد للسوية السابعة (الغرفتين 5 وA-5). كما ويشتهر باحتوائه على رسومات جدارية ملونة (عثر في الغرفة N الواقعة في الجزء الشمالي الغربي من القصر على عدة كسر من لوحات جدارية ملونة).



الشكل ٦٧: إعادة تصميم القصر الملكي في قطنا، عن: (بفيلتسنر، ب. ٢٠٠٩، ص. ١٦٦).

(٢٠٠) Novák, M. and Pfälzner, P. 2002, p. 80 ; 110.

يقع مدخل القصر الرئيسي في الجزء الغربي منه. ومن هنا كانت الغرفة AS تؤدي إلى القطاع الرسمي في القصر المؤلف من ثلاث صالات كبيرة هما جناحا الاستقبال والاحتفالات وغرفة العرش. تنفتح غرفة المدخل إلى القاعة C وهي أكبر صالات القصر (٣٦ X ٣٦م). استخدمت على الأغلب كقاعة استقبال الجمهور أو قاعة احتفالات. حمل سقفها على أربعة أعمدة خشبية ذات قواعد بازلتية. وهي القاعة التي عثر في زاويتها الشمالية – الشرقية على رقم مسمارية، وعلى أورتوستات تزين قواعد الجدران[٢٠١]. تنفتح هذه القاعة الضخمة على القاعة B عبر باب واسع (يبلغ عرضه ٦ م) يقع في منتصف ضلعها الشرقي. ويعتقد بأن الصالة B هي قاعة العرش ولكن بقاياها قليلة مما لا يساعد على الجزم بوظيفتها. تبلغ أبعادها ٤٥ × ١٤ م. في الجزء الجنوبي منها بقايا منصة أو مصطبة يعتقد بأنها قاعدة عرش الملك. تبلغ أبعاد القاعة A المجاورة ٤٠ X ٢٠ م. وهي إن لم تكن قاعة العرش فهي مخصصة للاحتفالات وتشكل جزءاً هاماً من الجناح الرسمي في هذا القصر. ينفتح ممر (AQ) بطول ٤٠ م عبر باب في الزاوية الشمالية الغربية من القاعة A ليفضي عبر درج نازل إلى غرف القبر الملكي تحت أرضية القصر (KG) على عمق ١٣ م.

القطاع الخدمي في الجزء الشمالي الغربي من القصر وهو مؤلف من الغرفة U المحتوية على بئر ماء ضخم وبجانبها الحمام في الغرفة F.

يقع القسم المخصص لسكن وإقامة العائلة الملكية حول الفناء الداخلي BM، في حين تم الكشف عن جناح للتخزين يقع إلى الشرق من القاعة A. يتألف هذا الجناح من ثلاثة صفوف من الغرف، معظمها ضيقة وطويلة (الصف الأول هو الغرف AB -Y، والصف الثاني هو الغرف AC- AP -AA أما الصف الثالث فيتألف من الغرفة المربعة Z والغرفة AF-AD).[٢٠٢] وخلال عصر البرونز الحديث الأول تم إضافة ملحق الغرف (CF-CO) عند الزاوية الجنوبية الشرقية من القصر.[٢٠٣]

تحولت منطقة القصر بعد التخريب في منتصف القرن الرابع عشر ق.م إلى خربة ولم تعد الحياة لها إلا في فترة القرن التاسع ق.م.

---

(٢٠١) Novák, M. and Pfälzner, P. 2002, p. 80-81.
(٢٠٢) Barro, A. 2002, p. 116-117.
(٢٠٣) المقدسي، م وموراندي بوناكوسي، د. ٢٠٠٥، ص. ٤٦-٤٧.

قصر المدينة المنخفضة في قطنا:

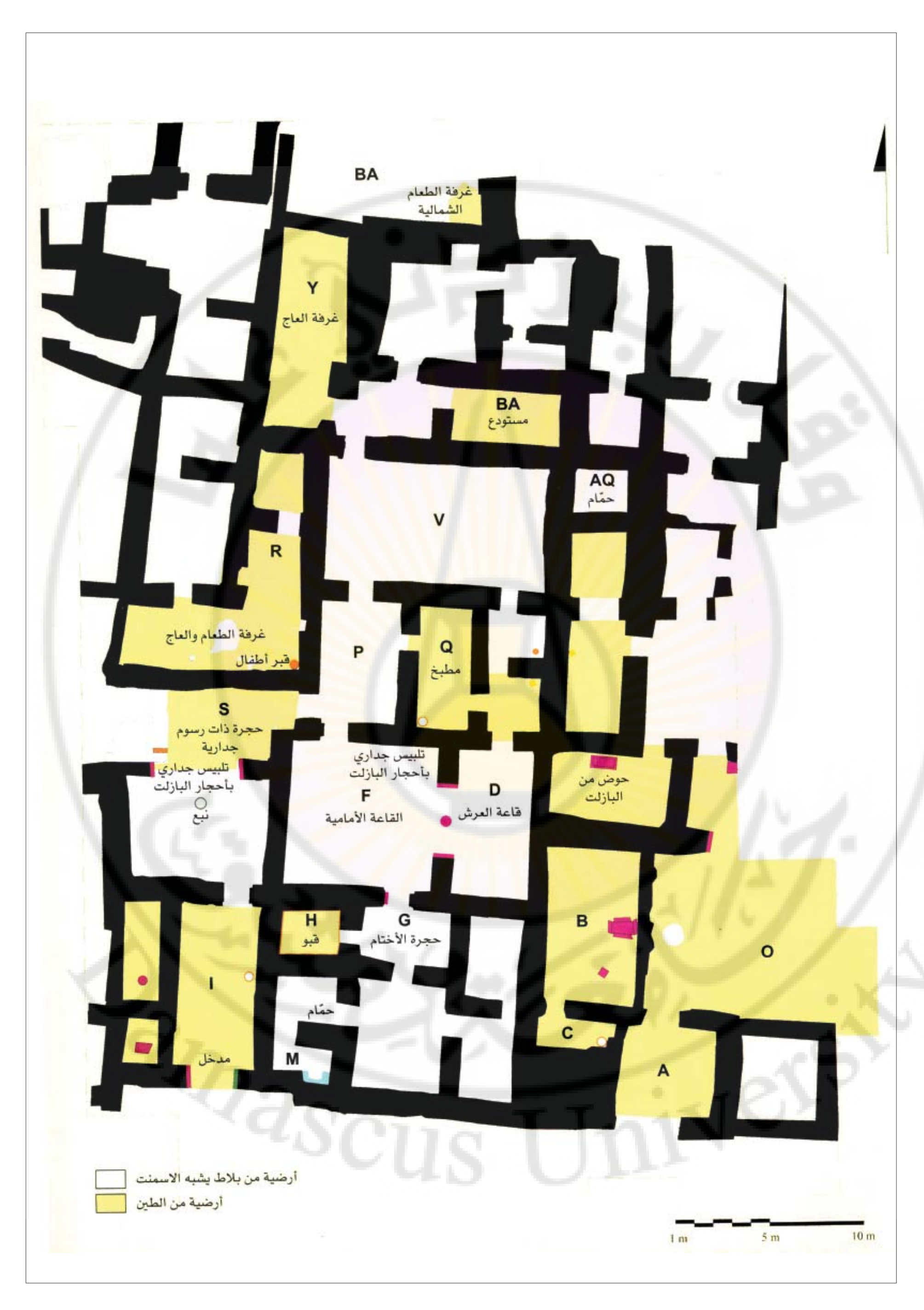
عاصر قصر المدينة المنخفضة (الشكل ٦٨) في قطنا القصر الملكي المشيد على أكربول المدينة، حيث كان القصر الملكي محاطاً بمجموعة من المباني العامة والقصور الأخرى التي يقطنها أفراد العائلة الملكية وأفراد طبقة النخبة (كما هو الحال في مدينة إيبلا، انظر سابقاً)، منها قصر المدينة المنخفضة الأكثر حفظاً.

وقد بني هذا القصر وفق ذات المعايير التي تشيد بها القصور في بلاد الشام من حيث الأرضيات المبنية من الملاط الكلسي السميك والأبواب العريضة والأورتوستات المستخدمة في الأجزاء السفلية من الجدران وجوانب الأبواب واستخدام الأعمدة البازلتية، وتوظيف الخشب في تقوية الجدران المبنية من اللبن غير المشوي وتزيين الجدران بالرسومات الجدارية الملونة المتأثرة بالفن المينوي (انظر قصور آلالاخ). أما من حيث المخطط العام فقد بني القصر وفق الطراز السوري الكلاسيكي في المنطقة.

شيد قصر المدينة المنخفضة على طرف الأكربول بشكل ممتد حتى الجزء الشمالي من المدينة المنخفضة (في منتصف الطريق بين القصر الملكي والبوابة الشمالية للمدينة). واستخدم بين القرنين السادس عشر والرابع عشر ق.م.

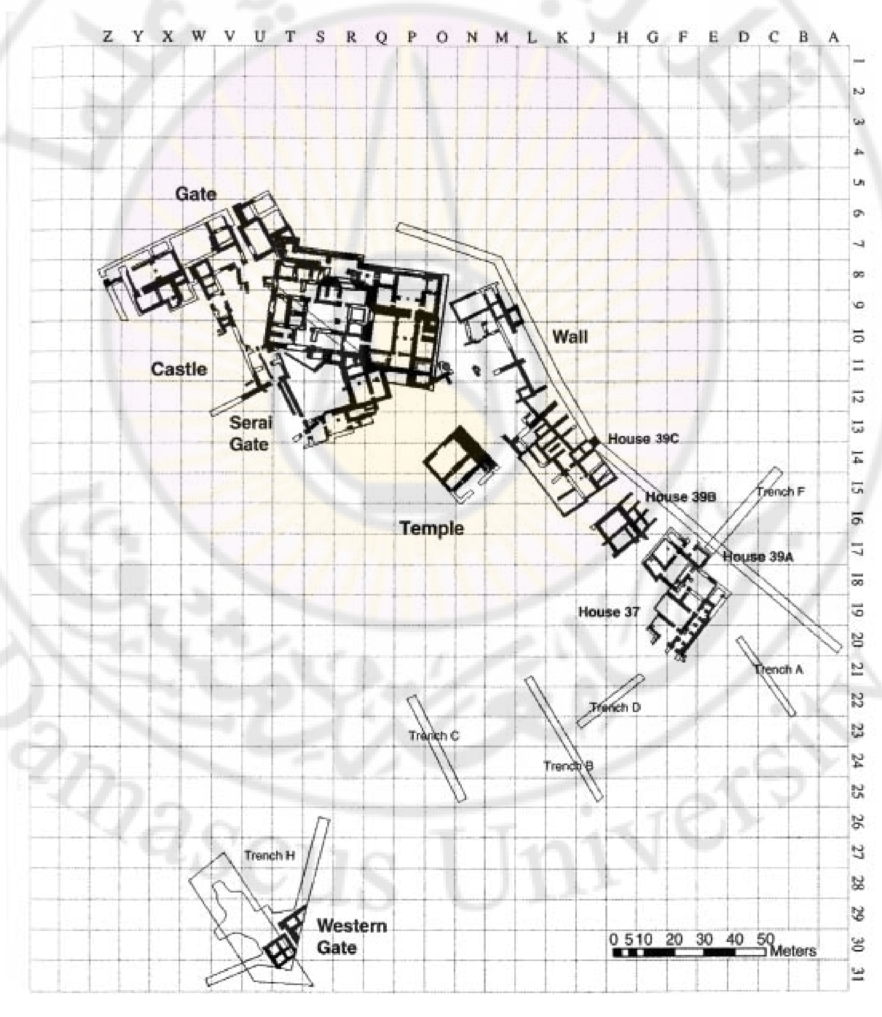
يتألف القصر شأنه شأن القصور الأخرى من العديد من القطاعات المتجاورة ذات الوظائف المختلفة. فيه قطاعات التخزين والقطاعات الخدمية (منها المطابخ والحمامات) والمساكن والقطاع الإداري أو الرسمي. يتميز باحتوائه على مدخلين يقعان في واجهته الجنوبية (المدخل A) والمدخل (I). ولكن غرفة المدخل (I) الواقعة في الجزء الغربي من الواجهة الجنوبية هي المدخل الأساسي، حيث تفضي إلى مجموعة من الغرف التي تؤدي بدورها إلى الجناح الرسمي.

يقع الجناح الرسمي في الجزء الجنوبي الغربي من القصر ويتألف من "غرفة العرش" (D) المرتبطة بغرفة الاستقبال المخصصة للمراسم الرسمية (F) مثل إقامة الولائم والاحتفالات الرسمية. تنفتح قاعة العرش على القاعة الأمامية عبر مدخل عريض فيه عمود (انظر ممرات الأبواب في قصر أوغاريت وقصور آلالاخ). لغرفة العرش مرفقات على غرار قصور آلالاخ وحاصور (انظر لاحقاً) حيث تنفتح غرفة العرش على غرفة الأختام (G) التي عثر بداخلها على الكثير من الأقفال الطينية وعلى غرف خدمية منها الحمام (M)، والقبو (H) لتخزين الخمر والبيرة.



الشكل ٦٨: قصر المدينة المنخفضة في قطنا، عن: (موراندي بوناكوسي، د. ٢٠٠٩، ص. ١٥٦).

يتألف الجناح الشمالي من القصر من غرف ذات وظيفة اقتصادية، وهو عبارة عن مجموعة الغرف الموزعة بشكل غير متناظر حول باحة داخلية (V). شغلت بعض هذه الغرف الورشات الحرفية (هناك أدلة على صناعة المعادن) والمستودعات المختلفة (منها مستودعات للمواد الثمينة، مثل الغرفة RوY) وغرف الأرشيف، حيث عثر في الغرفة (R) على ثلاثين وثيقة كتبت بالمسمارية (بين ألواح وكسر) وعلى الكثير من قطع الزخرفة العاجية وقرون الأيلة والعظام. يحتوي هذا الجناح أيضاً على مطبخ (Q)[٢٠٤].



الشكل ٦٩: مخطط آلالاخ السوية ٤، عن: (Yener, K. A. 2005, fig. 4.30).

(٢٠٤) بوناكوسي، د. ٢٠٠٩، ص. ١٥٨.

٣-٣-٢ آلالاخ:

تغيرت معالم الأكربول في آلالاخ خلال عصر البرونز الحديث الأول (السوريات IV-VI)، حيث كان الجزء الإداري أو الرسمي خلال عصر البرونز الوسيط (السوية VII) مؤلفاً من القصر الملكي الواقع في قلب الأكربول ومن المعبد المجاور له تماماً. ولكن التخطيط العمراني في آلالاخ شهد تغيراً في البرونز الحديث، حيث تغير موقع القصر الملكي وانفصل عن المعبد خلال سوية عصر البرونز الحديث الأول (السوية IV). فقصر السوية الرابعة (الشكل٦٩) يقع إلى الجنوب الشرقي من بوابة الأكربول الواقعة في الجزء الشمالي الغربي من التل. تنفتح هذه البوابة على ساحة كبيرة، تنفتح بدورها على القصر الملكي. كما أن البوابة مرتبطة أيضاً بقلعة صغيرة تقع في الجزء الشمالي الغربي من التل. وتعد هذه القلعة بمثابة الجناح الغربي من القصر الملكي وأعيد بناؤها في السوية الخامسة. للأكربول بوابة أخرى بنيت خلال هذه الفترة وهي المسماة البوابة الغربية الواقعة في الجزء الجنوبي الغربي من التل. وتقع المنازل السكنية (المنقبة فقط) في الجزء الشرقي من التل (لاحظ على المخطط المنازل a-b-c93).

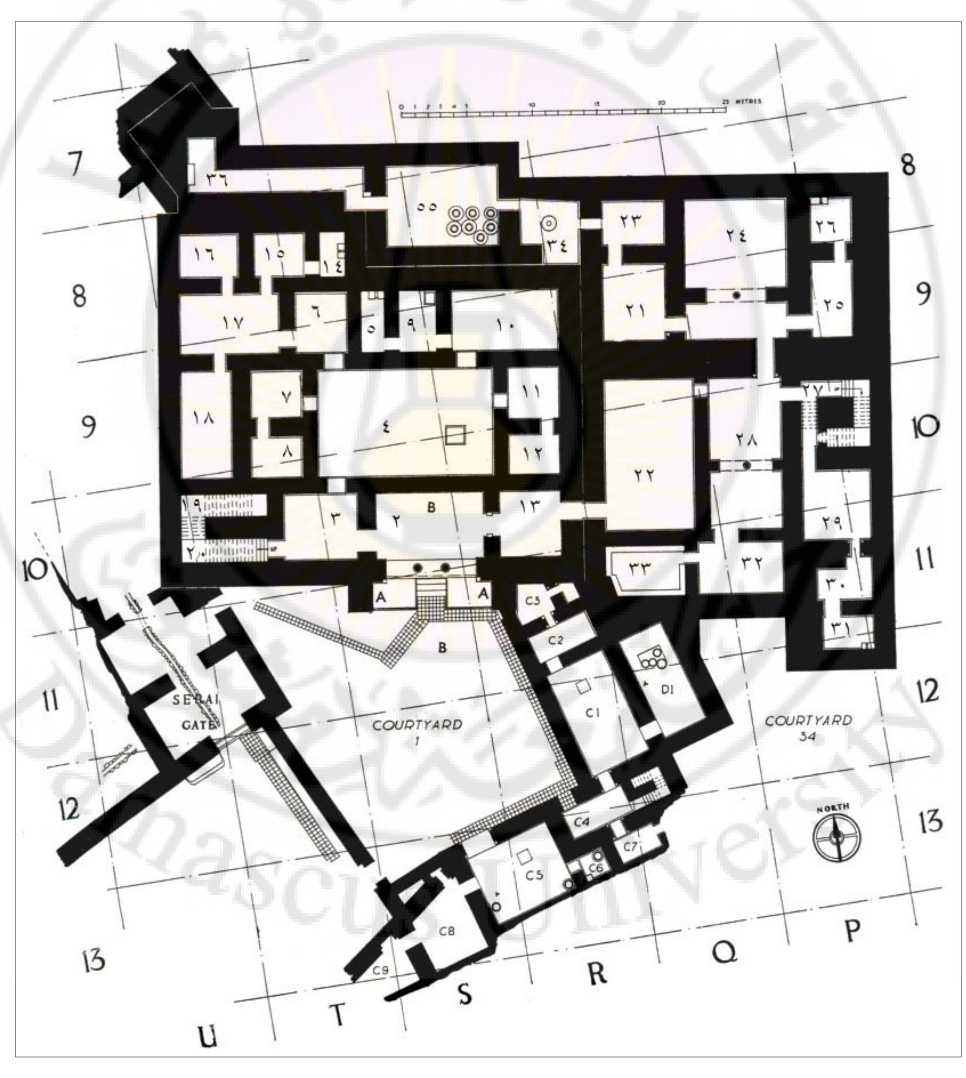
تدمرت مدينة السوية الرابعة على يد الحثيين حوالي ١٣٧٠ ق.م فدمرت جميع المباني (القصر والقلعة والمعبد) وأعيد بناؤها خلال السويات اللاحقة (III-I). حيث أعيد بناء المعابد في ذات الموقع في كل سوية وأعيد بناء القلعة كذلك ولكن القصر لم يعد بناؤه. أعطى قصر آلالاخ السوية الرابعة أرشيفاً ملكياً يعود لفترات حكم كلٍ من الملك إدريمي ونقميبا وإيليم إليما الموالين للملوك الميتانيين[٢٠٥]. وهو يشتهر بمدخله العريض والمحتوي على عمودين والمحاط جانباً بدرج ضخم، لأن هذا الطراز هو أصل بيت حيلاني الذي شاع استخدامه خلال الألف الأول ق.م.

قصر آلالاخ السوية IV:

شُيد القصر الملكي في آلالاخ العائد لعصر البرونز الحديث (١٤٥٠-١٣٧٠ ق.م) على مصطبة خاصة وله باحة أمامية تسبق مدخله واشتهر بالأورتوستات التي تزين جدرانه الداخلية (الشكل ٧٠). وهو قصر الملك نقميبا حفيد ياريم-ليم[٢٠٦]. شيد القصر الملكي - بالقرب من بوابة المدنية الشمالية الغربية- باللبن على أساسات حجرية واستخدم الخشب في عمارته أيضاً. عثر بداخله على أرشيف ملكي هام جداً.

(٢٠٥) للحصول على فكرة موسعة حول النصوص الكتابية التي عثر عليها في آلالاخ انظر: Von Dassow, E. 2005, p. 1-69.
(٢٠٦) Woolley, L. 1955, p. 110-121, fig. 44-45.

يقع مدخل القصر في الواجهة الجنوبية وهو مسبوق بدرج يفضي إلى القصر من الباحة الأمامية. تتميز غرفة المدخل المستطيلة بشكل عرضاني بواجهة عريضة مفتوحة على الخارج يقوم في عرضها عمودان. وهي محاطة بغرفة صغيرة من كل جانب (الغرف ١٣ و ٣). تفضي الغرفة الغربية إلى بيت الدرج (١٩-٢٠) المؤدي إلى الطابق العلوي. إن شكل هذا المدخل العريض مع الأعمدة والغرف المحيطة به بالإضافة إلى بيت الدرج القريب من المدخل هما أصل طراز بيت حيلاني الذي اشتهرت به عمارة الألف الأول ق.م في بلاد الشام.



الشكل ٧٠: القصر الملكي في آلالاخ (السوية ٤- برونز حديث)، عن: (Woolley, L. 1955, fig. 45).

يحتل القطاع الرسمي الجزء المركزي من القصر، حيث تقع صالة العرش بعد غرفة المدخل وهي أيضاً غرفة مستطيلة بشكل عرضاني (القاعة ٤) ومحاطة بغرفتين من الجانب الشرقي وغرفتين من الجانب الغربي. تتصل هذه الملاحق مع بعضها ولكن مدخلاً واحداً يفضي إليها من عمق قاعة العرش. تتصل قاعة العرش أيضاً مع حمام خاص يقع إلى الشمال منها (كما في قصر قطنا حيث يقع الحمام إلى الشمال من القاعات الرسمية الخاصة بالاحتفالات والعرش).

تقع تتمة القطاع الرسمي من القصر في الجناح الشرقي، تفضي إليه الغرفة رقم ١٣ ويتألف هذا الجناح من صالتين مركزيتين (الغرفة رقم ٢٤ و الغرفة رقم ٢٨ على المخطط) وهما غالباً جناحا استقبال واحتفالات. قسمت كل واحدة إلى جزئين بواسطة عمود في المدخل (كما في قصر السوية السابعة وقصر الأكربول في قطنا). ارتبطت الصالة الجنوبية بغرفة صغيرة مجهزة بمصاطب بملاصقة جدرانها الأربعة (الغرفة ٣٣)، عثر بداخلها على رقم مسمارية مما دفع المنقب إلى اعتبارها غرفة الأرشيف[٢٠٧]. يفضي الدرج الضخم في الغرفة ٢٧ إلى المساكن الملكية في الطابق العلوي.

يقع القطاع الخدمي (مطابخ القصر حسب المنقب وولي)[٢٠٨] إلى الجنوب- الشرقي من مدخله، أما المنازل السكنية وصالات الاستقبال فهي موجودة في قطاع خاص وشبه مستقل يقع إلى الشرق من القطاع الرسمي.

معابد آلالاخ البرجية:

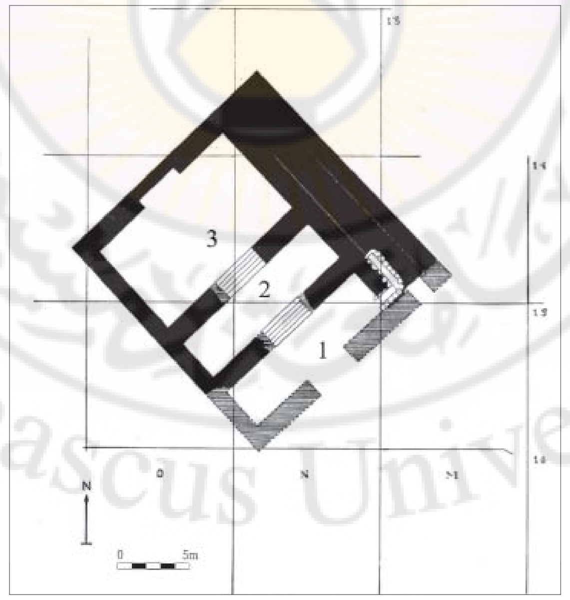
لم يتغير موقع المعبد البرجي في آلالاخ خلال حياة المدينة منذ سويات البرونز الوسيط وحتى آخر سوية مؤرخة بالبرونز الحديث. حيث بني في الجزء الشمالي الشرقي من الأكربول معبداً برجياً في كل سوية معمارية. وعلى الرغم من أن المعبد خلال البرونز الوسيط كان مجاوراً للقصر الملكي (انظر مخطط السوية السابعة، الشكل ٦٣-٦٤) إلا أن قصر البرونز الحديث انتقل إلى الجزء الشمالي الغربي من الأكربول بينما لم يتغير مكان المعبد حتى دمار المدينة (الشكل ٦٩).

تتميز المعابد البرجية بأنها أبنية ذات مخططات بسيطة مؤلفة غالباً من غرفة رئيسية واحدة مسبوقة بمدخل. ولكنها تتميز بمجموعة خصائص هي : شكل البناء الخارجي المربع أو المستطيل بشكل عرضاني (عندما يكون البناء مستطيل فإن الأبنية البرجية تتميز بأن الفارق بين طولها وعرضها قليل لا يتجاوز الخمسة أمتار)، والأساسات أو الجدران العريضة، واحتواء

(٢٠٧) Woolley, L. 1955, p. 114.
(٢٠٨) Woolley, L. 1955, p. 112, fig. 45.

المعبد على درج إما في واجهته أو في عمق البناء (بناء عالٍ/برج). مما يعطي المخطط شكلاً متكتلاً، كان له امتداداً شاقولياً (أي أنه كان بناءً مرتفعاً) على عكس الأبنية المستطيلة بشكل طولاني ذات الامتداد الأفقي.

يتألف معبد آلالاخ البرجي العائد للسوية الرابعة من بناء مربع الشكل أبعاده ١٤,٦٠ X ١٤,٦٠م (الشكل ٧١). بنيت جدرانه من اللبن على قاعدة من الأساسات الحجرية وكسيت قواعد هذه الجدران بالأورتوستات. يبلغ عرض هذه الجدران ١,٢٠ م. يوضح مخطط المعبد بأنه مؤلف من ثلاث غرف: تشكل الغرفة الأولى (رقم ١ على المخطط) مدخل البناء الرئيسي على شكل رواق أو مدخل مفتوح يقع بين امتداد الجدارين الطولانيين للبناء (الجدار الجنوبي الشرقي المرسوم على المخطط باللون الفاتح لم يعثر عليه في التنقيب وإنما هو إعادة تخيل من قبل المنقب). أما الغرفة الثانية فهي غرفة المدخل الثانية وتفيد في التمهل قبل الوصول إلى الغرفة الأكثر قدسية. أما الغرفة الرئيسية أو قدس الأقداس أو "السيلا" (رقم ٣ على المخطط) فهي غرفة مستطيلة بشكل عرضاني، تحتوي على محراب في منتصف الجدار الخلفي، يقع على محور البناء المركزي وهو محور الأبواب الثلاثة المنتهي بالمحراب في عمق البناء. ومن الجدير بالذكر أن جميع مواصفات المعابد البرجية تنطبق على هذا المعبد (الشكل المربع، الأساسات العريضة، الدخول المباشر وغيرها من الصفات) عدا وجود الدرج[٢٠٩].



الشكل ٧١: معبد آلالاخ السوية ٤، عن: (Woolley, L. 1955, fig. 30).

(٢٠٩) يشكل معبد السوية الرابعة في آلالاخ ومعبد عين دارا (عصر الحديد) الاستثناءين الوحيدين للمعابد البرجية بعدم احتوائهما على الدرج رغم أن جميع صفاتهما الأخرى تشير إلى انتمائهما بوضوح لسلسلة المعابد البرجية التي ظهرت في بلاد الشام منذ عصر البرونز الوسيط وحتى عصر الحديد.

بنيت العديد من المعابد البرجية خلال سويات البرونز الحديث في آلالاخ وفق ذات الطراز المعماري، مع اختلافات طفيفة في الشكل[٢١٠].

أعطت المنطقة الواقعة إلى الشرق من آلالاخ مثالاً هاماً عن المباني العامة في كلٍ من جنداريس وتل آفس، كما ظهر القليل من الآثار الدالة على استيطان حقيقي في إيبلا. أعطت السويات العائدة لعصر البرونز الحديث في موقع أم المرا أمثلة كثيرة عن العمارة السكنية.

٣-٣-٣ تل رأس الشمرا (أوغاريت):

تقع أوغاريت (رأس الشمرا) على بعد عدة كيلومترات من رأس مينة البيضا في اللاذقية (وهي تبعد ٨ كم شمال اللاذقية)، غرب جبل الأنصارية. ويرتفع التل الأثري حوالي ١٨م عن السهول المحيطة به. وهو محاط بنهرين صغيرين شمالاً وجنوباً (نهر شبيب ونهر الدلبة جنوباً، انظر الشكل ٧٢). أعطت أوغاريت أهم المعطيات والمعلومات التي نملكها عن عصر البرونز الحديث.

تاريخ التنقيبات:

نقب تل رأس الشمرا لأول مرة عام ١٩٢٩ على يد الباحث كلود شيفر حتى عام ١٩٣٩. وبعد انقطاع دام تسعة سنين بسبب الحرب العالمية الثانية، استأنف الباحث أعماله من عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٧١. فكشفت التنقيبات عن آخر استيطان يعود لعصر البرونز الحديث (القرنين ١٣-١٤ ق.م) من خلال الآثار التي تعرضت لحريق أنهى حياة المدينة.

بعد عام ١٩٧١ تابع الحفريات الكثير من الباحثين مثل كونتنسون (H. de Contenson)[٢١١] وجان كلود مارجرون (J.-C. Margueron)[٢١٢]. ثم تأسست بعثة سورية-فرنسية مشتركة بدأً من العام ١٩٧٨ وأدارها العديد من العلماء منهم مارجريت يون (M. Yon)[٢١٣] وإيف كالفيه (Y. Calvet) عن الجانب الفرنسي والأستاذ بسام جاموس ثم جمال حيدر عن الجانب السوري[٢١٤].

(٢١٠) انظر : التونسي، ع. ٢٠١٢، ص. ٣-٤١.

(٢١١) Contenson, H. *et al*. 1974, p. 1-30.

(٢١٢) Margueron, J.-C. 1977, p. 151-188.

(٢١٣) Yon, M. *et al*. 1982, p. 169-192 ; Yon, M. *et al*.1983, p. 193-224 ; Yon, M. 1995, p. 15-25.

(٢١٤) Matoïan, V. 2008, p. 13.

تنظيم المدينة:

كانت أوغاريت عاصمة لمملكة غنية تسيطر على مساحة صغيرة نسبياً تضم السهل الساحلي الغني بزراعة الزيتون والعنب وغيرها من المحاصيل، والمرتفعات الغنية بالأخشاب الضرورية لبناء السفن بالإضافة للموارد المائية. على الرغم من اقتصاد أوغاريت القوي إلا أنها كانت تابعة لقوى العصر العظمى، أولاً لمصر ثم للملوك الحثيين في فترة أحدث. تعد مثالاً مهماً عن المراكز الحضرية خلال البرونز الحديث. كما أدت أوغاريت دوراً هاماً في تجارة شرق المتوسط.

تبلغ مساحة المدينة ٣٠ هكتاراً (نقب منها إلى الآن ٦ هكتارات فقط). يقع الأكربول الصغير في الجزء الشمالي من الموقع، الذي تعرض لانجرافات في الجهة الشمالية والجنوبية والغربية. وعلى العكس من مواقع سوريا الداخلية بنيت أوغاريت بالحجر (كمواقع الساحل الأخرى).

تحتل الأبنية الدينية مكاناً هاماً في المدينة على الأكربول (معبدي بعل ودجن) مما يجعلها مشرفةً على المباني الأخرى (الشكل ٧٢). ويوجد على الأكربول مساكن طبقة النخبة، مثل منزل الكاهن. أما القصور (الحي الملكي) فتقع في محيط المدينة في الجزء الغربي والشمالي الغربي وهي على التوالي من الشمال الغربي: القصر المؤرخ ببداية عصر البرونز الحديث في الشمال الغربي المسمى بالقصر الشمالي (مساحته ١٥٠٠ م^{2} يحتوي على ثلاثين غرفة، بني حوالي ١٦٠٠ ق.م وهجر خلال القرن الرابع عشر ق.م)، وقصر الملكة الأم ثم القصر الملكي في الغرب بالقرب من تحصينات المدينة الغربية. حيث كان القصر محمياً بالساتر الدفاعي المبني من الحجر.

تمتد القطاعات السكنية المكتظة في كامل المدينة وهي منظمة في قطاعات أو جزر سكنية محددة بشوارع. وهذه القطاعات هي المسماة على المخطط (مركز المدينة، المدينة الجنوبية، والمدينة المنخفضة الشرقية والغربية)، للمدينة بوابة أخرى هي البوابة الجنوبية التي ينطلق منها شارع شمالاً.

قصر أوغاريت الملكي:

بني خلال القرن الرابع عشر ق.م. يحتل القصر مساحة هكتار وفيه ما يقارب المائة غرفة (الشكل ٧٣)، وتدل الأدراج على وجود طابق علوي على الأقل. تؤدي البوابة الغربية المحصنة (برج) إلى الساحة الملكية المفضية إلى قطاع القصر الملكي وإلى معبد القصر الملكي الواقع إلى الشمال منه وإلى المبنى المستطيل شمال المعبد العائد للقصر أيضاً.



الشكل ٧٢: أوغاريت، عن: (كوبي، آ. ٢٠٠٩، ص. ٦٠).

يتألف مدخل القصر من غرفة واجهتها العريضة تحتوي على عمودين لحمل الساكف، حيث تؤدي هذه الغرفة إلى باحة كبيرة مبلطة. تفضي الباحة بدورها إلى غرفة مدخل معمدة أخرى تسبق غرفة العرش وهي الجزء الرسمي أو الإداري في القصر. أحيطت غرفة العرش إلى الشرق تماماً "بغرفة الولائم" وهي تؤلف أيضاً جزءاً من القطاع الرسمي في القصر. نلاحظ أنها ملاصقة لغرفة العرش وتشترك معها بجدار وبالمدخل، فغرفة المدخل المروقة التي تسمح بالوصول إلى غرفة العرش، هي أيضاً المعبر الوحيد لغرفة الولائم.



الشكل ٧٣: القصر الملكي في أوغاريت، عن: (Callot, O. et Margueron, J.-C. 2008, fig. 6a).

تقع الأجزاء الخاصة والباحات والحديقة في الجزء الجنوبي والشرقي من القصر. فإلى الشرق من الجزء الرسمي هناك باحتان لكل منها رواق محاطة بغرف من بينها الغرف الصغيرة التي تحتوي على الدرج (بيت الدرج). يحتوي القصر على باحة أخرى تقع في الجزء الجنوبي منه فيها حوض ماء كبير ونظام توزيع المياه بالأنابيب.

تقع القبور الملكية في الجزء الشمالي تحت الغرف وهي تتألف من دروموس يحتوي على درج ينحدر ليؤدي إلى غرف الدفن المقببة التي عثر عليها منهوبة. يحتوي القصر أيضاً على حديقة كبيرة تحتل الجزء الجنوبي-الشرقي منه وهي مسبوقة بمدخل معمد. وكما هو الحال في القصور الأخرى تقع المساكن في الطابق العلوي.

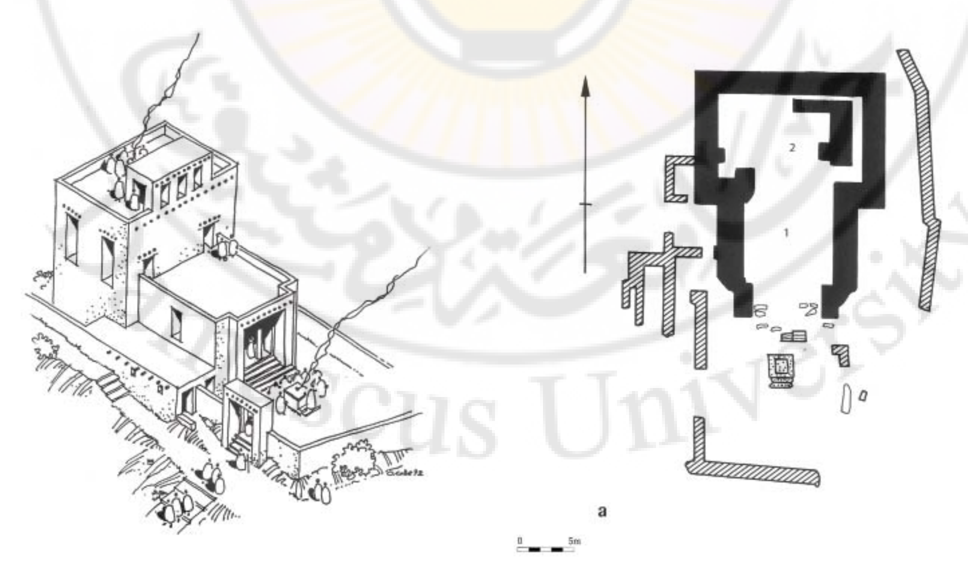
عثر في هذا القصر على ١٣٥ طبعة ختم مما سمح بترتيب قائمة بملوك أوغاريت من القرن الرابع عشر وحتى القرن الثاني عشر قبل الميلاد. كما أنه أعطى مئات الرقم المسمارية، كتب العديد منها بالمسمارية التي تعتمد الأبجدية وتدون لغة محلية سامية غربية (هي الأوغاريتية).

بالإضافة إلى نصوص بالأكادية وأخرى بالسومرية، بالحورية والحثية والمصرية والقليل من النصوص القبرصية-المينوية. إن نصوص أوغاريت التي عثر عليها في كل من القصر والمباني الأخرى تعد ثروة هامة وهي تصب في كل المجالات الاقتصادية والسياسية والدينية.

معابد أوغاريت البرجية:

معبد بعل:

يقع معبد بعل (الشكل ٧٤) في الجزء الشمالي الشرقي من أكربول المدينة وهو مجاور لمعبد دجن ولمنزل الكاهن الذي أعطى أكبر مكتبة في الموقع. نقب المعبد من قبل كلود شيفر خلال ثلاثينيات القرن الماضي وقد كان منهوباً خلال القرن التاسع عشر[٢١٥]. تتألف بقايا المعبد من الأجزاء السفلية من الجدران بينما اختفت كامل الأجزاء العلوية منه. أبعاد المبنى: ٢١,٦٠ X ١٦,٦٠م. أحيط المعبد بجدار خارجي يحدد فضاءه المقدس ويفصله عن المحيط المدني، حُفظت أجزاؤه في الجهة الشرقية والجنوبية الغربية. تقع فتحة المدخل في الجزء الغربي من السور وهي محاطة بغرف صغيرة ذات مخطط غير مكتمل، هي ملحقات المدخل (غرف الحراسة ومراقبة الدخول). تؤدي فتحة المدخل إلى الباحة التي يحددها سور المبنى، والتي تحتوي في مركزها على مذبح المعبد الذي تقدم عليه الأضاحي والنذر، وهو مؤلف من قاعدة حجرية في وسطها حفرة مربعة الشكل كانت مسبوقة بدرجتين. عثر بالقرب منه على ألواح حجرية



الشكل ٧٤: معبد بعل في أوغاريت، عن: (Margueron, J.-C. 2003, 201a+ 202).

(٢١٥) Schaeffer, C. 1931, p. 1-14 ; 1933, p. 119-121 ; Yon, M. 1997, p. 116.

بازلتية مثقوبة يعتقد بأنها المراسي التي كان يقدمها البحارة كنذر للإله بعل. بني المعبد وفق محور يتجه من الجنوب (حيث يقع المدخل) إلى الشمال.

بني المعبد على مصطبة (لذلك فإن مدخله مسبوق بدرج). يقع مدخل البناء مقابل مذبح الباحة تماماً وهو مدخل مركزي يقع على محور البناء الرئيسي. مخطط المبنى بسيط وهو مخطط محوري تماماً ذو نظام دخول مباشر. يتألف من غرفتين، الأولى بشكل مستطيل طولاني وهي غرفة المدخل التي تؤدي من طرفها الشمالي إلى الغرفة الرئيسية. وهذه الغرفة على عكس سابقتها صممت بشكل مستطيل عرضاني وتبلغ أبعادها ١٢,٧٥ X ٧,٥٠ م. يقع في طرفها الشرقي كتلة مبنية من الحجر المنحوت توازي جداري الغرفة الشرقي والشمالي وهي بقايا غرفة الدرج المؤدي إلى سطح المبنى، حيث تمارس الشعائر في أعلى البرج. ولذلك لم يعطِ المبنى أي أثاث في الطابق الأرضي. تدل سماكة الجدران على أن المبنى كان في ما مضى برجاً يقدر ارتفاعه ب ١٨ م (سماكة الأساسات ١,٧٠ م، انظر اعادة التخيل في الشكل ٧٤).

عثر في المعبد على نصب حجري، يحمل إهداءً للإله بعل مقدم من قبل شخصية مصرية رفيعة (ربما موظف) اسمه "مامي". نقش عليه مشهد مؤلف من شخصيتين متقابلتين وشريط من الكتابة الهيروغليفية. تمثل الشخصية الأكبر حجماً الإله بعل بينما يقف في مواجهته الموظف مامي الأصغر حجماً (كاتب ملكي وموظف في القصر)[٢١٦].

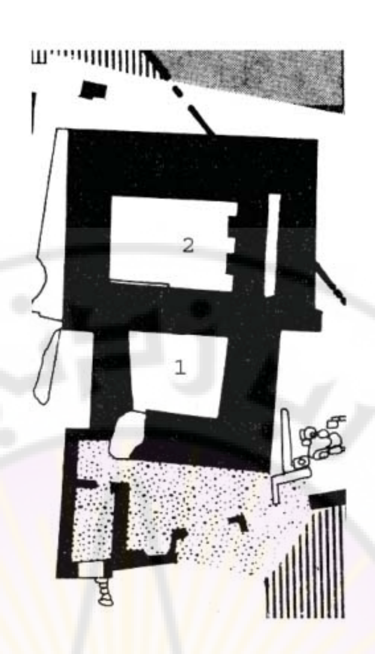
معبد دجن:

نقب معبد دجن (الشكل ٧٥) خلال عام ١٩٣٠ من قبل كلود شيفير وهو يقع إلى الشرق من معبد بعل على بعد ٥٢ م[٢١٧]. لم يبقَ منه إلا الأساسات العريضة جداً (٤-٥ م). بنى معبد دجن وفق ذات الطراز المعماري لمعبد بعل. له سور خارجي يحيط به يفصله على المحيط الخارجي والمباني الأخرى ويحدد له باحة محيطة به. تقع غرفة الحراسة في الزاوية الجنوبية الغربية من المبنى بملاصقة السور الخارجي، كما في معبد بعل. يرتفع البناء على مصطبة خاصة وهو مؤلف من غرفتين: المدخل والغرفة الرئيسية. تبلغ أبعاده الخارجية ٢١,٦٠ X ١٦,٦٠ م.

للغرفة الرئيسية شكل مستطيل تبلغ بأبعادها : ١١,٢٥ X ٦م. تحتوي على درج يقع في الجزء الشرقي من الغرفة (الجدار الشرقي الموازي لجدار الغرفة هو الجدار الذي يسند الدرج). عثر في باحة المعبد على نصبين من الحجر الكلسي يحملان إهداءات للإله دجن[٢١٨].

---

(٢١٦) Yon, M. 1991, fig. 8a.
(٢١٧) Schaeffer, C. 1935, p.154.
(٢١٨) Schaeffer, C. 1935, p. 155-156, pl. XXXI, 1-2-3; Yon, M. 1991, p. 302.



الشكل ٧٥: معبد دجن في أوغاريت، عن: (Yon, M. 1984, fig. 2).

معبد القصر الملكي (المسمى بالمعبد "الحوري"):

يقع المعبد الحوري في القصر الملكي (إلى الشمال الغربي منه، الشكل ٧٦). بني بشكل مطابق للمعابد الأخرى ولكنه أصغر حجماً (١٢,٥٠ X ٩,٥٠م). يتألف من غرفتين، تؤدي الأولى دور غرفة المدخل بينما خصصت الثانية لاحتواء الدرج المؤدي إلى السطح.

ضمت مملكة أوغاريت العديد من المراكز الأخرى (أو مراكز إقامة النخبة) مثل رأس البسيط الواقع في الحدود الشمالية لأوغاريت، وسيانو وسوكاس والدروك وعمريت. ويُعدّ موقع رأس ابن هانئ من أهم تلك المواقع ويعتقد بأنه بيروتي القديمة (يقع على بعد ٤ كم جنوب أوغاريت). احتوى الموقع على منازل غنية وعلى مبانٍ إدارية بنيت غالباً في زمن الملك الأوغاريتي أميشتمارو الثاني (منتصف القرن الثالث عشر ق.م). ويشتهر الموقع باحتوائه على قصرين، القصر الأكبر هو القصر الجنوبي الذي تصل مساحته إلى ٥٠٠٠ م^{٢}، أما القصر الشمالي فهو القصر الذي بني لأم الملك ويحتوي على أدلة قوية لممارسة الصناعات الحرفية مثل صناعة الأدوات الحجرية والعظمية، بالإضافة للصناعات المعدنية.

إلى الجنوب من مملكة أوغاريت يقع سهل عكار معقل مملكة آمورو والمنطقة الفاصلة بين مناطق نفوذ المصريين والحثيين، عاصمتها مدينة سومور القديمة في تل الكزل. على الرغم من صغر حجم هذا الموقع (٨ هكتار) إلا أنه احتوى على العديد من الأبنية السكنية الكبيرة التي تعود



الشكل ٧٦: معبد القصر الملكي في أوغاريت، عن: (Callot, O. et Margueron, J.-C. 2008, fig. 6a).

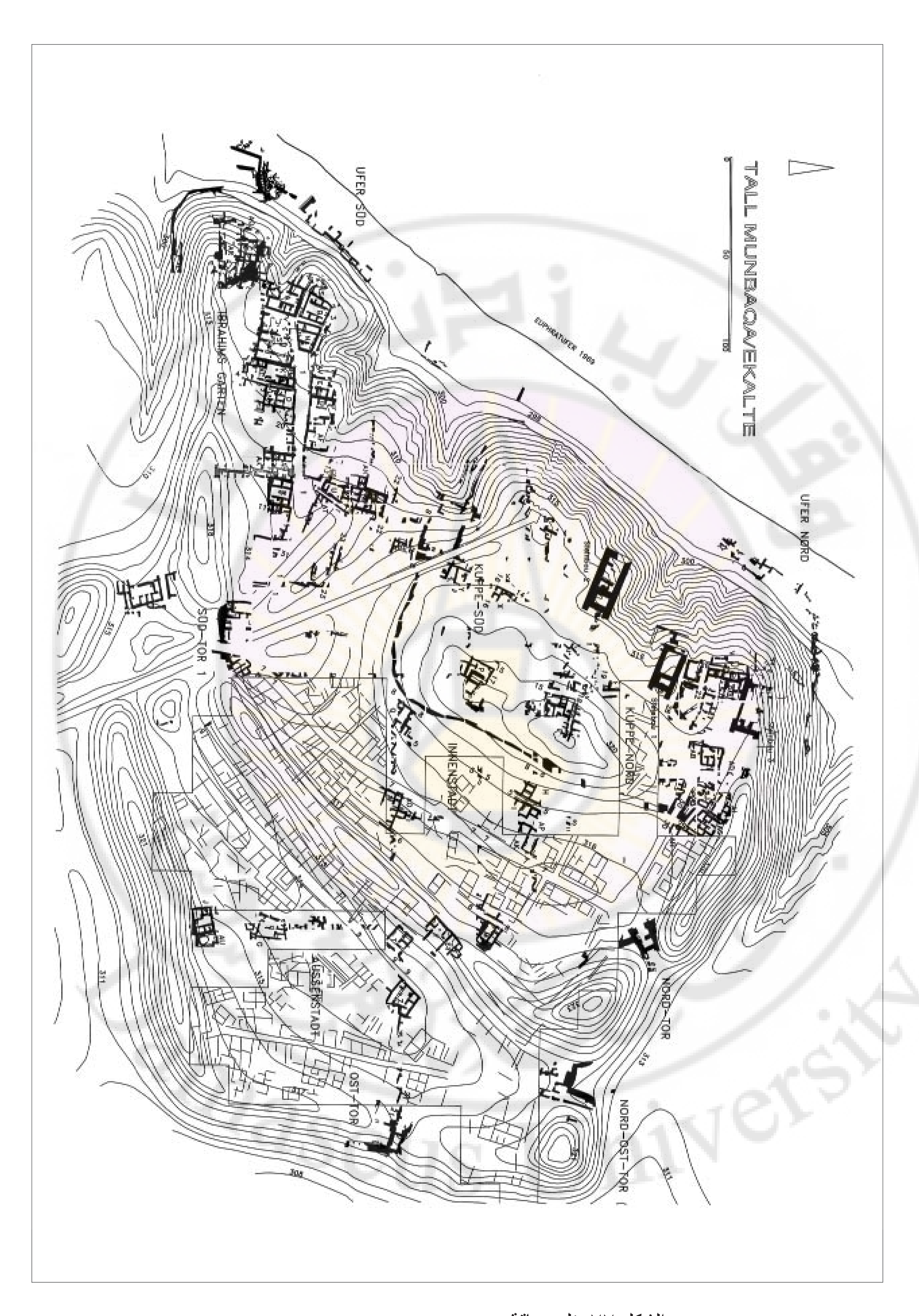
غالباً لطبقة النخبة الغنية. وعثر فيه أيضاً على طبعة ختم منقوشة بالهيروغليفية الحثية.

٣-٣-٤ منطقة الفرات:

على الرغم من أن نصوص الفراعنة تؤكد بأنهم وصلوا إلى منطقة الفرات وبأنهم وضعوا النصب (ستيلات) التذكارية على ضفاف النهر، إلا أن الفرات بقي في يد الميتانيين حتى قدوم الحثيين في القرن الرابع عشر ق.م. وبعد أن وطد الحثيون حكمهم أصبحت منطقة الفرات الأوسط بمثابة حدود دولتهم الشرقية ضد الميتانيين وضد الإمبراطورية الآشورية. كشفت الحفريات الأثرية عن العديد من المراكز الحضرية الكبيرة والمزدهرة في حوض الفرات. وتتميز هذه المواقع بعمارة التحصينات الكثيفة مما يدل على حجم الأخطار الخارجية. من أهم هذه المراكز هي تل منباقة (إيكالته القديمة) في منطقة سد الطبقة وتل حديدي (آزو القديمة) وتل مسكنة (إيمار القديمة).

٣-٣-٤-١ تل منباقة (إيكالتة):

يقع تل منباقة (مدينة إيكالته القديمة) في حوض الفرات الأوسط على الضفة الشرقية للنهر (الشكل ٧٧). وتتمتع منباقة بموقع استراتيجي هام بين كركميش في الشمال وإيمار في الجنوب وحلب الواقعة على بعد ٧٥ كم غرباً. من أهم أسباب ازدهارها قديماً أن النهر في هذه المنطقة كان قابلاً للملاحة فاستطاعت منباقة السيطرة على طرق التجارة البرية والنهرية. تبلغ مساحة الموقع ١٣,٢٣ هكتاراً.



الشكل ٧٧: تل منباقة، عن: (Werner, P. *et al*. 1988).

تاريخ التنقيبات:

بعد النداء الذي وجهته منظمة اليونسكو والمديرية العامة للآثار والمتاحف في دمشق لتنقيب المواقع المهددة بخطر الغمر بمياه بحيرة الأسد، قامت بعثة ألمانية من جميعة الشرق الألمانية (Deutschen Orient-Gesellschaft) بإجراء أول سبر في موقع تل منباقة عام ١٩٦٩ بإدارة الباحث إرنست هاينريش (E. Heinrich). ثم بدأت بعد ذلك التنقيبات بين الأعوام ١٩٧٠- ١٩٧١ و ١٩٧٩ ومنذ عام ١٩٨٣ حتى عام ١٩٩٤. وبعد انقطاع دام خمس سنوات استؤنفت الأعمال الأثرية في منباقة بين عامي ١٩٩٩ و ٢٠٠٤[٢١٩].

تعاقب على إدارة الحفريات الطويلة عدد من العلماء البارزين بعد هاينرش، نذكر منهم وينفرد أورتمان (W. Orthmann) وألفريد مورير (A. Maurer) وديتمار ماخوله (D. Machule)[٢٢٠].

تنظيم المدينة:

أنشئت المدينة المحصنة على الأكربول خلال عصر البرونز القديم ٣-٤ (السوية IV) وعثر على القبور العائدة لهذه المرحلة في المناطق المنخفضة إلى الجنوب الغربي وخارج تحصينات المدينة وعلى ضفاف النهر في المنطقة الشمالية الغربية من التل. دمرت هذه المدينة بحريق (الشكل ٧٧)[٢٢١].

وخلال عصر البرونز الوسيط (السوية III) بنيت مدينة أخرى محصنة أيضاً على الطرف الشمالي للموقع وفي الجزء الجنوبي الغربي (المسماة على المخطط باسم حديقة إبراهيم) وفي مركز المدينة (الجزء الشرقي).

عرفت إيكالته خلال عصر البرونز الحديث (السوية II) توسعاً كبيراً فانتشر العمران في كامل الموقع، على الأكربول وفي المناطق المنخفضة : شمالاً، الشمال الشرقي وشرقاً وجنوباً والجنوب الغربي وكذلك على ضفاف النهر الشمالية والجنوبية أيضاً.

إن مدينة البرونز الحديث (١٦٠٠-١٣٠٠ ق.م) هي مدينة محصنة، محاطة بساتر دفاعي يصل ارتفاعه إلى ١٠ أمتار من كل الجهات عدا الجهة الغربية المجاورة للنهر (تحصين طبيعي). وهي مقسمة إلى ثلاثة أقسام: المدينة الخارجية والمدينة الداخلية والأكربول.

(٢١٩) Blocher, F. *et al*. 2005, p. 99106-.

(٢٢٠) انظر: Werner, P. *et al*. 1998, p. 35.

(٢٢١) Orthmann, W. 1976, p. 44.

للمدينة المرتفعة تحصيناتها الخاصة، تبلغ مساحتها ٢,٠٨ هكتاراً. شهد العمران فيها توسعاً باتجاه الشمال والغرب خلال هذه المرحلة [٢٢٢]. في الجزء الشمالي الغربي (وهو جزء مرتفع جداً) ثلاثة أبنية مستطيلة تنتمي لطراز الأبنية المحورية الطولانية ذات الأروقة الأمامية (In-antis). أطلق عليها اسم المبنى الحجري ١ والمبنى الحجري ٢ والمبنى الحجري ٣ (الشكل٧٩). فُسرت وظائف هذه الأبنية من قبل الباحثين على أنها معابد ولكن دراسة خصائصها المعمارية توضح أنها أبنية إدارية يجتمع فيها أعضاء المجالس المحلية التي حكمت مدينة إيكالته وهم مجلس الآباء أو الشيوخ ومجلس الأخوة المذكورين بغزارة في نصوص منباقة وإيمار وغيرها[٢٢٣]. كما يوجد في هذا القسم من المدينة مسكن عمدة إيكالته وبعض المنازل الأخرى.

أحيطت المدينة المرتفعة بسور خاص يصل عرضه إلى ٤ أمتار له بوابتان واحدة في الشمال الشرقي والأخرى في الجنوب. بني السور باللبن والحصى على قاعدة من الحجر.

أحيطت المدينة المرتفعة بالمدينة الداخلية التي تصل مساحتها إلى ٤,٤٠ هكتاراً. لهذا الجزء من المدينة أيضاً تحصيناته الخاصة المؤلفة من سور وبوابتين: واحدة في الشمال والثانية في الجنوب. كانت تحتوي على الكثير من البيوت وتشتهر منباقة بأمثلتها الكثيرة عن العمارة السكنية. بالإضافة للمنازل احتوت المدينة الداخلية على بناء رسمي رابع له ذات الشكل الطولاني (المبنى الحجري ٤)، ويقع غرب البوابة الشمالية.

أحيطت المدينة الداخلية بالمنطقة الصناعية المسماة بالمدينة الخارجية (مساحتها ٢,٩٢ هكتاراً)، لها بوابتان: البوابة الأولى في جهة الشمال شرق والبوابة الثانية في الجزء الشرقي.

تمتلك المدينة شبكة طرقات منظمة جداً تصل مختلف أحياء المدينة ببعضها وتربط مختلف أجزائها من الخارج إلى الداخل. أعطت مدينة البرونز الحديث نصوصاً مسمارية أغنت معلوماتنا عن مختلف جوانب الحياة في مدينة إيكالته.

من الجدير بالذكر أن منباقة لا تحتوي على قصور، وهنا تؤدي النصوص الكتابية دوراً في تفسير غيابها. حيث وضحت لنا النصوص القديمة بأن مدينة إيكالته على العكس من المدن الأخرى كأوغاريت مثلاً لم تكن تحكم من قبل ملك ولم تكن تدار من قبل مؤسسة القصر، بل كانت تحكم من قبل سلطة محلية مؤلفة من مجموعة من الوجهاء الذين ينتمون بحسب مهامهم إما لمجلس القدماء (مجلس الشيوخ) أو لمجلس الأخوة، كانوا يجتمعون برعاية إلهة المدينة الرئيسية (بعلات)، بالإضافة للعمدة الذي يقع منزله في المدينة المرتفعة. لهؤلاء الوجهاء أختامهم الخاصة، لتوثيق نصوصهم الإدارية وقراراتهم المتعلقة بالشؤون المحلية والخارجية.

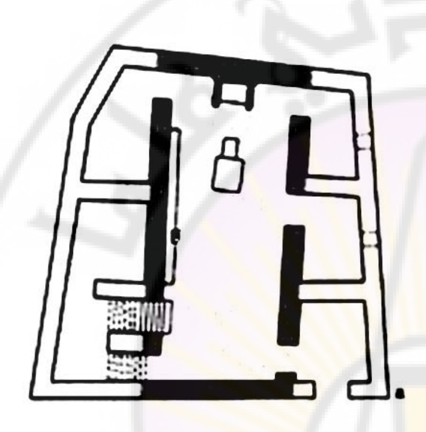
(٢٢٢) Werner, P. *et al*. 1998, p. 52.

(٢٢٣) للاستفاضة حول التحليل الوظيفي لهذا الطراز من الأبنية انظر: Al Mhdi Al Tounsi, O., 2013, p. 353-376.

المنازل:

أعطت إيكالته أمثلة غزيرة عن العمارة السكنية. يطلق على طراز منازلها عادةً اسم المنزل ذي الغرفة المركزية، لأن المنزل يمتاز بعنصر أساسي المكون من غرفة مستطيلة طولانياً هي الغرفة الرئيسية فيه. وهي أكبر حجماً من غيرها وتشكل القلب الوظيفي في هذا النوع من البيوت. أحيطت دوماً بمجموعة من الغرف الأصغر حجماً. تختلف أشكال البيوت العائدة لهذا النمط حسب توزع الغرف الصغيرة حول الغرفة المركزية:

تتميز منباقة بأن غرف منازلها المركزية كانت محاطة بصفين من الغرف الجانبية (على طول الضلعين الطويلين للغرفة المستطيلة، الشكل٧٨)[٢٢٤]. تكون الغرفة الطولانية (الغرفة الرئيسية) في هذه المنازل مجهزة عادةً بأثاث خاص: فهي مجهزة بمصطبة طويلة ملاصقة لجدار الغرفة الطويل (مقعد للجلوس)، بالإضافة إلى مصطبة أخرى ضيقة (أو منصة) مبنية غالباً في منتصف جدار العمق في الغرفة بشكل ملاصق أيضاً للجدار (لجلوس رب الأسرة). كما أن هذه الغرفة مجهزة أيضاً بفرن أو موقد للتدفئة المتوضع بشكل مركزي في الغرفة الرئيسية، بالإضافة إلى أفران الطبخ. تعطينا منازل منباقة انطباعاً بأن مستوى العائلات فيها كان متجانساً نسبياً وهي تتمتع بمستوى معيشي جيد.

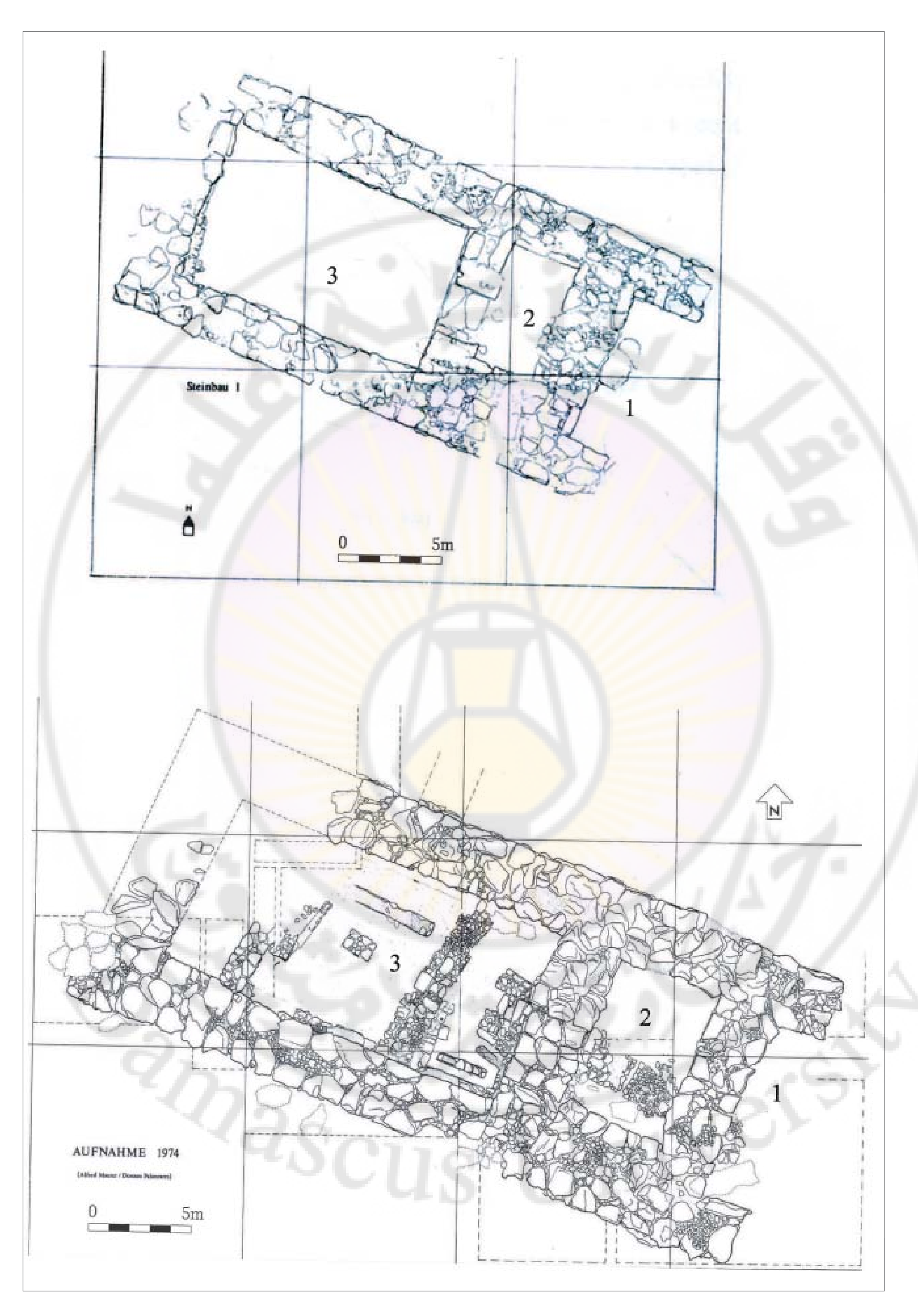


الشكل ٧٨: منزل من تل منباقة، عن: (Otto, A. 2006a, fig. 3).

الأبنية الطولانية ذات الأروقة الأمامية:

المبنى الحجري ١: يقع على الطرف الشمالي الغربي من المدينة بني من اللبن على أساسات حجرية ضخمة. تبلغ أبعاده ٢٢,٥٠ X ١٠,٨٠ م ويصل عرض جدرانه إلى ٣م. يتألف مخطط المبنى من ثلاث غرف متتابعة على محور واحد (الشكل ٧٩). الغرفة رقم ١: هي الرواق الأمامي أو غرفة المدخل المفتوحة (أبعادها ٧,٥٠ X ٣,٢٥ م)، متشكلة من امتداد الجدارين الطولانيين للمبنى (الجدارين الشمالي والجنوبي)، ولكن طرفها الشرقي مفتوح بشكل كامل على الخارج بينما يحتل وسط جدارها الغربي فتحة المدخل (بعرض٢,٧٥ م) إلى الغرفة رقم ٢. تتميز أرضية الغرفة ١ بأنها تقل ارتفاعاً عن أرضية الغرفة اللاحقة بما يعادل ٠,٢٠ م. الغرفة ٢: هي أيضاً غرفة مستطيلة بشكل عرضاني لها ذات أبعاد الغرفة السابقة

(٢٢٤) McClellan, Th. L. 1999, p. 26-49.



الشكل ٧٩: المبنى الحجري ١ والمبنى الحجري ٢ في منباقة، عن:
.(Orthmann, W. et Boese, J. 1976, fig. 4; Orthmann W. 1976, fig. 2)

(٧,٥٠ X ٣,٢٥ م). تحتوي في وسط جدارها الغربي على مدخل يؤدي إلى الغرفة رقم ٣ (وهي غرفة مدخل مغلقة Vestibule). الغرفة ٣ هي الغرفة الرئيسية في المبنى فهي الأكبر مساحةً، شكلها متطاول على خلاف سابقتيها. أبعادها: ١٢,٠٠ X ٧,٥٠ م. يقع مدخلها في منتصف ضلعها الشرقي[٢٢٥].

المبنى الحجري ٢: يقع المبنى الحجري ٢ أيضاً على الطرف الشمالي الغربي من المدينة المطل على الفرات، على بعد ٥٠ م جنوب غرب المبنى الحجري ١. وهو مطابق في مخططه للمبنى المجاور ولكنه يمتاز بأبعاده الكبيرة جداً حيث يبلغ طوله ٣٣ م وعرضه ١٥ م[٢٢٦].

كما أن جدرانه عريضة أيضاً ٣,٥٠ م. يدل حجم المبنى الكبير وانعزاله عن العمارة السكنية المحيطة بأنه يتمتع بأهمية خاصة فربما كان هذا البناء قد خصص لاجتماع مجلس الشيوخ (أو ما سمي في النصوص القديمة باسم مجلس الآباء أو القدماء) المعنيين بإدارة شؤون المدينة الإدارية والسياسية حسب النصوص القديمة.

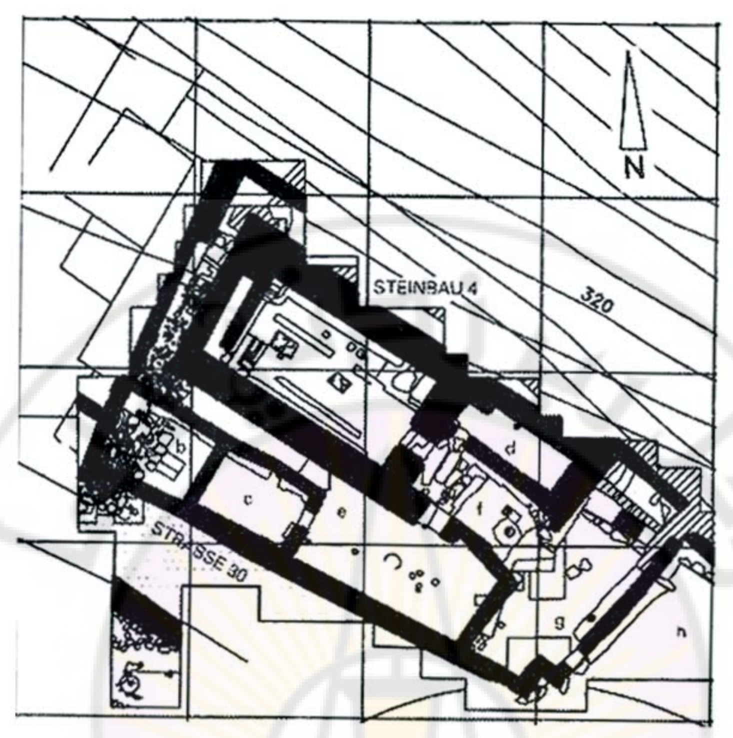
المبنى الحجري ٣: هو المبنى الأخير الواقع على الطرف الشمالي الغربي والمشرف على الفرات. تبلغ أبعاده ٢٩ X ١٥م ولجدرانه عرض ٢,٧٥ م تقريباً. بنى وفق ذات الشكل ولكنه احتوى على بعض التعديلات الطفيفة، كغرفة مدخله المحاطة بغرفتين صغيرتين، واحدة من كل جانب. حيث يفضي المدخل مباشرة إلى غرفة الاجتماعات المستطيلة بشكل طولاني.

المبنى الحجري ٤: يقع المبنى الحجري الرابع في المدينة الداخلية غرب البوابة الشمالية (الشكل ٨٠). يمتاز هذا البناء دوناً عن غيره بسور خارجي يضم مجموعة من الغرف الخدمية في الباحة[٢٢٧]. ولكن البناء الرئيسي (١٧,٠٠ X ٩,٥٠ م) له ذات المخطط الطولاني المؤلف من رواق الدخول (يقع المدخل بين امتداد الجدارين الطولانيين للبناء)، تفضي إلى غرفة الاجتماعات الطولانية (١٢,٠٠ X ٦,٠٠ م).

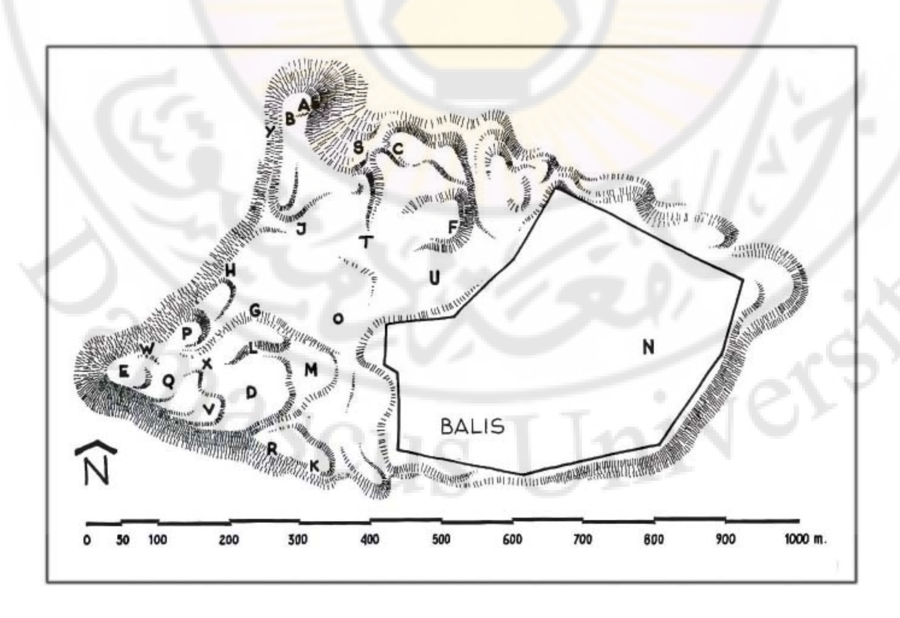
٣-٣-٤-٢ تل مسكنة (إيمار):

تقع إيمار (مسكنة حديثاً) في وادي الفرات الأوسط، وهو موقع شبه مستطيل على الضفة اليمنى لنهر الفرات (الشكل ٨١). تتميز بموقع استراتيجي على الطريق المؤدي إلى حلب والمؤدي أيضاً إلى بلاد الرافدين. يتألف الموقع من جزأين مرتفعين في الجزء الشمالي الغربي والجنوبي الغربي. يصل ارتفاع الجزء الشمالي الغربي إلى ٣٠٩ م فوق مستوى الوادي المحيط، أما ارتفاع الجزء الجنوبي الغربي فيصل إلى ٣٢٦ م فوق مستوى الوادي. وبين الارتفاعين

(٢٢٥) Werner, P. 1994, p. 102 ; Heinrich, E. et Kühne, H. 1974, p. 22.
(٢٢٦) Orthmann, W. et Kühne, H. 1974, p. 79.
(٢٢٧) Blocher *et al*. 2007, p. 105-117, fig. 2.



الشكل ٨٠: المبنى الحجري ٤ في منباقة، عن: (Blocher, F. *et al*. 2007, fig.2).



الشكل ٨١: تل مسكنة-إيمار، عن: (Margueron, J.-C. 1982a, fig. 1).

يوجد منخفض بارتفاع ٣٠٠ م. تحتل الجزء الشرقي من الموقع مدينة رومانية – بيزنطية (اسمها بارباليسوس) وفوقها مدينة إسلامية بنيت فوق المدينة السابقة واسمها باليس.

تاريخ التنقيبات:

بعد الأسبار الأولى التي قام بها كلٌّ من السيد ريحاوي (المديرية العامة للآثار والمتاحف)[٢٢٨]عام ١٩٦٣ والباحث فان لون من جامعة أمستردام (M.M. van Loon) عام ١٩٦٤، أعلن تل المسكنة من المواقع المهددة بالغمر بمياه الفرات بسبب بناء سد الطبقة. فبدأت التنقيبات في الموقع عام ١٩٧٠ من قبل بعثة فرنسية من معهد الآثار الفرنسي للدراسات العربية في دمشق، في القسم الشرقي من الموقع (المدينة الإسلامية). وفي عام ١٩٧٢ بدأت التنقيبات في القسم الغربي (إيمار) استمرت حتى عام ١٩٧٦ بإدارة جان كلود مارجرون (J.-C. Margueron). وفي عام ١٩٩٢ قامت بعثة سورية بإدارة الباحثين شوقي شعث وفاروق إسماعيل بتنقيب الجزء الذي لم تغمره المياه (الطرف الجنوبي الغربي من مدينة إيمار). استؤنفت الحفريات من قبل بعثة مشتركة سورية–ألمانية عام ١٩٩٦ أسفرت عن كشف سويات البرونز القديم والوسيط في إيمار (التي كان المنقب الفرنسي يعتقد بأنها مدينة بنيت حديثاً خلال البرونز الحديث)[٢٢٩].

تنظيم المدينة:

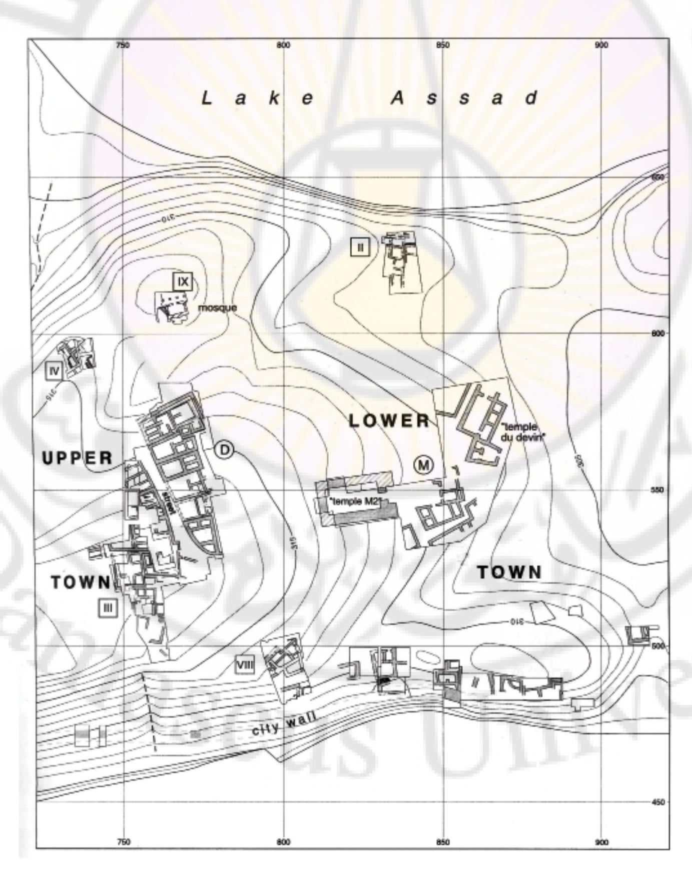
اكتشفت آثار مدينة عصر البرونز الحديث في الجزء الغربي من الموقع (الشكل ٨٢)، ولابد من الذكر بأن آثار عصري البرونز القديم والوسيط قد اكتشفت مؤخراً وهي تعود لعمارة سكنية (القطاعات E، D، VIII). ولكن آثار عصر البرونز الحديث الثالث (القرن ١٣ ق.م) هي المعروفة إلى الآن بشكل أفضل. تبلغ مساحة الموقع ٦٠٠x١٠٠٠/٨٠٠م تقريباً[٢٣٠]. يحتل القطاع A وهو الجزء المرتفع الشمالي الغربي منطقة سكنية فيها منزل كبير بالإضافة إلى الشوارع المنظمة. أما الجزء المرتفع الجنوبي الغربي (الحقل E) فقد احتوى على أبنية رسمية هي عبارة عن مجمع مؤلف من بنائين طولانيين كأبنية منباقة يفصل بينهما شارع يصعد من أحياء المدينة المنخفضة نحو هذه المنطقة المرتفعة، بالإضافة إلى حي سكني آخر على سفح المرتفع (المنطقة III).

تحتوي المدينة المنخفضة (القطاع M أو المنطقة IV في الحفريات الحديثة) على حي سكني وعلى بناء رسمي آخر (M2) وهو من طراز مطابق لأبنية المجمع الواقع في الحقل E،

(٢٢٨) Rihaoui, A. K. 1965, p. 105-106.
(٢٢٩) Finkbeiner, U. et Rothmund, A. 2000, p. 5 ; Leisten, Th. 2000, p. 35-57.
(٢٣٠) Margueron, J.–C. 1977b, p. 33.

هذا بالإضافة لمبنى رابع هو منزل العرّاف الذي ضم بقايا مكتبة هامة من النصوص القديمة. وقد عثر أيضاً على منازل أخرى في الجزء الشمالي من الموقع (القطاع C) ولكنهم بحالة سيئة. أما بقايا التحصينات القليلة الباقية في الموقع فقد عثر عليها في القطاع VIII. تعرضت مدينة إيمار إلى حريق أنهى الحياة بها في بداية القرن ١٢ ق.م.

أعطت إيمار الكثير من النصوص المسمارية المكتوبة اللغة الأكادية، والحورية والحثية. وقد ذكرت المدينة في نصوص ماري وإيبلا مما يقدم دليلاً إضافياً على أن المدينة كانت موجودة منذ بداية الألف الثاني ق.م وبأنها كانت عاصمة مملكة ممتدة من الضفة اليمنى لنهر الفرات وحتى جبل بشري في الجنوب.



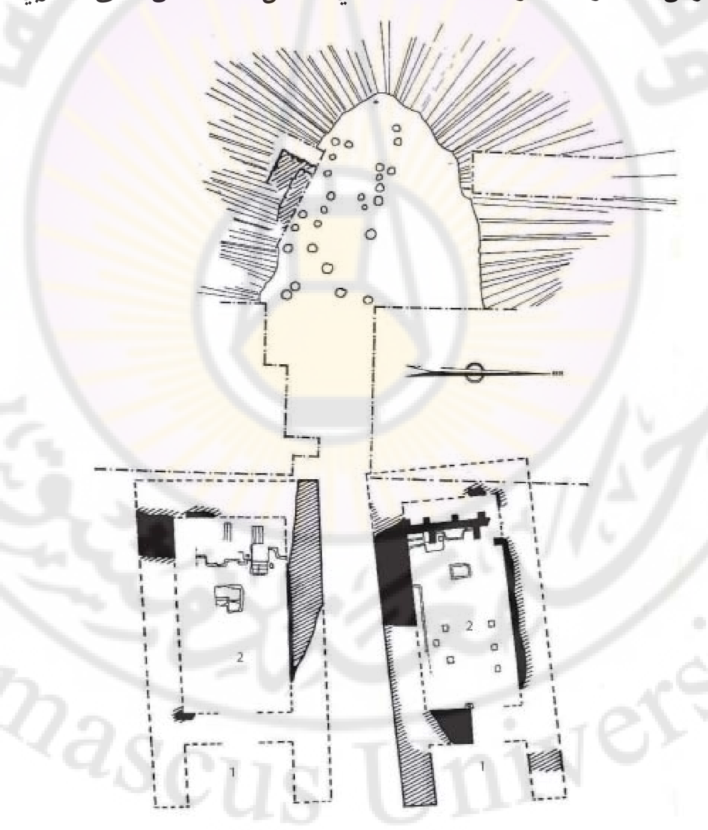
الشكل ٨٢: مدينة إيمار، عن: (Finkbeiner, U. et Rothmund, A. 2000, fig. 11).

الأبنية الطولانية ذات الأروقة الأمامية:

المبنى الشمالي والجنوبي:

يقع هذا المجمع المؤلف من بنائين متجاورين على المرتفع الجنوبي-الغربي ويفصل بينهما شارع وهما متوازيان تماماً (الشكل ٨٣)[٢٣١]. يبدأ هذا الشارع من المدينة المنخفضة ويصعد إلى المنطقة الأكثر ارتفاعاً في الموقع التي يحتلها هذا المجمع، وهو يؤدي إلى التراس (أو المصطبة المكشوفة) خلف البنائين.

أرخ المجمع بالقرن الثالث عشر ق.م. تبلغ أبعاد كل مبنى ٢٠ X ١٠م ويصل عرض الجدران ٢م. ومن الجدير بالذكر أن البناء الشمالي أفضل حفظاً من المبنى الجنوبي.



الشكل ٨٣: المبنى الشمالي والجنوبي في إيمار، عن: (Margueron, J.-C. 1982a, fig. 4).

(٢٣١) أطلق عليهما اسم «معبدي» بعل وعشتار.

أحيط المبنيان بباحة خارجية مشكلة بالسور الخارجي المحيط بهما (اكتشف جزء من هذا السور خلال الحفريات الحديثة، في الجزء الجنوبي–الشرقي من الباحة)[٢٣٢]. كما عثر على تمثال أسد بلا رأس ربما كان يزين المدخل الرئيسي إلى هذه الباحة. يتألف كل مبنى من غرفتين (غرفة مدخل والغرفة الرئيسية). توافق الغرفة الأولى غرفة المدخل المفتوحة بشكل كامل إلى الخارج، المؤلفة أو المتشكلة من امتداد الجدارين الطولانيين للمبنى (الجدار الشمالي والجنوبي) ويمكن أن نطلق عليها اسم الرواق الأمامي. تقع مداخل الغرف ٢ في كلا البنائين في وسط الجدار الغربي للغرفة ١ على المحور الرئيسي للبنائين.

يبلغ طول الغرفة ٢ في المبنى الشمالي ١١ م في حين أن عرضها ٥,٦٠ م. وهي مجهزة بمصطبة طويلة مبنية بملاصقة الجدار الجنوبي (مقعد الجلوس)، وبمصطبة ضيقة مبنية بشكل حر (غير ملاصقة لجدار) على المحور الطولاني الرئيسي للمبنى (الذي يبدأ من مدخل الغرفة شرقاً وينتهي في وسط الجدار الغربي مروراً بالمصطبة الحرة). وهي مبنية باللبن غير المشوي ومطلية بطبقة كلس سميكة. على الرغم من أن وظيفة هذه المنصة غير مؤكدة ولكنها قد تكون طاولة. يوجد مقابلها مصطبة ضيقة أخرى مبنية بشكل ملاصق للجدار الغربي الضيق. يتميز هذا الجدار الضيق بأنه موازٍ لجدار المبنى الغربي وهو مبني بهذا الشكل ليحصر مساحة ضيقة خلفية هي بمثابة غرفة إضافية، يمكن الوصول إليها عبر فتحة في الجزء الشمالي من الجدار.

يبلغ طول الغرفة ٢ في المبنى الجنوبي ١١,٥٠م في حين أن عرضها ٦,٥٠م (الأبعاد الخارجية للبنائين موحد ولكن أبعاد الغرف الرئيسية لكل مبنى تختلف قليلاً عن الآخر). وهي مجهزة بمصطبة ضيقة حرة تقع على المحور الأساسي للبناء مقابل الجدار الغربي. كما يوجد مقابل "الطاولة " مصطبة ضيقة أخرى بنيت على جدار ضيق تقع خلفه غرفة ضيقة كما هو الحال في المبنى الشمالي تماماً.

يصل الشارع الفاصل بين البنائين إلى مساحة غير مسقوفة (تراس أو باحة خلفية)[٢٣٣] ولكن حدودها لم تحدد تماماً بسبب الانهيارات التي تعرضت لها هذه المنطقة.

الأبنية الطولانية ذات الأروقة الأمامية في المدينة المنخفضة:

المبنى M 2:

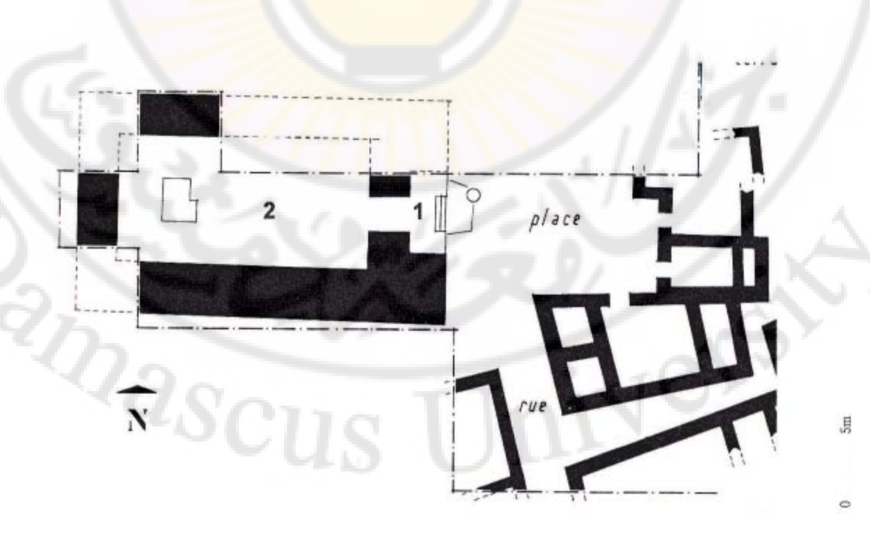
يقع في القطاع M وهو عبارة عن حي سكني، يؤرخ المبنى بالقرن الثالث عشر ق.م ينتمي المبنى لذات الطراز المعماري الذي بنيت وفقه أبنية المدينة المرتفعة (الشكل ٨٤). تبلغ

(٢٣٢) Finkbeiner, U. et Rothmund, 2000, p. 10, fig. 4.
(٢٣٣) Margueron, J. –C. 1982b, p. 17-39.

أبعاده: ٢٣,٢٥ X ١٢,٥٠م وتصل سماكة جدرانه إلى ٢,٥٠ م. إن حالة حفظ البناء السيئة لم تسمح بالحصول على تفاصيل كثيرة عنه ولكن المخطط العام واضح[٢٣٤].

يسبق مدخله ساحة عامة محاطة شرقاً بالمنازل، وهو مؤلف من الغرفة الأساسية باتجاه شرق-غرب (أبعادها: ١٥,٧٥ X ٨ م) مسبوقة بغرفة المدخل المفتوح في الجهة الشرقية. جهزت الغرفة ٢ (الغرفة الرئيسية) بمصطبة ضيقة مبنية بشكل حر على محور البناء الرئيسي مقابل جداره الغربي. ولم تسمح حالة البناء السيئة من اكتشاف باقي الأثاث فيه.

فسرت وظائف هذه الأبنية على أنها معابد تبعاً لشبهها بمعابد إيبلا من عصر البرونز الوسيط ولكنها كانت على الأغلب أبنية اجتماعات لوجهاء المدينة (مجلس القدماء ومجلس الأخوة). فدراسة خصائصها المعمارية توضح أن هذه الأبنية الطولانية لم تكن محمية ولا مستقلة دوماً والدخول اليها سهل (على عكس المعابد). وأن أثاثها وأشكال غرفها الطولانية يشيران إلى وظيفة الاجتماعات لأنها كانت مجهزة بمصاطب طولانية للجلوس كما في المبنى الشمالي على الأكربول وبطاولة ومواقد وذلك يشير إلى التواجد البشري المستمر فيها (لأن هذا التواجد بحاجة إلى التدفئة) على العكس من المعابد التي ليس فيها أثاث للجلوس ولا مواقد للتدفئة.



الشكل ٨٤: المبنى M2 في إيمار، عن: (Margueron, J.-C. 1982b, fig. 7).

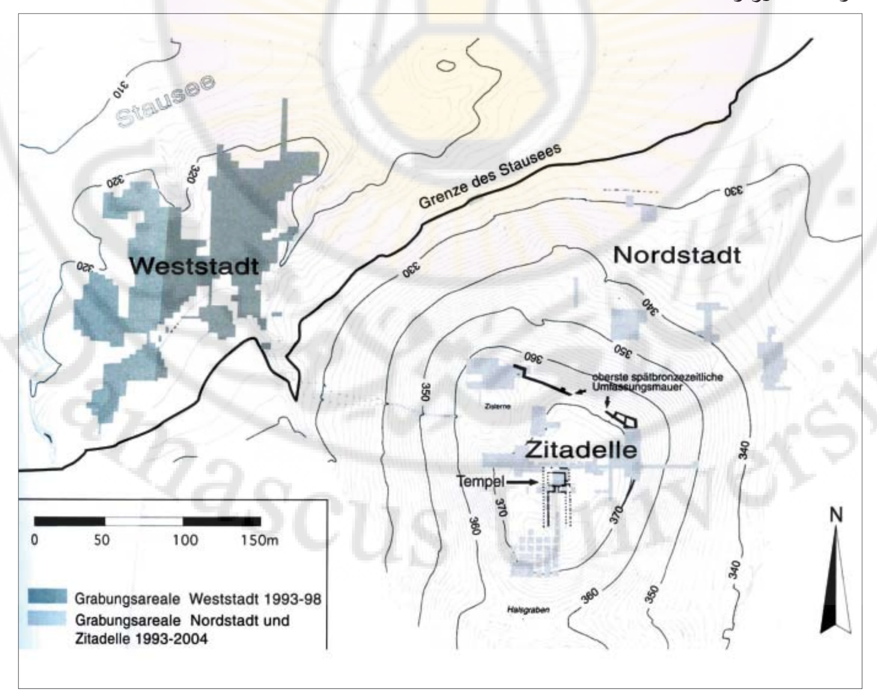
---

(٢٣٤) Margueron, J.-C. 1982b, p. 32, fig. 9-10.

٣-٣-٤-٣ تل بازي:

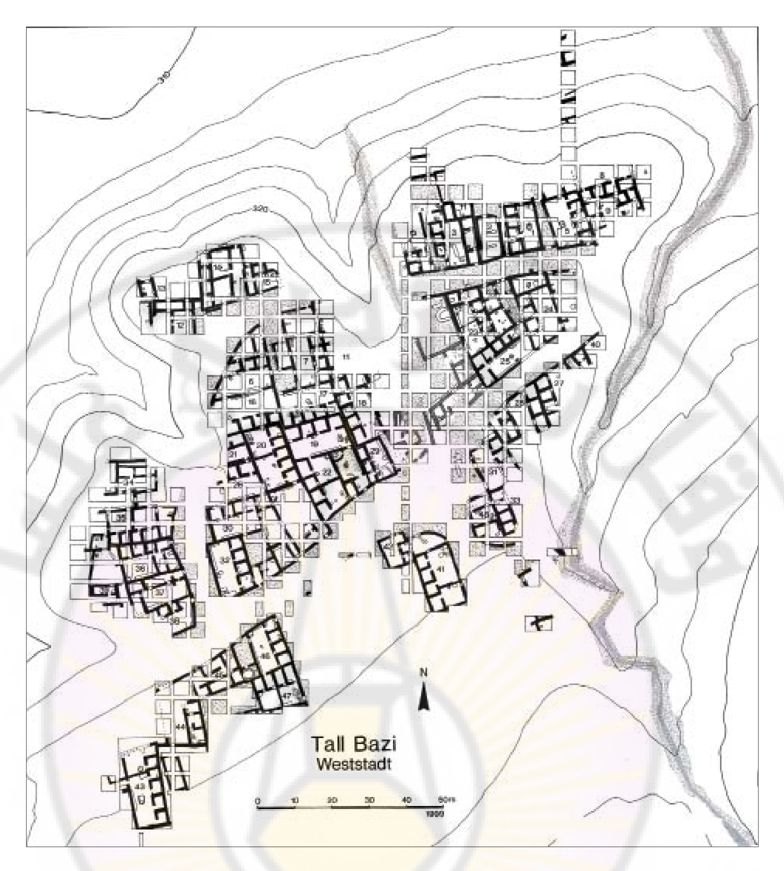
يقع تل بازي على الضفة الشرقية لنهر الفرات في منطقة سد تشرين (الشكل ٨٥). وهو على بعد ٦٠ كم جنوب الحدود التركية. يتألف الموقع من المدينة المرتفعة (القلعة) والمدينة المنخفضة[٢٣٥]. حيث احتوت الأولى على بناء إداري مستطيل طولاني مطابق تقريباً لأبنية الاجتماعات في منباقة وإيمار. تأسست المدينة المنخفضة في تل بازي خلال عصر البرونز الحديث على الأرض البكر في الجزء الغربي من الموقع. كان تل بازي مثل باقي مدن الفرات في ذلك الوقت (القرن ١٣ الى بداية القرن ١٢ ق.م) واقعاً تحت السيطرة الحثية التي كان مركزها كركميش (مقر نائب الملك) ولكن هذه المدن لم تتأثر كثيراً بهذا الخضوع حيث بقيت محافظة على نظام إدارتها الداخلي (بقيادة المجالس المحلية : مجلس الشيوخ والأخوة).

استطاعت الحفريات الأثرية أن تكشف أكثر من نصف مساحة الموقع، فنقبت حوالي ١٠,٠٠٠ م^{2}. وقد قدم لنا الجزء الغربي خمسين منزلاً انتظمت جميعها حول شوارع عريضة (الشكل ٨٦). مما سمح لنا بالتعرف على الخصائص المميزة للعمارة السكنية من خلال دراسة هذا التوسع العمراني المنتظم والحصول على فكرة كاملة وواضحة عن معطيات الحياة والمجتمع في مرحلة البرونز الحديث.



الشكل ٨٥: تل بازي، عن: (Otto, A. 2006b, fig.7).

(٢٣٥) Otto, A. 2006b.



الشكل ٨٦: مخطط المدينة المنخفضة في تل بازي، عن: (Einwag, B. et Otto, A. 2002a, fig. 1).

العمارة السكنية في تل بازي:

تنتمي المنازل المنقبة في تل بازي إلى النوع الذي أطلق عليه الباحث توماس ماكليلان اسم المنزل ذي الغرفة المركزية (الشكل ٨٧) وهو يختلف عن منازل منباقة بأن الغرف الخدمية الصغيرة تتوضع على طول أحد الأضلاع الطويلة للغرفة المركزية الطولانية. ومن الجدير بالذكر أن لهذا النمط أشكالاً أخرى حسب توزع هذه الغرف الخدمية في البناء اشتهرت فيها مواقع أخرى في منطقة الفرات[٢٣٦].

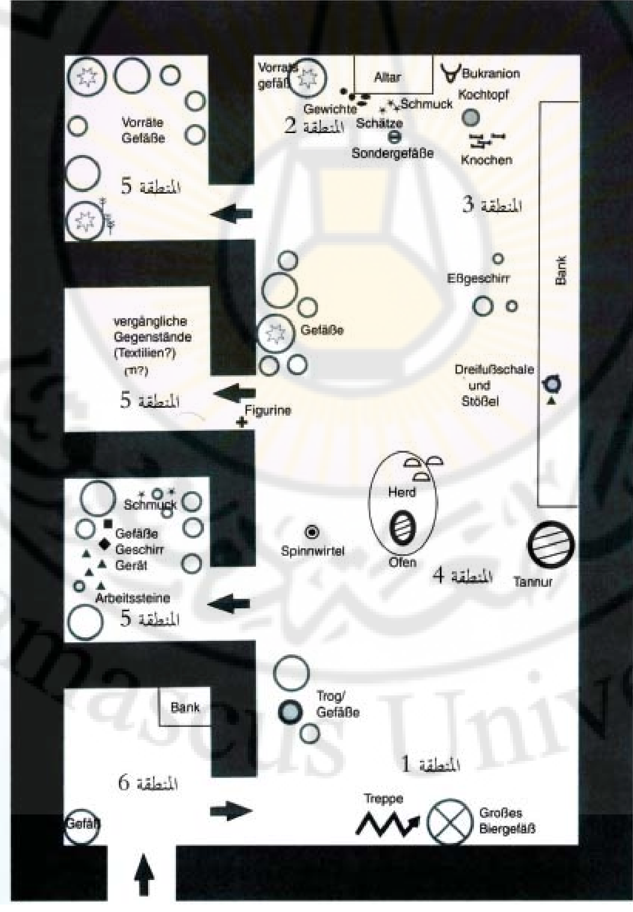
الأبواب: يتم الدخول إلى هذه المنازل عادةً من خلال أحد الغرف الصغيرة الجانبية المؤدية إلى الغرفة الرئيسية. قد تكون الغرف الجانبية مزودة بأبواب تربطها بالغرفة الرئيسية ولكن هذه الغرف غير مرتبطة مع بعضها بمداخل داخلية.

الأثاث: جهزت الغرفة الطولانية (الغرفة الرئيسية) في هذه المنازل عادةً بأثاث يشابه

(٢٣٦) للاطلاع على جميع الأشكال انظر: McClellan, Th. L. 1999, p 59-29.

كثيراً أثاث أبنية الاجتماعات الطولانية: مصطبة طويلة ملاصقة لجدار الغرفة الطويل (مقعد للجلوس)، بالإضافة إلى مصطبة أخرى ضيقة مبنية غالباً بشكل ملاصق لمنتصف الجدار الخلفي للغرفة (مكان جلوس رب الأسرة). كما أن هذه الغرفة مجهزة أيضاً بفرن أو موقد للتدفئة المتوضع بشكل مركزي في الغرفة الرئيسية.

مورست في هذه المنازل وظائف متعددة، منها المعيشي كالطعام والشراب والتخزين، ومنها أيضاً الحرفي كالغزل وتخمير البيرة أو التجارة. وقد استطاعت الحفريات أن تميز المناطق المخصصة لهذه النشاطات في المنازل من خلال دراسة الأثاث واللقى في المنازل المنقبة (الشكل٨٧). يوضح المخطط اللقى التي عثر عليها في أغلب المنازل والتي استطاع الباحثون من خلالها تميز المناطق المخصصة للوظائف المعيشية من الحرفية وغيرها. تمتاز المنازل إذاً بأنها مقسمة إلى مجموعة أماكن تمارس فيها مختلف النشاطات[٢٣٧]:



الشكل ٨٧: منزل في تل بازي، عن: (Otto, A. 2006b, fig. 23a-b).

(٢٣٧) Otto, A. 2006b, p. 307-311.

المنطقة ١: في مقدمة الغرفة الرئيسية، وهي منطقة عبور، فيها درج للصعود إلى الطابق الثاني، وجرة البيرة. فقد كان هذا الجزء من المنزل المنطقة التي تمارس فيها بعض النشاطات المعيشية كتخمير البيرة.

المنطقة ٢: في الغرفة الرئيسية ولكن في الطرف المقابل للمدخل، في عمق الغرفة. يوجد في هذا الجزء بوديوم (منصة) يفسره بعض العلماء كمذبح لممارسة العبادة، بسبب العثور بالقرب منها على جمجمة ثور وأدوات مختلفة منها الأواني وبعض اللقى النفيسة.

لكن يغلب الظن أن هذا البوديوم مخصص لجلوس رب الأسرة وهو المسؤول عن تنفيذ الشعائر الدينية بحسب النصوص القديمة، ولا ينفي وجود اللقى الشعائرية ممارسة بعض الشعائر في هذا الجزء من الغرفة ولكن ذلك لا يجعل من البوديوم مذبحاً بالضرورة.

المنطقة ٣: في هذه المنطقة مصطبة مبنية بشكل ملاصق لجدار الغرفة الطويل (أي ضلع الغرفة الطويل)، حيث عثر غالباً بالقرب منها على أدوات طعام. خصص هذا الجزء من الغرفة لممارسة النشاطات المعيشية ومنها جلوس أفراد الأسرة، استقبال الضيوف والاجتماعات والطعام والمبادلات التجارية.

المنطقة ٤: في وسط الغرفة بالقرب من مصطبة الجلوس وتحتوي على فرن للطبخ وعلى موقد للتدفئة، حوض للعجين وأوانٍ فخارية ومغازل نسيج. حيث يمارس في هذا الجزء تحضير الطعام (الخبز والطبخ) وفيه يتم أيضاً تجمع العائلة وأعمال النسيج وصنع الأدوات.

المنطقة ٥: هي الغرف الجانبية التي تخدم في الطابق الأرضي للتخزين وعثر فيها على جرار التخزين ذات الأحجام المختلفة، وأدوات المطبخ وأغراض مختلفة منها مثلاً أدوات حجرية.

المنطقة ٦: فيها الباب الرئيسي للمنزل، منطقة عبور مفصلية لأنها تؤدي من الخارج إلى الداخل ومن الغرفة الرئيسية إلى الغرف الصغيرة الجانبية، فيها مصطبة للجلوس.

المنطقة ٧: في الطابق العلوي وهو للمعيشة اليومية ففيه تتم أيضاً فعاليات الطعام والشراب والجلوس وطحن الحبوب، تحضير الطعام، التدفئة والنسيج وحفظ وتخزين المواد الغذائية.

من خلال المخططات المعمارية لهذه المنازل نلاحظ غياب نشاط تربية الحيوانات لعدم وجود حظائر، وفي حالة تل بازي يعتقد بأن البدو القاطنين في الهضاب المحيطة هم الذين يزودون الموقع باللحم ومنتجات الألبان. أما الفلاحون المقيمون في الجوار فيزودون سكان تل بازي بالحبوب والزيت والخضراوات.

تدل المواد الأثرية المكتشفة في بعض البيوت على وجود نشاط تجاري، ويعتقد بأن التبادل كان يتم بواسطة الفضة حيث عثر على أوزان صغيرة لها نظام خاص. تدل اللقى الأخرى على وجود صناعات معدنية وحجرية ونسيج وصناعة عظام وخشب وحرف أخرى صغيرة. كما لوحظ بأن البيوت تحتوي على ورشات لصناعات مختلفة مما يوحي بعدم تخصص منزل معين بصناعة معينة. وهذا بدوره يدل على أن الصناعات كانت مخصصة لاستهلاك البيت وليس للرزق.

٣-٣-٤-٤ تل فري:

يقع تل فري على الضفة اليسرى لنهر الفرات، على بعد ٢٠ كم غرب سد الطبقة بالقرب من قرية الصفرا. يبلغ طول التل الأثري ٣٠٠ م وعرضه ٢٧٠ م (الشكل ٨٨). وقد غمرت مياه بحيرة الأسد التل بعد أن خضع لعمليات تنقيبات سريعة (حفريات انقاذ). يتمتع التل بموقع استراتيجي فمنطقة الفرات الأوسط هي بمثابة مفترق لأهم الطرق البرية والنهرية القديمة بين بلاد الأناضول في الشمال وسوريا وفلسطين في الجنوب وبلاد الرافدين في الشرق وساحل المتوسط غرباً.

تاريخ التنقيبات:

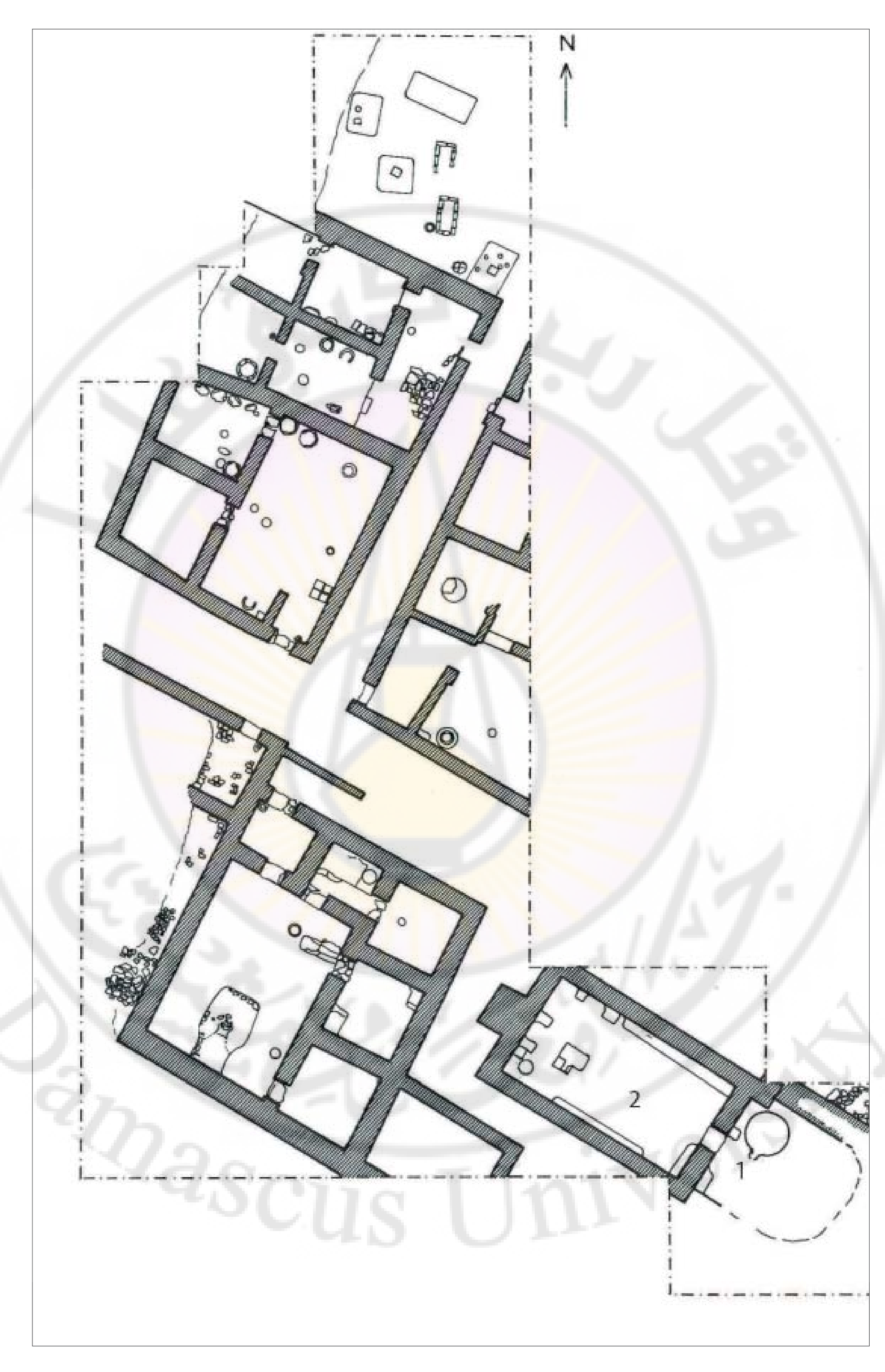
بدأت أولى العمليات الأثرية في عام ١٩٧٢ فنُفذت أربعة أسبار من قبل بعثة سورية-أمريكية مشتركة، بإدارة شوقي شعث من المديرية العامة للآثار والمتاحف والمنقب كارتر (Th. Carter) من جامعة جون هوبكنز. ثم قامت بعثة سورية-إيطالية مشتركة بحفريات إنقاذ بسبب بناء سد الطبقة، بإدارة عدنان البني ونسيب صليبي وباولو ماتييه على مدار موسمين خلال عام ١٩٧٣. ولكن هذه الحفريات لم تتركز على المنطقة المرتفعة من التل الأثري[٢٣٨].

تنظيم المدينة:

على الرغم من أن التل كان مسكوناً منذ فترات قديمة إلا أن الاستيطان الأوضح يعود لعصر البرونز الحديث خصوصاً خلال القرنين الرابع والثالث عشر ق.م. حيث كشفت حفريات الإنقاذ السريعة عن حي سكني في المنطقة المركزية من التل. انتظمت فيه المنازل على جوانب شارع رئيسي باتجاه شمال-جنوب[٢٣٩]. وعثر في هذه المساكن على عشرات الرقم المكتوبة بالمسمارية وباللغة الآشورية تشكل جزءاً من أرشيفٍ خاص. سمحت هذه النصوص المكتوبة بالتعرف على اسم المدينة القديمة في تل فري وهو ياخاريششا (Yakharishsha).

---

(٢٣٨) Bounni, A. et Matthiae, P. 1974, p. 33.
(٢٣٩) Bounni, A. et Matthiae, P. 1974, p. 34.



الشكل ٨٨: تل فري، عن: (Bounni, A. et Matthiae, P. 1980, p. 32).

وفي الطرف الجنوبي للحي السكني عثر على منزل كبير يعود لموظف حثي رفيع المستوي سمي باسم "القصر الصغير"[٢٤٠]. بالإضافة إلى بناء مستطيل بشكل طولاني يطابق شكل مباني إيمار وتل منباقة تماماً سمي "المعبد الجنوبي". دمرت المدينة بين عامي ١٢٧٠ و ١٢٥٠ ق.م بسبب اجتياح سبب حريقاً كبيراً. وقد نسب العلماء هذا الاجتياح إلى الهجمات الآشورية التي سببت اضطراباً في الحدود الجنوبية–الشرقية للدولة الحثية.

أهم مواقع الألف الثاني ق.م في مناطق أخرى من بلاد الشام:

(فلسطين، لبنان والأردن):

٣–٤–١ تل القداح (حاصور):

يقع تل القداح (مدينة حاصور القديمة) في شمال فلسطين، في المنطقة الشرقية من جبال الجليل وجنوب غرب سهل الحولة (١٥,٥ كم شمال بحيرة طبرية)، انظر الشكل ٨٩. يحتل التل موقعاً استراتيجياً هاماً لأنه يقع على الطريق الواصل بين فلسطين وسوريا. يتألف الموقع من جزئين: التل والهضبة التي تحيط بالتل من جهة الشمال والشرق (الشكل ٩٠). يصل ارتفاع التل عن السهول المجاورة ٤٠ م. بينما يصل طوله إلى ٥٤٠ م وعرضه إلى ٤٧٠ م. أما الهضبة المحيطة فتصل أبعادها في الجهة الشمالية إلى ١٠٠٠ X ٧٠٠٠ م وفي الجهة الشرقية ٤٠٠ X ٢٥٠ م.

تاريخ التنقيبات:

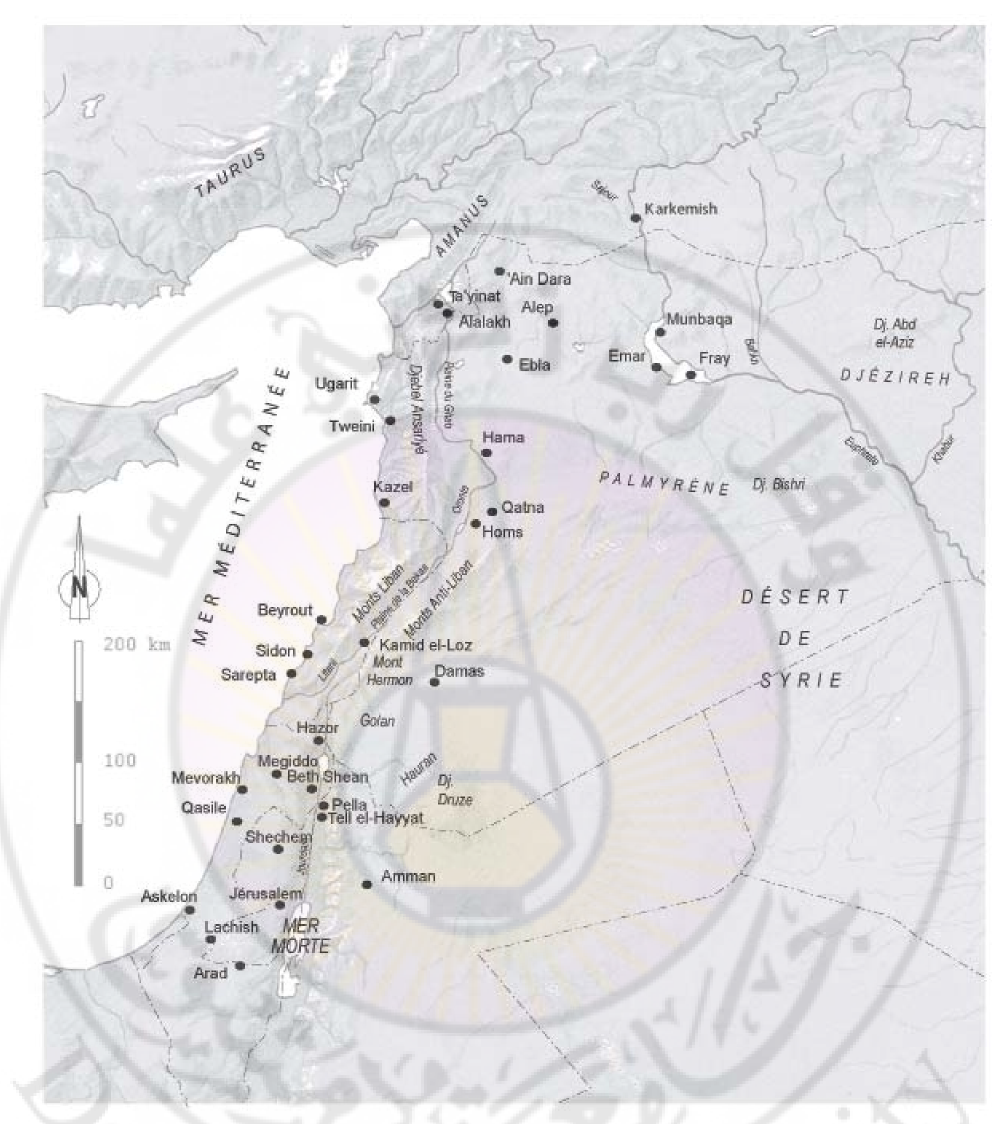
ترجع أولى الأعمال الأثرية في تل القداح إلى عام ١٩٢٨، حيث قام كارستانج (J. Garstang) بتنفيذ أولى الأسبار. وفي عام ١٩٥٥ بدأت أعمال التنقيب من قبل بعثة أثرية ممولة من قبل جامعة القدس بممارسة التنقيبات بشكل نظامي حتى عام ١٩٥٨. وبعد انقطاع دام عشر سنوات قامت البعثة بتنظيم موسم تنقيب واحد عام ١٩٦٨–١٩٦٩. ثم استؤنفت التنقيبات الدورية بدءاً من عام ١٩٩٠ وهي مستمرة حتى اليوم بأعمال التنقيب.

تنظيم المدينة:

يعود السكن الأول في حاصور إلى الألف الثالث ق.م حيث اقتصر هذا الاستيطان على التل المركزي فقط (الأكربول). ثم توسع السكن خلال عصر البرونز الوسيط (منتصف القرن الثامن عشر ق.م) فبنيت المدينة المنخفضة وحصنت بأسوار.

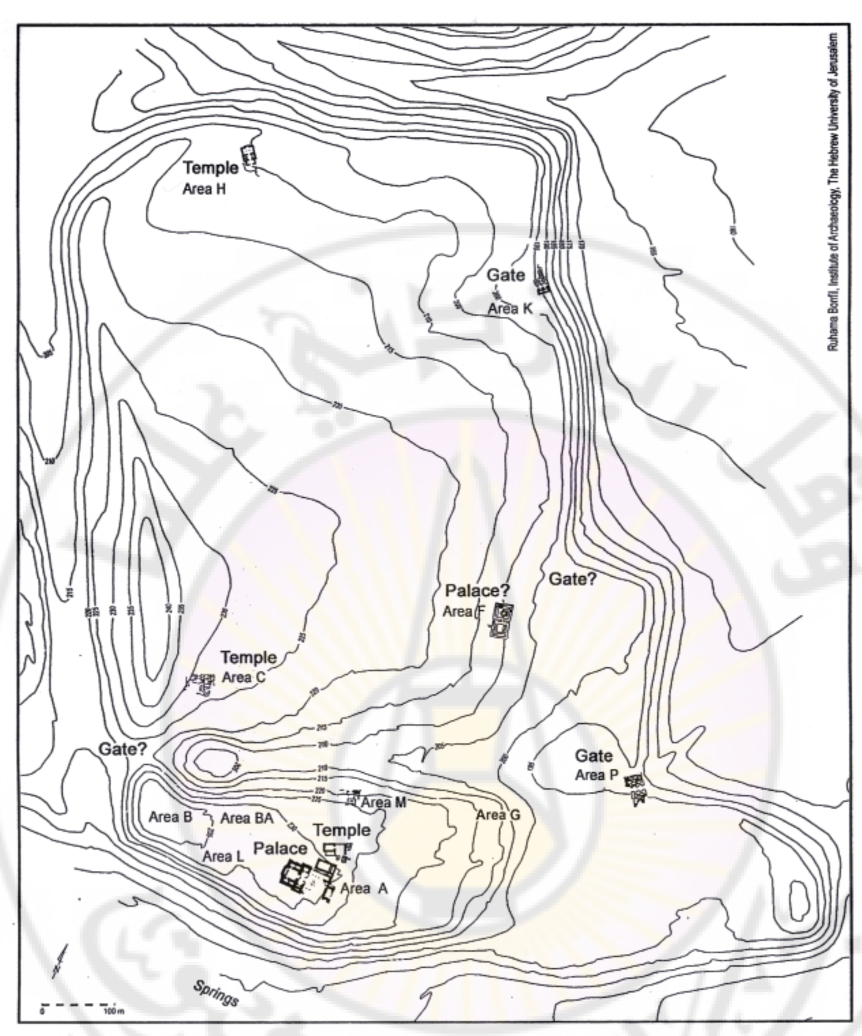
---

(٢٤٠) Bounni, A. et Matthiae, P. 1980, p. 38.



الشكل ٨٩: خريطة توزع المواقع خلال عصري البرونز الحديث والحديد في بلاد الشام (رسم المؤلف).

تتألف تحصينات المدينة المنخفضة خلال عصري البرونز الوسيط والحديث (السويات ٤–١أ) من الأسوار والسواتر الترابية التي تسبقها بالإضافة إلى البوابات. عثر في الموقع على قبور في جرار دفنت تحت أرضيات البيوت وهي مؤرخة بنهاية عصر البرونز الوسيط. وعلى شارع سكني يعود إلى عصر البرونز الحديث الأول، بالإضافة إلى بناء مربع صغير مؤلف من غرفة واحدة يعتقد بأنه معبد صغير لإحتوائه على العديد من النصب، يقع هذا البناء في أسفل السور في القطاع C.



الشكل ٩٠: مخطط تل القداح (حاصور) الطبوغرافي، عن: (Yadin, Y *et al.* 1989, fig. 1).

في الجزء الشرقي من المدينة المنخفضة (المنطقة F) بقايا بناء كبير يعود إلى عصر البرونز الوسيط الثاني. يقع هذا البناء فوق قناة تصريف للمياه وبعض القبور. أما في القطاع H الواقع في أقصى الجزء الشمالي من المدينة المنخفضة بالقرب من الأسوار هناك معبد بني وفق الطراز البرجي الذي يمثل العمارة الدينية في هذه الفترة. احتوت المدينة المخفضة على بوابتين واحدة تقع في الجزء الشمالي الشرقي للمدينة (القطاع K) والأخرى في الجزء الجنوبي الغربي (القطاع P).

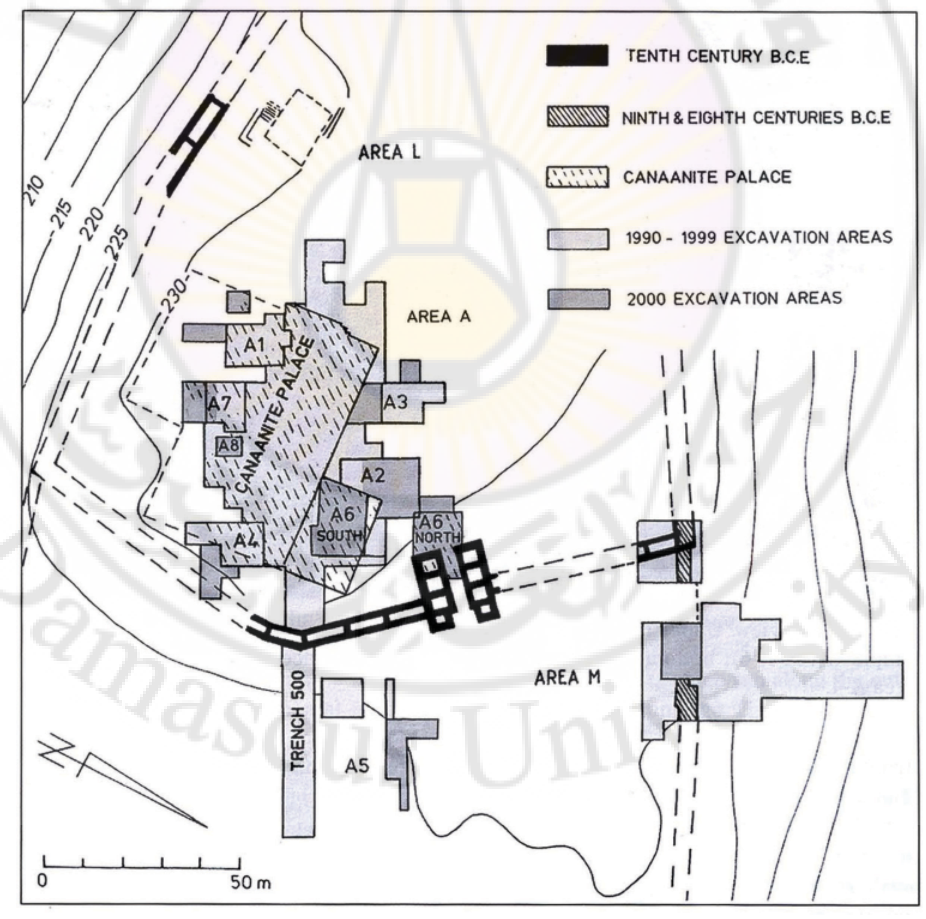
الأكربول: أحيطت المدينة المرتفعة (الشكل ٩١) خلال عصر البرونز الوسيط وعصر البرونز الحديث بتحصيناتها الخاصة، المؤلفة من سور بعرض ٧,٥ م. واحتوى هذا الأكربول على قصر ومعبد متجاورين (القطاع A). ترتبط المدينة المنخفضة بالمدينة المرتفعة بواسطة درج ضخم

في سفح التل الغربي مما يدل على وجود بوابة للمدينة المرتفعة في هذا الموقع. دمرت حاصور خلال القرن الثالث عشر ق. م.

قصر حاصور الملكي:

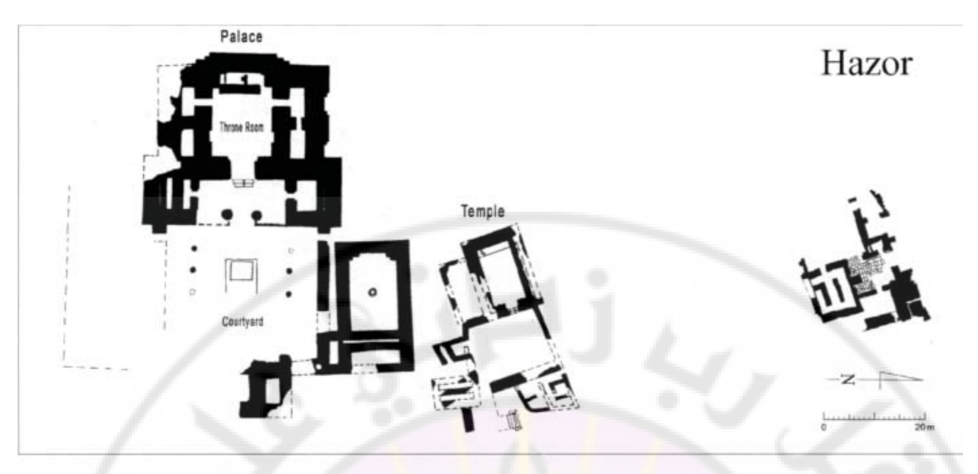
يقع قصر مدينة حاصور الملكي في وسط الأكربول (القطاع A) وكان خلال البرونز الحديث يجاور مبنى مستطيل يعتقد بأنه معبد (الشكل ٩٢)، نقب بين عامي ١٩٩٢ و ٢٠٠٣.

شيد القصر تبعاً لمخطط مسبق، وهو عبارة عن مجمع ملكي يتألف من العديد من القطاعات كُشف عن القطاع الرسمي منه فقط، أما بقية عناصر القصر ومنها القطاعات الخدمية والمخازن والمساكن الملكية فلم يعثر عليها بعد[٢٤١].



الشكل ٩١: المدينة المرتفعة في تل القداح، عن: (Ben-Tor, A. 2000, fig. 2).

(٢٤١) Bonfil, R. ant Zarzecki-Peleg, A. 2007, p. 27.



الشكل ٩٢: قصر حاصور الملكي.

كشفت التنقيبات عن المدخل الرئيسي المتبوع بباحة تسبق واجهة بناء الاستقبال (يطلق عليه اسم البناء الأسود) ومبنىً آخر مستطيل الشكل يقع شمال الباحة (أطلقت عليه البعثة اسم البناء الأبيض). للقصر بوابة ضخمة تقع إلى الجنوب-الشرقي منه، زينت واجهتها الخارجية بعمودين يدل عليهما قاعدة بازلتية. كما يدل رأس الأسد الذي عثر عليه بالجوار على أن هذه البوابة كانت مزينة أيضاً بتمثال أسد من كل جانب. تفضي البوابة الضخمة إلى باحة مربعة الشكل (٣٠ X ٣٠ م). تحتوي على صفين من الأعمدة في الجهة الشمالية والجنوبية منها، مما يخلق رواقين في الباحة كل واحد بعرض ٥ أمتار.

يقع مدخل البناء الأسود (وهو البناء المخصص للاستقبال والاحتفالات الرسمية) غرب الباحة، وهو مربع الشكل تقريباً (٣٥ X ٤٠م). شيد من اللبن فوق أساسات حجرية، وكسيت قواعد جدرانه بالأورتستات. بُني وفق الطراز السوري السائد في المنطقة والمشابه إلى حد كبير قصر آلالاخ العائد للسوية الرابعة. حيث تكون غرفة المدخل المستطيلة بشكل عرضاني محاطة بغرفة صغيرة من كل جانب، يحتل الدرج إحدها (الغرفة الجنوبية هي بيت الدرج)، وتحتوي واجهتها العريضة على عمودين.

تفضي غرفة المدخل إلى الصالة الرئيسية في قلب البناء وهي مربعة تقريباً أبعادها الداخلية ١٣ X ١٢,٥٠ م. يقع مدخلها على محور البناء الرئيسي الممتد من وسط الباحة بين صفي الأعمدة ومدخل القصر الرئيسي. وهي كما في قصر نقميبا في آلالاخ محاطة بغرف خدمية: اثنتان في الجانب الشمالي والجنوبي وواحدة في الجهة الخلفية. يمكن الدخول إليها عبر مداخل تقع في الجزء الخلفي للصالة الرئيسية. فمن المعتقد أن هذه الصالة هي قاعة العرش حسب شكلها وموقعها المركزي في البناء. وتبعاً لتقاليد البناء في المنطقة فإن هذا العرش -إن وجد-

فسيكون مبنياً بشكل ملاصق لمنتصف الجدار الجنوبي، بحيث يكون محور الدخول من باب القاعة إلى العرش منكسراً أو غير مباشر.

يقع البناء الأبيض إلى الشمال من الباحة الأمامية. وهو بناء مستطيل بشكل طولاني (يقع مدخله في الجدار القصير)، أبعاده الداخلية ١٠ X ١٦م. افترض الباحثون وجود درج في جزئه الشرقي بعد المدخل مباشرةً. وهو يتألف من صالة وحيدة غير مقسمة وغير محاطة بملحقات. جهزت بكوة مركزية في منتصف الجدار الغربي. رغم أن هذا البناء مستقل (له مدخل خاص وارتباطه مع البناء الأسود غير مثبت تماماً) ولكن يُعتقد بأن وظيفته مرتبطة بالاستقبال لكونه مجاوراً للبناء الأسود. فمن المرجح بأن قاعته الوحيدة تشكل جزءاً من جناح الاستقبال والاحتفالات والمراسم الرسمية المرتبطة بقاعة العرش. وهي تشبه بذلك الجناح الشرقي في قصر نقميبا في آلالاخ. فالبناء الأسود يشكل قلب الجناح الرسمي ولكنه جزء منه فقط يكمله البناء الأبيض[٢٤٢].

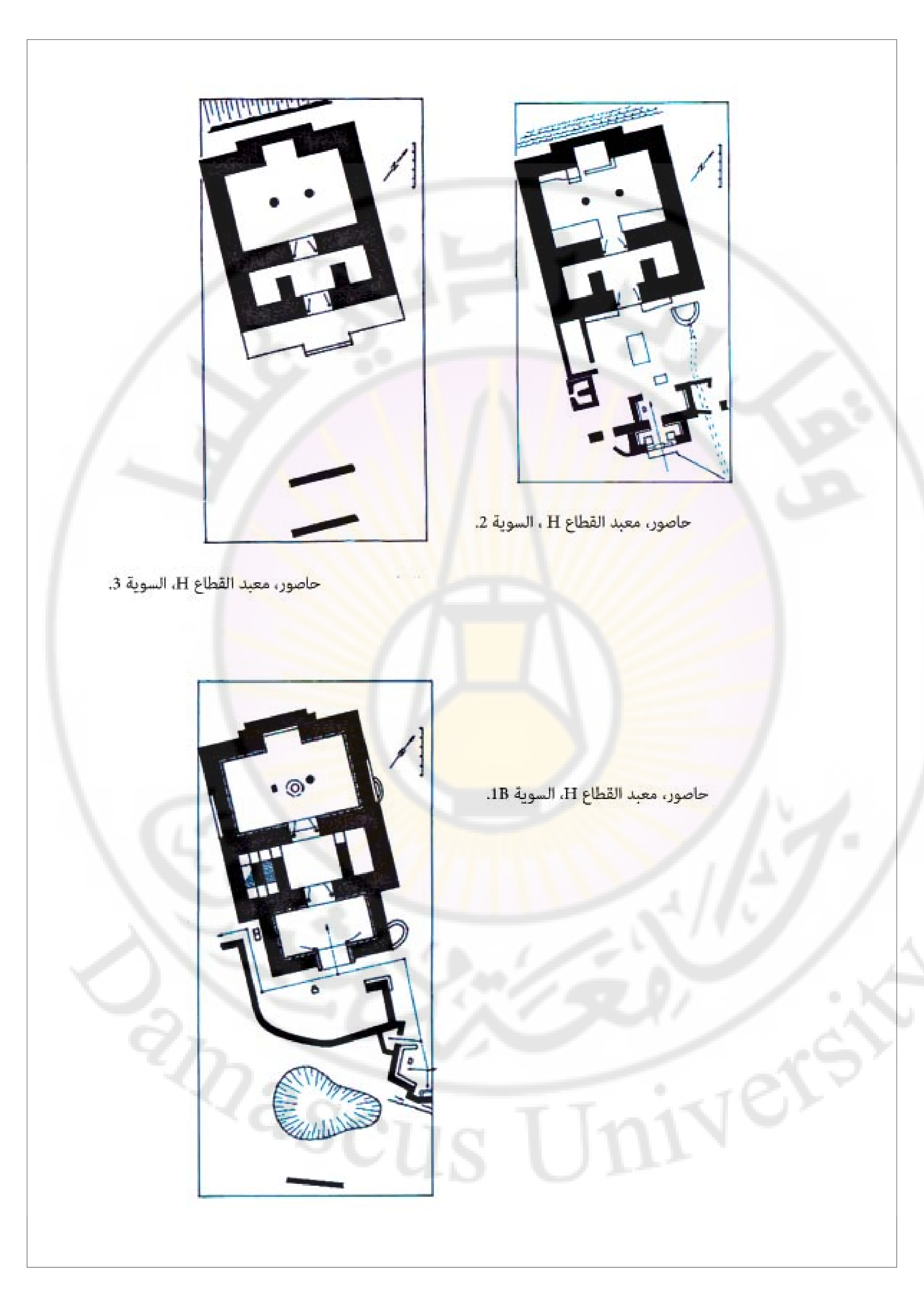
معابد حاصور البرجية:

يقع المعبد البرجي أو المسمى بمعبد القطاع H في الجزء الشمالي من المدينة المنخفضة بالقرب من السور الشمالي الشرقي (الشكل ٩٣)، بُني هذا المعبد في نهاية عصر البرونز الوسيط (السوية ٣: نهاية القرن ١٧ وبداية القرن ١٦ ق.م) واستمر في الاستخدام حتى نهاية القرن الثالث عشر ق.م. بنيت جدران المعبد من اللبن على أساسات حجرية ضخمة يصل عمقها حتى ١,٥ م تحت سطح الأرض. أعيد بناء المعبد عدة مرات خلال فترة استخدامه الطويلة (معبد السوية ٢ : القرن ١٥ ق.م، معبد السوية ١-ب: القرن ١٤ ق.م، معبد السوية ١-أ: القرن ١٣ ق.م)، بنيت جميعها وفقاً لذات المخطط المعماري. وبسبب البناء المتكرر للمعبد في نفس المكان فإننا لا نعرف الكثير عن عمارة المعبدين العائدين للسوية ٣ و٢ حيث وضعت مخططاتهما وفقاً لجدران المعابد الأحدث التي بنيت في نفس المكان.

معبد السوييتين ٣ و ٢ (القرن ١٦-١٥ ق.م) :

لمعبد حاصور البرجي شكل مربع تقريباً (١٩,٧٥ X ١٨م) يتألف من غرفة رئيسية واحدة: المصلى أو السيلا (cella) مسبوقة بغرفة مدخل مغلقة، تقع مداخلهما على ذات المحور. للمعبد باحة خارجية محاطة بسور خاص لم يبق منه إلا بعض الأجزاء. يتميز باحتوائه على درج وبجدرانة العريضة (٢,٣٠م) وأساساته العميقة (تصل إلى ١,٥م تحت مستوى الأرض). هذه هي أهم صفات المعابد البرجية وهو طراز سوري خاص اشتهرت فيه كل من

(٢٤٢) Bonfil, R. ant Zarzecki-Peleg, A. 2007, p. 33-34.



الشكل ٩٣: معابد حاصور البرجية.

آلالاخ وأوغاريت وحاصور ومجدو وبعض المدن الأخرى في منطقة بلاد الشام.

يقع مدخل البناء في منتصف الجدار الجنوبي-الشرقي للمبنى ويفضى إلى غرفة مدخل. أحيطت غرفة المدخل بغرفتين صغيرتين تحتوي إحداها على درج يؤدي إلى السطح أو إلى طابق ثان.

تفضي غرفة المدخل إلى الغرفة الرئيسية، التي لها شكل مستطيل عرضاني أي أن مدخلها يقع في منتصف جدراها الطويل وتبلغ أبعادها : ١٣,٥ X ٨,٩ م. يقوم سقفها على عمودين عثر على قاعدتهما في منتصف الغرفة. تتميز هذه الغرفة باحتوائها على محراب (عرضه ٤م وعمقه ٢,٣ م) يقع في منتصف جدار العمق على المحور الرئيسي للبناء (مقابل مدخل البناء الرئيسي تماماً ومقابل مدخل الغرفة). خصص المحراب لوضع تمثال الإله أو أحد رموزه.

أعيد بناء معبد القطاع H في نفس المكان خلال القرن الخامس عشر ق.م بشكل مطابق للمعبد الأول. يتألف هذا البناء من غرفة المدخل متبوعة بالغرفة الرئيسية. وأحيطت غرفة المدخل بغرفتين صغيرتين خصصت إحداها للدرج المؤدي إلى السطح بينما خصصت الثانية لجمع وترتيب أدوات المعبد وبنيت مثل بيت الدرج في واجهة البناء حفاظاً على التناظر المطلوب في هذا الطراز المعماري. أحيط المعبد بباحة خارجية محددة بسور خارجي يفصله عن المحيط المدني المجاور. ويتميز هذا السور باحتوائه على بوابة كبيرة تقع على محور البناء (المحور الطولاني للمعبد الذي تقع عليه المداخل جميعها وينتهي بالمحراب) لم تكن موجودة في البناء السابق، كما أن الباحة مجهزة بمنصة مستطيلة (٣,٥ X ٢ م) أو مذبح تقع بين البوابة ومدخل البناء على محور البناء أيضاً. عثر في جميع أنحاء الباحة على الكثير من العظام والرماد مما يدعو للاعتقاد بأن الباحة كانت مكان ذبح الأضحيات وتجمع العامة من الناس. بينما لا يدخل إلى المعبد إلا الكهنة أو الملوك القائمون على خدمة الإله القاطن في المعبد.

معبد السويتين ١-أ (القرن ١٤ ق.م) و ١-ب (القرن ١٣ ق.م):

بني معبد السوية ١-أ (برونز حديث ٢) فوق معبد السوية ٢ خلال القرن الرابع عشر ق.م بحسب ذات المخطط المعماري ولكنه يختلف عن سابقه باحتوائه على غرفة مدخل إضافية. يبلغ عرض جدرانه ٢,١٠ م وهو مبني من اللبن غير المشوي على أساسات حجرية.

يتألف المعبد من المصلى أو الغرفة الرئيسية وهي مطابقة تماماً لغرفة المعبد السابق، يقوم سقفها على عمودين عثر على قاعدتهما في منتصف الغرفة. وقد جهزت هذه الغرفة بمحراب في منتصف جدار العمق تقع على محور واحد مع مداخل البناء. ومن الجدير بالذكر وجود

حفرة بين قاعدتي الأعمدة عثر فيها على تمثال ملك بازلتي جالس على عرشه على غرار تمثال الملك أدريمي الذي عثر عليه في حفرة في معبد آلالاخ البرجي.

يقع مدخل البناء في منتصف الجدار الجنوبي-الشرقي. أحيطت غرفة المدخل بغرفتين صغيرتين تماماً كما في المعبدين السابقين. تمثل إحدهما غرفة الدرج المؤدي إلى السطح أو إلى الطابق العلوي. كسيت الأجزاء السفلية من جدرانها بالأورتوستات البنازلتية على غرار المباني الهامة في المواقع السورية الأخرى مثل آلالاخ وإيبلا.

يختلف معبد هذه السوية عن المعابد السابقة باحتوائه على غرفة مدخل إضافية تسبق واجهة البناء (المكونة من غرفة المدخل المحاطة بغرفة الدرج والغرفة المماثلة لها من الجهة الأخرى). من الملفت بأن غرفة المدخل الإضافي أقل عرضاً من جسم البناء الأصلي (٩,٨ X ٤,٨ م) وجدرانها أقل سماكةً من جدران المعبد (١,٦٠ م). كسيت أجزاء جدرانها السفلية بالأورتوستات أيضاً. عثر في أرضيتها على حفرة احتوت على أورتوستات منقوشة بشكل أسد بما ينسجم مع ملامح العصر الفنية، حيث اشتهرت مواقع بلاد الشام بنقش الأسد خصوصاً في المباني الدينية أو في القصور أو بوابات المدينة.

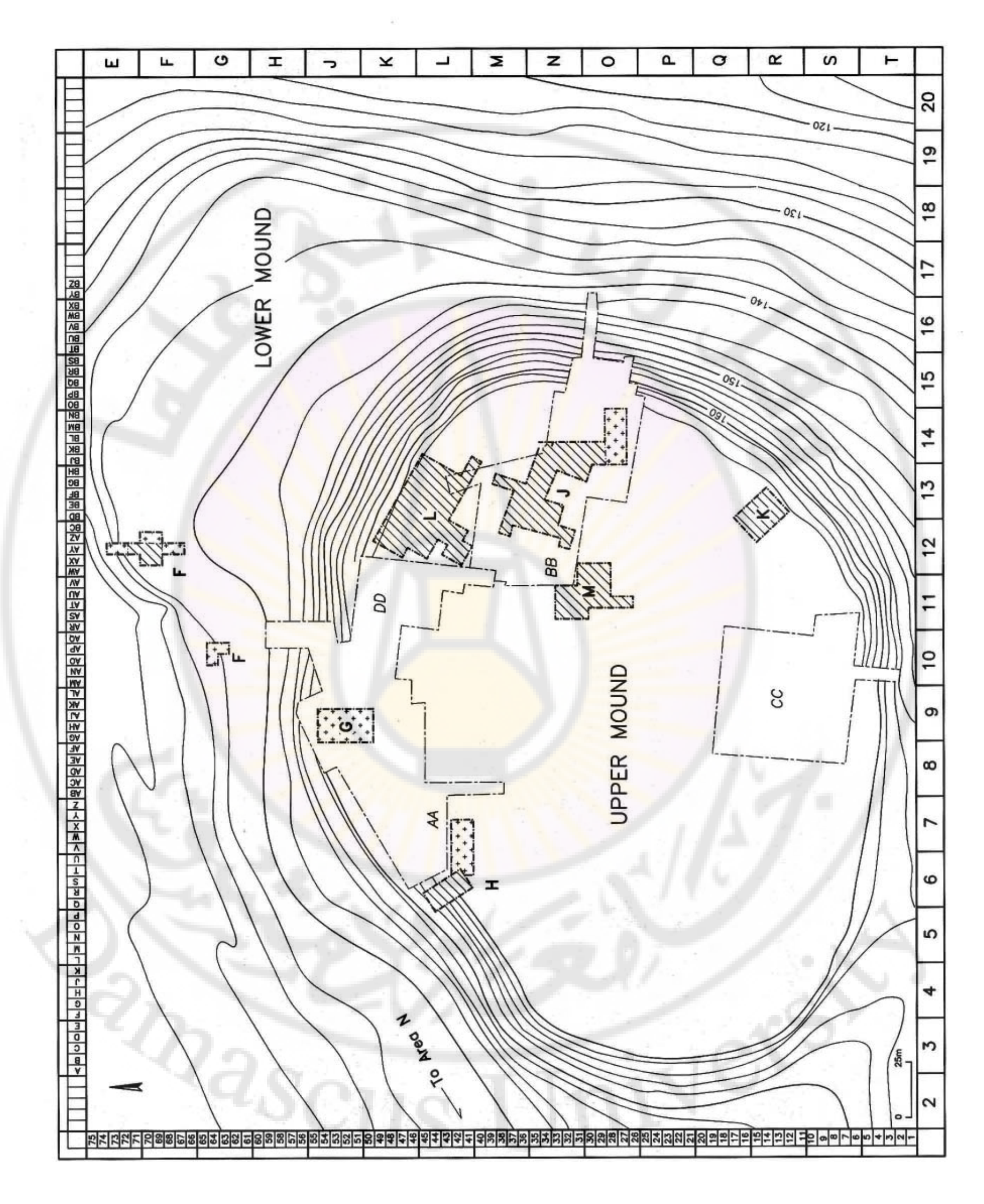
سبق المعبد بباحة خارجية (١٤ X ٨ م) تقع مقابل مدخله على غرار المعابد السابقة وهو محاط أيضاً بسور خارجي يفصله عن المباني الأخرى ويحدد فضائه المقدس. ولكن بوابة السور الكبيرة السابقة اختفت واستبدل المذبح الكبير بمذبح آخر أصغر حجماً. يتم الوصول إلى الباحة عبر فتحتين في السور واحدة في الجزء الشرقي والأخرى في الغربي منه.

أعيد بناء المعبد بشكل جزئي فقط خلال القرن الثالث عشر ق.م (برونز حديث ٣). وهو مطابق تماماً للمعبد السابق (الشكل ٩٣). إن معبد القطاع H الواقع في الجزء الشمالي من المدينة المنخفضة والذي ظل في الاستخدام نحو أربعة قرون هو معبد الإله حدد (إله الطقس والعاصفة).

٣-٤-٢ تل المتسلم (مجيدو):

يقع تل المتسلم (مدينة مجيدو القديمة) في السهل الساحلي في فلسطين (الشكل ٩٤)، على بعد ٢٥ كم من حيفا، في الجزء الجنوبي الغربي من وادي جزريل (مرج ابن عامر أو سهل زرعين)[٢٤٣]. يبلغ طول التل ٢٣٠ م وعرضه ٣١٥ م وهو يرتفع عن السهل المحيط من ٤٠ إلى ٦٠ م. يتألف الموقع من التل ذو الشكل البيضوي المحتوي على المدينة المرتفعة أما المدينة المنخفضة فتقع شمال شرق التل.

(٢٤٣) هو مرج واسع بين منطقة الجليل وجبال نابلس في شمال فلسطين. صورته على شكل مثلث أطرافه: حيفا- جنين- طبريا. يبلغ طوله ٤٠ كم وعرضه المتوسط ١٩ كم ومساحته الكلية ٣٥١ كم.



الشكل ٩٤: مخطط طبواغرفي لتل المتسلم، عن: (Finkelstein, I.*et al*. 2000, fig. 1.2).

تاريخ التنقيبات:

نقب الموقع لأول مرة خلال عامي ١٩٠٣ و ١٩٠٥ من قبل بعثة ألمانية بإدارة شوماخر (G. Schumacher). ثم قام المعهد الشرقي من جامعة شيكاغو بمتابعة أعمال الحفر الأثري بين ١٩٢٥ – ١٩٣٩. حيث تناوب على إدارة الحفرية كل من فيشر (C. S. Fisher) وغي (P. L. O. Guy) وأخيراً لود (G. Loud). وبدأً من العام ١٩٦٦ استلمت بعثة من جامعة القدس الأعمال الأثرية في تل المتسلم وهي لا تزال تعمل هناك حتى الوقت الحاضر.

تنظيم المدينة:

يعود السكن الأول في تل المتسلم إلى عصر النيوليت ما قبل الفخار، ولكن الاستيطان لم يتحول إلى مدينة منظمة ومحصنة حتى عصر البرونز القديم الثاني. ومن الجدير بالذكر أنه اعتباراً من تلك الفترة الباكرة وحتى نهاية عصر البرونز الحديث ظلت المنطقة الشرقية من التل مخصصة لمعبد المدينة الذي كان يعاد بناؤه في كل فترة.

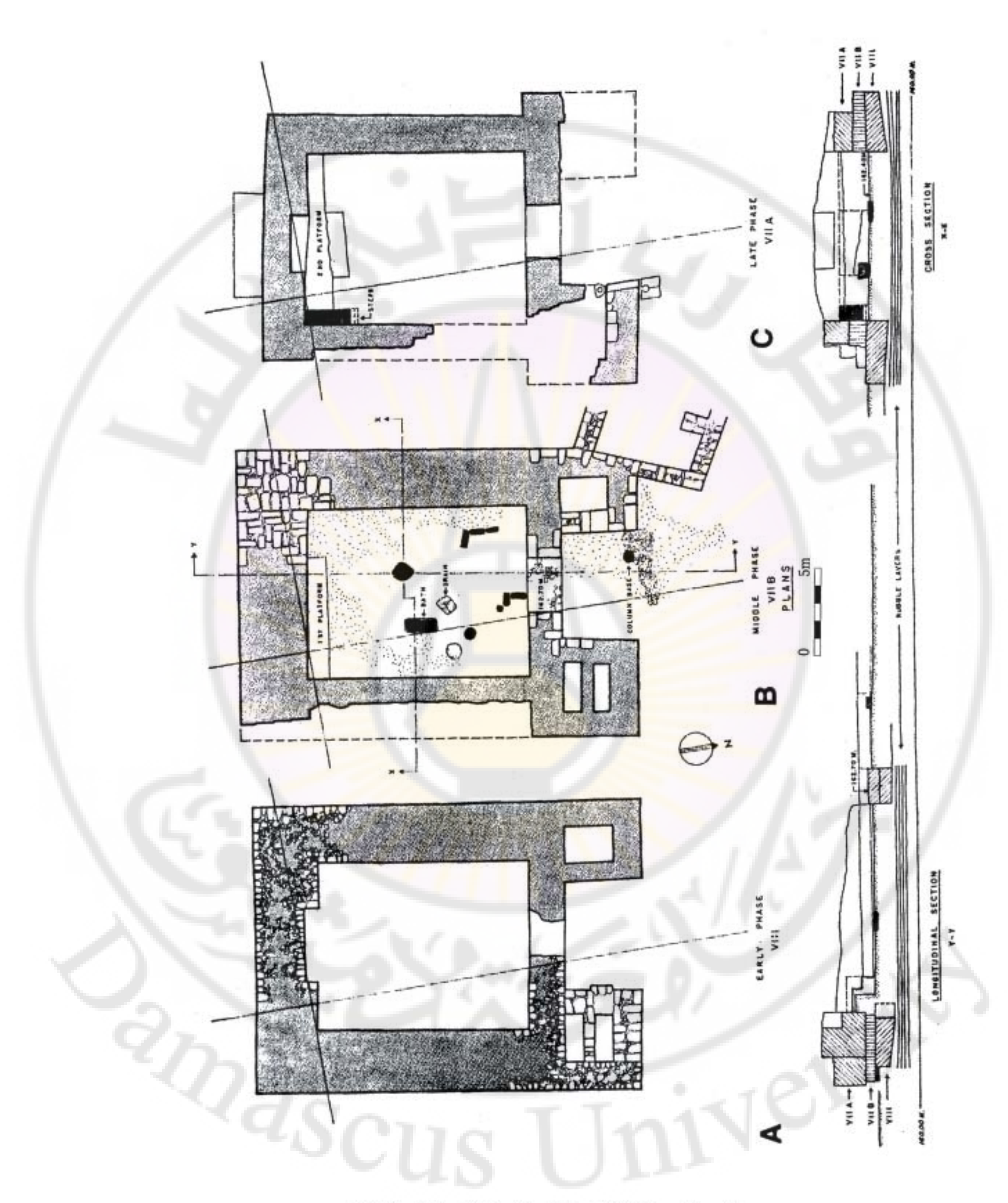
في نهاية عصر البرونز الوسيط وحتى عصر الحديد الأول تميزت المدينة المرتفعة بوجود قصر في القطاع (AA) بالقرب من بوابة المدينة الشمالية-الغربية ومن المعبد في القطاع (BB) في الجزء الشرقي من التل والمنطقة السكنية في القطاع (CC) في الجزء الجنوبي ومن قصر آخر يقع في القطاع (DD) الواقع في الجزء الشمالي من التل.

تتميز مجيدو خلال عصري البرونز الوسيط والحديث بعمارتها التي بنيت وفق الطرز السائدة في المنطقة خلال هذه الفترة ومن أهم عناصرها المعمارية: هي التحصينات المؤلفة من أسوار مسبوقة بسواتر ترابية كما في المواقع الأخرى من بلاد الشام وبوابتها الرئيسية الواقعة في الجزء الشمالي الغربي من المدينة المرتفعة وهي محصنة بالأبراج على غرار بوابة أوغاريت الغربية وغيرها من المواقع. بالإضافة لمعبدها ذي الطراز البرجي في الجزء الشرقي من اللأكربول وقصرها في القطاع الشمالي الغربي[٢٤٤] مقابل المعبد.

المعبد البرجي ٢٠٤٨:

من أهم ما تتميز به مجيدو خلال عصر البرونز الحديث هو المعبد البرجي (الشكل ٩٥) الذي بني لأول مرة في بداية البرونز الحديث الأول (السوية الثامنة) واستمر في الاستخدام حتى بداية عصر الحديد (حوالي ١١٥٠ ق.م). يقع في الجزء الشرقي من المدينة المرتفعة تحده الأبنية السكنية إلى الشرق والغرب والجنوب-الغربي منه. بنيت أساساته العريضة من الدبش وأرضيته من الكلس.

(٢٤٤) للتعرف على عمارة مجيدو السكنية انظر: Foucault-Forest, Ch. 1997, p. 151-160.



A. معبد السوية VIII، B. معبد السوية VIIB، C. معبد السوية VIIA .

الشكل ٩٥: معبد مجيدو البرجي، سويات البرونز الحديث والحديد، عن: (Loud, G. 1948, fig. 247).

يقع مدخل البناء في منتصف جداره الشمالي ويفضي إلى غرفة مدخل مفتوحة أو رواق (Porche)، تؤدي بدورها إلى غرفة المعبد الرئيسية. بني معبد مجيدو البرجي على مصطبة خاصة ويتميز بجدرانه العريضة جداً حيث يتراوح عرض الأقسام السفلية من جدرانه ٤ أمتار.

يتألف المعبد من غرفة رئيسية (الغرفة الأكثر قدسية أو "سيلا ") مسبوقة بغرفة مدخل. أحيطت غرفة المدخل كما في معبد حاصور بغرفتين صغيرتين، كل واحدة على جانب، تخدم إحداها (الغرفة الشمالية الغربية) كبيت للدرج وهي أطول من الغرفة المقابلة يقسمها الجدار الحامل للدرج إلى قسمين. وهذه الغرف المتوضعة على واجهة البناء تشابه الأبراج تماماً كما في معبد حاصور[٢٤٥]. وقد جهزت هذه الغرفة بمحراب يقع في منتصف جدار العمق مقابل مدخل الغرفة تماماً وهو بطول ٥,٠٠ وعمق ٠,٩٠ م[٢٤٦].

يختلف هذا المعبد عن معبد حاصور ومعابد أوغاريت بشكل غرفته الرئيسية ذات الشكل المستطيل طولانياً (أبعادها ١١,٥٠ X ٩,٦٠ م)[٢٤٧]. لكن ذلك لا يغير من شكل المبنى الخارجي المتكتل (غير متطاول إذ لا يتجاوز الفارق بين طوله وعرضه ٥ أمتار، أبعاد المعبد ٢١,٥٠ X ١٦,٥٠ م)[٢٤٨] وهو بذلك يطابق شكل وأبعاد معبدي دجن وبعل في أوغاريت.

أحيط المعبد بباحة خارجية ولم يبقَ من سوره الخارجي إلا أجزاء صغيرة في فقط في تدل عليه.

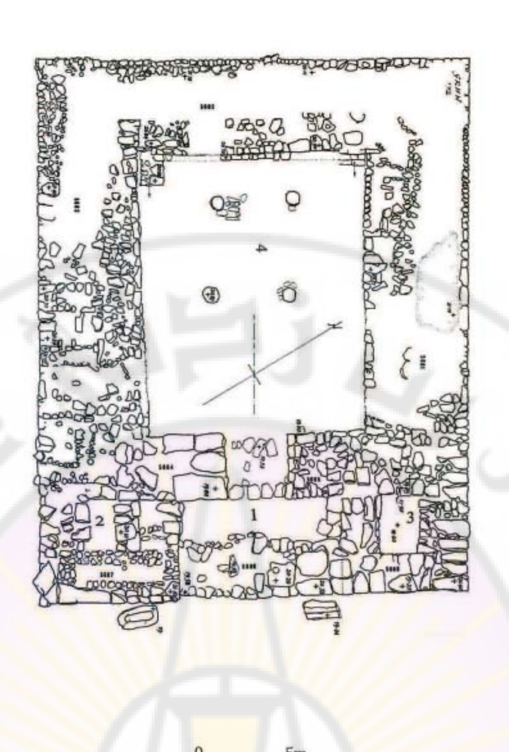
أعيد بناء المعبد خلال السوية اللاحقة (السوية VIIB المؤرخة بعصر البرونز الحديث الثاني) بشكل متطابق مع المعبد الأول ولكن الاختلاف الوحيد داخل البناء هو استبدال المحراب في منتصف الجدار الجنوبي بمنصة حجرية ارتفاعها ١,١٠ م وعرضها ١ م.

وفي السوية اللاحقة أيضاً (VIIA) العائدة لبداية عصر الحديد الأول تم إعادة بناء المعبد البرجي وفق المخطط ذاته ولكن مع وجود بعض الاختلافات، حيث إن لجدرانه نصف عرض جدران المعبد السابق (٢ م، الشكل ٩٥).

اشتهر الطراز البرجي بشكله المطابق لمعابد حاصور ومجيدو (الدرج في واجهة البناء) في موقع آخر في فلسطين وهو موقع تل بلاطة في نابلس (مدينة سخيم قديماً). حيث إن هذه المدينة اشتهرت بمعبدها البرجي الضخم الذي تبلغ أبعاده ٢٦,٥٠ X ٢١,٥٠ م (انظر الشكل ٩٦).

---

(٢٤٥) Loud, G. 1948, p. 102.
(٢٤٦) Ottosson, M. 1980, p. 53.
(٢٤٧) Loud, G. 1948, p. 102.
(٢٤٨) انظر أبعاد معابد أوغاريت وحاصور وغيرها من المعابد البرجية فجميعها تتميز بالشكل المتكتل أو المربع.



الشكل ٩٦: معبد سكيم البرجي، عن: (Wright, G.R. et Campbell, E.F. 2002, fig. III.62).

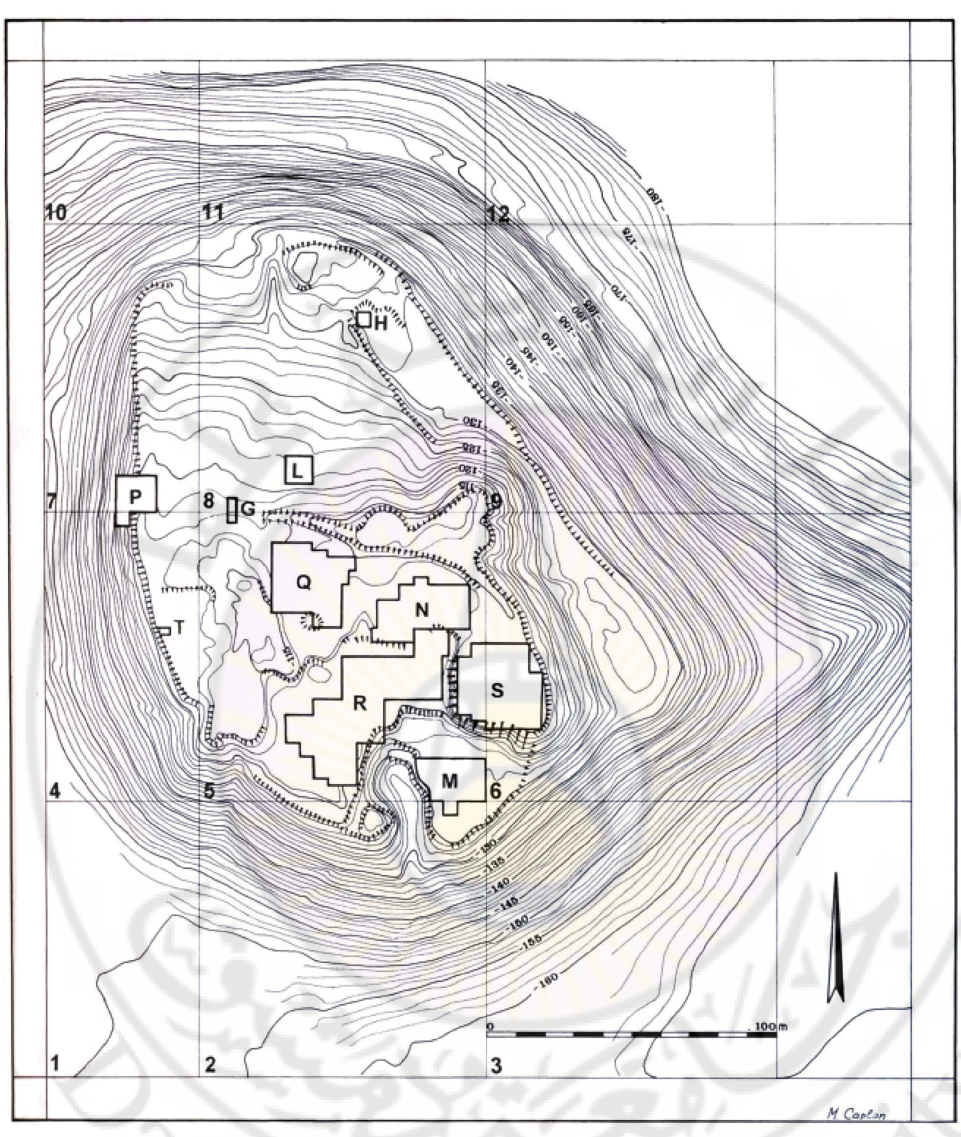
٣-٤-٣ تل الحصن (بيسان):

يقع تل الحصن (مدينة بيسان القديمة، الشكل ٩٧) في الجهة الشرقية من وادي جزريل إلى الغرب من نهر الأردن في شمال فلسطين. تأتي أهمية التل من حيث وقوعه في مكان استراتيجي على مفرق طرق تجارية هامة، أحدها باتجاه شمال جنوب يصل مابين السهل الساحلي والبقاع ثم سوريا. أما الطريق الآخر -باتجاه شرق غرب- يصل بين المنطقة الساحلية والأردن.

يقع التل على مرتفع طبيعي، شكله بيضوي ويتميز بانحداره الشديد في الجهتين الشمالية والشمالية-الغربية. تبلغ مساحة التل حوالي ٢,٨ هكتار ويصل ارتفاعه إلى ١٠٥,٦١م فوق سطح البحر.

تاريخ التنقيبات:

نُقب الموقع لأول مرة من قبل بعثة أمريكية من جامعة بينسيلفانيا ما بين عامي ١٩٢١ و ١٩٣٣، حيث توالي في إدارة البعثة كل من فيشر (C. S. Fisher)، رو (A. Rowe)،



الشكل ٩٧: تل الحصن، عن: (Mazar, A. et Mullins, R.A. 2006, fig. 1.3).

فيتزجيرالد (G. M. FitzGerald)[٢٤٩]، ثم استأنفت الحفريات الأثرية بدءاً من عام ١٩٨٩.

تنظيم المدينة:

يعود الاستيطان الأول في تل الحصن إلى الألف الرابع ق.م ثم استمر التل مأهولاً حتى الفترات الإسلامية. لكن الاستيطان العائد إلى عصري البرونز الوسيط والحديث كان استيطاناً

(٢٤٩) Fitzgerald, G. M. 1930; Rowe, A. 1940; Rowe, A. 1930; James, F. W. et McGoven, p. E. 1993, James, F. W. 1966.

صغيراً نسبياً ومستقراً على قمة التل الذي لا تتجاوز مساحته ١,٤ هكتاراً في القطاعات (R, S, Q, N, M على المخطط الطبوغرافي، الشكل ٩٧)، يحده المنحدر الشمالي. ولكن توسع الاستيطان الوحيد وامتداده إلى الأجزاء المنخفضة خارج التل حدث مرةً واحدة خلال عصر البرونز القديم الأول فامتد الاستيطان إلى القطاعات (L, P) في الجهة الشمالية.

يمثل استيطان البرونز الوسيط والحديث الأول مدينة صغيرة غير مسورة تقع في نفوذ مملكة صغيرة تقع عاصمتها في تل مجاور. ثم أصبحت بين القرنين الرابع عشر والثاني عشر ق.م مركزاً إدارياً-عسكرياً مصرياً للمنطقة الواقعة تحت سلطة المصريين. ومن أبرز ملامح هذه المدينة الصغيرة خلال القرن الثالث عشر ق.م هو منزل الحاكم المربع الشكل في الجزء الشمالي الغربي من التل (القطاع Q). والبناء المربع الشكل أيضاً في القطاع (R) الذي فسرت وظيفته على أنه معبد ولكن خصائصه المعمارية تعكس وظيفة إدارية (الشكل ٩٨ أ-ب)، فقد كان على الأغلب مخصصاً لعمل الموظف أو الحاكم المصري في استقبال المراجعين وتسيير الأمور الإدارية في بيسان (بناء استقبال)[٢٥٠].

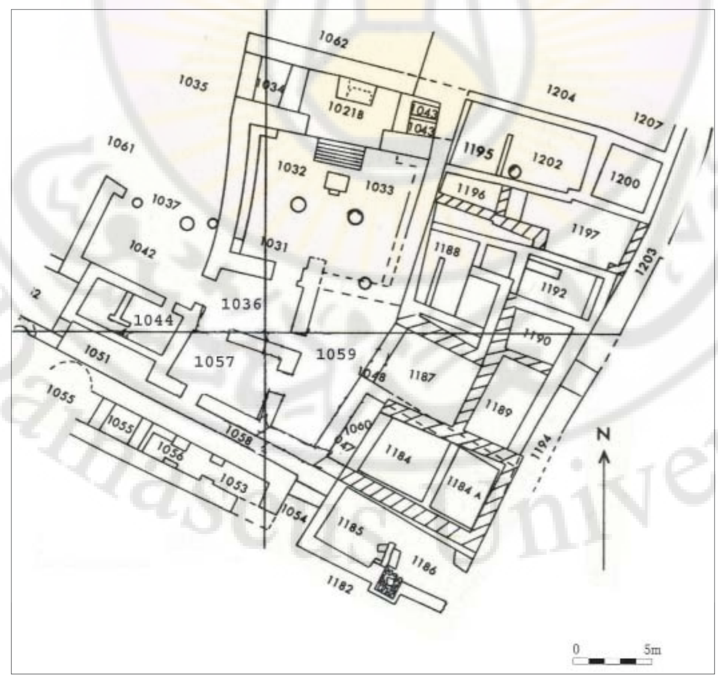
يتألف المبنى من غرفة كبيرة مربعة الشكل تقريباً ولكن أبعادها غير منتظمة تماماً (١٢,٢٥ X ١٠/١١,٥٠ م) متصلة بملحقات عديدة في الجنوب منها غرفة المدخل. أما الغرفة الرئيسية فكانت مؤثثة بمصاطب للجلوس بنيت إحداها بملاصقة الجدار الشرقي والأخرى بملاصقة الجدار الشمالي. يقوم سقف الغرفة على عمودين عثر على قاعدتهما في وسط هذه الغرفة. خصصت على الأرجح لاستقبال المراجعين، يدل على ذلك المصاطب الملاصقة للجدران. أما الموظف فيتمتع بمكان الصدارة في الغرفة وهو عبارة عن ملحق صغيرة في عمق الغرفة الرئيسية وأعلى من أرضيتها (فهو يرتفع بقدر ١,٥٠م من أرضية الغرفة). يمكن الوصول إليه بواسطة درج مركزي مؤلف من سبع درجات. خصصت هذه الغرفة الضيقة والمرتفعة (١١,٢٥ X ٢,٥٠ م) لجلوس الموظف ولكن المنصة في هذه البناء كانت مهشمة وغير كاملة، وهي أوضح في بناء السوية اللاحقة العائدة لعصر الحديد الأول (انظر الشكل ٩٨-ب) حيث نرى المنصة كاملة تقع على محور البناء الرئيسي مقابل الدرج تماماً.

أحيط هذا النباء بقلعة صغيرة تقع إلى الغرب منه، وبحي سكني في الشرق والجنوب-الشرقي منه. تتألف بقايا هذا الحي من مساكن صغيرة ومتشابهة على طرفي شارع رئيسي يقطع التل باتجاه شمال-جنوب. أما القبور العائدة لهذه السوية فتنتشر في الجزء الشمالي من التل.

(٢٥٠) Al Mhdi Al Tounsi, O. 2012, p. 397-416.



الشكل ٩٨-أ: مبنى الاستقبال في سوية عصر البرونز الحديث، عن:
.(James, F.W. et McGovern P.E. 1993, plan 1)



الشكل ٩٨-ب: مخطط مبنى الاستقبال في سوية الحديد الأول، عن:
.(James, F.W. et McGovern P.E. 1993, plan 1)

٣-٤-٤ تل كامد اللوز (كوميدي):

يقع تل كامد اللوز في الجزء الجنوبي-الشرقي من سهل البقاع[٢٥١] في موقع استراتيجي حيث تمر منه طرق التجارة القديمة، منها الطريق الواصل بين سهل الأردن وسوريا، وطريق آخر يصل ساحل المتوسط بمنطقة دمشق مروراً بالتل والجزء الجنوبي من سهل البقاع. للتل الأثري شكل بيضوي له منحدرات لطيفة في الجهتين الشمالية-الشرقية والشمالية-الغربية. يبلغ طول التل ٣٠٠ م وعرضه ٢٤٠ م. ويرتفع ٢٦ م فوق مستوى السهل المجاور.

ذُكر الموقع في النصوص المصرية القديمة العائدة للنصف الثاني من الألف الثاني ق.م باسم كوميدي[٢٥٢]. وتفيد رسائل العمارنة بأن كوميدي كانت تدار من قبل موظف مصري (rabû) يعنى بشؤون المقاطعة الآسيوية. ولقد عثر على إبريق فخاري منقوش بكلمة (رابو- rabû) في الموقع[٢٥٣].

تاريخ التنقيبات:

نقب تل كامد اللوز لأول مرة بين عامي ١٩٦٣ و ١٩٨١ من قبل بعثة ألمانية. كان أبرز من أدار الحفرية خلال تلك الفترات كلٍ من هاشمان (R. Hachmann) و ميتزغر (M. Metzger) بين عامي ١٩٦٦ و ١٩٨١. ثم تابع إدارة الحفرية الباحث هاينز (M. Heinz) منذ عام ١٩٩٧.

تنظيم المدينة:

سكن تل كامد اللوز منذ العصر الحجري النحاسي ولكن الاستيطان التابع لعصر البرونز القديم الأول لم يخلف آثاراً عمرانية. وقد عثر على آثار عصر البرونز الوسيط على المنحدر الشمالي للتل وهي عبارة عن تحصينات وقبور[٢٥٤]. وخلال عصر البرونز الحديث (الشكل ٩٩) أصبحت المدينة مؤلفة من القصر في مركز التل والمبنى الإداري -أو ما يعتقد المنقبون بأنه "معبد"- شمال-غرب القصر. كما عثرت البعثة على بوابة المدينة وورشة صناعية صغيرة شمال المبنى (برونز حديث). بينما تقع المنطقة السكنية على المنحدر الشمالي للتل. أعطت كوميدي بعض الرقم المسمارية وهي معاصرة لرسائل العمارنة (القرن الرابع عشر ق.م)[٢٥٥].

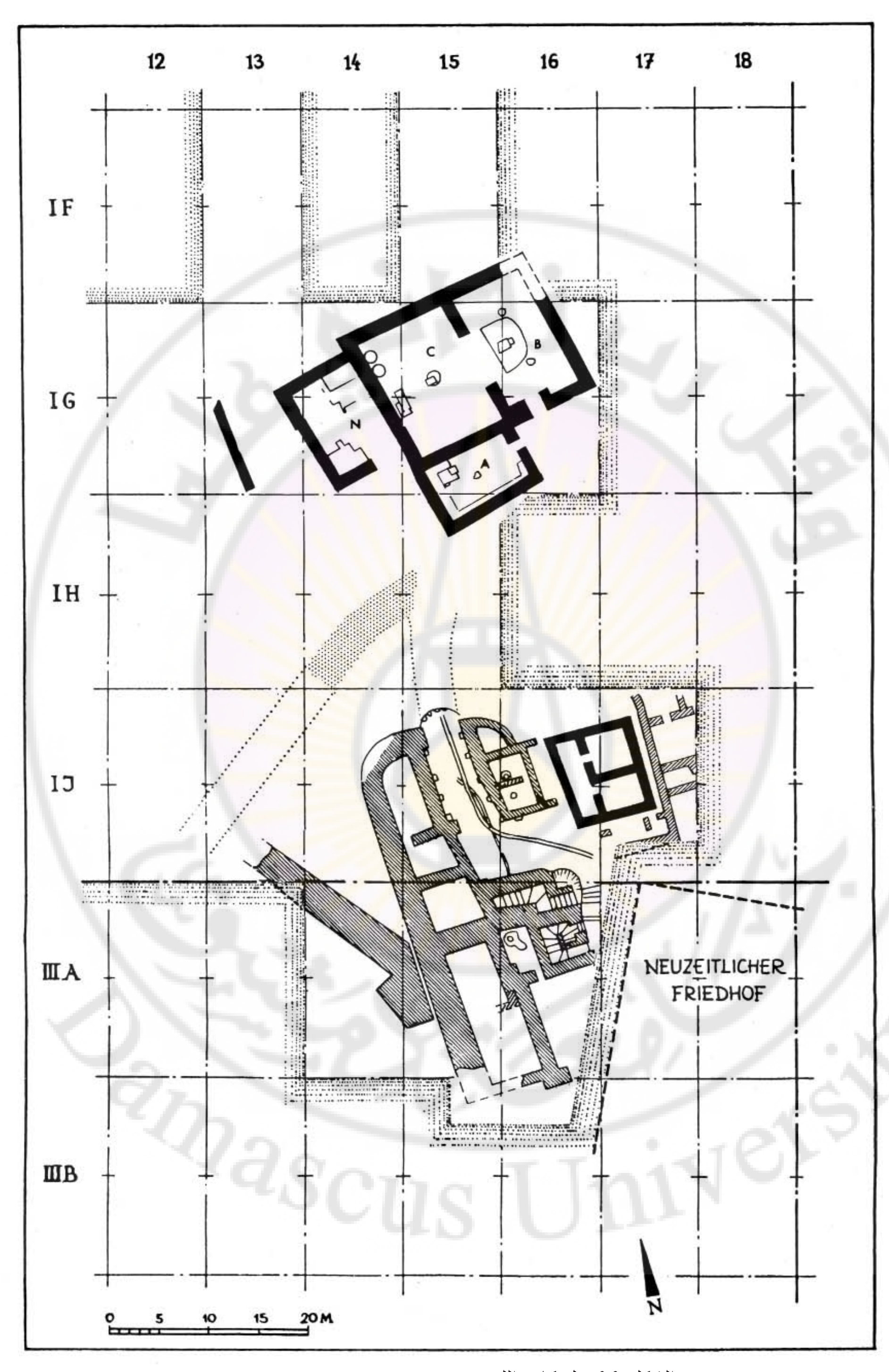
(٢٥١) يقع سهل البقاع بين وادي العاصي في الشمال ووادي الأردن في الجنوب وهو محاط في الغرب بجبال اللبنان وفي الشرق بجبال لبنان الشرقية. يصل طول السهل إلى ١١٠ كم ويتراوح عرضه بين ٨ و ١٤ كم.

(٢٥٢) Badre, L. 1997, p. 265.

(٢٥٣) Wilhelm, G. 1978, p. 24-26.

(٢٥٤) Hachmann, R. 1969, p. 59 ; p. 7884- ; Hachmann, R. 1978a, p. 36-38.

(٢٥٥) Edzard, D. O. 1969, p. 85-91.



الشكل ٩٩: تل كامد اللوز، عن: (Miron, R. 1990, fig. 2).

المبنى الإداري (أو مبنى الاستقبال T3, T2, T1):

شيد المبنى الإداري لأول مرة خلال عصر البرونز الوسيط (المبنىT4 و T5) ثم أعيد بناؤه وفقاً لذات المخطط ثلاث مرات خلال عصر البرونز الحديث (T3, T2, T1). بني من اللبن على أساسات حجرية (الشكل ١٠٠أ-ب). أجريت لهذا المبنى العديد من الترميمات ضمن فترة البناء الواحدة، أطلق المنقبون على كل ترميم حرف صغير وهكذا نجد أن البناء الأول من عصر البرونز الحديث T3 تعرض لعدة ترميمات سميت (T3d, T3c, T3b, T3a). ولكن المبنى لم يختلف مخططه جذرياً أبداً خلال فترة استخدامه الطويلة.

يتألف المبنى الإداري من ثلاث غرف (A, B, C) ومن العديد من الغرف الملحقة التي بنيت بملاصقة جداره الغربي. لطالما تغيرت معالم هذه الملحقات في أثناء الترميمات العديدة ولكن البناء الرئيسي بقي في أغلبه على حاله. تؤلف الغرفتين B -C مستطيلاً طوله ٢١ م وعرضه ١٦,٦٠ م. تفضي فتحة المدخل الواقعة في الجزء الغربي من الجدار الجنوبي للغرفة B إلى هذا الجزء من البناء فيما تنفرد الغرفة A بمدخل خاص.

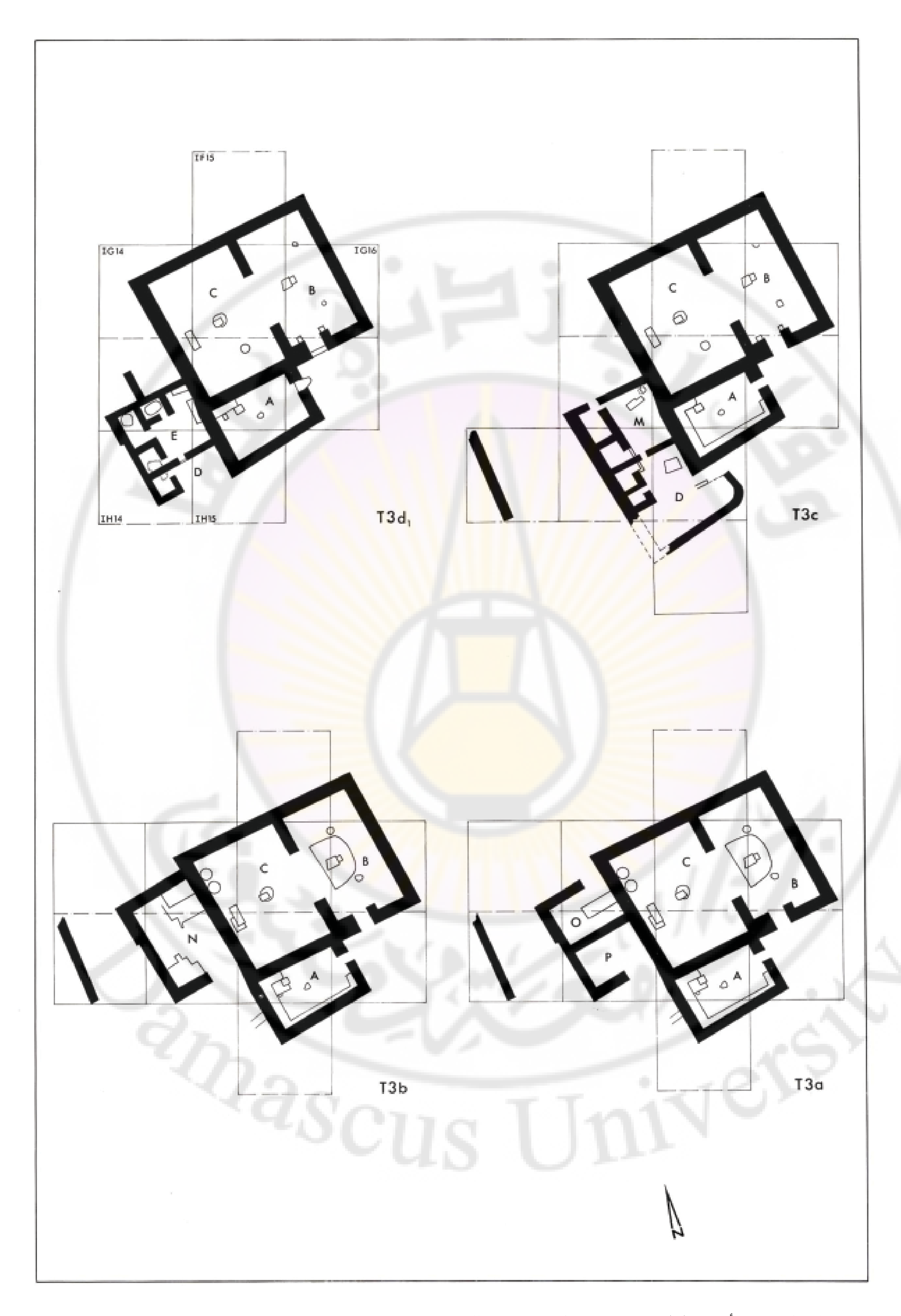
تُعدّ الغرفة B (أبعادها: ١٣,٥٠ x ٧,٤٠ م) غرفة دخول وانتظار قبل الوصول إلى الغرفة الرئيسية C. يقوم سقفها على عمودين عثر على قواعدهما في أرضية الغرفة. وتتميز الغرفة الرئيسية بكبر مساحتها (١٤,٢٥ x ١٠ م) وبشكلها المستطيل العرضاني. كما أنها تتميز بالمنصة المركزية التي بنيت بملاصقة الجزء المركزي من جدار المبنى الشرقي (مقابل مدخل الغرفة).

لم يختلف مخطط البناء عندما أعيد بناؤه مرتين (المبنى T2 وT1) ومن أهم التعديلات التي حصلت في البناء T2 القيام برصف أرضية الغرفة الرئيسية باللبن المستطيل وتكبير المنصة الموجودة في الصالة الرئيسية خلال المرحلة الثانية وتعديل الملحقات الغربية فأصبحت تشكل بناءً له مساحة تعادل مساحة البناء الأساسي (الشكل ١٠٠-ب). وهذا يدل على تزايد الأعمال التي استدعت توسيع مساحة البناء الإداري.

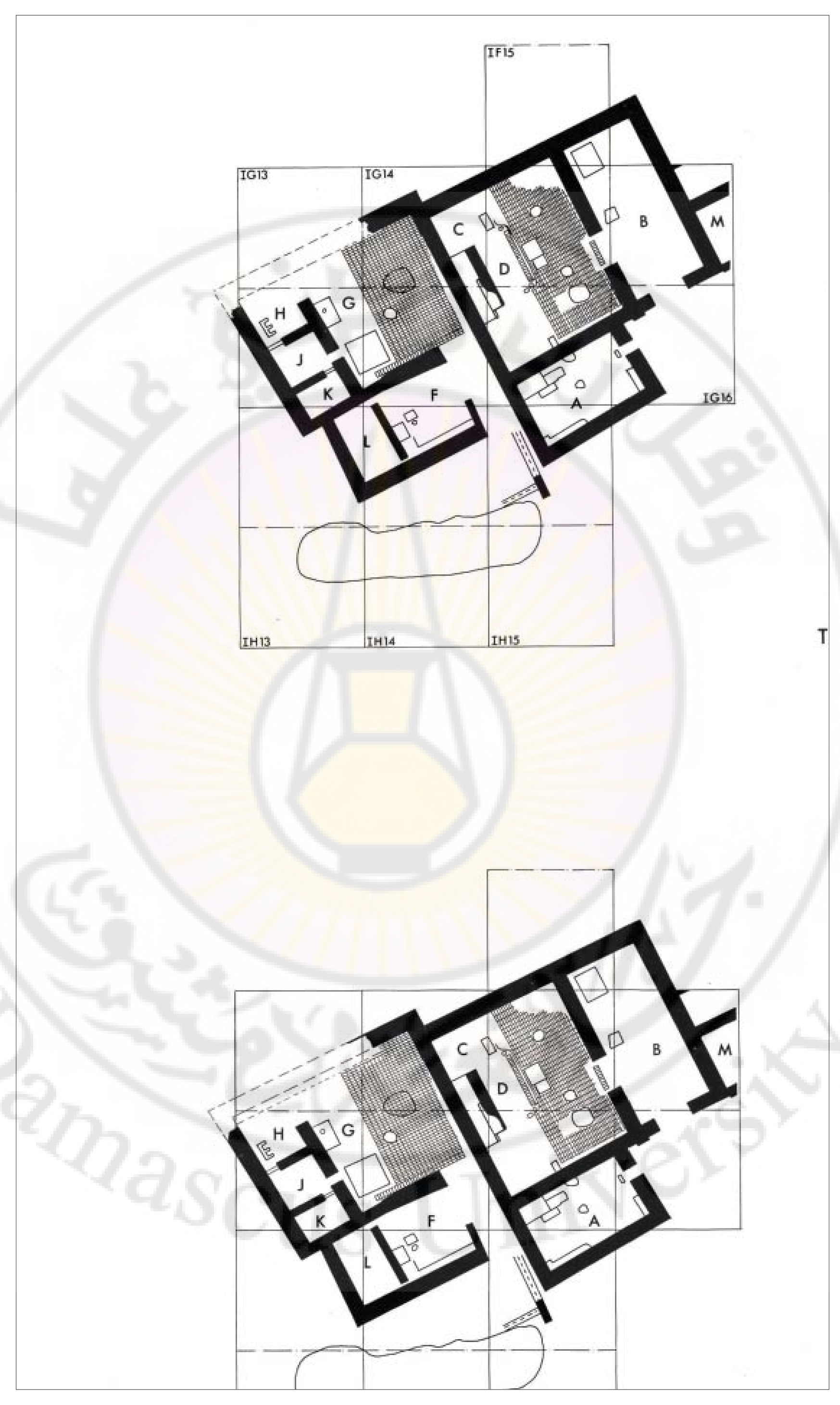
تدل خصائص هذا البناء المعمارية بأن وظيفته إدارية، وأنه كان قد خصص لموظف رفيع الشأن يقوم باستقبال العامة والنظر في شؤونهم وشكاويهم[٢٥٦]. حيث ذكرت النصوص أن كوميدي كانت المكان الذي سكن من قبل موظف مصري لمتابعة شؤون المنطقة. وتدل المنصة المركزية المرتفعة بأنها كانت قاعدة لعرش أو مقعد الموظف المصري، بينما خصصت الغرفة السابقة للانتظار قبل الدخول على الموظف.

---

(٢٥٦) Al Mhdi Al Tounsi, O. 2010; 2012, p. 397-416.



الشكل ١٠٠-أ: مخطط مبنى الاستقبال في كامد اللوز (T3)، عن: (Metzger, M. 1991, fig. 18; 19).



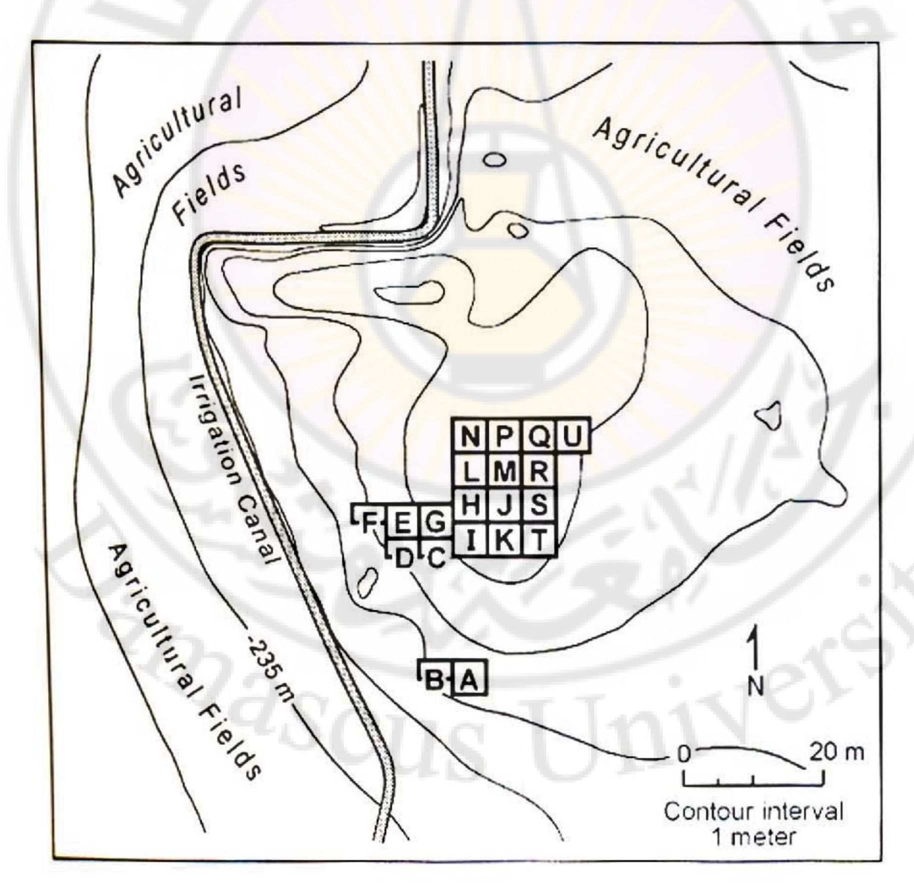
الشكل ١٠٠-ب: مخطط مبنى الاستقبال في كامد اللوز (T2)، عن: (Metzger, M. 1991, fig. 18; 19).

٣-٤-٥ تل الحيات:

يقع تل الحيات في وادي الأردن على بعد ٢ كم شرق النهر في سهل الغور وهي منطقة زراعية هامة منذ العصور القديمة وحتى الوقت الحالي (الشكل ١٠١). يضم التل الأثري بقايا قرية زراعية صغيرة مساحتها ٠,٥ هكتاراً. يرتفع التل بمقدار ٤,٥ م عن السهل المحيط.

تاريخ التنقيبات:

نُقب التل الأثري خلال ثلاثة مواسم بين عامي ١٩٨٢ و ١٩٨٥ من قبل بعثة أمريكية من جامعة أريزونا بإدارة الباحث فالكونر (S. E. Falconer) والباحث ماغنيس كاردينر (B. Magness-Gardiner). ولكن التنقيبات لم تكشف إلا عن ٤٠٠ م٢ أو ما يعادل ٨٪ من مساحة التل.



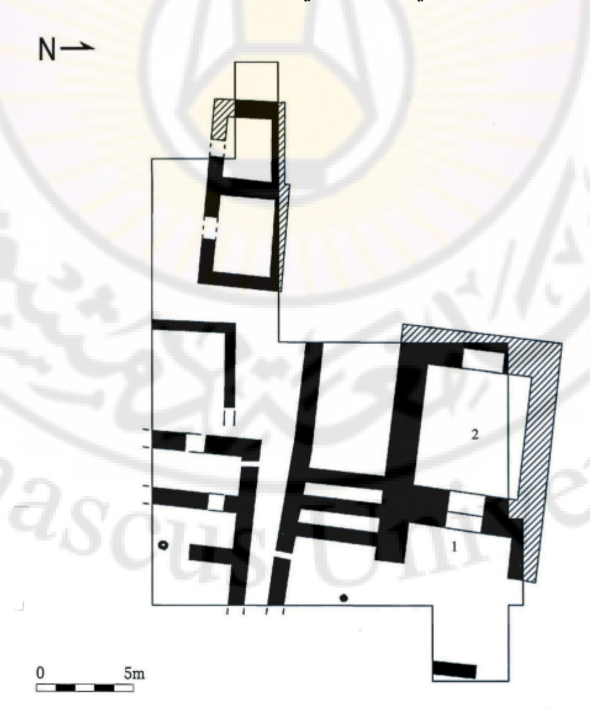
الشكل ١٠١: مخطط تل الحيات الطبوغرافي ، عن: (Falconer, S.E. et Fall, P.L. 2006, fig. 2.3).

تنظيم المدينة:

كان الاستيطان العائد إلى عصر البرونز الوسيط عبارة عن قرية صغيرة غير مسورة، يحتل الجزء المركزي فيها معبد برجي صغير ولكن السكن المحيط والتابع لهذه الفترة لم يعثر عليه. وخلال النصف الثاني في هذا العصر أعيد بناء المعبد وعثر على حي سكني بالقرب منه يتألف من المنازل والشوارع ومجارير التصريف. بالإضافة إلى فرن فخار يقع على المنحدر الشمالي للتل (القطاع A). وفي نهاية عصر البرونز الوسيط أعيد بناء المعبد في ذات المكان ولم يختلف شكله أبداً إلا أنه تعرض لتوسعة فصارت مساحته أكبر. استمر في الاستخدام خلال عصر البرونز الحديث الأول.

معبد تل الحيات البرجي:

أعيد بناء المعبد أربع مرات خلال ٤٠٠ عام لم يختلف خلالها مخططه ولا اتجاهه أبداً (الشكل ١٠٢). يعود بناء المعبد الأخير إلى المرحلة ٢-١ (١٦٥٠-١٥٠٠ ق.م)[٢٥٧] من مراحل الاستيطان في التل. وجه المعبد باتجاه شرق-غرب ويقع مدخله في الطرف الشرقي. أحيط بالمنازل من جهاته الجنوبية والجنوبية-الشرقية ولكنه كان دائماً منعزلاً عنها بواسطة سوره الخاص وباحته المحيطة به التي تحدد فضاءه المقدس عن المحيط السكني المجاور. بني باللبن على أساسات مرتفعة من الحجر.



الشكل ١٠٢: معبد تل الحيات، عن: (Falconer, S.E. et Fall, P.L. 2006, fig. 5-2).

(٢٥٧) Falconer, S. E. et Fall, P. L. 2006, p. 86-101.

تبلغ أبعاده ٨,٣ X ١٠,٢م وترتفع أرضيته مقدار نصف متر عن مستوى الأرض المجاورة. يتألف هذا المعبد مثل كل المعابد البرجية من غرفة المدخل، حيث يقع المدخل بين الجدارين الشمالي والجنوبي وبسبب ارتفاع أرضية المعبد يفترض المنقبون وجود درجتين قبل مدخل الغرفة الرئيسية. يشابه معبد تل الحيات معبد مجيدو من حيث شكل الغرفة الرئيسية (المصلى) التي يبلغ طولها ٦,٢٢ م وعرضها ٥,٥٠ م ويقابل مدخلها محراب في منتصف الجدار الخلفي (الجدار الغربي) وهو الأثاث الوحيد في هذه الغرفة.

٣-٥ نهاية عصر البرونز الحديث:

تعرضت المراكز الحضرية الكبيرة والنظم السياسية العائدة للبرونز الحديث في منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط لأزمة كبيرة تبعت بانهيار حضاري عام حوالي ١٢٠٠ ق.م مما أنهى عصر البرونز الحديث. تعرضت بعض المراكز المهمة مثل أوغاريت وإيمار للهدم ولم يعد لهما الاستيطان بعد ذلك أبداً. كما هجرت بعض المواقع الأخرى بنهاية هذه الفترة مثل آلالاخ وحمام التركمان وبراك. كما أن القوى العظمى التي كانت سائدة خلال هذه المرحلة شهدت ضعفاً ملحوظاً. حيث تعرضت عاصمة الحثيين حاتوشا إلى حريق كبير وانقضى بذلك على الدولة الحثية. كما تعرضت مصر لفقدان نفوذها في آسيا. ومن الجدير بالذكر أيضاً أن المراكز الهامة في كلٍ من اليونان وقبرص عانت من الانهيار والخراب.

على الرغم من أن الدولة الآشورية الوسطى قد استطاعت الاحتفاظ بنفوذها في سوريا لبعض الوقت، إلا أنها سرعان ما عانت من تقلص لهذا النفوذ في منتصف القرن الحادي عشر ق.م. وبسبب هذه الأزمة العامة انتهت التجارة التي كانت قائمة ومزدهرة جداً بين حكام شرق المتوسط. نسبت هذه الأحداث المتكررة لهجمات ما يسمى "بشعوب البحر"، المهاجرين من أمكان عديدة من المتوسط إلى الشرق. ولكن هذه الهجمات الخارجية هي أحد الأسباب التي أدت إلى الاضطراب وإلى نهاية عصر البرونز الحديث. قد تكون الأسباب الأخرى هي : الضغط الذي مارسته مؤسسة القصر لاستثمار الثروات والطاقات البشرية (كقصر أوغاريت مثلاً) مما أدى لنزوح العناصر البشرية خارج نطاق سيطرة هذه المؤسسة، أي هجران المراكز الحضرية الكبيرة والنزوح إلى الأطراف النائية. ولربما أثرت مواسم الجفاف المتكررة سلباً على النظام الزراعي. حيث يعتقد بعض العلماء أن التغيرات السلبية في المناخ أدت إلى انهيار مجتمعات عصر البرونز الحديث. شهدت المرحلة اللاحقة (عصر الحديد) تغيراً على الصعيد الاجتماعي – السياسي، الثقافة المادية، واللغة مما غير سوريا بشكل كبير بالنسبة للبرونز الحديث.

الفصل الرابع

٤- الألف الأول ق.م (عصر الحديد):

يؤرخ عصر الحديد بين عامي ١٢٠٠ و٣٣٠ ق.م وهو كعصر البرونز الحديث كانت بدايته غامضة لقلة النصوص الكتابية التي اختفت عام ١١٨٠ ق.م تقريبا[٢٥٨]. استمر غياب النصوص خلال عصر الحديد الأول ولذلك أطلق عليه اسم العصر المظلم. تتميز نهاية عصر الحديد بدخول الإسكندر الكبير إلى بلاد الشام عام ٣٣٠ ق.م.

يتميز المشهد الاجتماعي-السياسي في بلاد الشام خلال عصر الحديد بالتحول من نظام دويلات-المدن إلى نظام الممالك القومية مثل الفينيقيين والآراميين وغيرهم، بالإضافة إلى صعود قوىً جديدة على الساحة السياسية مثل الإمبراطورية الآشورية الحديثة والبابلية الحديثة ثم الفرس[٢٥٩].

حيث أخضعت الدولة الآشورية الحديثة بلاد الشام في نهاية القرن الثامن ق.م بما في ذلك الجزء الجنوبي (فلسطين) الذي تحول في عام ٧٢١ ق.م. لمقاطعة آشورية. وفي نهاية القرن السابع ق.م هُزمت الدولة الآشورية الحديثة على يد التحالف البابلي-الفارسي، فدُمرت القلاع والحصون الآشورية في سوريا مثل دور كاتليمو (الشيخ حمد في الجزيرة السورية)، ثم هُزم المصريون في معركة كركميش عام ٦٠٥ ق.م. ولكن الآشوريين هزموا على يد البابليين، حيث قام نبوخذ نصر بتشكيل امبراطورية جديدة (الإمبراطورية البابلية الحديثة) تضم تحت لوائها بلاد الشام وبلاد الرافدين، عاصمتها بابل. ولكن الامبراطورية البابلية الحديثة عاشت فترة قصيرة من الزمن حيث إنها سقطت على يد سيروس الفارسي عام ٥٣٩ ق.م. فدخلت بلاد الشام تحت لواء الدولة الإخمينية الفارسية بين عامي ٥٥٠ و ٣٣٠ ق.م. وعلى العكس من السيطرة الآشورية والبابلية التي انعكست بطبقات دمار تعاصر هاتين الحركتين العسكريتين، فإنه لا يوجد في المواقع السورية طبقات دمار تعاصر دخول الفرس واستيلاءهم على بلاد الشام.

---

(٢٥٨) Benoit, A. 2003, p. 123.

(٢٥٩) Akkermans, P. and Schwartz, G. M. 2003, p. 400.

يتميز عصر الحديد – وهو حقبة هامة من تاريخ الشرق الأدنى القديم– بتطور اقتصادي وتقني هام يتمثل باستخدام معدن الحديد في صناعة الأسلحة والأدوات المختلفة منذ نهاية الألف الثاني ق. م. أما التطور الآخر الهام فكان على صعيد الكتابة حيث بدأ الفينيقيون بالتدوين بواسطة الأبجدية ثم الآراميون وتبعهم بعد ذلك الإغريق.

ومن الجدير بالذكر أن طبيعة الانتقال بين عصري البرونز الحديث والحديد كان محط خلاف دائم في وجهات النظر بين الآثاريين. فهل كانت التحولات مفاجئة وجذرية بتأثير من الدخلاء الجدد وهم "شعوب البحر" أم أن التحول كان عملية تدريجية وناتجة عن تغيير ذاتي أو محلي؟ إن الإجابة عن هذا التساؤل هو أمر معقد لأن المعطيات الأثرية تدل على أن مدناً كبيرة وهامة كانت قد تعرضت للدمار في نهاية البرونز الحديث (مثل أوغاريت وآلالاخ) من جهة، ولكن مراكزَ حضرية هامة من جهة أخرى كانت قد شهدت تتابعاً في الاستيطان كحماة وكركميش[٢٦٠]. هذا بالإضافة إلى القرى والمدن الساحلية الصغيرة التي استمر فيها الاستيطان ولم يعثر فيها على دلائل تشهد بوجود شعوب خارجية أقامت فيها كشعوب البحر سواءً كان هؤلاء هم المسؤولون عن الدمار في نهاية البرونز الحديث أم لا[٢٦١]. وقد رأى بعضهم أن الأزمة التي أنهت عصر البرونز الحديث كان تأثيرها قليلاً على المنطقة الداخلية والساحلية من بلاد الشام. حيث أعطى تل آفس (مدينة حزريك القديمة) شمال إيبلا سلسلة متتابعة ومنسجمة من المعطيات الأثرية (كالعمارة وغيرها من معطيات الثقافة المادية) بين عصري البرونز الحديث والحديد الأول[٢٦٢]. مما يدفعنا لرفض فكرة الانقطاع الجذري بين العصرين أو على الأقل تعميمه على كافة المناطق بدرجة واحدة. يقسم عصر الحديد في سوريا حسب الفخار للمراحل التالية:

عصر الحديد الأول أ	١١٠٠-١٠٠٠ ق.م
عصر الحديد الأول ب	١٠٠٠-٩٠٠/٨٥٠ ق.م
عصر الحديد الثاني أ	٩٠٠-٨٠٠ ق.م
عصر الحديد الثاني ب	٨٠٠-٧٠٠ ق.م
عصر الحديد الثالث أ	٧٠٠-٦٠٠ ق.م
عصر الحديد الثالث ب	٦٠٠-٥٥٠ ق.م
الفترة الفارسية	٥٥٠-٣٥٠ ق.م

(٢٦٠) *Ibid*, p. 361.

(٢٦١) كتل سوكاس مثلًا حيث أعيد استيطان التل بسرعة ودون تغير كبير في طبيعة الثقافة المادية بعد الدمار الذي حصل في نهاية البرونز الحديث انظر: Buhl, M. L. 1983, p. 110.

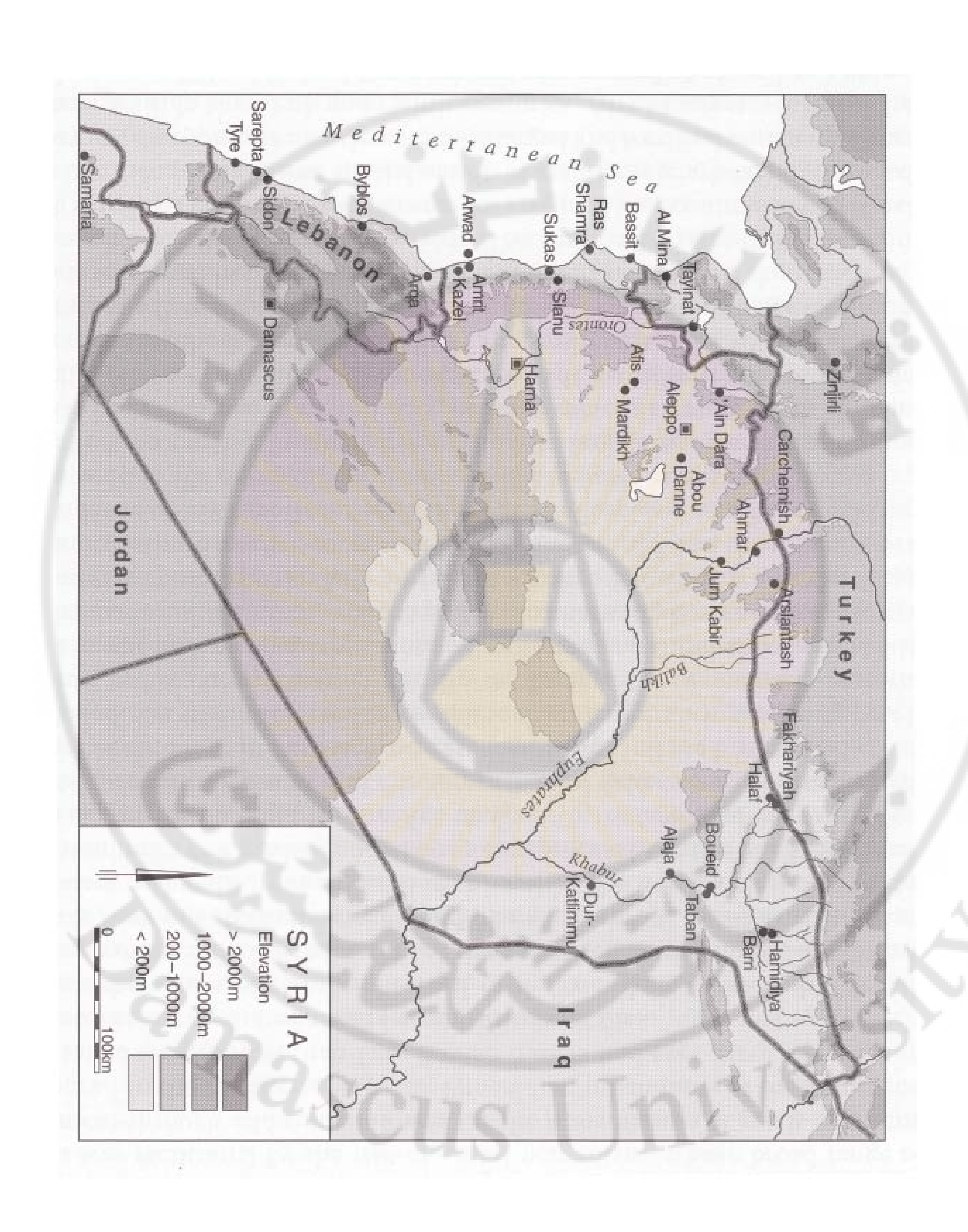
(٢٦٢) Mazzoni, S. 1997, p. 307-338; 2000, p. 1049-1051.

٤-١ عصر الحديد الأول والثاني (الممالك الآرامية-اللوفية):

انتشرت في منطقة الداخل والشمال السوري العديد من الممالك خلال عصر الحديد وهي عبارة عن ممالك متناحرة فيما بينها من جهة ومتصارعة مع عدو مشترك وهو الإمبراطورية أو الدولة الآشورية الحديثة من جهة أخرى (الشكل ١٠٣). أطلق على هذه الممالك العديد من الأسماء منها الممالك الحثية الحديثة أو السوريّة-الحثية أو اللوفية-الآرامية. حيث كتب ملوك بعض هذه الممالك نصوصهم بالهيروغليفية اللوفية، وهي إحدى اللغات الموروثة من الدولة الحثية خلال عصر البرونز الحديث، بينما كتب بعضها الآخر نصوصه بلغة سامية غربيّة وهي اللغة الآرامية الأبجدية. وفي كلا الحالتين تأثرت عمارة هذه الممالك بالفن الملكي الحثي العائد لعصر البرونز الحديث، يشهد على ذلك النحت والأعمال المعمارية الضخمة، خصوصاً استخدام الأسود الحارسة للأبواب والسفنكسات على البوابات (أي الأسود المجنحة/تماثيل أبي الهول) والأورتوستات المنقوشة بأشكال الأسود والمخلوقات الأسطورية.

إن هذا الاندماج الحثي الآرامي في الجزء الشمالي من بلاد الشام والتجاور بين اللوفيين (الحثيين) والآراميين ملاحظ على الصعيد الأثري واللغوي. فكركميش مثلاً كانت خلال البرونز الحديث مقراً إدارياً للدولة الحثية في سوريا وجنوب-شرق الأناضول. وبعد انهيار هذه الدولة (عام ١١٨٠ ق.م) استمر وجود حكام محليين لهم أصول حثية (تشهد على ذلك أسماؤهم في النصوص). كما وجدت أيضاً الأسر الحاكمة اللوفية في مدن أخرى مثل مدينة ماسواري (تل برسيب) ومملكة باتينا على العاصي (عاصمتها مدينة كونولوا في تل طعينات) وحماة وغيرها.

جاورت هذه الممالك اللوفية ممالك أخرى أطلقت على نفسها اسم الأراميين وكتبت باللغة الآرامية. والآراميون هم من القبائل البدوية التي كانت تستوطن البادية السورية خلال النصف الثاني من الألف الثاني ق.م قبل أن يشكلوا في مطلع الألف الأول ق.م مجموعة من الممالك في منطقة واسعة في سوريا الداخلية والجزيرة أيضاً. يرد ذكر الأحلامو في وثائق النصف الثاني من الألف الثاني ق.م في البداية منفرداً ثم مقروناً باسم الآراميين، كما في وثائق الملك تغلات بلاصر (نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الحادي عشر ق. م.). وصفت النصوص الدولة الآشورية الآراميين بأنهم أعداؤها. وهم في الأصل رعاة يعملون في رعي الماعز والخراف، حيث شكل الآراميون تجمعات صغيرة في الجزيرة السورية ثم انتقلوا بعدها إلى الجزء الغربي من سوريا عندما انتقلوا إلى الاستقرار. وتتضح تركيبتهم القبلية من خلال التسميات التي أطلقوها على هذه التجمعات أو الممالك، مثلاً بيت بخياني، أو بيت عديني أو بيت أجوشي، فتدل هذه التسميات على أسماء العائلات أو القبائل التي أسست هذه الممالك.



الشكل ١٠٣: خريطة مواقع الحديد، عن: (Akkermans, P and Schwartz, G. 2003, fig 11.1).

تسمى هذه الممالك بالممالك اللوفية–الآرامية لأن النصوص الكتابية فقط تشهد على الاختلاف الاثني ولكن الثقافة المادية لهذه المنطقة الواسعة الشمالية والغربية من بلاد الشام تدل على الانسجام، فالمعطيات الأثرية لا تسمح بالتفريق بين الحثي والآرامي. من أهم العواصم العائدة لهذه الفترة هي كونولوا (تل طعينات) عاصمة مملكة باتينا، شمأل/زنجرلي، جوزان/تل حلف، حزريك/تل آفيس.

٤–١–١ كركميش:

تقع جرابلس (كركميش القديمة) على الضفة الغربية لنهر الفرات على بعد ١٠٠ كم شمال–شرق حلب، وهي منطقة الحدود السورية–التركية في الوقت الحالي (الشكل ١٠٣–١٠٤). يبلغ طول وادي الفرات في هذه المنطقة ٩ كم وعرضه ٥ كم. وهي منطقة استراتيجية هامة بالنسبة للطرق التجارية القديمة. حيث تمر منها الطرق الواصلة بين بلاد الرافدين من الشرق ومواقع الساحل السوري في الغرب. يرتفع التل الأثري ١٥ م عن السهول المجاورة وتبلغ مساحة الموقع ٩٣ هكتاراً.

تاريخ التنقيبات:

بدأت أولى العمليات الأثرية في الموقع على يد القنصل البريطاني في حلب السيد أندرسون (P. Henderson) بين عامي ١٨٧٨ و ١٨٨١ ممولة من قبل المتحف البريطاني. استؤنفت الحفريات مرةً أخرى بين عامي ١٩١١ و ١٩١٤ وتناوب على إدارة البعثة كل من هوكارث (D.G. Hogarth) ثم كامبل وأخيراً عالم الآثار الشهير ومنقب آلالاخ وأور السيد وولي (C.L. Woolley). خلال موسم التنقيب الأخير بإدارة وولي عام ١٩٢٠ تم احتلال تركيا لهذه المنطقة فانقطعت الحفريات الأثرية لأن المنطقة تحولت إلى منطقة حدودية يحتلها موقع عسكري. ولكن بناء العديد من السدود على نهر الفرات استدعى القيام بأعمال إنقاذ أثرية في منطقة كركميش نذكر منها بعثة بيلتنبرغ[٢٦٣] (E. Peltenburg) وويلكنسون (T.J. Wilkinson) في تل جرابلس التحتاني الواقع على بعد ٧ كم جنوب كركميش عام ١٩٨٠.

تنظيم المدينة:

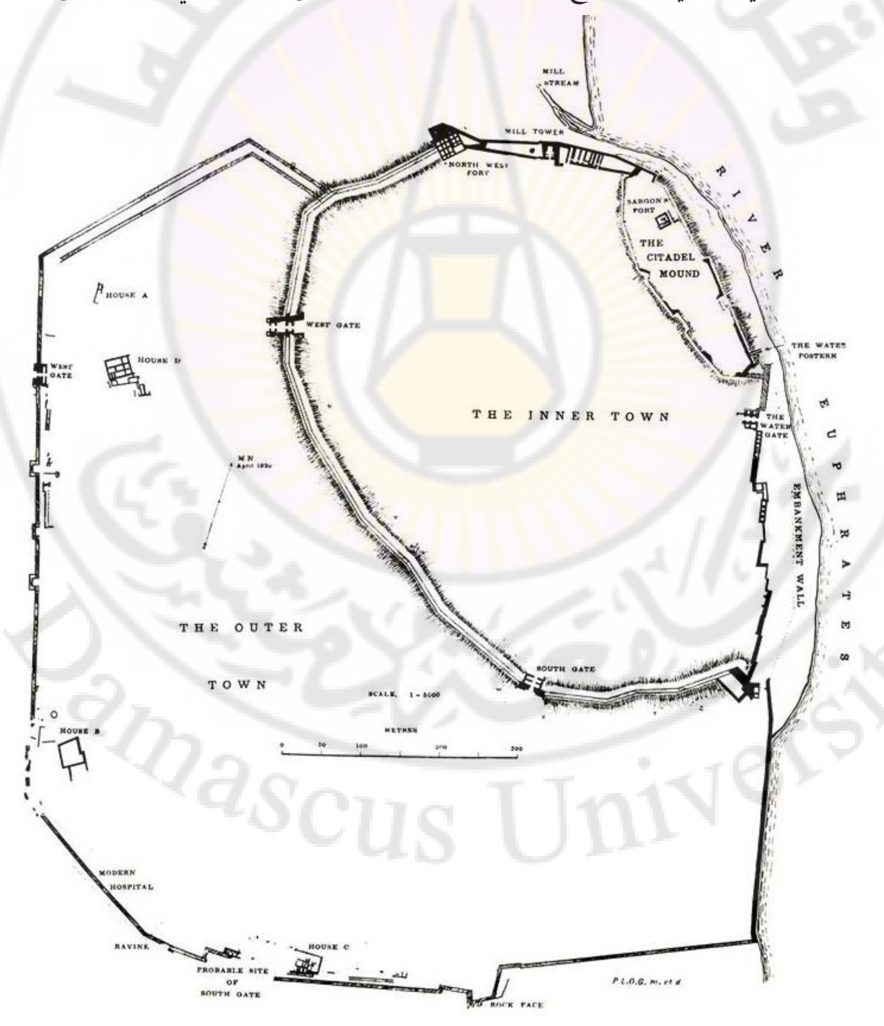
تعود معظم معلوماتنا عن مدينة كركميش للنصوص القديمة لأن مساحةً صغيرة فقط من التل كانت قد نُقبت. ذكرت كركميش في نصوص إيبلا العائدة لمنتصف الألف الثالث ق.م كما في نصوص ماري. ثم ذكرت في نصوص أوغاريت وإيمار خلال الألف الثاني ق.م، كما في النصوص المصرية والحثية. ووفقاً لهذه النصوص الأخيرة فإن كركميش كانت تابعة للمملكة

(٢٦٣) Peltenburg, E. 2007, p. 324-; Wilkinson, T. J. *et al*. 2007, p. 213-247.

الميتانية وهوجمت من قبل تحوتمس الثالث ثم خضعت أخيراً للإمبراطورية الحثية. وخلال القرن الثامن ق.م وقعت كركميش تحت سيطرة الآشوريين.

أوضحت التنقيبات الجزئية بأن التل الأثري كان مستوطناً منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى الفترات الإسلامية. سُكن التل (الجزء المرتفع الذي أطلق عليه وولي اسم القلعة، الشكل ١٠٤) منذ بداية الألف الثالث ق.م ثم توسع هذا الاستيطان خلال البرونز الثالث والرابع فبنيت "المدينة الداخلية" المحيطة بالقلعة وشيدت تحصينات المدينة.

تتألف المدينة خلال عصر الحديد (١٠٠٠–٧١٧ ق.م) من ثلاثة أجزاء: القلعة أو الأكربول في الجزء الشمالي–الغربي من الموقع ، والمدينة الداخلية (الشكل ١٠٥) التي تحتوي على بقايا بناء



الشكل ١٠٤: كركميش، عن: (Woolley, L. 1969, pl. 3).

سمي "بالقصر المنخفض" وهي محاطة بتحصينات قوية مؤلفة من السواتر الترابية والأسوار المرتفعة ولها ثلاث بوابات ضخمة (تبلغ مساحتها ٤٢ هكتاراً)[٢٦٤]، ثم المدينة الخارجية المحصنة بدورها أيضاً ولها بوابة في الشمال-الغربي.

تمثل القلعة والمدينة الداخلية الجزء الرسمي في المدينة المحتوي على المباني الرسمية أو القطاع الإداري الملكي. حيث انتظمت المباني في المدينة الداخلية على طرفي شارع رئيسي يمتد بين البوابتين الشرقية والغربية (بوابة المياه وبوابة المواكب). زينت أطرافه بالأورتوستات البازلتية المنقوشة بأشكال الأسود والآلهة والمخلوقات الأسطورية والتي يحمل بعضها نقوشاً كتابية.

أحيط شارع المراسم بمعبد برجي في الشمال (معبد إله العاصفة)، وهو متصل بدرج يصعد إلى القلعة. وبمعبد آخر أطلق عليه وولي اسم "حيلاني" لأنه يشبه أبنية طراز بيت حيلاني الذي اشتهر خلال الألف الأول ق.م في شمال بلاد الشام (انظر لاحقاً). أما على القلعة فلم يبقَ إلا أجزاء من بناء مربع ومصمت توحي بقاياه بأنه معبد برجي آخر (معبد كوبابا) ولكن القصر الملكي لم يعثر عليه.

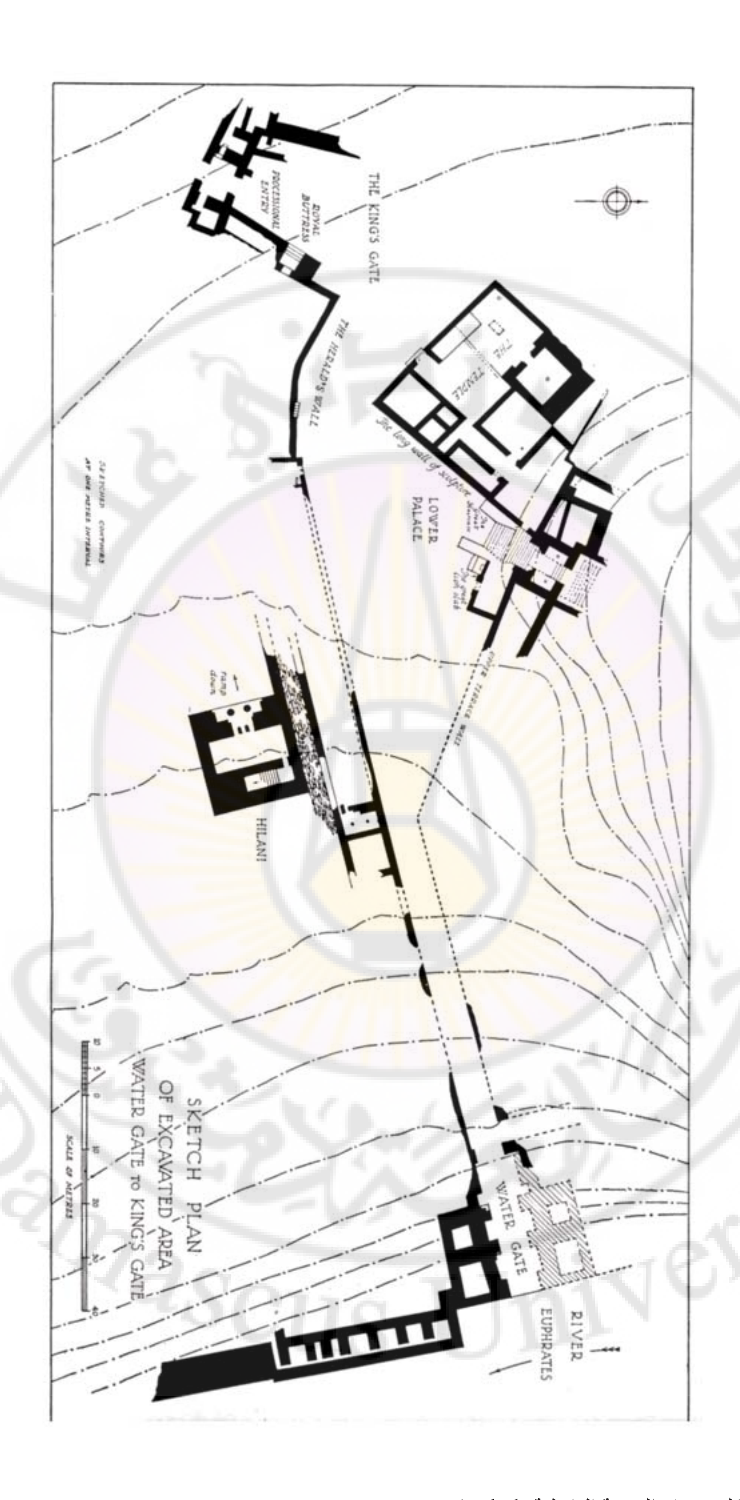
معابد كركميش البرجية:

بنيت معابد كركميش كلها في القرن العاشر ق.م ورممت في القرن التاسع ق.م. يقع معبد إله العاصفة (المسمى على المخطط بالمعبد ٩) في المدينة الداخلية ويشكل جزءاً من مجمع رسمي بقاياه قليلة ومهشمة دعاه المنقب باسم "القصر المنخفض"، الشكل ١٠٦. فالمنطقة التي يحتلها هذا البناء السيئ الحفظ ذات طبيعة رسمية واحتفالية حيث بني "القصر" على سفح القلعة باتجاه المدينة الداخلية. يحيط بالمعبد ٩ من الجهة الشمالية-الشرقية درج طويل يصعد باتجاه القلعة. ومن الجهة الجنوبية-الغربية أحيط ببوابة المواكب وفي الشمال الشرقي ببوابة المياه.

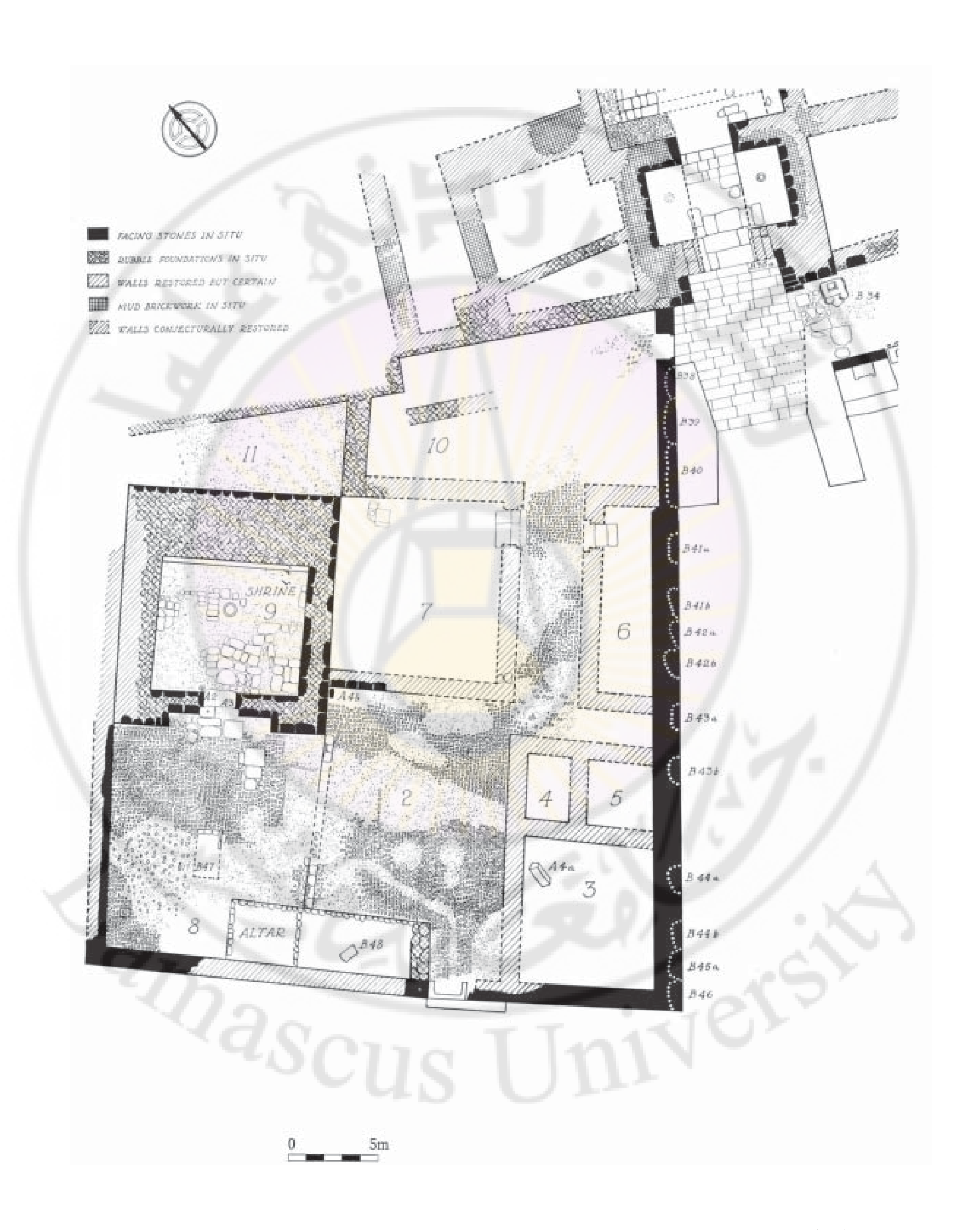
يتميز المعبد بشكله المربع تقريباً (١٢,٩٠ X ١١,٥٨ م)، حيث إنه ينتمي لطراز المعابد البرجية الذي اشتهر في شمال وجنوب بلاد الشام بدءاً من البرونز الوسيط واستمر حتى عصر الحديد . يشبه معبد كركميش معابد آلالاخ وأوغاريت وهو مؤلف من غرفة رئيسية واحدة مسبوقة بغرفة المدخل المفتوحة (الشكل ١٠٦). كما أنه يحتوي على درج في عمق البناء بعد الغرفة الرئيسية مما يدل بشكل قاطع على أنه بناء برجي يرتفع بشكل شاقولي. من المرجح أن هذا الدرج (الذي لم تجد له البعثة آثاراً) كان يقع بعد الجدار الخلفي للغرفة على غرار المعبد المجاور "الحيلاني" الشكل (١٠٧). حيث يبلغ عرض أساسات جدار الغرفة الخلفي ٣,٨٥ م أما باقي جدران المعبد فلا يتجاوز عرضها ١,٦٠ م. فمن المفترض أن هذا الجدار كان بعرض الجدران الأخرى ولكن الأساسات الظاهرة هي بقايا غرفة الدرج الواقعة خلفه.

---

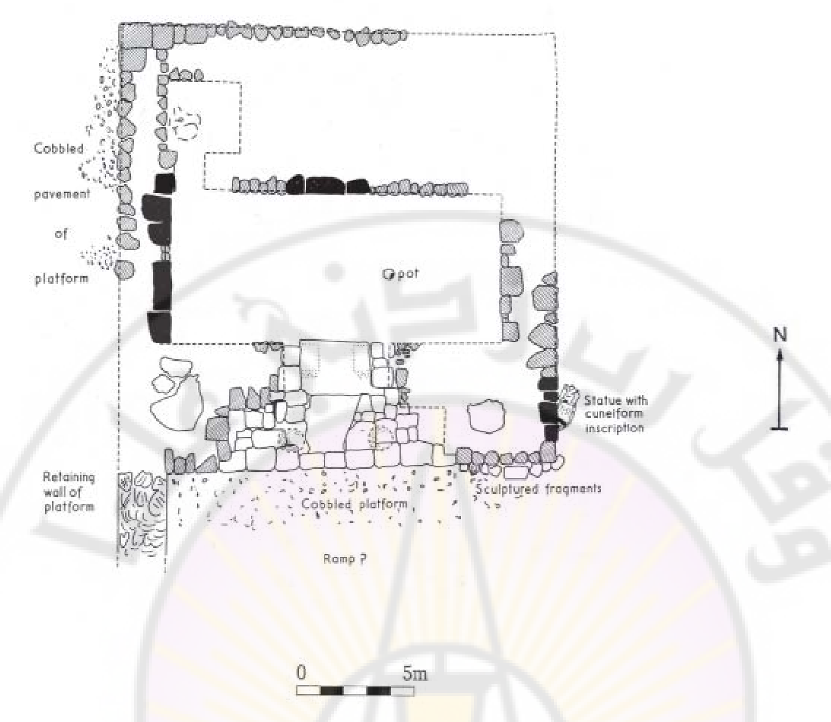
(٢٦٤) McClellan, Th. L. 1999, p. 413.



الشكل ١٠٥: المدينة الداخلية، كركميش، عن: (Woolley, L. and Barnett, R.D. 1952, pl. 41).



الشكل ١٠٦: معبد ٩ في كركميش، عن: (Woolley, L. and Barnett, R.D. 1952, pl. 29).



الشكل ١٠٧: المبنى "حيلاني" في كركميش، عن: (Woolley, L. and Barnett, R.D. 1952, pl. 38).

سبق المعبد بباحة أمامية تقابل مدخله، احتوت على منصة حجرية تقع على بعد ٦,٥٠م من المدخل وبشكل مقابل له تماماً وهي مذبح المعبد (كما في معبد بعل في أوغاريت). كما عثر أيضاً في الباحة على حوض بازلتي نحتت أطرافه بأشكال ثورين (احتوت باحة معبدعين درار على حوض حجري أيضاً، انظر لاحقاً).

رصفت أرضية المعبد بألواح حجرية وقواعد جدرانه بالأورتوستات. يتميز بأنه محوري وبأن نظام الدخول إليه مباشر(كما في باقي المعابد البرجية). يقع مدخل المعبد في منتصف جداره الجنوبي الغربي. وهو مدخل عريض يقع بين تقدم الجدارين الجنوبي الشرقي والشمالي الغربي. يحتله عتبة بازلتية ضخمة. نقشت أورتوستات المدخل باسم الملك الحثي كاتواس (Katuwas)[٢٦٥]. تفضي غرفة المدخل إلى الغرفة الرئيسية المربعة الشكل تقريباً (٨,٠٠ X ٧,١٠ م).

يتألف "الحيلاني" وهو معبد برجي أيضاً من بناء مشابه جداً للمعبد ٩ (الشكل ١٠٦). يقع جنوب شرق "القصر المنخفض" على الطرف المقابل لشارع المراسم بين بوابة المياه وبوابة الملوك (انظر الشكل ١٠٥). بني فوق مصطبة خاصة. وهو مبنى مربع الشكل طول ضلعه

(٢٦٥) كتب النقش بالهيروغليفية اللوفية وهو على لسان الملك حيث يقول: أنا كاتواس الحاكم، محبوب الآلهة، سيد كركميش، ابن سوهي... دخلت إلى الأراضي مع الآلهة التي تمشي أمامي، حيث لم يسبقني أحد لا آبائي ولا آباء آبائي.

١٨م. رصفت الباحة المحيطة به في جزئها الأمامي بألواح بازلتية. يقع مدخله في منتصف جداره الغربي بين تقدم الجدارين الشمالي والجنوبي للبناء عن الواجهة. وهو مدخل عريض فيه قاعدتا أعمدة.

يتألف كسابقه من الغرفة الرئيسية الوحيدة المسبوقة بغرفة المدخل المفتوح (المدخل العريض مع الأعمدة) ويقع درج البرج في عمق البناء بعد الغرفة الرئيسية. ولهذه الأخيرة شكل مستطيل عرضاني، أبعادها ١٤,٠٠ X ٦,٥٠ م. يبلغ عرض الجدراين الشمالي والجنوبي ٢,٣٠ م. احتوت هذه الغرفة في الزاوية الشمالية الشرقيه على فتحة أو مدخل تؤدي إلى غرفة الدرج الواقعة في عمق البناء الواقعة بعد جدار الغرفة الخلفي.

٤-١-٢ عين دارا:

يقع تل عين دارا على الضفة الشرقية لنهر عفرين على بعد ٤٠ كم شمال-غرب حلب وعلى بعد ٧ كم جنوب قرية عفرين. يضم التل بقايا مدينة قديمة تابعة لمملكة بيت أجوشي. سمي التل بعين دارا نسبةً إلى نبع مياه تقع جنوب جبل سمعان على بعد ٨٠٠ م شرق التل. يتألف الموقع (الشكل ١٠٨) من التل المرتفع الواقع في الجزء الجنوبي من الموقع ومن مصطبة منخفضة تقع شمال وشرق الموقع. يصل ارتفاع التل إلى ٣٠ م فوق مستوى وادي عفرين المجاور، طوله ١٢٥ م وعرضه ٦٠ م. أما الجزء الشمالي والشرقي الأكثر انخفاضاً في الموقع تبلغ أبعاده ٢٧٠ X ١٧٠ م[٢٦٦].

تاريخ التنقيبات:

نقب التل لأول مرة من قبل بعثة سورية بين عامي ١٩٥٦ و ١٩٦٤ من المديرية العامة للآثار والمتاحف (بإدارة السيد ف. الصيرفي)، ثم استؤنفت الحفريات بين عامي ١٩٧٦ و ١٩٨٦ على يد الباحث علي أبو عساف. وخلال الأعوام ١٩٨٢-١٩٨٣ و ١٩٨٤ قام كل من زيمانسكي وستون (P. Zimansky, E. Stone) ببعض الأسبار في الجزء الشمالي من التل[٢٦٧].

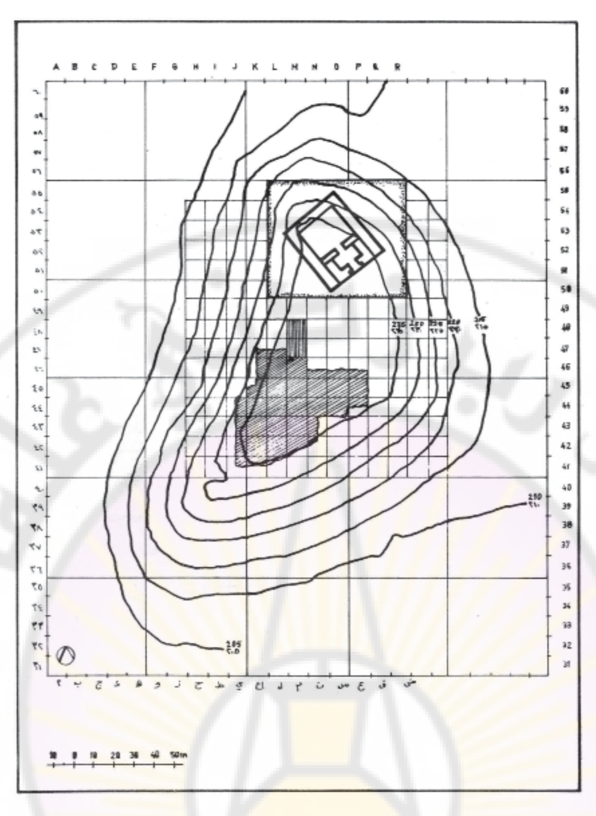
تنظيم المدينة:

تركزت التنقيبات الجزئية على التل بينما بقيت معلوماتنا عن المدينة المنخفضة قليلة جداً ولكن الاستيطان الرئيسي فيها يعود لعصر الحديد الثاني حيث كشفت البعثة عن العديد من المنازل العائدة لهذه المرحلة. أما الاستيطان على التل فيعود إلى فترات أقدم واستمر حتى

---

(٢٦٦) أبو عساف، ع. ١٩٩١، ص. ١٣.

(٢٦٧) Zimansky, P. 2002, p. 177-191 ; Stone, E. et Zimansky, P. E. 1999.



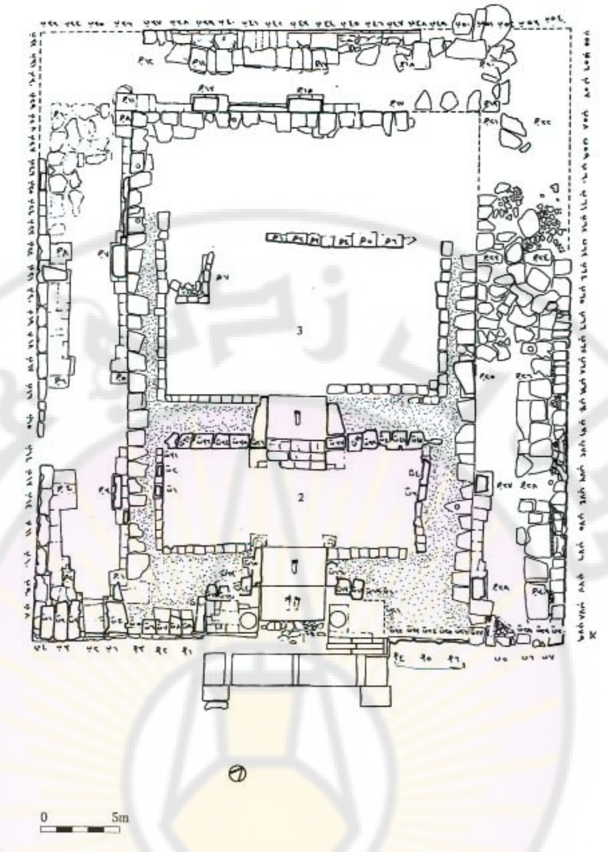
الشكل ١٠٨: تل عين دارا، عن: (أبو عساف، ع. ١٩٩١، المخطط ٣).

الفترات الإسلامية. أهم دلائل هذا الاستيطان هو معبد عين دارا الضخم في الجزء الشمالي-الغربي من المدينة المرتفعة ولكننا لا نملك معلومات عن المدينة أو الاستيطان المعاصر للمعبد لأن البعثة نقبت المعبد فقط. عندما هجر المعبد حوالي ٧٤٠ ق.م لم يسكن التل إلا بشكل جزئي حيث عثر على بعض المنازل والقبور المتواضعة العائدين للقرنين السابع والسادس ق.م. كما أنه سكن خلال الفترة الإخمينية ولكن البقايا العائدة لهذا الاستيطان قليلة.

معبد عين دارا:

بني المعبد خلال القرن الثاني عشر ق.م وهدم في نهاية القرن الثامن ق.م[٢٦٨]. يتجه المعبد من الجنوب-الشرقي إلى الشمال-الغربي (الشكل ١٠٩) وتبلغ أبعاده ٣٢ X ٣٨ م. جدد بناء المعبد ثلاث مرات وفقاً لذات المخطط. فهو يتألف خلال المرحلتين الأولى والثانية من ثلاث غرف: الأولى هي رواق الدخول تليها غرفة مدخل أخرى مغلقة تسبق الحرم وهو

(٢٦٨) أبو عساف، ع. ١٩٩١، ص. ٣٩.



الشكل ١٠٩: معبد عين دارا، عن: (أبو عساف، ع. ١٩٩١، مخطط ١٧).

الغرفة المربعة الرئيسية في المعبد[٢٦٩]. ولكنه أحيط بممر من كامل جهاته (عدا الواجهة) خلال مرحلة البناء الثالثة. يسبق المعبد في كل مراحله باحة أمامية عثر فيها على حوض ماء حجري منحوت.

بنيت الأجزاء السفلية لجدران المعبد من الحجر المنحوت ولكن ارتفاع الجدران كان مشيداً باللبن. ارتفع المعبد على مصطبة خاصة حيث تبلغ حفرة الأساس عمق ٢ م مُلئت بعدة طبقات من الحجارة ثم بنيت عليها المصطبة التي يبلغ ارتفاعها ١,٣٠ م. يصل درج بازلتي بين الباحة الأمامية ومدخل المعبد المرتفع وهو يؤدي إلى مدخله مباشرة.

زينت الأجزاء السفلية لواجهات المعبد الأربعة بتماثيل الأسود وأبي الهول (المنحوتة على قاعدة الجدارن البازلتية)، منها ثلاثة على يمين المدخل وثلاثة على يساره، واثنان وأربعون أسداً وأبا الهول يزينون الواجهة الجنوبية–الشرقية بارتفاع ٢ م. كما أن هناك أسوداً تحرس الواجهة الداخلية لغرفة المدخل وتحرس مدخل الغرفة الثانية والواجهة الخارجية للغرفة الثالثة.

(٢٦٩) عثر فيها على حوض ماء بالقرب من بئر

ينفتح ضلع غرفة المدخل الجنوبي–الشرقي كلياً على الباحة الأمامية أما ضلعها المقابل فهو مؤلف من الأحجار البازلتية المنحوتة على شكل أسود وأبي الهول. يفضي مدخل في منتصفه إلى الغرفة الثانية.

تبلغ أبعاد الغرفة ٢: ١٥,٥٠ X ٦ م وهي بشكل مستطيل عرضاني. كسيت الأجزاء السفلية لجدرانها بالأورتوستات التي يعلوها ألواح حجرية بازلتية أخرى منحوتة بأشكال ومشاهد مثيولوجية منها رب الجبل الذي يتقدم نحو الغرفة الثالثة وهي الغرفة التي تخدم في تمهيد الدخول إلى المصلى الذي يشكل المكان الأكثر قدسيةً في المعبد.

لغرفة المصلى أو الحرم شكلٌ مربع (الغرفة ٣ على المخطط) يحرس مدخلها تماثيل الأسود (ستة أسود من كل جانب من جوانب المدخل) التي يبلغ ارتفاعها ٢ م. لهذه الغرفة شكل مربع تقريباً (أبعادها ١٦,٨٠ X ١٦,٧٠ م). يوجد في عمق الغرفة منصة كبيرة حجرية نحت وجهها بمشاهد إله الجبل ومخلوقات أسطورية (الرجل — الثور والرجل – العصفور). يبلغ طول أحد أضلاع المنصة المتبقي ٧ م وعمقها ٧,٢٠م.

يتميز معبد عين دارا بعتبات غرفه الثلاثة المنحوتة بأشكال أقدام آدمية ولكن حجمها كبير جداً. حيث نحتت عتبة الغرفة ١ بنحت قدمين متجاورين بينما نحتت عتبة الغرفة ٢ بالقدم اليسرى وعتبة الغرفة ٣ بالقدم اليمنى. ويعتقد بأن هذه المنحوتات تمثل أقدام إله يرشد المصلين إلى كيفة الدخول وآداب الدخول إلى المعبد. فالتمهل بالقدمين عند المدخل الرئيسي والتقدم باليسرى إلى الغرفة التي تسبق المصلى ومن ثم الدخول باليمنى إلى المصلى.

أحيط معبد عين دارا في مرحلة البناء الثالثة بممر طويل على طول الجهات الخارجية الثلاثة عدا الواجهة. يحتوي الممر على أزواج من الدعائم (عددها ١٥)، نحت عليها أيضاً العديد من المشاهد كالملك الجالس والجندي وأشجار النخيل. على الرغم من أننا نجهل سبب بناء هذا الممر المحيط بالمعبد إلا أن بعض الباحثين يعتقدون بأنه يخدم أغراضاً دينية[٢٧٠].

كُرِّس معبد عين دارا لإله الجبل وزوجته الإلهة عشتار بحسب المنحوتات التي عثر عليها داخله منها إله الجبل في الغرفة التي تسبق المصلى وعلى منصة المصلى وكثرة تماثيل الأسود، فالأسد يمثل حيوان الإلهة عشتار.

(٢٧٠) Alexander, R. L. 2002, p. 18-19.

٤-١-٣ تل طعينات (كونولوا):

يقع تل طعينات (مدينة كونولوا القديمة، الشكل ١١٠) في سهل العمق على المنعطف الشمالي لنهر العاصي. يرتفع سهل العمق من ٨٠ إلى ١٠٠ م فوق مستوى البحر ويقطعه نهر العاصي الذي يصب بالبحر الأبيض المتوسط جنوب-غرب السهل. يفصل سهل العمق بين المتوسط وسلسلة جبال الأمانوس ويمتد حتى جبل الأقرع وجبل سمعان في الجنوب.

يبلغ طول تل طعينات ٦٢٠ م وعرضه ٥٠٠ م. وهو يقع شمال-غرب تل العطشانة (آلالاخ)، ويبعد مسافة ١٧,٥ كم غرب مدينة الريحانية. تبلغ مساحة الموقع ٣٥ هكتاراً.

ذكر الجزء الشمالي من وادي العاصي في أولى النصوص الآشورية الحديثة العائدة لآشور ناصربال الثاني. حيث ذكرت مملكة باتينا على نصب الوليمة مرتين (٨٧٩ ق.م). كما أنه ذكر في نصوص الملك التي تصف حملاته على عدد من الممالك في سوريا الشمالية (٨٧٠ ق.م). تشرح هذه النصوص مسار حملته مفصلاً مما يوضح أن مملكة باتينا تقع في الجزء الشمالي من وادي العاصي وتذكر عاصمتها كونولوا الواقعة في الجزء الجنوبي من الحوض، شمال نهر العاصي مباشرةً، الموقع الذي ينطبق تماماً على تل طيعنيات. وبعد ذلك ذكرت النصوص الآشورية العائدة للملك تغلات بلاصر الثالث وجود مملكة باتينا وعاصمتها كونولوا التي كانت تسيطر على الحوض الشمالي لوادي العاصي خلال القرنين التاسع والثامن ق.م. فتغلات بلاصر بدأ بمهاجمة الممالك السورية الحثية في شمال سوريا عام ٧٤٣ ق.م حيث دخل وادي العاصي وهاجم مملكة باتينا عام ٧٣٨ ق.م ودخل عاصمتها كونولوا ولكنه لم يهدمها بل عينها عاصمة مقاطعة آشورية جديدة.

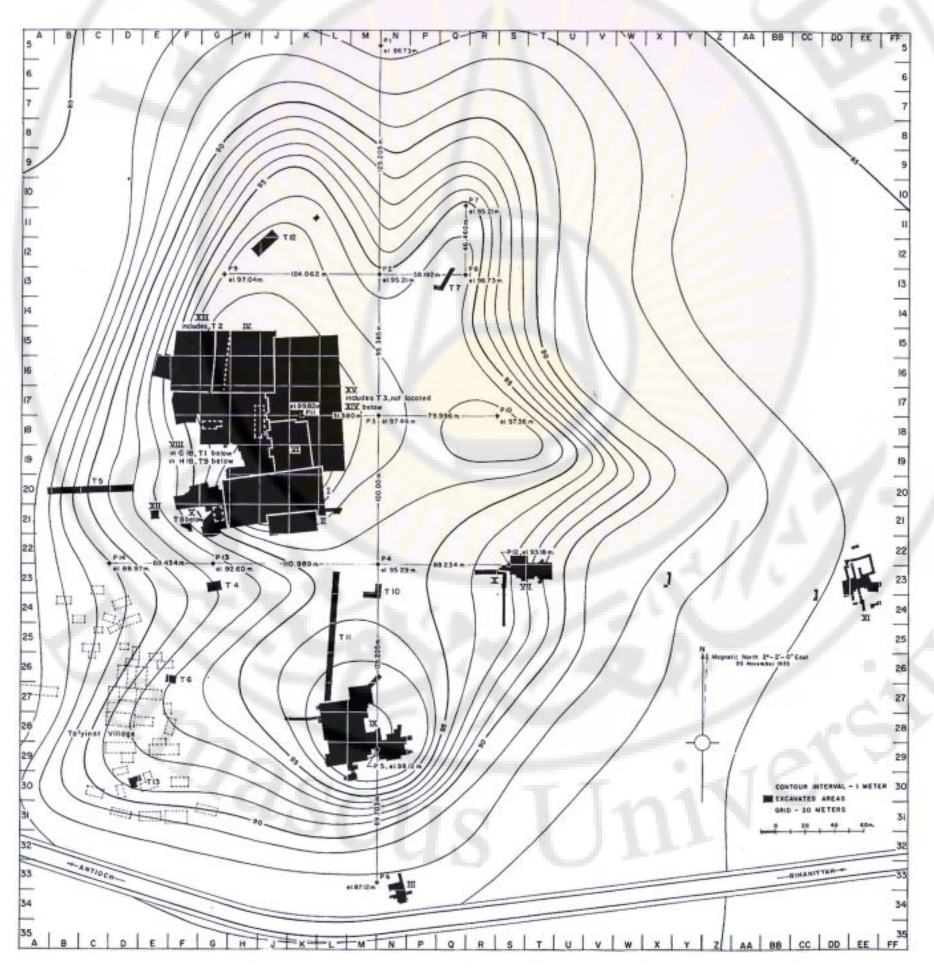
تاريخ التنقيبات:

نُقب تل طعينات لأول مرة من قبل بعثة أمريكية من جامعة شيكاغو بين عامي ١٩٣٥ و ١٩٣٨، في إطار مشروع كبير للتنقيب والمسح في سهل العمق الذي أسفر عن اكتشاف ١٧٨ موقعاً أثرياً في سهل العمق. نقبت هذه البعثة الجزء الغربي من مركز التل وأجزاء صغيرة شرقه وجنوبه بالإضافة إلى المدينة المنخفضة. ثم استؤنفت الحفريات من قبل بعثة من جامعة تورنتو عام ١٩٩٩، حيث خصصت مواسم أعوام ١٩٩٩ و٢٠٠١ و ٢٠٠٢ لأعمال المسح ووضع المخططات الطبوغرافية ثم بدأت البعثة التنقيب عام ٢٠٠٤ فكشفت عن سوية عصر الحديد الثالث (المستوطنة الآشورية المتأخرة : ٧٢٥-٦٠٠ ق.م).

تنظيم المدينة:

استمر الاستيطان على تل طعينات مدة خمسة قرون دون انقطاع (الشكل ١١٠). ميزت الحفريات خمس فترات بناء تعود كلها لعصر الحديد الثاني والثالث (ما يقابل فترة العمق O: ٨٧٥- ٥٥٠ ق.م.)[٢٧١] ولكن شكل المدينة وتنظيمها الأساسي يعودان إلى القرنين ٨-٧ ق.م.

تتألف المدينة (فترة البناء الثانية: نهاية القرن التاسع والقرن الثامن ق.م) في تل طعينات من القلعة والمدينة المنخفضة (الشكل ١١٠). حيث وجد على القلعة العديد من الأبنية الرسمية



الشكل ١١٠: مخطط تل طعينات الطبوغرافي، عن: (Hains, R.C. 1971, pl. 93).

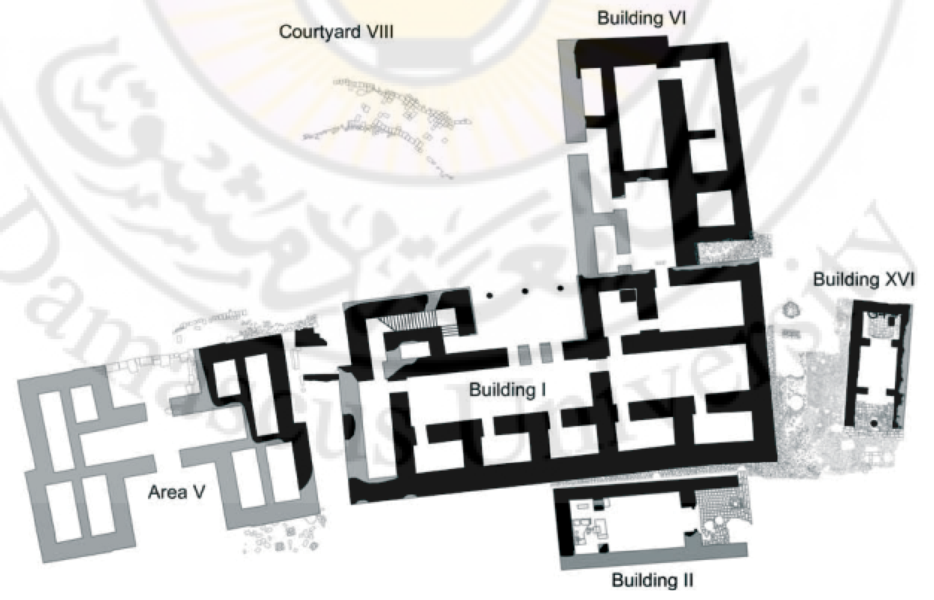
(٢٧١) Harrison, T. and Osborne, J. F. 2012, p. 126.

وأجزاء قليلة من التحصينات بالاضافة إلى بوابة الأكربول التي تقع إلى الغرب من الجزء المركزي من التل (البناء XII/V).

يضم الأكربول (الشكل ١١١) بقايا بنائين ينتميان لطراز بيت حيلاني أحدهما هو القصر (I/VI المبنى الجنوبي-الشرقي) أما الآخر فيقع في الشمال-الغربي (المبنى IV). يحصر البنائان بينهما باحة مركزية مبلطة (الباحة VIII). ومن أهم ما يميز هذا المجمع الإداري بنائان مستطيلان بشكل متطاول يقعان خلف القصر، أحدهما جنوب القصر (المبنى II) والآخر شرقه (المبنى XVI). يصل شارع مبلط بين بوابة المدينة المرتفعة والباحة المركزية التي تتوسط الأبنية الرسمية. للقلعة ثلاث بوابات أخرى- عدا البوابة (XII/V) – تقع إحداها في الجزء الجنوبي من التل والأخرى في الطرف الشرقي. تعرضت القلعة لإعادة بناء وترميمات خلال فترة البناء الثالثة (نهاية القرن الثامن وبداية السابع ق.م) أو فترة الاستيطان الآشوري.

القصر I/VI وطراز بيت حيلاني:

اشتهر طراز بيت حيلاني في شمال سوريا خلال عصر الحديد وبنيت وفقه الأبنية الإدارية والقصور (أو على الأغلب هي أبنية إدارية تشكل مع بعضها تجمعاً ملكياً وإدارياً)، منها القصر I في طعينات الذي يتميز باحتوائه على ملحق متصل به وهو البناء VI (الشكل ١١١). تتميز الأبنية المنتميه لهذا الطراز بمدخل عريض ومروّق، يقوم سقفه على الأعمدة



الشكل ١١١: المدينة المرتفعة في تل طعينات، عن: (Harrison, T. and Osborne, J.F. 2012, fig. 3).

المشيدة في عرض المدخل. غالباً ما كانت هذه القواعد منحوتة بأشكال الأسود الرابضة (أحياناً أسدين متجاورين). عثر في قصر تل طعينات على ثلاث قواعد في عرض المدخل العريض الذي يفضي إلى غرفة مركزية تتميز بأنها مستطيلة بشكل عرضاني، فمدخلها يقع دائماً في منتصف الجدار الطويل.

يحد مدخل البناء العريض غرفة درج مشيدة في برج مرتفع وهذه هي إحدى سمات طراز بيت حيلاني. تحيط بالغرفة الرئيسية العرضانية الغرف الخدمية الأصغر. وتكون الأقسام السفلية من جدران هذه الأبنية غالباً مكسوة بالأورتوستات المنحوتة بالموضوعات الأسطورية والمشاهد التي تمثل إنجازات السلالة الحاكمة.

تشكل أبنية بيت حيلاني وحدة معمارية أو جزءاً من أجزاء المجمع الملكي وهي مبانٍ رسمية قد تخدم أغراضاً ادارية أو احتفالية. هذا ما قد يفسر هذا وجود العديد من مباني بيت حيلاني مجتمعة على أكربول واحد، كما في زنجرلي التي اجتمع في قلعتها العديد من مباني الحيلاني المتوزعة حول باحة مركزية (انظر الشكل ١١٢).



الشكل ١١٢: مباني الحيلاني في زنجرلي، عن: (Akkermans, P and Schwartz, G. 2003, fig.11.6).

البنائين II و XVI:

ينتمي هذان البناءان إلى الطراز السوري المعروف منذ الألف الثالث ق.م، الذي بنيت وفقه مباني منباقة وايمار (برونز حديث) الشكل ١١١. وهما متطابقان بالشكل إلا أنهما يختلفان بالمساحة. بني المبنى II في بداية القرن الثامن ق.م وتبلغ أبعاده ١١,٧٥ X ٢٥,٣٥ م، باتجاه شرق –غرب (المدخل من جهة الشرق). أما البناء الثاني الواقع إلى الغرب من القصر الملكي فهو أصغر حجماً (٩ X ٢١ م) ويتجه من الشمال إلى الجنوب (المدخل في الجنوب). يتألف كلا البنائين من رواق الدخول، وغرفة رئيسية مستطيلة بشكل متطاول متبوعة بغرفة صغيرة في عمق البناء مقتطعة من الغرفة الرئيسية بواسطة جدارين متعامدين مع جدران البناء الطولانية.

يقوم سقف مدخل البناء II على عمودين عُثر على قاعدة إحداهما فقط، وهي بازلتية نحتت على شكل أسدين رابضين. أما البناء الأصغر (XVI) فيقوم سقف مدخله على عمود واحد عثر على قاعدته في وسط المدخل تماماً.

تُبع الرواق في كلا البنائين بالغرفة الرئيسية المستطيلة بشكل متطاول (الغرفة٢ على المخططات)، التي يكون مدخلها في منتصف جدارها القصير. يتميز مدخل الغرفة الرئيسية في البناء IIبأنه مزين بالمحاريب المخربة بفعل الزمن. أما الغرفة الثالثة في كلا البنائين فهي عبارة عن غرفة صغيرة تقع في عمق البناء ويكون مدخلها مقابلاً لمدخل البناء تماماً. وهي الغرفة التي تتميز باحتوائها على منصة (في كلا البنائين) تقع على محور البناء الطولاني الذي يبدأ بمدخل البناء فمدخل الغرفة الثالثة ثم المنصة أخيراً. يشكل هذان البناءان جزءاً آخرَ من التكوين الرسمي أو النسيج الإداري للمدينة المرتفعة، وهما مخصصان غالباً لاجتماعات مجلس شيوخ المدينة المسمى بالنصوص القديمة مجلس الآباء أو الكبار.

٤-٢ الفينيقيين

ازدهرت المدن الفينيقية في المنطقة الساحلية وأصبحت مراكز تجاريةً هامة تسيطر على التجارة البحرية وتقوم بتأسيس مستوطنات تجارية في البحر الأبيض المتوسط. أطلق الإغريق اسم الفينيقيين على سكان المنطقة الساحلية الواقعة بين عكا في الجنوب وتل سوكاس في الشمال. ومن الملفت بأن انقطاع الاستيطان والدمار الذي حصل في نهاية عصر البرونز الحديث في المدن الكبيرة كأوغاريت مثلاً لم يكن نهائياً في المدن الساحلية الصغيرة، حيث لاحظ الباحثون استمرارية الاستيطان بين سويات عصر البرونز الحديث وعصر الحديد بعد

انقطاع بسيط في كلٍ من سَريبتا (الصرفند في لبنان) وصور وتل سوكاس وتل الكزل ورأس ابن هانئ والبسيط في سوريا. ولعله من الجدير بالذكر أن النصوص الكتابية القليلة العائدة لنهاية الألف الثاني ق.م تذكر بأن صيدا وصور وجبيل وأرواد (وهي من المدن الفينيقية الشهيرة خلال عصر الحديد) كانت كلها مدناً نشيطة تجارياً منذ الألف الثاني ق.م. وفي مطلع الألف الأول ق.م بدأ الفينيقيون بتأسيس المستوطنات والمراكز التجارية في مناطق بعيدة عن موطنهم الأم، في قبرص أولاً ثم في شمال أفريقيا وسيسيليا وساردينيا وإسبانيا بحثاً عن المعادن كالفضة والذهب والحديد. حيث اشتهر الفينيقيون بحرفهم وبتصنيع وتصدير الأواني المعدنية والمجوهرات والأدوات العاجية بالإضافة إلى الأدوات الزجاجية. كما أنهم اشتهروا بصباغ المنسوجات الأرجواني المستمد من قشور القواقع الموريكس (murex) البحرية.

عندما قامت الدولة الآشورية الحديثة بالسيطرة على بلاد الشام في القرن الثامن ق.م دخلت الممالك الفينيقية تحت سيطرتها مع الممالك الآرامية في منطقة الداخل. وكانت مطالبة بإعلان الولاء لهذه الدولة وبتقديم ضرائب للملوك الآشوريون.

٤-٢-١ تل الصرفند (سَريبتا):

تقع مدينة سَريبتا القديمة (الصرفد حالياً) بين صيدا وصور. على بعد ١٣ كم جنوب صيدا و٢٢ كم شمال صور. كانت سريبتا عبارة عن مركز صناعي لإنتاج الفخار، ولكنها مدينة صغيرة ارتبطت دوماً بالمدن الهامة المجاورة مثل صيدون، وقد ذكرت في العديد من المصادر القديمة، كنصوص أوغاريت والنصوص المصرية والحوليات الآشورية الحديثة العائدة للقرن الثامن ق.م[٢٧٢].

تاريخ التنقيبات:

نقب الموقع من قبل بعثة أمريكية من جامعة بنسيلفينيا بين عامي ١٩٦٩ و ١٩٧٤ بإدارة الباحث بريتشارد (J. B. Pritchard)[٢٧٣]. حيث كشفت البعثة عن المنطقة الصناعية في الجزء الشمالي-الغربي من التل، التي احتوت على ما يقارب ٢٤ فرناً مخصصاً لشي الفخار. كما اشتهرت هذه المنطقة بصناعة المعادن وصباغة الأنسجة.

تنظيم المدينة:

سكنت مدينة سَريبتا دون انقطاع منذ نهاية البرونز الحديث وحتى نهاية الحديد وخلال الفترات الرومانية والبيزنطية[٢٧٤]. عثرت البعثة على الوحدات السكنية البسيطة والمنطقة الصناعية

(٢٧٢) Pritchard, J. B. *et al*. 1975, p. 8.
(٢٧٣) Pritchard, J. B. 1983, p. 521.
(٢٧٤) Koehl, R. B. 1985, p. 24.

بالإضافة إلى بناء صغير، مستطيل الشكل ومتطاول يدعى "معبد تانيت-عشتارت". تتميز المنازل بأنها بسيطة ومبنية من الحجر ولكنها غير مكتملة المخططات.

أما المبنى "الديني" الصغير (الشكل ١١٣) فيعود بناؤه للقرن الثامن ق.م ولكنه بقي مستخدماً حتى نهاية الفترة الفارسية. بني في طرف التل الشمالي-الغربي وهو محاط من الناحية الجنوبية بالمنطقة الصناعية. يتألف من غرفة رئيسية مستطيلة (أبعادها: ٦,٤٠ X ٢,٣٥ م) متصلة بغرفتين في الجهة الشمالية عبر فتحة في الزاوية الشمالية-الغربية. يقع مدخل الغرفة الرئيسية في الجزء الشمالي من الجدار الشرقي. أثثت الغرفة بمصاطب ملاصقة للجدار الشمالي والجنوبي والشرقي. يحتل وسط الجدار الغربي "مذبح" مؤلف من منصة حجرية منحوتة، وضع في وسطها لوح حجري فيه ثقوب مرتبطة بقناة مائية تفيد في تمرير المياه وإخراجها ، يُعتقد بأنها مرتبطة بشعائر اراقة السوائل. نُسب هذا المبنى المتواضع للإلهة تانيت-عشتارت بناءً على نقش موجود على لوح عاجي عبارة عن تقدمة: (إلى تانيت-عشتارت).

٤-٢-٢ تل عرقا (عرقاتا):

يقع تل عرقا في الجزء الجنوبي من سهل عكار، على بعد ٢٥ كم شمال-شرق طرابلس. تبلغ مساحة التل ٧ هكتارات. يعود أول ذكر لعرقا (عرقاتا) إلى نصوص اللعنة المصرية العائدة للقرن التاسع عشر ق.م[٢٧٥]، كما في بعض النصوص المصرية الأخرى العائدة لعصر البرونز الحديث. ثم ذُكرت فيما بعد في مصادر الملك الآشوري شلمناصر الثالث التي تتحدث عن معركة قرقر[٢٧٦]. وفي مصادر الملك تغلات بلاصر الثالث التي تغنت بتدميرها وتهجير سكانها عام ٧٤٠ ق.م.

تاريخ التنقيبات:

نُقب الموقع من قبل بعثة فرنسية من المعهد الفرنسي لآثار الشرق القديم (IFPO) بين عامي ١٩٧٢ و ١٩٧٤، وخلال عامي ١٩٧٨ و ١٩٨١. ثم استؤنفت الأعمال الأثرية من قبل البعثة عام ١٩٩٢ بإدارة الباحث جان بول تالمان (J.-P. Thalmann).

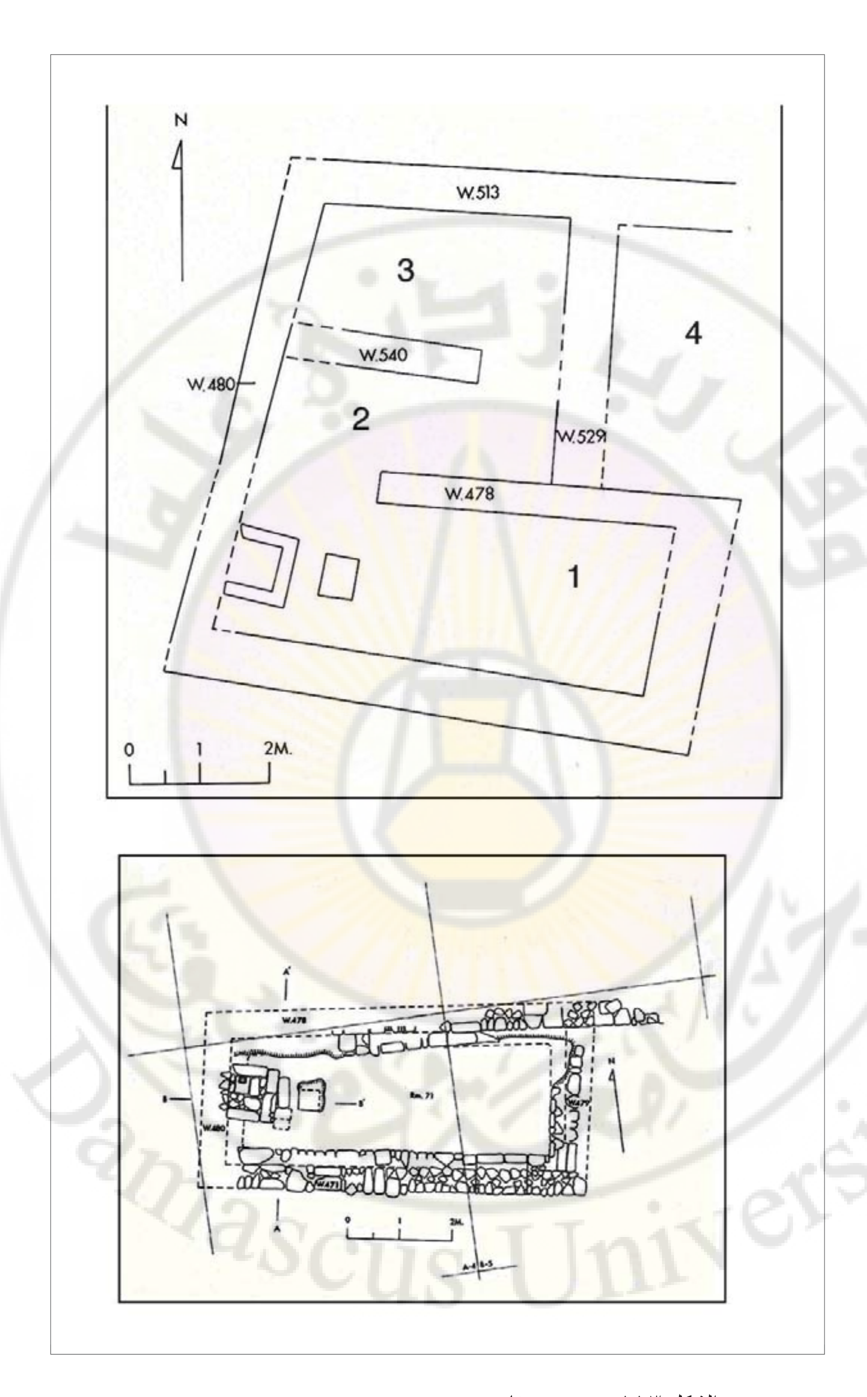
تنظيم المدينة:

يعود الاستيطان القديم في تل عرقا إلى منتصف الألف السادس ق.م. ولكنه شهد توسعاً ملوحظاً خلال منتصف الألف الثالث ق.م (لتصبح مساحته ٥ هكتارات)، حيث يعد تل عرقا من أوائل المراكز الحضرية في المنطقة. ولكن انقطاعاً في الاستيطان حصل في نهاية

---

(٢٧٥) Thalmann, J.-P. 1998, p. 66.

(٢٧٦) حصلت معركة قرقر عام ٨٥٣ ق.م بين الآشوريين (بقيادة الملك شلمناصر الثالث) وزعماء الممالك في بلاد الشام المتحالفين (وعددهم ١٢ ملك) ضد الآشوريون بقيادة الملك الدمشقي حدد.



الشكل ١١٣: معبد سريبتا، عن: (Pritchard, J.B. 1978, fig. 127).

القرن الثاني عشر أو بداية القرن الحادي عشر ق. م دون دمار ملاحظ في السويات الأثرية. ثم تحولت عرقا منذ بداية القرن التاسع ق.م إلى مملكة فينيقية مستقلة (السوية العاشرة)[٢٧٧].

انتظمت القطاعات العمرانية في المدينة العائدة للسوية العاشرة ضمن الأسوار. ومن أشهر ما يميز هذه المدينة الفينيقية هو الأسوار والمجمع الديني البسيط (الشكل ١١٤). حيث تنتمي الأسوار إلى طراز يميز التحصينات خلال عصر الحديد والتي تدعى (rempart à casemates) وهي عبارة عن عن جدارين متوازيين يحصران بينهما غرفاً ضيقةً مستطيلة الشكل.

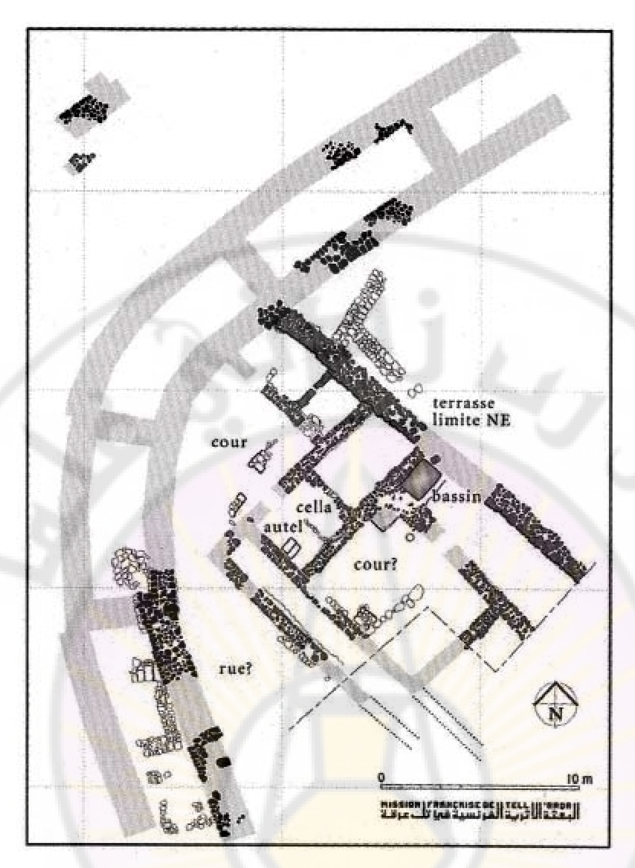
أما المجمع الديني ذو المخطط غير المكتمل، فيقع في الطرف الغربي من المدينة، بني بشكل مجاور وملاصق للسور الغربي. تقدر مساحته ب ٢٠٠ م^{2}. وهو عبارة عن بناء ذي مخطط معقد فيه العديد من الباحات والغرف. ويتألف من قسمين غير متصلين، يحتوي كل قسم على العديد من الغرف الموزعة حول باحة. ففي القسم الغربي توجد غرفة مربعة الشكل (يتراوح طول ضلعها بين ٣ إلى ٤ م) فيها "مذبح" عبارة عن مصطبة حجرية تحتوي على حفرتين، مما دفع المنقب للاعتقاد بأن وظيفة هذا المجمع دينية. تنفتح هذه الغرفة على الباحة الملاصقة للسور الغربي. أما القسم الآخر فيتألف من غرفتين وباحة أخرى عثر فيها على منشآت مائية ومصطبة أخرى عليها تمثال إلهة جالسة على عرش[٢٧٨].

تميزت هذه السوية أيضاً بوجود قبور احتوت على عظام بشرية محروقة، حيث شاعت في عصر الحديد عادة حرق الجثث (توضع العظام المحروقة في جرة فخارية وتدفن في المقبرة). دُمرت مدينة السوية العاشرة بحريق ثم أعيد استيطان التل خلال السوية اللاحقة ولكن بملامح قروية استمرت حتى نهاية الفترة الفارسية.

٤-٢-٣ تل الكزل (سومور):

يقع تل الكزل في سهل عكار على بعد ٢٨ كم جنوب مدينة طرطوس الساحلية (الشكل ١١٥)، على الضفة اليمنى لنهر الأبرش. تبلغ أبعاده ٣٥٠ X ٣٢٥ م. ويحتل موقعاً استراتيجياً هاماً لأن سهل عكار يشكل معبراً هاماً بين الداخل السوري والمنطقة الساحلية. يضم التل مدينة سومور أو سيميرا القديمة التي ذكرت في حوليات الملك المصري تحوتمس الثالث (القرن الخامس عشر ق.م) ورسائل العمارنة (القرن الرابع عشر ق.م) والعديد من النصوص الآشورية العائدة للقرنين الثاني والحادي عشر ق.م.

(٢٧٧) Thalmann, J.-P. 2007, p. 270.
(٢٧٨) Thalmann, J.-P. 1998, p. 132.



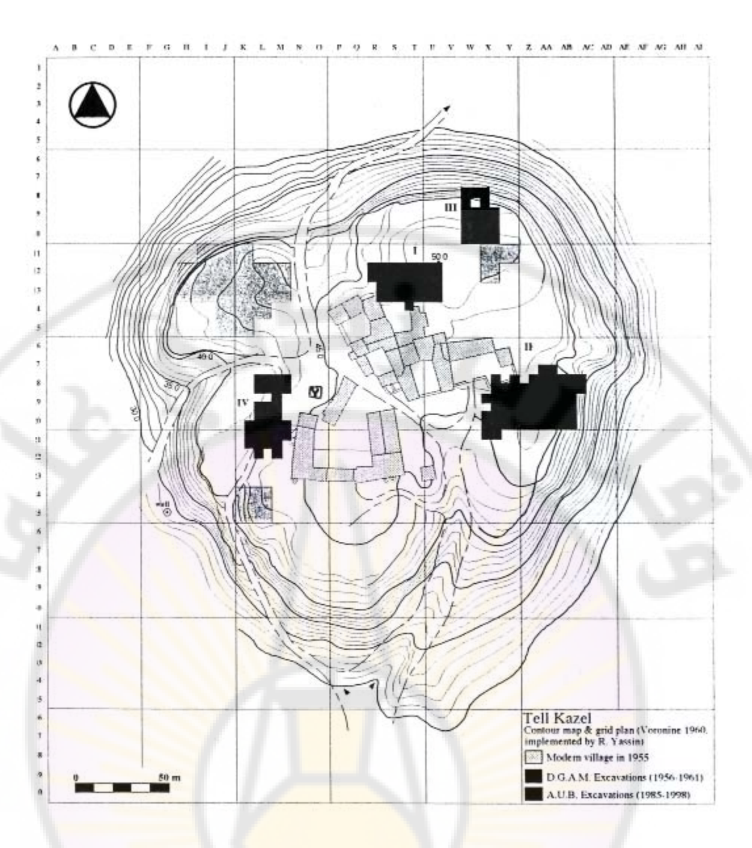
الشكل ١١٤: تل عرقا السور و"المعبد"، عن: (Thalmann, J.-P. *et al*. 2008, p.59).

تاريخ التنقيبات:

تعود أولى الحفريات الأثرية في تل الكزل إلى عام ١٩٥٦ على يد الباحثين نسيب صليبي وموريس دونان بتمويل من المديرية العامة للآثار والمتاحف. ثم انضم الباحث عدنان البني إلى البعثة خلال الأعوام ١٩٦٠-٦١ و ١٩٦٢. ولكن العمل في التل توقف حتى عام ١٩٨٥ عندما تابعته بعثة من الجامعة الأمريكية في بيروت بإدارة الباحثة ليلى بدر (مع كل من ميشيل مقدسي وعدنان البني). واستمرت الحفريات حتى عام ٢٠١٠.

تنظيم المدينة:

تشكل مدينة سومور القديمة حسب النصوص القديمة عاصمة لمملكة أمورو التي سيطرت على جزء كبير من الساحل السوري بين سهل عكار شمالاً ومرفأ جبيل جنوباً. وعلى الرغم من أن الاستيطان البشري كان قد بدأ في تل الكزل منذ عصر الباليوليت إلا أن أولى التحصينات



الشكل ١١٥: تل الكزل (.Badre, L. et Gubel, E. 1999, fig. 1).

كانت قد بنيت خلال عصر البرونز الوسيط. تعود أهم السويات الأثرية في تل الكزل إلى عصر البرونز الحديث (قرن ١٤ -١٣ ق.م) والحديد الأول القرنين ١٢-١٠ ق.م (السويتين ٦ و ٥)، الشكل ١١٥. حيث تألفت المدينة العائدة للبرونز الحديث من "قصر" صغير (أو منزل كبير) يقع في الجزء الشرقي من التل (المنطقة ٢) وبناء مستطيل طولاني (الشكل ١١٦) -يشبه أبنية منباقة وإيمار- في الجهة الغربية (المنطقة ٤). انخرط هذا المبنى الإداري ضمن حي سكني[٢٧٩]. استمر البناء في الاستخدام حتى نهاية عصر الحديد الأول. بالإضافة إلى منطقة سكنية واسعة تعود لذات الفترة مؤلفة من ثلاثة أحياء سكنية في الجزء الجنوبي-الشرقي من التل[٢٨٠]. أما المقبرة المؤلفة من القبور الفردية والجماعية فوجدت في السهل المجاور للتل في الجهة الجنوبية-الشرقية. وهذا ما يسمى بالمقبرة خارج الأسوار (Nécropole extra muros)[٢٨١].

(٢٧٩) Capet, E. et Gubel, E. 2000, p. 428.
(٢٨٠) Badre, L. 2006, fig. 15 ; Capet, E. 2004, p. 63-121.
(٢٨١) Al-Maqdissi, M. 2002 /2003, p. 465.



الشكل ١١٦: الحي السكني في تل الكزل، عن: (Badre, L. 2006, fig. 15).

في بداية عصر الحديد الثاني بني على قمة التل مجمع ملكي ومعبد برجي في المنطقة ١. حيث احتل المعبد البرجي الجزء الجنوبي-الغربي من التل (ولكن مخططات هذه الأبنية غير منشورة بعد)[٢٨٢]، يقدر ارتفاع البرج بخمسة أمتار ويقع في وسط مجمع تصل مساحته ٢٧٥ م٢. هذا بالإضافة إلى الأحياء السكنية العائدة لعصر الحديد الثاني والثالث في الجزء الشمالي-الشرقي وأسوار المدينة التي احتوت على ثلاث بوابات.

٤-٣ منطقة الجزيرة

أخضعت الدولة الآشورية الحديثة بلاد الشام في القرن الثامن ق.م وقامت بتأسيس العديد من القلاع والمراكز الإدارية فيها لتسيير شؤونها في المناطق الخاضعة لها. واعتبر الآشوريون أن منطقة الجزيرة تقع في قلب دولتهم بينما اعتبروا المناطق الغربية والشمالية من المناطق الهامشية. يعد موقع الشيخ حمد في وادي الخابور الأدنى من أهم المواقع خلال فترة السيطرة الآشورية. حيث تعد مدينة دور كالتميو التي عثر على آثارها في هذا التل مركزاً إدارياً للمنطقة منذ عصر

(٢٨٢) Badre, L. *et al*. 2007, p. 59.

الدولة الآشورية الوسطى. ثم تعمق هذا الدور خلال عصر الدولة الآشورية الحديثة، فتوسعت مساحة المدينة حتى بلغت مساحتها ٥٥ هكتاراً. وامتد الاستيطان إلى المدينة المنخفضة التي أنشئت فيها الأبنية الإدارية واعتبرت كقطاع اداري. كذلك قام الآشوريون بتأسيس مراكز إدارية في منقطة الفرات، يقع أحدها في تل أحمر أرسلان طاش وتل برسيب (مدينة أعاد تسميتها الآشوريون فأطلقوا عليها اسم دور شلمناصر).

٤-٤ عصر الحديد الثالث

يطلق على عصر الحديد الثالث في المنطقة الساحلية من بلاد الشام اسم الفترة الفينيقية المتأخرة وهي الفترة الممتدة من القرن السابع ق.م وحتى دخول الإسكندر المقدوني.

٤-٤-١ تل سوكاس

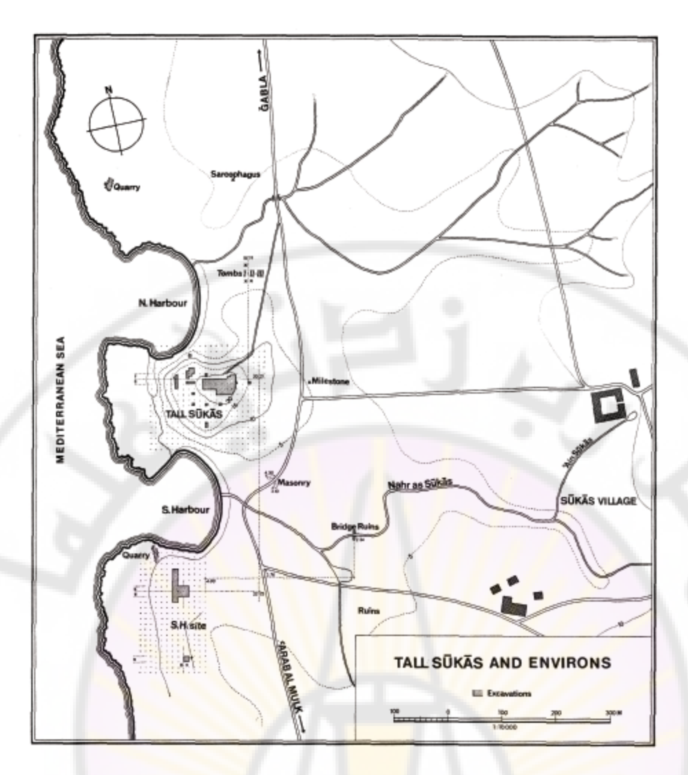
يقع تل سوكاس شمال سوريا في سهل جبلة الساحلي (الشكل ١١٧)، على بعد ٢٦ كم من اللاذقية و ٦ كم من جبلة. للتل شكل مستطيل وهو محاط بمينائين أحدهما شمال التل والآخر جنوبه. تبلغ مساحته ٠,٨٥ هكتاراً وترتفع أعلى نقطه فيه (المنطقة الشمالية-الشرقية) إلى ٢٤ م فوق مستوى البحر.

تاريخ التنقيبات:

قام الباحث فورير (E. O. Forrer) بإجراء أول الأسبار الأثرية في الجزء الشمالي-الغربي من تل سوكاس خلال عام ١٩٣٤. ثم بدأت الحفريات المنتظمة عام ١٩٥٧ من قبل بعثة دنماركية (بعثة كارلزبيرغ إلى فينيقيا The Carlsberg Expedtion to Phoenicia) نفذت أربعة مواسم تنقيب (١٩٦٣-١٩٨٥)، بإدارة الآثاري ريس (P. J. Riis). حيث عثرت البعثة على بقايا مدينة شمال التل ومقبرة جنوبه[٢٨٣].

سكن تل سوكاس منذ الألف الرابع ق.م ولكن الفترات الأفضل حفظاً هي تلك الممتدة من عصر البرونز الوسيط وحتى المرحلة الرومانية. ومنذ بداية القرن السابع ق.م استوطنت جالية إغريقية تل سوكاس (٦٧٥ وحتى ٤٨٩ ق.م -الفترة G:)[٢٨٤]. حيث عثر المنقب على الفخار الإغريقي والنقوش الإغريقية على الفخار المحلي.

(٢٨٣) Riis, P. J. 1958/ 1959, p. 107 ; 121 ; Riis, P. J. 1961 /1962, p. 134 ; Riis, P. J. 1979.
(٢٨٤) Riis, P. J. 1970, p. 10.

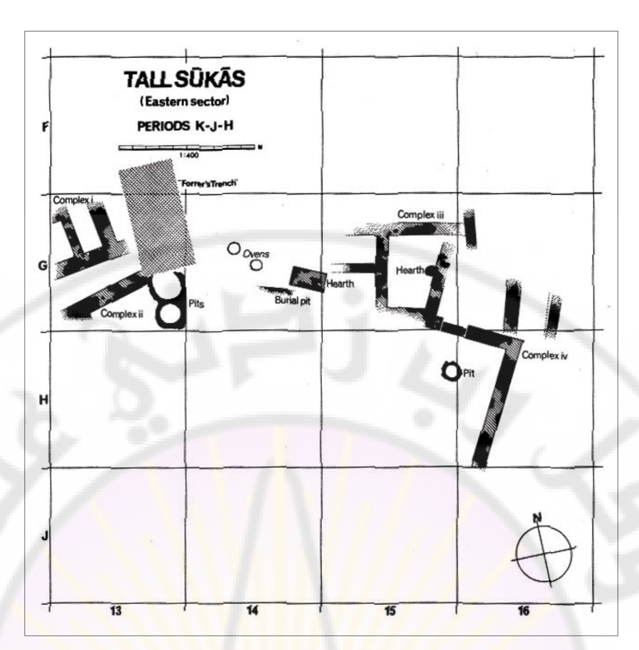


الشكل ١١٧: تل سوكاس، عن: (Riis, P. J. 1970, fig. 3).

تنظيم المدينة:

تقع الأبنية سكنية في الجزء الشرقي من التل وهي مؤرخة بالفترات التي تسبق الفترة G (الفترات K-H عصري البرونز الوسيط والحديث وبداية عصر الحديد). تتألف هذه المساكن من عدة حجرات وتتميز بأنها تملك باحات خارجية، عثر فيها على أفران (المجمعات : ,I, II III على المخطط، انظر الشكل ١١٨). انتظمت على طرفي شارع ينطلق من الجنوب–الغربي إلى الشمال–الشرقي. أما خلال عصر الحديد الثالث فقد تحولت المنطقة الشمالية الشرقية (بداية القرن السابع ق.م) إلى منطقة دينية. بينما عثر على بقايا الأبنية السكنية في الجزء الغربي والجنوبي من التل. بالإضافة إلى مقبرة تقع في منطقة الميناء الجنوبي وهي تضم بقايا بناء قد يكون مزاراً جنائزياً.

توضح لنا المعابد المكتشفة في تل سوكاس وفي مختلف المدن الساحلية (كتل تويني وتل سيانو وعمريت وصيدا الخ) اختلاف شكل العمارة الدينية في هذه المرحلة حيث تألفت غالباً من مجمع كبير، له باحة تمارس فيها الشعائر وهي عبارة عن فضاء مقدس يحيط به السور الخارجي. قد تحتوي هذه الباحة على معبد صغير ولكنها أحياناً لا تحتوي إلا على مصطبة



الشكل ١١٨: العمارة السكنية في تل سوكاس، عن: (Riis, P. J. 1970, fig.11).

ذات طبيعة شعائرية دون وجود معبد (كالمجمع الديني في تل تويني، القطاع B).

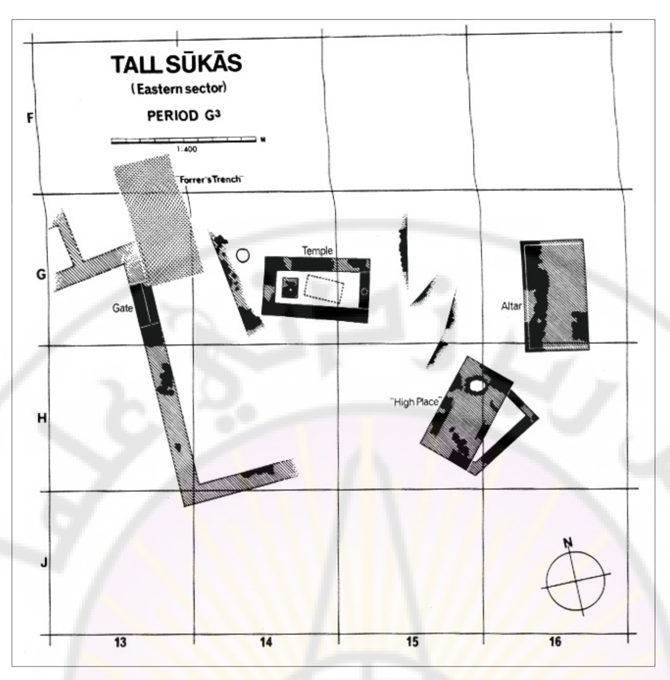
معابد سوكاس:

تغيرت معالم الاستيطان في تل سوكاس بدءاً من القرن السابع ق.م (الحديد الثالث أو ما يقابل الفترة 3G)، حيث استبدلت الأبنية السكنية في الجهة الشمالية الشرقية من التل (وهي أعلى نقطة فيه) بمجمع ذي طبيعة دينية مؤلف من سور خارجي وباحة كبيرة، شيد فيها معبد صغير بالقرب من مصطبتين مستطيلتين (الشكل ١١٩). تبلغ أبعاد المبنى المستطيل ٧,٣٥ X ٤,٣٢ م وهو مبني على بعد ٦ م شرق بوابة السور الخارجية الواقعة في الجزء الشمالي الغربي من السور.

شُيد المعبد على مصطبة خاصة، وهو يمتد باتجاه شرق-غرب (المدخل في الجهة الشرقية). يتميز بمخططه البسيط المؤلف من غرفة واحدة ومن مدخل مفتوح غالباً يقوم عمود في عرضه[٢٨٥]. لم يؤثث البناء إلا بلوح حجري مربع الشكل وجد في عمقه، ربما كان بمثابة قاعدة لوضع تمثال الإله أو رمزه.

احتوى المجمع الديني أيضاً على مصطبة تقع إلى الشرق من المعبد (على بعد ٨ م). وهي مستطيلة الشكل بنيت جوانبها بالحجر بينما تشكلت أرضيتها من الرمل والحصى كسيت

(٢٨٥) Riis, P. J. 1970, p. 54.



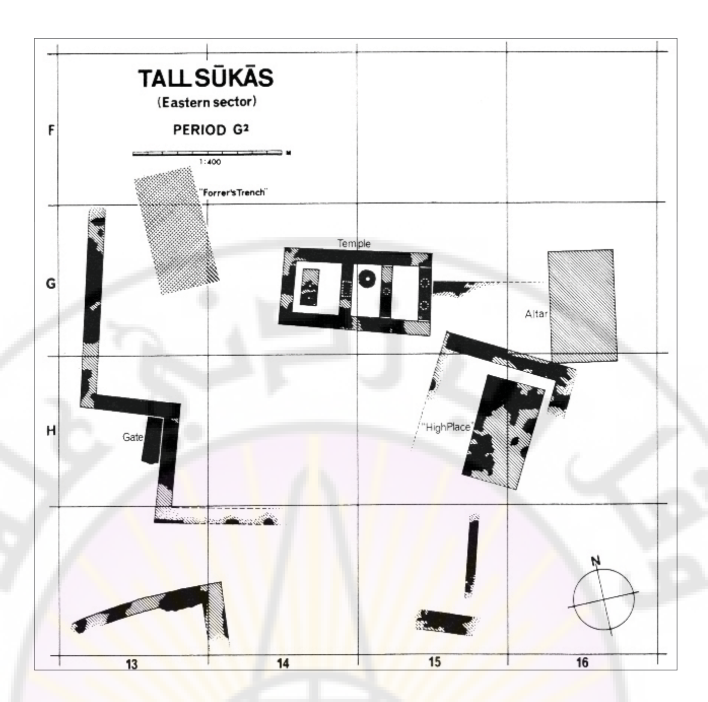
الشكل ١١٩: معبد سوكاس القرن ٧ ، عن: (Riis, P. J. 1970, fig. 19).

بطبقة من الأحجار الكبيرة. تبلغ أبعادها ٧,٣٥ X ٤,٤٠ م وهي بمثابة مذبح غير مسقوف تمارس عليه بعض التقدمات الشعائرية. أما المصطبة الثانية فهي تقع جنوب شرق المعبد، تبلغ أبعادها ٧,٠٠ X ٣,٧٠ م. لهذه المصاطب وظائف شعائرية قد تكون إحداها بمثابة مذبح. حيث عثرت البعثة في الباحة المبلطة بالحجر شرق المعبد على الكثير من عظام الحيوانات والقواقع مما يدفع للاعتقاد بوجود تضحيات مورست في هذا المكان.

أعيد بناء المجمع الديني في القرن اللاحق (القرن السادس ق.م، الشكل ١٢٠) ولكنه حافظ على شكله وعناصره المؤلفة من معبد ومصطبتين شعائريتين. بينما تغير التنظيم الداخلي للمعبد المستطيل، الذي شهد توسعةً فأصبحت أبعاده : ٩,٩٠ X ٥,٣٠ م. يتألف من ثلاث حجرات متوالية، تقع مداخلها على محور واحد. وعثر على دلائل تشير إلى وجود عمودين في عرض المدخل العريض. احتوت الغرفة الأخيرة أيضاً على لوح حجري بقرب الجدار الغربي قد تكون قاعدة لوضع رمز إله المعبد كما في المرحلة السابقة.

٤-٤-٢ عمريت:

تقع عمريت على الساحل السوري على بعد ٦ كم جنوب مدينة طرطوس مقابل جزيرة أرواد (أرادوس القديمة)، وكانت مدينة أساسية في مملكة أرواد. يحد موقع عمريت جنوباً نهر



الشكل ١٢٠: معبد سوكاس القرن ٦ ، عن: (Riis, P. J. 1970, fig. 31).

القبلي، ويخترقها نهراً آخراً هو نهر عمريت (ماراتياس). ذكرت عمريت في وثائق المؤرخين أريانوس وذيوذوروس باسم ماراثوس ولكنها ذكرت في نصوص عصر البرونز باسم كرت مرت. تشتهر عمريت بآثارها العائدة للألف الأول ق.م وحتى الفترة الهلنستية.

تاريخ التنقيبات:

تعود أولى الأسبار الأثرية في موقع عمريت إلى عام ١٨٦٠-١٨٦١ التي قام بها الباحث الشهير إرنست رينان (E. Renan). ثم قامت المديرية العامة للآثار والمتاحف بإرسال بعثة أثرية إلى الموقع بدءاً من عام ١٩٥٤ بإدارة كل من نسيب صليبي وموريس دونان (M. Dunand)[٢٨٦]، حيث قام الباحث السوري نسيب صليبي بدراسة المعبد دراسة معمارية مفصلة وقام بترميمه[٢٨٧]. ثم توالت الأعمال الأثرية بين عامي ١٩٧٨ و ١٩٨٩ في منطقة المغازل ومقبرة عازار والميناء الواقع إلى الجنوب- الغربي من المعبد الكبير. وفي عام ٢٠٠٢ تشكلت بعثة أثرية جديدة من المديرية العامة للآثار والمتاحف واستؤنفت التنقيبات والاكتشافات الحديثة ولاتزال البعثة مستمرة بالحفريات حتى الوقت الحاضر.

(٢٨٦) Dunad, M. et Saliby, N. 1985, p. 3.

(٢٨٧) انظر أولى تقارير حفريات البعثة في مجلة الحوليات الأثرية السورية الأعداد ٣- ٤/٥ -٦- ١٢/١١.

تنظيم المدينة:

سكنت عمريت منذ الألف الثالث ق.م على التل الواقع إلى الشرق من المعبد وتتابع الاستيطان خلال عصري البرونز الوسيط والحديث. ثم شهد الاستيطان في عمريت توسعاً خلال عصر الحديد (القرنين السابع والسادس ق.م). يعد معبد عمريت من أشهر معالم الموقع المعمارية، يقع في قلب المدينة وهو عبارة عن مجمع ديني كبير كُرّس للإله ملقرت. باستثناء هذا المعبد فإن أقسام مدينة عمريت الفينيقية الأخرى وتنظيمها لا تزال غير معروفة بشكل جيد[٢٨٨]. يعود لهذه الفترة الميناء والمنشآت البحرية ومنطقة سكنية متطرفة عن مركز المدينة مؤلفة من العديد من الأحياء السكنية. أما الملعب ذو الطراز الإغريقي الواقع إلى الشمال من المعبد فيعود إلى نهاية القرن الرابع وبداية القرن الثالث ق.م. تحيط المدافن بالمدينة (كان سكان أرواد يدفنون في عمريت)، فإلى الجنوب تقع مقابر برج البزاق والمغازل وإلى الشرق تقع مقابر البياضة وإلى الشمال الشرقي مقبرة رام الذهب وإلى الشمال مقبرة عازر[٢٨٩].

معبد عمريت:

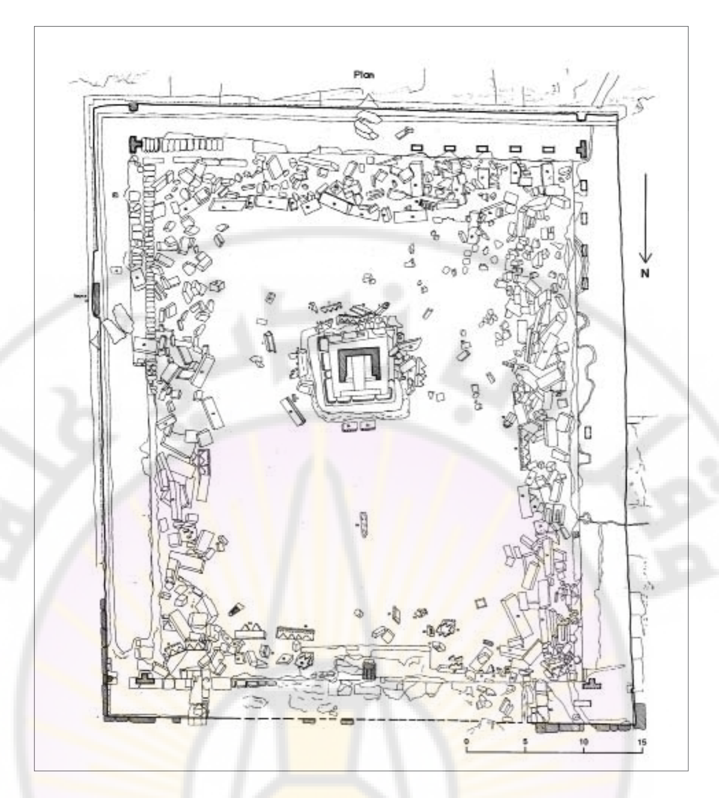
يؤرخ معبد عمريت بنهاية القرن السادس ق.م (الشكل ١٢١) يشتهر بمخططه الفريد وبتأثيراته المعمارية العديدة (سورية ومصرية وأخمينية). نحت في منحدر صخري للضفة الغربية لنهر عمريت بشكل مستطيل، تبلغ أبعاده ٤٦,٧٠ X ٣٨,٥٠ م. يتألف المعبد من البوابة والحوض والهيكل المحاط بالأروقة[٢٩٠].

يقع المدخل الرئيسي للمعبد في الجهة الشمالية، وهو محاط ببرجين جانبيين (الشكل ١٢٢). تتصل هذه الأبراج وتفضي إلى الرواقيين الشرقي والغربي المحيطين بالحوض المائي، وكان الحوض يملأ بالماء سابقاً بواسطة قناة مائية تجلب المياه من النبع، يبلغ عمقه ٣-٣,٥٠م. أحيط هذا الحوض بثلاثة أروقة من الجهات الشرقية والغربية والجنوبية، يقوم سقفها على دعامات حجرية مستطيلة يبلغ ارتفاعها ٢,٩٥ م .

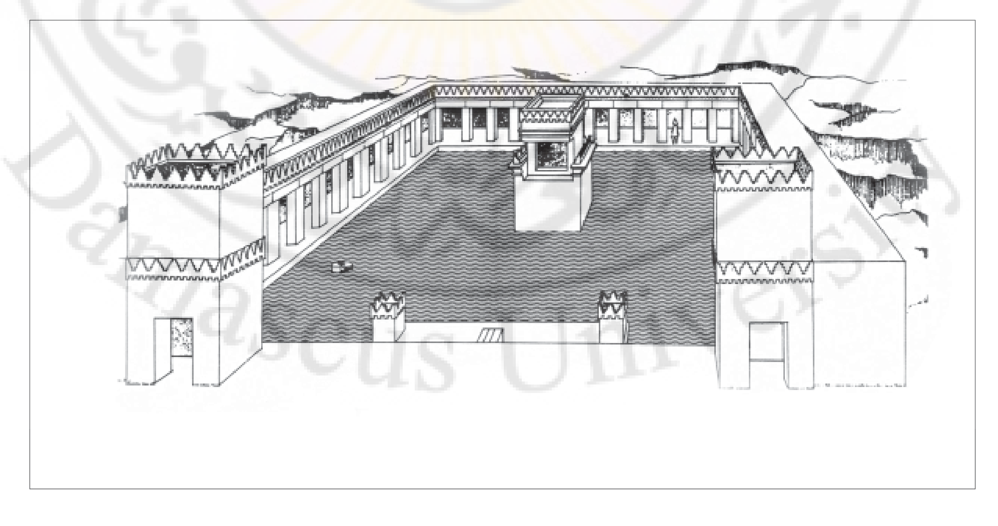
يتوسط حوض الماء قاعدة صخرية كسيت بألواح حجرية منحوتة لحمايتها من المياه. يعلو هذه القاعدة الهيكل المقدس (Naos) وهو هيكل حجري بشكل مربع الشكل واجهته الشمالية المقابلة لمدخل المعبد مفتوحة وهو يشبه الغرفة الصغيرة. والناووس هو المحراب أو الغرفة الصغيرة في المعابد التي يوضع فيها تمثال الإله أو أحد رموزه.

---

(٢٨٨) Al- Maqdissi et Benech, Ch. 2009, p. 209-211.
(٢٨٩) Al- Maqdissi, M. 2007a, p. 60-٦1 ; Al Maqdissi, M. 2007b, p. 268-269.
(٢٩٠) Dunand, M. et Saliby, N. 1985, p. 14-36.



الشكل ١٢١: معبد عمريت، عن: (Dunand, M. et Saliby, N. 1985, pl. LXI).



الشكل ١٢٢: إعادة تخيل معبد عمريت.

زينت واجهات الأروقة بالشراريف أو "الميلرونات" (Merlons) وهي نحت الأطراف العلوية للواجهات على شكل مسننات متدرجة (الشكل ١٢٢). وقد زين الهيكل بذات الأسلوب في قاعدته بالإضافة إلى الطنف (الكورنيش) المصري، كما أن هذه الشراريف تحيط بأعلى الهيكل الحجري من الجهات الأربعة[٢٩١]. تجدر الإشارة إلى أن عناصر التزيين والكثير من أجزاء الأروقة وجدت مهدمة في قاعة الحوض وقامت البعثة بدراستها وترميمها.



(٢٩١) Dunand, M. et Saliby, N. 1985, p. 32.

قائمة المراجع العربية والمعربة للباب الأول:

أبو عساف، ع. ١٩٩١، عين دارا ١، المعبد، منشورات وزارة الثقافة– المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق.

بفيلتسنر، ب. ٢٠٠٩، "السلطة والرفاهية في القصر الملكي"، كنوز سورية القديمة. اكتشاف مملكة قطنا، متحف الولاية، بادن–فورتمبرغ، ص. ١٦٥ –١٧١.

بوناكوسي، د. ٢٠٠٩، "قصر المدينة المنخفضة"، كنوز سورية القديمة. اكتشاف مملكة قطنا، متحف الولاية، بادن–فورتمبرغ، ص. ١٥٧–١٥٩.

التونسي، ع. ٢٠١٢، "المعابد البرجية في بلاد الشام خلال عصر البرونز الحديث وعصر الحديد الأول والثاني"، مجلة دراسات تاريخية ١١٩–١٢٠، ص. ٣–٤١.

المقدسي، م. ٢٠٠٧/٢٠٠٦ "ملاحظات أثرية مشرقية" ١٩ مقدمة لدراسة المنتجات الفخارية في عصر البرونز الوسيط في مناطق المشرق الشمالية"، الحوليات الأثرية العربية السورية ٤٩–٥٠، ص. ٥٥–٨٠.

المقدسي، م. وبوناكوسي، د. ٢٠٠٥، "البحث الأثري في المشرفة"، عاصمة العاصي. فنون وآثار مملكة قطنا القديمة. سبع سنوت من التعاون السوري–الإيطالي في موقع المشرفة/قطنا، صالحاني للطباعة، دمشق، ص. ١٦–١٨.

المقدسي، م وموراندي بوناكوسي، د. ٢٠٠٥، "القصر الملكي في قطنا" عاصمة العاصي. فنون وآثار مملكة قطنا القديمة. سبع سنوت من التعاون السوري–الإيطالي في موقع المشرفة/قطنا، صالحاني للطباعة، دمشق ص. ٤٥–٤٧.

جيسن أور ١٩٩٩–٢٠٠٠، "المسح الأثري ودراسات المشهد الطبيعي في منطقة تل حمو كار ١٩٩٩–٢٠٠٠"، معهد الدراسات الشرقية–جامعة شيكاغو.

موراندي بوناكوسي، د. ٢٠٠٩، "الإستيطان الأول في قطنا في الألف الثالث ق.م"، كنوز سورية القديمة. اكتشاف مملكة قطنا، متحف الولاية، بادن–فورتمبرغ، ص. ١٢٣–١٢٥.



قائمة المراجع الأجنبية للباب الأول:

Akkermans, P. M. M. G., and Schwartz, G. M., 2003, *The Archaeology of Syria From Complexes Hunter-Gatherers to Early Urban Societies (ca. 16, 000-300 BC)*, Cambridge University Press, Cambridge.

Alexander, R., 2002, "The Storm-God at 'Ain Dara", *in* Yener, K. A. et Hoffner, H. A. (éds.) *Recent Developements in Hittite Archaeology and History. Papers in Memory of Hans G. Güterbock*, Eisenbrauns, Winona Lake, Indiana, p. 11-20.

Al-Maqdissi, M., 2002-2003, "Note d'Archéologie *Levantine I. Prospection de la région autour de Tell Kazel"*, Les Annales Archéologiques Arabes Syriennes, 45-46, Damas, p. 465.

Al-Maqdissi, M. et Benech, Ch., 2009, "The spatial organization of the Phoenician city of Amrith (Syria)", *ArchéoSciences*, 33 (suppl.), p. 209-211.

Al-Maqdissi, M., 2007a, "L'architecture religieuse dans la plaine de Jablé. Recherches archéologiques récentes en Phénicie du Nord", *in* Arodaky B.(éd.), *La Méditerranée des Phéniciens*. De Tyr à Carthage, Institut du Monde Arabe, Paris, p. 62-63.

Al-Maqdissi, M., 2007b, "Amrit", *in* Arodaky B.(éd.), *La Méditerranée des Phéniciens, de Tyr à Carthage*, Institut du Monde Arabe, Paris, p. 268-269.

Al Mhdi Al Tounsi, O., 2013, "Les bâtiments allongés à antes en Syrie aux âges du Bronze Récent et du Fer : Réflexions et hypothèses", *Syria 90,* p. 353-376.

Al Mhdi Al Tounsi, O., 2010, *Les temples au Levant à l'âge du Bronze Récent et à l'âge du Fer I-II*, thèse de doctorat de l'Université de Paris I Panthéon Sorbonne (non publiée).

Al Mhdi Al Tounsi, O., 2012, "Les temples et les bâtiments interprétés comme des temples au Levant", *in* Matthews, R. *et al*. (éds.) *Proceedings of the 7th International Congress on the Archaeology of the Ancient Near East 12-16 April 2010*, vol. 3, Harrassowitz Verlag, Wiesbaden, p. 397-416.

Badre, L., 1997, "Kamid el-Loz", *in* Meyers, E. M. (éd.) *The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Near East*, 3, Oxford University Press, Oxford, 265-266.

Badre, L., 2006, "Tell Kazel-Simyra: A Contribution to a Relative Chronological History in the Eastern Mediterrancean during the Late Bronze Age", *Bulletin of the American Schools of Oriental Research*, 343, Boston, p. 65-95.

Badre, L., Gubel, E. et Thalmann, J.-P., 2007, "Trois Sanctuaires Phéniciens: Sarepta, Tell Arqa, Tell Kazel", *in* Arodaky, B. (éd.), *La Méditerranée des Phéniciens. De Tyr à Carthage,* Institut du Monde Arabe, Paris, p. 58-59.

Barro, A. 2002, "Excavations in the Western Part of the Bronze Age Palace", *in* Al Maqdissi, M., Morandi, D. and Pfälzner, P. (éds.) *Excavating Qatna, Documents d'Archéologie Syrienne, vol. IV,* DGAM, Damascus, p. 111-123.

Benoit, A., 2003, *Art et archéologie: Les civilisations du Proche-Orient ancien, Manuels de l'école du Louvre,* éditions de la Réunion des Musées Nationaux, Paris.

Betts, A.V.G. 1992, *Excavations at Tell Um Hammad 1982-1984. The Early Assemblages (EB I-II)*, Edinburgh.

Bieliński, P. 1991, "The First Campaign of Excavations on tell Rad Shaqrah (Hasake Southern Dam Basin)" *PAM III* [= Reports 1991], p. 77-85.

Bieliński, P. 1995, "Tell Rad Shaqrah Excavations 1995", *PAM VII* [Reports 1995], p. 160-170.

Blocher, F., Machule, D. et Werner, P., 2005, "Bericht über die Ausgrabungen in Tall Munbaqa/Ekalte 2004", *Mitteilungen der Deutschen Orient-Gesellschaft*, 137, Berlin, p. 99-107.

Blocher (F.) *et al.*2007 "Bericht über die Ausgrabungen in Tall Munbaqa/Ekalte 2005-2007", *MDOG* 139, p. 83-130.

Bonfil, R. ant Zarzecki-Peleg, A. 2007, "The Palace in the Upper City of Hazor as an Expression of a Syrian Architectural Paradigm", *Bulletin of the American Schools of Oriental Research 348*, p. 25-47.

Bounni, A. et Matthiae, P., 1974, "Tell Fray" 1973, *Exposition des Decouvertes de la Campagne Internationale de Sauvegarde des Antiquités de l'Euphrate*, Musée National d'Alep, DGAM, Alep, p. 33-36.

Bounni, A. et Matthiae, P., 1980, "Tell Fray : Ville Frontière entre Hittites et Assyriens aux XIIIe Siècle av. J.-C.", *Archéologia*, 140, Dijon, p. 30-39.

Buhl, M. L., 1983, *Sukas VII, The Near Eastern Pottery and Objects of Other Materials from the Upper Strata, Publications of the Carlesberg Expedition to Phoenicia 9*. Det Kongelige Danske Videnskabernes Selskab. Historisk-Filosofiske Skrifter 10 : 4, The Royal Danish Academy of Sciences and Letters, Copenhague.

Callaway, J. and Livingston, G.H. 1970, "The 1968-1969 'Ai (et-Tell) Excavations", *Bulletin of the American Schools of Oriental Research 198*, p. 7-31.

Callaway, J. and Schoonover, K. 1972, "The Early Bronze Age Citadel at Ai (Et-Tell)", *Bulletin of the American Schools of Oriental Research 207*, p. 41-53.

Capet, E., 2004, "Tell Kazel (Syrie), Rapport préliminaire sur les 9e - 17e campagnes de fouilles (1993 2001) du musée de l'Université Américaine de Beyrouth, chantier II", *Berytus*, 47, Beyrouth, p. 63-121.

Capet, E. et Gubel, E., 2000, "Tell Kazel. Six centuries of Iron Age occupation (C. 1200-612 B.C.)", *in* Bunnens, G. (éd.) *Ancient Near Eastern Studies. Essays on Syria in the Iron Age, Supplement 7*, Peeters Press, Louvain, 425-457.

Castel, C. 2006, "Al-Rawda, Syrie ; Des urbanistes à la conquête de la steppe", *Le Monde de la Bible 172*, p. 40-42.

Castel, C. *et al*. 2008, "Rapport préliminaire sur les activités de la mission archéologique franco-syrienne dans la micro-région d'Al-Rawda (Shamiyeh) :quatrième et cinquième campagnes (2005 et 2006)", *Akkadica 129*, p. 5-54.

Castel, C. and Peltenburg, E. 2007, "Urbanism on the Margins: Third Millennium BC AI Rawda in the Arid Zone of Syria", *Antiquity 81,* P. 601-616.

Contenson, H., Courtois, J.C., Lagarce, E., Lagarce, J. et Stucky, R. 1974, "XXXIV^e campagne de fouilles à Ras Shamra en 1973. Rapport Préliminaire", *Syria 51*, p. 1-30.

Cooper, L. 2006, *Early Urbanism on the Syrian Euphrates*, Routledge, New York.

Dunand, M. et Saliby, N., 1985, *Le Temple d'Amrith dans la Pérée d'Aradus,* Bibliothèque Archéologique et Hitorique, 121, Geuthner, Paris.

Edzard, D. O., 1969, "Les Tablettes Cunéiformes de Kamid el-Loz", *Bulletin du Musée de Beyrouth*, XXII, Paris, p. 85-91.

Emberling, G. and Mcdonald, H. 2001, "Excavations at Tell Brak 2000: Preliminary Report", *Iraq 63* , pp. 21-54.

Falconer, S. E. et Fall, P. L., avec la contribution de Berelove, I. et Metzger, C., 2006, *Bronze Age Rural Ecology and Village Life at Tell el-Hayyat, Jordan*, British Archaeological Reports International Series 1586, Oxford.

Finkbeiner, U. et Rothmund, A., 2000, "Emar & Balis 19961998-Preliminary Report of the Joint Syrian-German Excavations with the Collaboration of Princetion University", *Berytus, 44*, Beyrouth, p. 5-34.

Fitzgerald, G. M., 1930, *The Four Canaanite Temples of Beth-Shan. Part II, The Pottery*, University of Pennsylvania Press, Philadelphie.

Forest, J.-D. 1997, "L'habitat urukien du Djebel Aruda : approche fonctionelle et arrière plans symboliques" *in* Castel, C., Al-Maqdissi, M. et Villeneuve, F. (éds.) *Les Maisons dans la Syrie Antique du IIIe Millénaire aux Début de l'Islam. Pratiques et Représentations de l'Espace Domestique. Actes du Colloque International, Damas 230- juin 1992*, Institut Français d'Archéologie du Proche-Orient, Beyrouth, p. 217-234.

Forest, J.-D. 2006, "L'apparition de l'État en Mésopotamie", *in* Charvát, P. et al (éds) *L'État, le pouvoir, les prestations et leurs formes en Mésopotamie ancienne. Actes du Colloque assyriologique franco-tchèque. Paris, 7–8 novembre 2002,* Univerzita Karlova v Praze, Filozofická fakulta, Praha, p. 11-18.

Fortin, M. 1998, "New Horizons in Ancient Syria: The View from ⊠Atij", Near Eastern *Archaeology* 61/ 1, p. 15-24.

Foucault-Forest, Ch. 1997, "Modèles d'organisation de l'espace dans l'habitat du Bronze Moyen et du Bronze Récent en Palestine" *in* Castel, C., Al-Maqdissi, M. et Villeneuve, F. (éds.) *Les Maisons dans la Syrie Antique du IIIe Millénaire aux Début de l'Islam. Pratiques et Représentations de l'Espace Domestique. Actes du Colloque International, Damas 230- juin 1992,* Institut Français d'Archéologie du Proche-Orient, Beyrouth, p. 151-160.

Loud, G., 1948, *Megiddo II, seasons of 1935-39*, Oriental Institute Publications, 42, The University of Chicago Press, Chicago.

Gerritsen, F., de Giorgi, A., Eger, A., Özbal, R., et Vorderstrasse, T., 2008, "Settlement and Landscape Transformations in the Amuq Valley, Hatay. Long-Term Perspective", *Anatolica*, 34, Leyde, p. 241-314.

Gibson, M.1999-2000 http://oi.uchicago (ANNUAL REPORT).

Hachmann, R., 1969, "Rapport Préliminaire sur les Fouilles au Tell de Kamid el-Loz, de 1966 à 1968", *Bulletin du Musée de Beyrouth,* XXII, Paris, p. 49-61.

Hachmann, R., 1978a, "Rapport préliminaire sur les fouilles au Tell de Kamid el-Loz en 1973", *Bulletin du Musée de Beyrouth,* XXX, Paris, p. 27-43.

Harrison, T. and Osborne, J. F. 2012, "Building XVI and the Neo-Assyrian Sacred Precinct at Tell Tayinat", *Journal of Cuneiform Studies 64*, p. 125-143.

Heinrich, E. et Kühne, H. 1974, "Mumbaqa (Tall Munbaqa) Herbstkampagne 1971", *Mitteilungen der Deutschen Orient-Gesellschaft Zu Berlin,* 106, Berlin, p. 6-52.

Huot, J.-L. 2004, *Une archéologie des peoples du Proche-Orient II. Des hommes des Palais aux sujets de premiers empires (IIe-Ier millénaire av. J.-C.),* Editions Errance, Paris.

James, F. W., 1966, *The Iron Age at Beth Shan*, The University Museum, Philadelphie.

James, F. W. et McGovern, P. E., 1993, *The Late Bronze Egyptian Garrison at Beth Shan: A Study of Levels VII and VIII. Volume I.*, University Museum Monograph, 85, University of Pennsylvania, Philadelphie.

Koehl, R. B. 1985, *Sarepta III. The Imported Bronze and Iron Age Wares from Area II,* X. The University Museum of the University of Pennsylvania Excavations at Sarafand, Lebanon, Publications de l'Université Libanaise. Section des études

Archéologiques II, Département des Publications de l'Université Libanaise, Beyrouth.

Lebau, M. in collaboration with Pruss, A., Roaf, M. and Rova, E. 2000 "Stratified Archaeological Evidence and Compared Periodizations in the Syrian Jazirah during the Third Millennium B.C." *in* Marro, C. and Hauptmann, H. 'eds.' *Chronologies des Pays du Caucase et de l'Euphrate aux IV^{e} –III^{e} Millénaires. Actes du Colloque d'Istanbul, 16-19 décembre 1998*, Paris, De Boccard, p. 167-192.

Leisten, Th, 2000, "Balis 1996-1998 Preliminary Report on the Campaigns 1996 & 1998", *Berytus*, 44, Beyrouth, p. 35-57.

Marchetti, N. 2006, "Middle Bronze Age Public Architecture at Tilmen Höyük and the Architectural tradition of Old Syrian Palace", *in* Enea, A. et al. (éds.) *INA KIBRAT ERBETTI, Studi di Archeologia orientale dedicati a Paolo Matthiae,* Casa Editrice, Università la Sapienza, Rome, p. 275-297.

Margueron, J.-C., 1977a, "Ras Shamra 1975 et 1976 Rapport Préliminaire sur les Campagnes d'Automne", *Syria*, 54, Paris, p. 151-188.

Margueron, J. C., 1977b, "Un Exemple d'Urbanisme Volontaire à l'Epoque du Bronze Récent en Syrie", *Ktèma*, Civilisations de l'Orient, de la Grèce et de Rome Antiques, 2, Strasbourg, p. 33-48.

Margueron, J.-C., 1982b, "La Ville, Topographie, Architecture et Urbanisme", *in* Beyer, D. (éd.) *Meskéné-Emar Dix Ans de Travaux 1972-1982*, Editions Recherches sur les Civilisations, Paris, p. 17-39.

Margueron, J.-C. 1993a, "Mari : Rapport préliminaire sur la campagne de 1987", *Mari Annales de Recherches Interdisciplinaires 7*, p. 5-38.

Margueron, J.-C. 1993b, "Une couverture possible pour l'espace central de l'Enceinte Sacrée", *Mari Annales de Recherches Interdisciplinaires 7*, p. 281-313.

Margueron, J.-C., 2003, *Les Mésopotamiens*, Picard, Paris.

Margueron, J.-C. 2004, *Mari métropole de l'Euphrate*, Picard, Paris.

Margueron, J.-C. 2007, "Notes d'archéologie et d'architecture orientales, 14 – La salle du trône, d'Uruk à Babylone. Genèse, fonctionnement, signification", *Syria 84*, p. 69-106.

Margueron, J. –C. 2008, "Le royaume de Mari", *Studia Orontica II*, p. 7-60.

Matoïan, V., 2008, "Avant-Propos", *in* Matoïan, V. (éd.) *Le Mobilier du Palais Royal d'Ougarit. Ras Shamra-Ougarit XVII*, Ras Shamra-Ougarit, Maison de l'Orient et de la Méditerranée, XVII, Lyon, p. 13-15.

Matthiae, P. 1976, "Ebla in the Late Early Syrian Period: The Royal Palace and the State Archives", T*he Biblical Archaeologist* 39/ 3, p. 94-113.

Matthiae, P. 1978, "*Tell Mardikh: Ancient Ebla", American Journal of Archaeology 82 /4*, p. 540-543.

Matthiae, P. 1984, "New Discoveries at Ebla: The Excavation of the Western Palace and The Royal Necropolis of the Amorite Period", *The Biblical Archaeologist 47/ 1*, p. 18-32.

Matthiae, P. 1997, "Typologies and Functions in the Palaces and Houses of Middle Bronze Age in Ebla", *in* Castel, C., Al-Maqdissi, M. et Villeneuve, F. (éds.) *Les Maisons dans la Syrie Antique du IIIe Millénaire aux Début de l'Islam. Pratiques et Représentations de l'Espace Domestique. Actes du Colloque International, Damas 230- juin 1992*, Institut Français d'Archéologie du Proche-Orient, Beyrouth, p. 125-134.

Mazzoni, S., 1997, "The Gate and the City: Change and Continuity in Syro-Hittite Urban Ideology", *in* Wilhelm, G., *Die Orientalische Stadt: kontinuität, wandel, bruch. Internationales Colloquium der Deutschen Orient-Gesellschaft 910- Mai 1996*, Band 1, Saarbrücker Druckerei und Verlag, Saarbrücken, p. 307-338.

Mazzoni, S., 2000, "Crisis and Change : The Beginning of the Iron Age in Syria", *in* Matthiae, P. Enea, A. et Peyronel, L. (éds.) *Proceedings of the first International Congress on the archaeology of the Ancient Near East, Rome, May 18th-23rd, 1998*, 2, Herder, Roma, p. 1043-1051.

McClellan, Th. L. 1999, "Houses and Households *in* North Syria during the Late Bronze Age" in Castel, C., Al-Maqdissi, M. et Villeneuve, F. (éds.) *Les Maisons dans la Syrie Antique du IIIe Millénaire aux Début de l'Islam. Pratiques et Représentations de l'Espace Domestique. Actes du Colloque International, Damas 230- juin 1992*, Institut Français d'Archéologie du Proche-Orient, Beyrouth, p. 29-60.

Novák, M. and Pfälzner, P. 2002, "Excavations in the Western Part of the Bronze Age Palaces (Operation G)", *in* Al-Maqdissi, M. *et al*. (éds.) *Excavating Qatna I,* Damascus, p. 63-110.

Orthmann, W., 1976, "Mumbaqa 1974. Vorläufiger Bericht über die von der Deutschen Orient-Gesellschaft mit Mitteln der Stiftung Volkeswagenwerk unternommenen Ausgrabungen", *Mitteilungen der Deutschen Orient-Gesellschaft Zu Berlin,* 108, Berlin, p. 25-44.

Orthmann, W. 1989, *Halawa 1980 bis 1986*, in Saarbrücker Beiträge zur Altertumskunde Herausgegeben von Rolf Hachmann, Jan Lichardus, Frauke Stein und Walter Schmitthenner Band 52, Dr. Rudolf Habelt GMBH, Bonn.

Orthmann, W. et Kühne, H. 1974, "Mumbaqa 1973. Vorläufiger Bericht über die von der Deutschen Orient-Gesellschaft mit Mitteln der Stiftung Volkeswagenwerk unternommenen Ausgrabungen",

Mitteilungen der Deutschen Orient-Gesellschaft Zu Berlin, 106, Berlin, p. 53-97.

Otto, A., 2006b, *Alltag und Gesellschaft zur Spätbronzezeit: eine Fallstudie aus Tall Bazi (Syrien)*, Subartu, XIX, Brepols, Turnhout.

Ottosson, M., 1980, *Temples and Cult Places in Palestine, in* Brunnsaker, S. et Soderbergh, T. S. (éds.) Acta Universitatis Upsaliensis, Boreas, Uppsala Studies in Ancient Mediterranean and Near Eastern Civilizations 12, Uppsala Université, Uppsala.

Peltenburg, E., 2007, "New Perspectives on the Carchemish Sector of the Middle Euphrates River Valley *in* the 3rd Millennium BC", in Peltenburg, E. (éd.) *Euphrates River Valley Settlement. The Carchemish Sector in the Third Millennium BC*, Oxbow Books, Oxford, p. 3-24.

Pinnok, F. 2001, "The Urban Landscape of Old Syrian Ebla", *Journal of Cuneiform Studies 53*, p. 13-33.

Pritchard, J. B. 1983, "Sarepta and Phoenician Culture in the West", in Istituto per la Civilità fenicia e punica, *Atti del I Congresso Internazionale di Studi Fennici e Punici (Rome, 5-10 Novembre 1979)*, Collezione Di Studi Fenici 16, Consiglio Nazionale Delle Ricerche, Rome, p. 521-252.

Pritchard, J. B. *et al*., 1975, *Sarepta. A Preliminary Report on the Iron Age. Excavations of the University of Pennsylvania, 1970-1972*, Museum Monographs, The University Museum, University of Pennsylvania, Philadelphie.

Reichel, C. 2005-2006, http://oi.uchicago (ANNUAL REPORT), p. 65-77.

Reichel, C. 2006-2007, http://oi.uchicago (ANNUAL REPORT), p. 59-68.

Reichel, C. 2008-2009, http://oi.uchicago (ANNUAL REPORT), p. 77-87.

Reichel, C. 2011, http://oi.uchicago (ANNUAL REPORT), p. 3-11.

Rihaoui, A. K., 1965, "Étude Préliminaire sur la Sauvegarde des

Monuments dans la Region du Barrage de l'Euphrate", *Annales Archéologiques de Syrie*, XV, 1, Damas, p. 66-111.

Riis, P. J. 1958 /1959, "L'activité de la Mission Archéologique Danoise sur la Côte Phénicienne en 1958", *Annales Archéologiques Arabe Syriennes 8 /9*, p.107-132.

Riis, P. J. 1961 /1962, "L'activité de la Mission Archéologique Danoise sur la Côte Phénicienne en 1960", *Annales Archéologiques Arabe Syriennes* 11-12, p.145-162.

Riis, P. J. 1970, *Sukas I, The North-East Sanctuary and the First Setting of Greeks in Syria and Palestine*, Publications of the Garlesberg Expedition to Phoenicia 1.Det Kongelige Danske Videnskabernes Selskab. Historisk-Filosofiske Skrifter 5,1., The Royal Danish Academy of Sciences and Letters, Copenhague.

Riis, P. J. 1979, *Sukas VI, The Graeco-Phoenician cemetery and sanctuary at the Southern Harbour*, Publications of the Carlesberg Expedition to Phoenicia 7. Det Kongelige Danske Videnskabernes Selskab. Historisk-Filosofiske Skrifter 10 /2, The Royal Danish Academy of Sciences and Letters, Copenhague.

Rowe, A., 1930, *The Topography and History of Beth-Shan,* University of Pennsylvania Press, Philadelphie.

Rowe, A., 1940, *The Four Canaanite Temples of Beth-Shan. Part I, The Temple and Cult Objects*, University of Pennsylvania Press, Philadelphie.

Schaeffer, C., 1931, "Les fouilles de Minet-el-Beida et de Ras Shamra Deuxième campagne (Printemps 1930)", *Syria*, 12, Paris, p. 1-14.

Schaeffer, C., 1933, "Les fouilles de Minet-el-Beida et de Ras Shamra Quatrième Campagne (Printemps 1932)", *Syria*, 14, Paris, p. 13-127.

Schaeffer, C., 1935, "Les fouilles de Ras Shamra- Ugarit Sixième Campagne (Printemps 1934)", *Syria*, 16, Paris, p. 141-176.

Schwartz, G.and Curvers, H. 1990 "Excavations at Tell al-Raqā'i: A Small Rural Site of Early Urban Northern Mesopotamia" *American Journal of Archaeology 94/ 1*, p. 3-23.

Stein, D. L., 1997, "Alalakh", *in* Meyers, E. M. (éd.) *The Oxford Encyclopedia of Achaeology in the Near East*, 1, Oxford University Press, Oxford, p. 55-59.

Stone, E. C. et Zimansky, P. E., with contriutions by Crawford, P. I., Frey, C. J., Marean, C., et McClellan, M. C. 1999, *The Iron Age Settlement at 'Ain Dara, Syria: Survey and Soundings.* British Archaeological Reports, International Series, *786*, British Archaeological Reports, Oxford.

Thalmann, J.-P. 1998, "Cités de la côte, cités de l'intérieur. Arqa : Irqata, un centre régionale du Nord-Liban", *Liban l'autre rive*, Institut du Monde Arabe, Paris, p. 64-68.

Thalmann, J.-P. 2007, "Tell Arqa" *La Méditerranée des Phéniciens de Tyre à Carthage*, Institut du Monde Arabe, Paris, p. 270-271.

Vallet, R. 1997, "Habuba Kébira sud, approche morphologique de l'habitat" *in* Castel, C., Al-Maqdissi, M. et Villeneuve, F. (éds.) *Les Maisons dans la Syrie Antique du IIIe Millénaire aux Début de l'Islam. Pratiques et Représentations de l'Espace Domestique. Actes du Colloque International, Damas 230-juin 1992*, Institut Français d'Archéologie du Proche-Orient, Beyrouth, p. 105-119.

Van Driel, G. et Van Driel Murray, C. 1983 "Jebel Aruda, the 1982 season of excavations,interim report", *Akkadica 33*, p. 1-26.

Schwartz, G.and Curvers, H. 1992 "Tell al-Raqā'i 1989 and 1990: Further Investigations at a Small Rural Site of Early UrbanNorthern Mesopotamia", *American Journal of Archaeology 96/ 3*, p. 397-419.

Vaux, R. de 1971 "Palestine in the Early Bronze Age", *in Cambridge Ancient History*, Third revised edition, volume 1, part 2.

Cambridge: Cam-bridge University Press, p. 208-37.

Von Dassow, E., 2005, "Archives of Alalakh IV in Archaeological Context", *Bulletin Of The American Schools Of Oriental Research,* 338, Boston, p. 1-69.

Werner, P., 1994, *Die Entwicklung der Sakralarchitektur in Nordsyrien und Südostkleinasien vom Neolithikum bis in das 1. Jt.v.Chr,* Municher Vorderasiatische Studien Herausgegeben von Barthel Hrouda, Band XV, Profil Verlag, Munich.

Werner, P., Busch, Klengel, H. et Mayer, W., 1998, *Tall Munbaqa, Bronzezeit in Syrien*, Wachholtz Verlag Neumünster, Hamburg.

Wilhelm, G., 1978, Découvertes Epigraphiques a Kamie el-Loz, *Bulletin du Musée de Beyrouth*, XXX, Paris, p. 24-16.

Wilkinson, T. J., Peltenburg, E. McCarthy, A. Wilkinson, E. B. et Brown, M., 2007, "Archaeology in the Land of Carchemish: landscape surveys in the area of Jerablus Tahtani, 2006", *Levant*, 39, Londres, p. 213-247.

Woolley, C. L., 1955, *Alalakh. Tell Atchana in the Hatay,* 1937-1949, Albin Michel, Oxford.

Wright, G. E. 1971, "Archaeology of Palestine from the Neolithic Through the Middle Bronze Age", *Journal of the American Oriental Society 91*, p. 276-293.

Yener, K. A., 2001, "Alalakh : A Late Bronze Age Capital in the Amuq Valley, Southern Turkey", T*he Oriental Institute, News and Notes,* 169, Chicago, 1-7.

Yener, K. A., Wilkinson, T. J., Branting, S. Freidman, E. S., Lyon, J. D. et Reichel, C. D., 1996, "The Oriental Institute Amuq Valley Projects, 1995", *Anatolica*, 22, Leyde, p. 49-84.

Yon, M. 1991, "Stèles de Pierre", *in* Yon, M., Caubet, A., Connan, J., Coqueugniot, E., Deschesne, O., Elliott, C. et Frost, H. (éds.), *Arts et Industries de la Pierre. Ras Shamra-Ougarit* VI, XI,

R.R.C., Paris, p. 273-344.

Yon, M., 1995, "Les Activités 1978-1993 de la mission archéologique française de Ras Shamra Ougarit", in Yon, M., Sznycer, M. et Bordreuil, P. (éds.), *Le Pays d'Ougarit Autour de 1200 av.J.C. Histoir et archéologie. Ras Shamra-Ougarit,* XI, R.R.C., Paris, p. 15-25.

Yon, M. 1997*, La cité d'Ougarit sur le tell de Ras shamra,* Guides Archéologiques de l'Instutut Français d'Archéologie du Proche - Orient, Numéro 2, Editions Recherches sur les Civilisations, Paris.

Yon, M., Caubet, A., Mallet, J., 1982, "Ras Shamra-Ougarit 38, 39 et 40e campagnes (1978, 1979 et 1980)", *Syria*, 59, Paris, p. 169-192.

Yon, M., Caubet, A., Mallet, J., Lombard, P., Doumet, C. et Desfarge, P., 1983, "Fouilles de Ras Shamra-Ougarit 1981- 1983 41e, 42e, et 43e campagnes (1978, 1979 et 1980)", *Syria*, 60, Paris, p. 193-224.

Zimansky, P., 2002, "The Hittites at 'Ain Dara", *in* Yener, K. A. et Hoffner, H. A. (éds.) *Recent Developments in Hittite Archaeology and History. Papers in Memory of Hans G. Güterbock,* Eisenbrauns, Winona Lake, Indiana, p. 177-192.

الباب الثاني
الفنون والفخار في بلاد الشام

د. جمال تموم





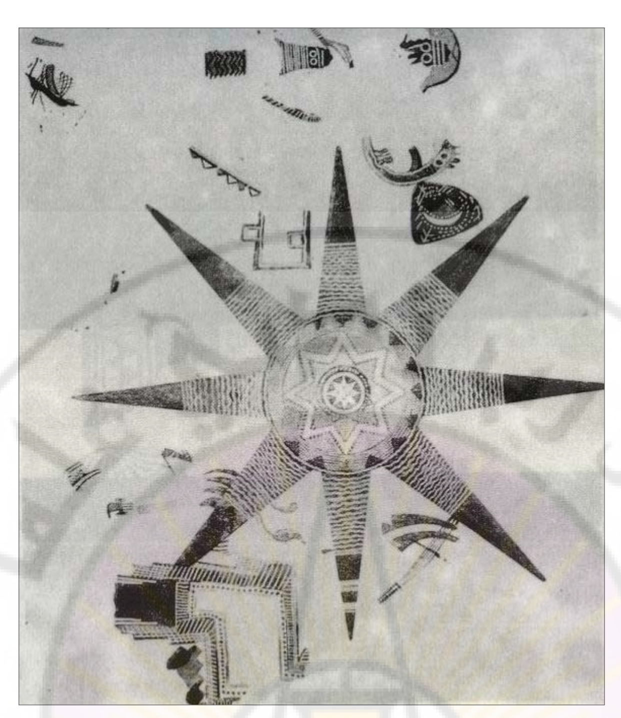
الفصل الأول

١- النحت:

عاش الإنسان خلال العصر الحجري الحديث ضمن مجتمعات منظمة نوعاً ما في قرى زراعية محدودة وعرف بناء البيوت الدائرية والمستطيلة وتدجين الحيوانات والزراعة، وعرفت هذه المرحلة بالحضارة النيوليتية. وبدأ الإنسان يتلاءم مع البيئة والطبيعة وينظر حوله وتأثر بالمحيط حيث كان الحجر المادة الأساسية لتلبية احتياجاته الضرورية فصنع النبال من أجل الصيد وبعض الأدوات المنزلية وبدأ أخيراً بنحت التماثيل الصغيرة البشرية منها والحيوانية التي اكتشفت.

احتلّ النحت والنقش مكاناً هاماً منذ العصر الحجري الحديث، وكان التركيز على تمثيل الحيوانات، ربما المخيفة منها أو التي كانت ذات قدسية بحسب معتقدات الإنسان في ذلك العصر. تميز العصر الحجري النحاسي، بصناعة الدمى الطينية النسائية التي تطورت عن صناعة دمى العصر الحجري الحديث، حيث مُثلت المرأة بالطريقة التجريدية وشكلها المختزل، إلى جانب الدمى البشرية الأخرى. ونجد دمى حيوانية تمثل أبقاراً، أغناماً، ماعزاً وخنازير... وهي قليلة نسبياً إذا ما قورنت بأعداد الدمى البشرية، وقد أقام سكان تل الشيخ حسن في عصر العبيد حضارة متنوعة منها تماثيل المرأة العارية بوساطة الدمى الطينية وهذا استمرار لغنى العصر السابق مع فارق كبير من حيث الشكل والمضمون، فمن حيث الشكل لم يُعد تجريديا يرمز إلى المرأة، بل أصبح أكثر واقعية، ومُثلت المرأة منتصبة عارية، رأسها قريب إلى رأس الحيوان، فوقه كتلة إسفلتية تشير إلى الشعر.

أما من حيث المضمون فقد صورت المرأة وهي تحضن بين زراعيها طفلاً ترضعه تجسيداً لفكرة سادت في هذا العصر، فن صناعة الدمى الطينية خاصة بعد أن جرت عادة تقديس الأم كربة التي هي رمز الخصوبة. واشتهر موقع تليلات الغسول، على الضفة الشرقية لنهر الأردن، باللقى الأثرية المتنوعة منها، رسوم جدارية جصية لونها أحمر، وهي تمثل مشهداً يضم ستة أشخاص يترادفون في رتل واحد، ويقابلهم تل مماثل وصورة طير يظن أنه ديك بري، أو طائر العنقاء الخرافي، وأخرى رسم عليها نجمة ثمانية على الرسوم الجدارية من حيث الشكل والمضمون، فإلى جانب الأشكال الحيوانية هناك أشكال بشرية وقرص شمس بالألوان الأسود والأبيض والأحمر (شكل ١).



الشكل ١

أولاً–النحت في عصر أوروك :

يلاحظ في العصور اللاحقة غياب واضح في المكتشفات ذات الدلالة الدينية والفنية، لتظهر في المراحل الأخيرة من عصور ما قبل التاريخ. ويعتقد بعض الباحثين أنّ للمنصات البازلتية التي عُثر عليها لأول مرة في الجولان، ومن ثم في شمال الأردن، صفة دينية. فقد كانت تلك المنصات مستطيلة، تشبه العمود القصير ويصل ارتفاع بعضها إلى حوالي نصف متر، وتنتهي في أحد طرفيها بتجويف صغير يشبه الصحن، ونحتت في المنطقة الواقعة أسفل الصحن أشكال آدمية أو حيوانية محددة بارزة. وفي وادي الفرات عُثر في حبوبة على مسلة من الحجر البازلتي، نقش عليها مشهد صيد أسود، بأسلحة متنوعة، في أعلى اللوحة، يطعن الأمير الذي يبدو أنه رجل مميز – الأسد بالرمح، وفي أسفل اللوحة يرمي هذا الأمير بسهمه وإلى جانبه أسد أصابته السهام.

وعثر في موقع تل براك في أثناء التنقيب في معبد العيون على مئات الدمى المبعثرة المصنوعة من مادة الألباستر، ذات العيون الجاحظة الكبيرة والمنزلة من مواد مختلفة،ومنها أتت تسمية معبد العيون[٢٩١]. ويرجح أن هذه التماثيل كانت ترمز إلى الآلهة المختلفة المعبودة آنذاك, (شكل٢) وعثر على رأسين : أحدهما من الحجر الكلسي الرخامي، ارتفاعه ١٧سم،

(٢٩١) Mallowan M.e.L,1947,Exavations at Brak and Chagar Bazar,Iraq9,p1-259.



الشكل ٢ : منحوتات من معبد تل براك

العيون الكبيرة التي تطغى على الرأس الصغير. وصنع فنيو هذا العصر، أعداداً كبيرة من التمائم بأشكال حيوانية أليفة وأهلية، وغالباً ما صوروا الحيوان رابضاً، وتمائم على شكل حيوان فيه ثقب يعلق منه الجسم، عثر على تميمة على شكل لبوة في موقع حبوبة الكبيرة(الشكل ٣).



الشكل ٣

ثانياً- النحت في عصر البرونز القديم :

مع بداية الألف الثالث- بداية العصور التاريخية - صنعت التماثيل من حجر المرمر، وأحياناً من المعادن، وربما من الخشب والقار، خاصة للرجال والقليل منها كان بمظهر مُشوه، خضع للمبدأ التجريدي المبسط، فكانت غير واقعية وأقل من الحجم الطبيعي من ٢٠- ٧٠ سم، كما غابت عنها النسب المنطقية لمختلف أعضاء الجسم. هذه التماثيل كانت جامدة، ونحتت من كتل حجرية كبيرة وقد سيطر على تحضيرها الأسلوب الهندسي. وعُثر على العديد من التماثيل التي تجسد حكاماً أو كهنة أو آلهة. وهناك تمثالان صغيران، وجدا في معبد السوية الثانية في تل خويرة نُحتا من الألباتر، ويعتقد بأنهما يمثلان أمراء أو كهنة.

تميّز هذا العصر بأن النحات أتقن تقليد الجسم البشري، فنحت تماثيل بشرية لا شخصية، أودعها الحكام والكهنة ومن ينتسب إليهم في المعابد لتمثل وجودهم الدائم فيها، وكانت التماثيل صغيرة، لايتجاوز ارتفاعها ٤٠سم. وتماثيل الرجال أضعاف تماثيل النساء، مما يدل على التغيير الذي انتاب مكانة المرأة، التي احتلت مكانة بارزة وعالية في فنون فجر التاريخ، وكان للرجال لحية مستطيلة طويلة متجعدة، وشعر طويل، تتدلى ضفائره على جانبي الرأس، وفوق الظهر وعلى جانبي اللحية التي يفصلها ثلم واضح عنها. وأحياناً هناك تماثيل رجال حليقو الرأس وهم من المراتب الأدنى في طبقتهم. يرتدي الرجال مئزراً يستر الأطراف السفلية من الخصر حتى الركبتين، بينما يبقى النصف الأعلى من الجسم عارياً يشد حزام عريض المئزر إلى الخصر، تتشابك اليدان على الصدر، العنان من الصدف، أو الحجر ذي اللون المغاير للون حجر التمثال. ولتمييز الجفنين عن البؤبؤ جعلهما الفنان من القار. أما من حيث الأسلوب فإن النحات حرّر جسم التمثال من الكتلة الحجرية، بالقدر الذي يساعده في إظهار أعضاء الجسم الخارجية مثل الذراعين والساقين والرأس والحفاظ على توازن التمثال، ويمكن عرض لتماثيل إبلا وماري وتل خويرة.

أ- التماثيل في ماري :

وصلت ماري إلى عصرها الذهبي الأول في منتصف الألف الثالث ق.م، وقدمت آثاراً هامة تدل على تطور كبير في مجال نحت التماثيل، ويبقى الموضوع الديني هو الأكثر شيوعاً، فقد جسدت هذه التماثيل أصحابها في المعابد، ونحتت بحيوية وواقعية وتجاوزت مثيلاتها في بلاد الرافدين، وما يؤكد الطابع الديني لتماثيل ماري هو الكتابات التي نقشت عليها والتي تحمل أسماء أصحابها والآلهة المهداة لهم. دّل الحجر الكلسي المحلي الخام الرئيسي المستخدم

في نحت التماثيل التي تباينت في درجة كمالها؛ على أنها تعود إلى عدة مشاغل. وقد صنع نوعان مختلفان من هذه التماثيل :

١- النوع الأول عام نحت حسب نظام موحد وأنتجه صناع محترفون وباعوه لكل راغب ونماذجه متشابهة كثيراً.

٢-أما النوع الثاني فهو خاص، نحت لأناس معينين كالملوك والكهنة والقادة والكتّاب والمغنين أو التجار وكبار الموظفين. وقد جسّد هؤلاء بأشكال متباينة، تمثل أصحابها المختلفين،ونحت الرجال غالباً، اليدان مضمومتان للصدر، النصف الأعلى عارٍ ويرتدي على نصفه الأسفل مئزراً على شكل جلد الغنم(الكوناكس)، يشده إلى الخصر حزام، وكانت اللحية طويلة أحياناً ولكن بلا شوارب، أما النساء فكن ينُحتنإما واقفات، القدمان على نفس المستوى أو جالسات واليدان مضمومتان إلى الصدر ويلبسن رداء يستر الكتف الأيمن وقد ارتدت الكاهنات طاقية تشبه البيريه (شكل ٤) وقد نزلت العيون بالصدف أو بالمواد الأخرى النادرة.

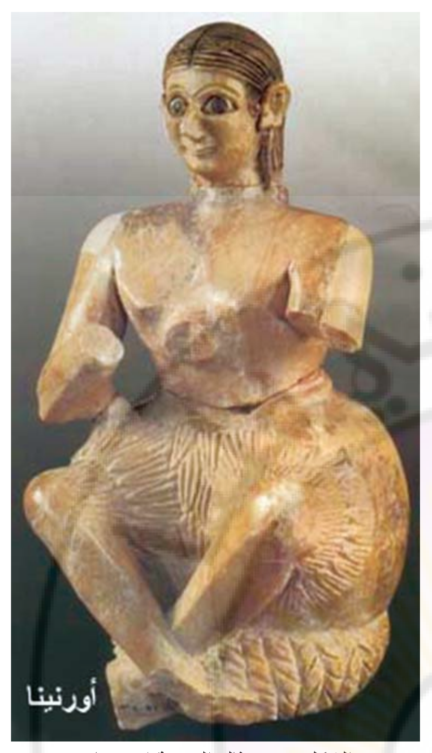
وهناك أنواع من التماثيل يختلط بها التمييز بين الرجل والمرأة، لأنها غير ملتحية واللباس فيها موحد، أما تزيينات الوجه والصدر والشعر فقد حملها الرجال أيضاً. فتمثال المغنية أورنينا الرائع، يُعد من أجمل وأطرف آثار ماري التي تميزت بالوفرة والتنوع، وحتى الآن يدور جدل فيما إذا كان لمغنٍ أو لمغنية (شكل ٥). إن هذا التمثال يدل على المكانة الرفيعة التي تبوؤوها أصحاب الفن في مجتمع ماري في هذه الفترة المبكرة، حيث كانوا ينشدون تعظيماً للآلهة والملوك، فقد نقش على ظهر هذا التمثال، كتابة تقول : بأن إيبلول–ملك ماري، ينذر تمثال كبيرة المغنيات، أورنينا في معبد نيني زازا.

وهناك العديد من التماثيل النصفية والرؤوس، المنزلة عيونه وحواجبه بالصدف واللازورد وهو دليل على وجود التماثيل المركبة من أكثر من مادة، ويعتقد بأن هذا الرأس قد ثبت على جسم خشبي أو معدني مغطى بالمعادن الثمينة على غرار وجه الوركاء. كما أتت من ماري تماثيل زوجية هي الأولى من نوعها في سورية أحدها يجسد رجلاً وامرأة جالسين على مقعد واحد يرتديان الكوناكس التقليدي ويتعانقان بشوق.

وهناك عدة تماثيل لملوك ونساء بوضعية الوقوف تجسد دقة فن النحت في هذا العصر وروعته مثل الملك ايكو شاماغان ولمجي ماري وتماثيل لنساء وسنستعرض أهم هذه التماثيل:



الشكل ٤ : امرأة ترتدي طاقية البيريه من ماري

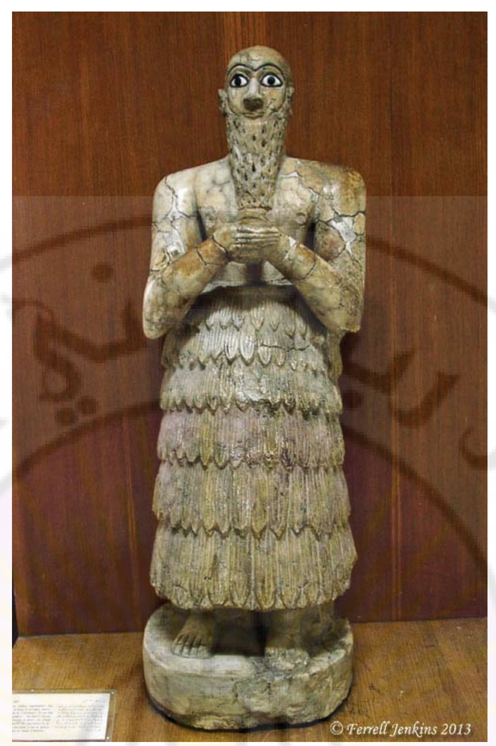


الشكل ٥ : تمثال المغنية اورنينا

١- تمثال إيكو شاماغان (الشكل ٦):

وهو لملك ماري، وجد في معبد عشتار يعود تاريخه لحوالي ٢٦٥٠ ق.م، من حجر الجص الارتفاع: ١١٤ سم، عرض القاعدة ٣٦ سم في متحف دمشق، حليق الرأس، ذو وجه، عينان واسعتان تبرزهما التطعيمات المنزّلة ولحية طويلة مجعدة، وراحتان يشبكهما أمام صدره العاري، يعتقد أنه للملك نفسه، وذلك بسبب الحجم الكبير غير العادي للتمثال، إلا أن الكتابة على الكتف الأيمن غامضة، فمن غير الواضح ما إذا كان المقصود في السطر الثالث اسم شيبوم، أو لقب الكبير، ولكن بما أن الملك لن يلقب نفسه بالشيخ، يرجح أن صاحب التقدمة هو مساح أراضي اسمه شيبوم. وتلك الفئة تأتي في المرتبة الثانية لسلم المراتب والمناصب في المدينة. يستعمل(تماثيل المصلين) لهذه التماثيل، لأنها غالباً ما وجدت في المعابد وتحمل أحياناً كتابات يُعتقد أنها كانت تطلب الصحة والعافية والحياة الطويلة لمقدمها ولملكه، وربما كانت فيما مضى موضوعة على مقاعد، وجدت في قاعات عبادة في كثير من المعابد[٢٩٢].

(٢٩٢) Margueron, J.-C..2003 p20.



الشكل ٦: تمثال إيكو شاماغان

٢- تمثال لمجي ماري (الشكل ٧):



الشكل ٧

يعود إلى حوالي ٢٤٦٠ ق.م من الحجر الأبيض بارتفاع ٢٧,٧ سم القاعدة ١٠,٣×٨,٦ سم متحف حلب.

يُعد هذا التمثال صغيراً بالنسبة إلى التمثال السابقة تغطي الكتابات كامل الجزء اليمين العاري من الظهر والعضد الأيمن، ويسمي نفسه فيها إنسي الأكبر. نذر الملك التمثال للربة عشتار أما وقفة الصلاة تبدو مختلفة عن تمثال إيكو شاماغان فهو يمسك معصمه بيده اليسرى، ويرتدي ما يسمى بالثوب الملفوف المشدود المغلق الذي يحد من الحركة، لأنه يغطي الكتف الأيسر والذراع الأيسر أيضاً. وقد كانوا يرتدونه عادة في المناسبات الخاصة، والرداء مصنوع من القماش المهدب وهو قماش يتصل بسلاسل طويلة من الخيوط المسبلة الحرة على نحو يشبه الفراء، وتحيط بشعر الرأس عصبة مضفورة ومعقودة من الخلف تشبه تسريحة الشعر تلك التي صورت على خوذة ذهبية من المقبرة الملكية في أور.

٣- تمثال لامرأة (الشكل ٨):

تبدو واقفة، ترتدي قبعة عالية تعود لحوالي (٢٦٤٥ - ٢٤٦٠ق.م) من حجر الرخام الأبيض بارتفاع ٢٢,٥ سم، العرض ٦,٥سم في متحف حلب، ترتدي المرأة في هذا التمثال الصغير الزي النسائي الشائع في ماري، وهو القبعة والرداء الطويل المغطى للكتف، أما غطاء الرأس المسمى بولوس فقد كان يتألف إما من قالب مدور ملفوف عال متين يشد فوقه قماش أو طاقية من مادة مقواه وقد كان حرفه الأسفل بارزاً بشيء من الانتفاخ وأما شعرها ذو الغديرة العريضة فتلفه قطعة من القماش. ظهرت بعض الحفلات محيطة بالوجه وكأنها إطار، الذي كان يحيط بالحدقتين المفقودتين وربما كانت كالحاجبين من السيتيات واللازورد والأذنان مثقوبتان لتعليق الحلي والأقراط التي ربما كانت من معادن ثمينة. وظهر الرداء المغطي للكتف لأول مرة في هذا العصر وكانت النساء ترتديه في الطقوس الدينية وفيما بعد أخذت ترتديه الآلهة أيضاً وهو يكشف عن الكتف والذراع الأيمن.

٤- تمثال لامرأة جالسة (الشكل ٩) :

وجد في معبد عشتار يعود للفترة ٢٦٤٥-٢٤٦٠ق.م من حجر الجص بارتفاع ٣٤,٤سم أبعاد العرش ١٤,٠٠×١٠,٢×١٣,٥سم في متحف دمشق، هنا المرأة جالسة وضعت فوق قبعة البولوس خماراً طويلاً من قماش شبط مهدب، والتشوهات في الوجه تقتصر على الأنف والخد الأيمن، وتظهر التفاصيل: الشعر المضفور الذي يظهر من تحت غطاء الرأس، وتنزيلات اللازورد. وتوجد تشوهات قوية في أعلى جسم التمثال ومساحات واسعة من الخمار والعرش الذي تُظهر جوانبه التصميم الخشبي المحفور بشيء من البروز، ويشكل تحت القدمين الواضح والحر إنجازاً حرفياً ممتازاً بالقياس إلى الأدوات المستعملة آنذاك.

٥- تمثال المغنية أورنينا (أورنانشي):

اشتهرت ماري عبر العصور القديمة بالمغنين والمنشدين فقد ذكرت نصوص تعود إلى نفس الفترة في ألواح إبلا أسماء مغنين كانوا يعملون هناك، كما ذكروا فيما بعد أيضاً في العصر السوري القديم: الملك الآشوري شمشي أدد أوعز إلى ابنه يسمح أدد أن يرسل إلى ملك كركميش، الذي كانت تربطهما علاقة تحالف ضد ملك حلب (يمحاض) بعض المغنين والمغنيات من مدينة ماري. وثمة نصوص من هذه المرحلة والمرحلة السابقة لها ومرحلة أور الثالثة تصف عمل المغني، فقد كان عليه أن يقوم بخدمة القصر والمعابد ويقوم بإنشاد أغاني التعظيم والتمجيد للآلهة والملوك، وكان عليه أن يجيد العزف على آلات وترية وإيقاعية مختلفة وكان المغني الجيد يمتاز بمقدرته على إخراج الألحان الرنانة الجميلة، من هنا جاء هذا الاهتمام بتمثال المغنية(أورنانشي).



الشكل ٨



الشكل ٩

يعود هذا التمثال إلى الفترة ٢٦٤٥-٢٤٦٠ق.- متحف دمشق (الشكل ٥)، وجد هذا التمثال في معبد نيني زازا الغرفة ١٣، نُحت من الحجر الجصي بارتفاع ٢٦سم وقطر الوسادة ١١,٦سم، يُعد هذا التمثال من أفضل الأعمال التي قام بها نحاتو ماري، وهو تمثال قدمه الملك ايبلول أيل ملك ماري : أورنانشي المغنية الكبيرة، نذر تمثاله لنينيزازا، هذه الكلمات كتبت على لوح كتف التمثال. تجلس أورنانشي متربعة على وسادة مدورة مسطحة، ومما يجعلها ترفع إزارها المهدب المسهم فوق ركبتيها وقد فقد التمثال الذراعين وسنادة الصدر، حفظت التنزيلات في وجهها المعبر جميعها ما عدا الحاجبين وهي من الصدف واللازورد. الشعر المصبوغ باللون الأسود مفروق من المنتصف إلى الجانبين، أما شعرها الطويل فمسبل خلف أذنيها على ظهرها[٢٩٣].

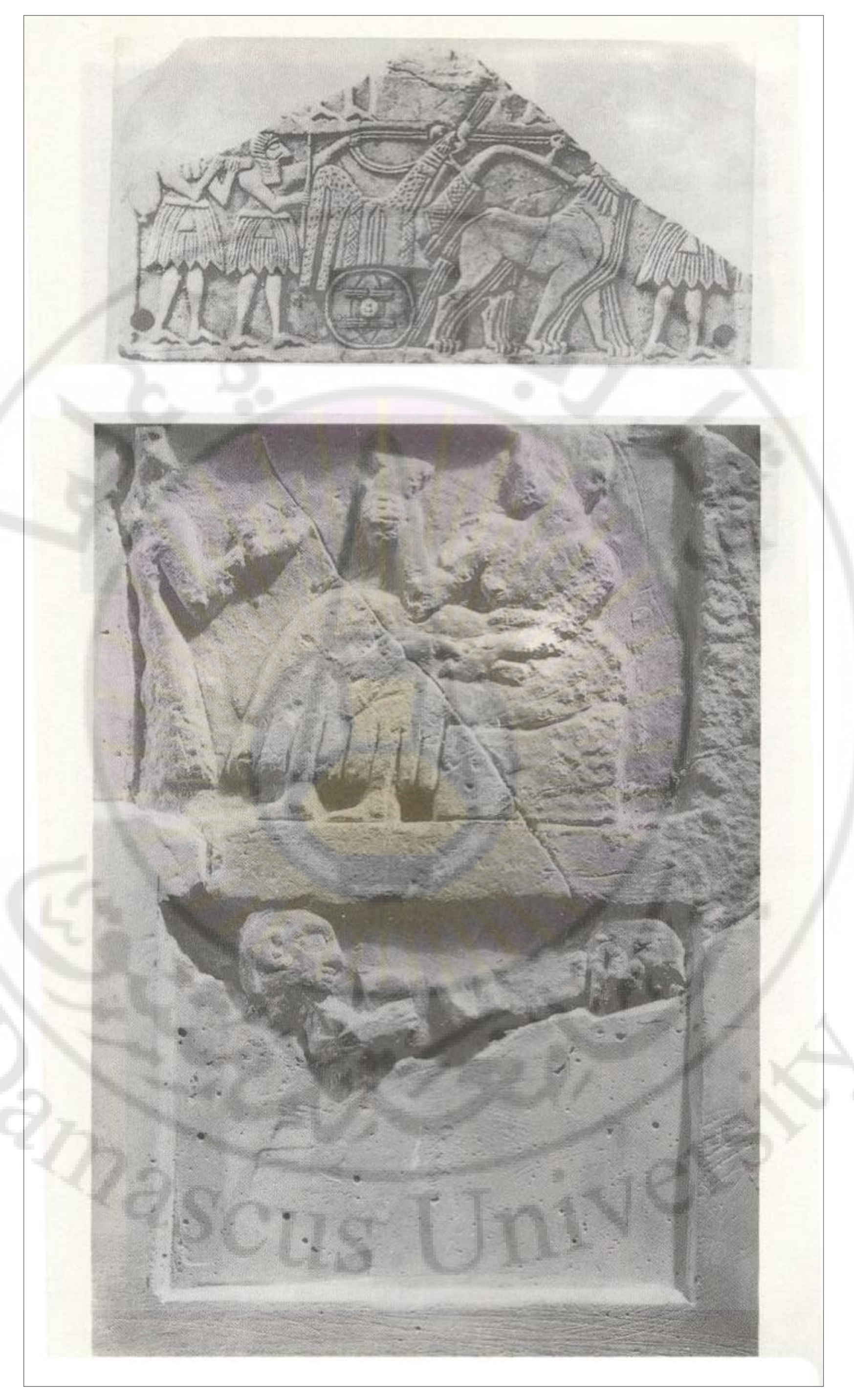
(٢٩٣) Margueron *op.cit* .p 228.

كما وجدت تماثيل كثيرة لرجال ونساء ولوجوه مركبة العناصر وتماثيل صغيرة مصنوعة للتنزيل.وهناك آنية رخامية وجدت ضمن مخزن تأسيس أحد المعابد في ماري، على شكل رأس كبش تمثل نصف رأس كبش المعروف بقرونه الملتفة على الجزء الخلفي من رأسه وترتفع أمام العين، ثم تجويف الوجه الآخر لهذه القطعة على شكل وعاء مخصص للممارسات الشعائرية، فيه ثقب في القسم العلوي يخترق القطعة بشكل كامل ربما كانت هذه القطعة معلقة.

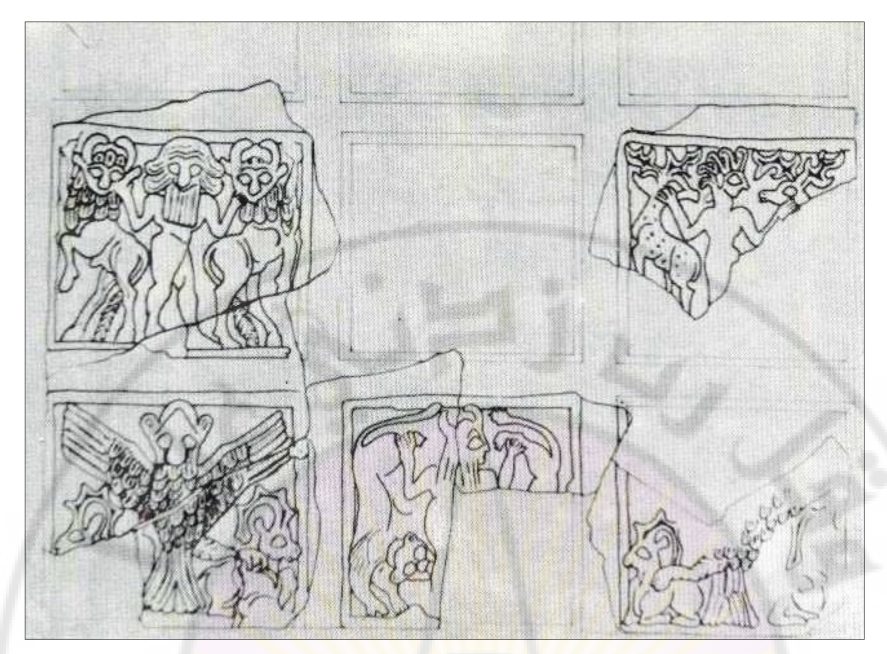
وأيضاً مجسمات لبيوت من الطين المطلية بالكلس أحدهما بيت دائري قطره ٦١,٥سم، وارتفاعه٢٨,٥سم /محفوظ في متحف دمشق الوطني/، وتألف من أربع غرف، بلا سقف تلتف حوله ساحة مركزية مربعة فيها موقد على شكل حدوة الحصان، وفي زواياها مصاطب. وتتصل كل غرفة من الغرف الأربع بغرفة جانبية صغيرة تابعة، إحدى الغرف الجانبية مسقوفة وفي سقفها ثقب. وأكدت الاكتشافات من بلاد الرافدين أن لهذه البيوت مثيلاً واقعياً في بيوت السكن، ويعتقد بأن مثل هذه البيوت كان يوضع في المعابد تأدية لطقوس معينة.

كما عثر في ماري على كسر من لوحات نذرية، منها كسرة عثر عليها في معبد الربة عشتار في الزاوية اليمنى العليا للوحة النذرية من الحجر الكلسي، نقش فيها مجلس الشراب، بقي منه مشهد المرأة الجالسة، وبيدها اليمنى الكأس، وباليسرى غصن نبات، وأمامها الخادم وتحتها في الحقل الثاني رأسا خادمين (الشكل ١٠) وعثر في قصر ماري على كسرة، من الحجر الجيري، حصرت المشاهد في تسعة مربعات، وزعت على ثلاثة حقول متدرجة تفصل بينها أثلام، ويحيط بالمربعات حرف نافر (الشكل ١١) يبدو أن الفنان لجأ إلى هذه الطريقة، لأن المشاهد لاتشكل موضوعاً واحداً، المشهد الأول شخص.

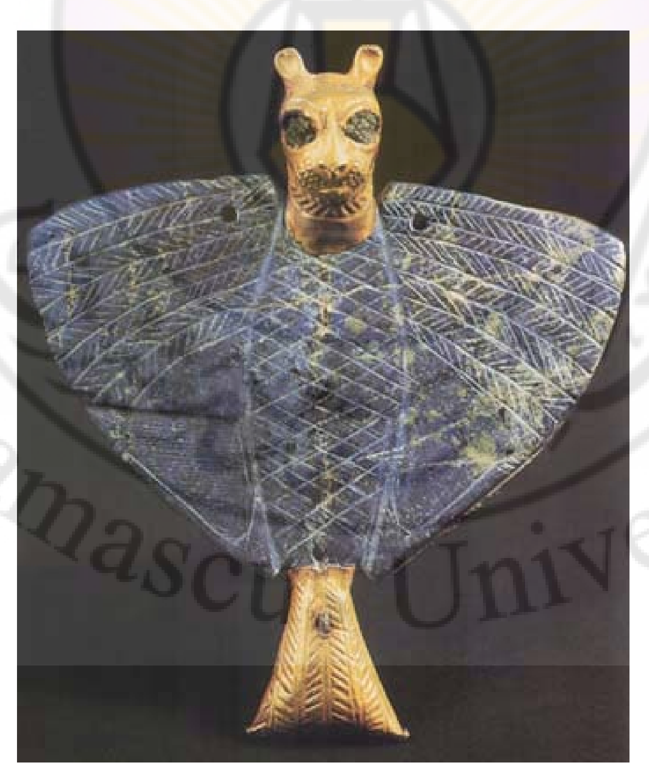
ولابد من الإشارة إلى **كنز أور** الذي عثر عليه في قصر الألف الثالث ويُعد من أهم اللقى الأثرية في ماري. فقد وجدت جرة سليمة فيها مجموعة أثرية قيمة سُميت كنز أور. احتوت هذه الجرة على خرزة من اللازورد، نقشت عليها كتابة مسمارية أيضاً تُعد من أهم الكتابات التاريخية في سورية من الألف الثالث ق.م . كما وجد نسر برأس أسد (الشكل ١٢) ١٢,٨×١١,٩×١,٠سم، صمم بشكل أمامي الرأس والذيل من الذهب والعيون منزلة وبقية الجسم من اللازورد المحزز على شكل معينات وعليه ثقوب كان يثبت بها النسر بخيط. وأيضاً وجد في هذه الجرة تمثال برونزي لامرأة، إلهة (الشكل ١٣) تقف عارية قياساتها١١,٣×٣,٢×٠,٣ عريضة الأرداف، خصرها نحيل وساقاها رفيعتان، ذراعاها يمتدان إلى الأمام، وربما كانت تحمل بيدها شيئاً ما، وقد طلي جسمها بطبقة من الالكتروم (خليط من الفضة والذهب)، على رأسها قرون الألوهية وشعرها من الفضة مثبت بالقار، ملامحها



الشكل ١٠



الشكل ١١

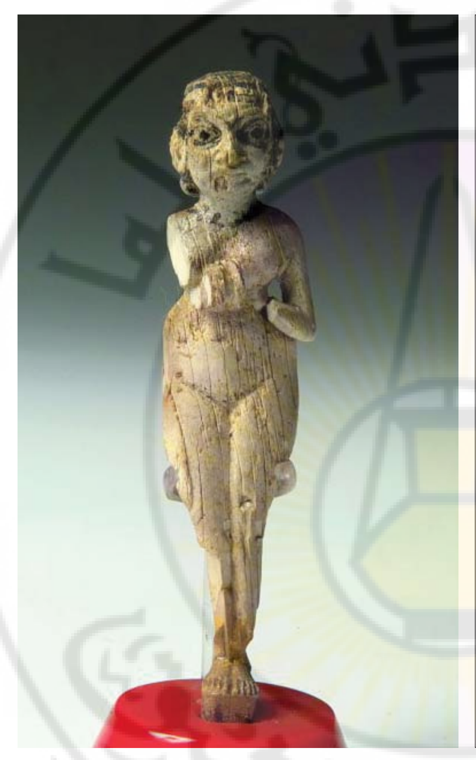


الشكل ١٢

بسيطة عيونها تلبس أقراطاً تدل عليها آذانها المثقبة، وقد صور مثلثها الأنثوي على شكل شقين منزلين بالذهب– وهذا النوع من التماثيل سوري الأصل. أيضاً وجد في الجرة تمثال آخر من العاج لامرأة واسعة جداً منزلة بالصدف والبؤبؤ من حجر اللازورد، سرتها وحلماتها منزلة بالذهب، كانت عارية واقفة قياساتها ٨,٤×٢سم، ترفع نهديها بيديها، معالم وجهها دقيقة وشعرها معصوب من الخلف وتعكس فناً سورياً محلياً (الشكل ١٤).



الشكل ١٣



الشكل ١٤

ب– التماثيل في إبلا :

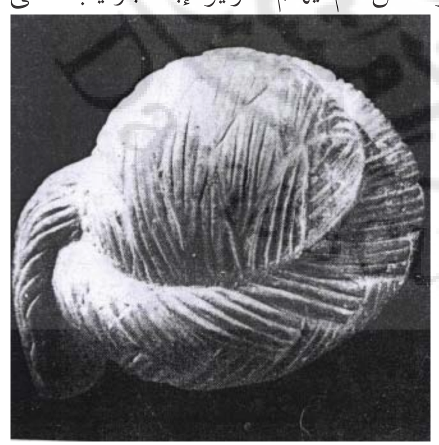
اكتشف العديد من التماثيل التي لم تكن كلها من الحجر، كما كان مألوفاً في ذلك العصر، بل عثر على أجزاء مركبة من عدة مواد منها الحجر، الخشب، الصدف، والذهب والمعادن الثمينة الأخرى، وغالباً كان جسم التمثال يصنع من الخشب المغطى بأوراق ذهبية ورأسه من الحجر وعيناه وحاجباه منزلة وخير مثال على ذلك، دمية على شكل ثور مضطجع رأسه رأس إنسان (الشكل ١٥) وجدت في الجناح الإداري في القاعة الكبيرة، بارتفاع ٤,٢سم، الطول ٥سم، والعمق ١,٨سم،صنعت من الذهب والسيتياتيت والخشب، على يمين الباب



الشكل ١٥

الرئيسي، وكذلك أعضاؤه متناثرة فيها، ثم جُمعت ورُمت. الهيكل الذي يجمع الأعضاء من مادة تالفة سريعة العطب كالخشب لم يعثر عليه. يغطي ورق الذهب نواة خشبية محفورة وهي تصوغ جسم الثور البري الصغير ذي الرأس البشري، باتجاه الناظر بزاوية ٩٠ درجة مئوية بالنسبة إلى محور الجسم، وهذه طريقة استخدمت لتمثيل الحيوانات منذ فترة فجر التاريخ. صنع الشعر من حجر السيتياتيت، وهو مفروق ويتألف من عدة طبقات من الخصلات تشبه الصوف، يتدلى ممتداً طويلاً على الرأس ومقدم الجسم، وقصيراً على مؤخرته. وكانت العيون فيما مضى مطعمة أو محشوة بمواد ملونة، وهو ذو قرون قصيرة معوجة نحو الأعلى، وكان بالأصل منتشراً بشكل واسع في أوربا وشمالي أفريقيا وآسيا.

كما أنتج فنانو إبلا التماثيل البشرية والنسائية والرجالية والحيوانية الصغيرة والكبيرة. ومن المنحوتات الهامة كانت الأقنعة، التي تألفت أحياناً من أكثر من قطعة ثبتت مع بعضها ونحتت عليها جدائل الشعر على شكل قبعة من الفرو، تشبه العمامة، ويعتقد أن هذه النماذج تشكل قبعات ملكية، وضعت في أثناء المراسم والاحتفالات . كما صنعت رؤوس حجرية صغيرة ثبتت عليها القبعات من خلال شقوق نحو الجبهة وأمام الأذنين، وكان لهذه الرؤوس عيون وحواجب كبيرة منزلة. كما وجدت أجزاء من تماثيل حجرية بينها رداء من حجر الألباتر، زخرفت على صفين بشكل مشابه للكوناكس. لم يهتم حرفيو إبلا بتركيب دمى من مواد مختلفة، بل ركبوا تماثيل أيضاً. فقد عثر على أجزاء منها عصاب رأس من الحجرالكلسي، مضفور ومربوط في الأعلى. ويستدل من حجم هذا العصاب أنه كان من تمثال كبير مركب من عدة مواد (الشكل ١٦) وتعرض قطعة خشبية طولها ٧٥سم، تعطي فكرة عن لباس أهل إبلا، وهي تمثل رجلاً مهماً، يرتدي على رأسه عصاباً، لحيته طويلة ذات ضفائر شبيهة بإغداق الثوب الصوفي الطويل الذي يلبسه، ويتشح فوقه بوشاح



الشكل ١٦

من نفس القماش، وله نفس الزخارف. ويمكن الاستنتاج أن قطعة إبلا الخشبية التي تعود إلى ٢٦٠٠- ٢٤٠٠ ق.م، يمكن مقارنتها مع منحوتات مدينة ماري التي تعود إلى هذا العصر، وتشبه تمثال الملك ليم-جي- ماري الذي حكم عند منتصف الألف الثالث ق.م.

واستمر في هذا العصر تمثيل الدمى الطينية التي ازدهرت في العصور السابقة، فقد وجدت دميتان طينيتان في تل براك، تمثلان رأس حصان ولجامان مكوّنان من عدة أجزاء من المحتمل أنهما إحدى أقدم التصويرات المعروفة في سورية من تجهيزات الحصان والتي تثّبت على رأس الأحصنة وهي مخصصة لتوجيه الجياد بشكل أفضل.(الشكل ١٧) وفي ساحة الاحتفالات عثر على تمثال لثور جاثم له رأس إنسان، وقد بينت الرقم المسمارية أن هذا التمثال كان رمزاً تعبيرياً للمتعبد في ساحة الإله /شمش/ الذي خصص له هذا المعبد.



الشكل ١٧

وعثر أيضاً في تل خويرة على نسرين مصنوعين من النحاس، كل نسر باسط جناحيه وكأنه يحاول الهبوط أو يحاول أن يحط على مكان، طول الجناحين مع الجسم ١,٢٠سم، في الكبير و٨٠ ملم في الصغير بسماكة ٢-٣سم. كما عثر في الردميات على كسر، شكلت خمسة تماثيل بعد ترميمها : تمثالين تامين، وثالث دون أقدام، ورابع دون أطراف سفلية، وخامس بلا جذع. هذه التماثيل لم تكن بأطوال متساوية، أطولها كان بطول ٢٧سم، وأقصرها بطول ١٧سم، نحتت من الحجر الكلسي الزجاجي أو الشمعي، تتمتع بمزايا يغلب عليها الطابع المحلي، تمثل عباداً ورعين، عيونهم مصنوعة من نقش الحجر وليست منزلة من مادة أخرى. وهذه التماثيل ليست متشابهة، بل تختلف عن بعضها بملامح معينة ككبر الأنف واستدارة العيون[٢٩٤].

ثالثاً- التماثيل في عصر البرونز الوسيط :

يمثل هذه المرحلة بشكل أساسي مملكتين أدتا دوراً مهماً في هذا العصر، وربما كانتا امتداداً لحضارة الألف الثالث ق.م ، وهما مملكة ماري وإبلا.

(٢٩٤) A.Moortgot.Die.KunsMesopotamiensumerund Akkad, 1982, p. 73.

التماثيل في ماري :

عثر في سويات الألف الثاني ق.م، في ماري على تماثيل جميلة ويُعد تمثال كابان–نسبة إلى اسم الضابط الفرنسي الذي نقل التمثال إلى فرنسا– قطعة فريدة من نوعها رغم التشوه الذي أصابه وأودى برأسه. نقش على التمثال كتابة باسم يسمخ أدد ابن شمسي أدد، الذي يقدم هذا التمثال قرباناً للرب شمش. نحتت الصورة على شكل رجل نصفه الأعلى عارٍ تتدلى على صدره لحية شعرها معقوف في نهاياته ويضم يديه إلى صدره ويلف وسطه بحزام عريض، ثوبه مزخرف على شكل حراشف السمك المتدرجة.



الشكل ١٨

ومن هذا العصر أتى تمثال **ربة الينبوع** (االشكل ١٨) الذي يبلغ ارتفاعه ١,٤٢م وقد وجد جسم التمثال في الحجرة ٦٤ من المعبد الملحق بالقصر (قصر الملك زمري ليم)، بينما وجد الرأس في الحوض المشيد بالباحة ١٠٦. نحتت هذه القطعة الأثرية الفريدة من نوعها بالحجم الطبيعي من الحجر الكلسي الأبيض، وتمثل امرأة يدل على ألوهيتها القرنان اللذان يتوجان رأسها وهي ترتدي ثوباً مهدباً، يصعب التعرف على تفاصيله ويظهر وكأنه رداء داخلي كان يغطى بثوب خارجي تحت صدرية ذات شراشيب، وتشاهد على الثوب سمكات صاعدة وهابطة تسبح في مياه تفيض من إناء تمسكه الربة بكلتا يديها، لذلك سمي التمثال ربة الينبوع، تزينت بالحلي فكان معصمها وعنقها وآذانها مزيناً بالأساور والأطواق والأقراط، وتتدلى على كتفيها ضفيرتا شعر كثيف، عيونها منزلة وفمها وأنفها جميل وقد صمم وجهها برقة وعذوبة نادرة في تاريخ الفن القديم، داخل التمثال قناة كان يمر الماء خلالها في أثناء الاحتفالات، قادماً من خزان مرتفع، رمزاً لقدرة الآلهة على جلب الخير والعطاء[٢٩٥] وتدل ميزات هذا التمثال بأنه فن سوري محلي.

---

(٢٩٥) Margueron, J.-C. *Op. Cit.* p. 17

وهناك جزء من جسم **تمثال صغير** (الشكل ١٩) داخل علبة تأسيس من الحجر البني مائل إلى الحمرة يشبه الإردواز، بارتفاع ١٩سم، وعرض ٩,٥سم،وعمق ٧سم، كتب على هذا التمثال،لاسغان بن اسماتين، نذر تمثاله لأونيتو، هذه الكلمات نقشت على طرف ثوب التمثال، (وأنونيتو هي إحدى تجليات عشتار المحاربة منذ عصور أقدم). يشبه الرداء الملفوف على جسم المضحي، ثوبي تمثالين آخرين نذر الأول بوزورا عشتار وهو شاكاناكو مدينة ماري، ونذر الثاني أخ له. وقد كان هذان التمثالان مع عدد آخر من الغنائم وضعت في المتحف المشيد في العصر البابلي المتأخر في مدينة بابل. ولهما نفس اللحية الحادة الطرف والمنتهية بخصلات مجعدة معقوصة كتلك التي يتصف بها لاسغان. وربما يكون الشخص الذي نذر التمثال مع تمثال الحاكم إيشتوبايلوم، يتبين أنه يجب إرجاع تاريخه إلى المرحلة المتأخرة، وهذا التمثال المشغول بعناية ودقة لم يكتمل دون معرفة الأسباب، وقد كان موضوعاً وهو بحالته هذه داخل علبة التأسيس المحاطة بالآجر تحت أرضية مدخل معبد القصر، ولم يكن فيها غيره مع رماد وقطع من الآجر[٢٩٦].



الشكل ١٩

ومن هذا العصر اكتشف قسم علوي لتمثال شخص في أحد المعابد بارتفاع ٢٣سم، وعرض ١٦سم، وهو الآن في متحف حلب، يحمل هذا الرجل حيواناً للتضحية، أمام صدره، وقد وضع إحدى قائمتيه الأماميتين على ساعده الأيسر، وهو في هذه الوضعية يتبع تماماً طريقة العرض التمثيلي للحيوانات في عصر السلالات الملكية الأولى. ويرتدي مقدم الأضحية معطفاً من قماش مهدب على شكل ألسنة النار، ويلبس قبعة عريضة ذات أهداب مسبلة وطيات سميكة بشيء من الانتفاخ، وهو يضع على رأسه طاقية تربطها عصبة تبدو نهايتها عند الأذن اليمنى. تشكيل الوجه جاء متناسقاً تناسقاً عضوياً أكبر، وشكل الأذنين جاء أشد التصاقاً بالنزعة الطبيعية الواقعية، وربما يعود هذا التمثال إلى بداية الألف الثاني ق.م.

(٢٩٦) الآثار السورية ،مجموعة أبحاث أثرية تاريخية.

كما صنعت في ماري التماثيل البرونزية وجسدت آلهة أو بشراً بينها الأسود البرونزية التي كانت تربض على أبواب معبد دجن (معبد الأسود)، إذ صورت هذه الأسود وهي تقف منتصبة القامة فاغرة الفاه جاحظة العينين تثير في أعماق الداخل إلى المعبد أشد الرهبة والخشوع. (الشكل ٢٠) صور هذا الحيوان المفترس وهو متوثب فاغر فاهه، يكاد أن يقفز على فريسة حاولت دخول الحرم دون حق .



الشكل ٢٠

التماثيل في إبلا :

ازدهر فن النحت في إبلا خلال النصف الأول من هذا العصر ٢٠٠٠-١٨٠٠ق.م، ثم تدنى في النصف الثاني ١٨٠٠-١٦٠٠ق.م، عندما اضمحلت مكانة إبلا السياسية. لم يكتشف التمثالان الوحيدان في إبلا في مكانهما، بل عثر عليهما بين ردميات مبانٍ متهدمة تعود إلى عصور مختلفة. يعود التمثال الأول إلى ملك إبلا ،أبيت- ليم، وهو من البازلت المشوه لم يبقَ منه سوى الجذع، الذي تبرز فوقه كتلة أسطوانية تزينها خطوط متكسرة تمثل الذقن وبعض خصل شعر الرأس، ويحيط بالذقن خطان بارزان يمثلان قبة الثوب، وقد نقش على الجذع نص مؤلف من عدة أسطر يفيد بأن أبيت-ليم، قد نذر تمثاله للربة عشتار.

أما التمثال الثاني، فيمثل رجلاً جالساً، وقد يكون من أعيان إبلا، فقد من التمثال رأسه ويداه وبدا مشوهاً، نحت من حجر البازلت. يبدو من الكتلة الحجرية المشوهة والملتصقة بالصورة شعر لحيته مضفوراً، وفيه على الأقل عشر ضفائر تتدرج في الطول من الوسط نحو الجانب، يريح ذراعيه فوق فخذيه، ويمسك بكفه الأيمن على وعاء يرتدي مئزراً وعباءة مخططة

يلفها فوق جسمه فيبقى كتفه الأيمن عارٍ، يسند قدميه على مسند الكرسي الذي يجلس عليه، والذي ليس له مسند خلفي، أو مراكٍ جانبية، ولو أن لحيته وذقنه تامين، لكانتا بالتأكيد مشابهتين للحية وذقن بوزورعشتار أحد ملوك ماري. هذا التمثال من نتاج مدرسة فنية مؤثرة ومتأثرة بأساليب النحت الكنعاني في بلاد الشام.

وكشفت التنقيبات في إبلا، أحواضاً نذرية، تنم عن قدرة الفنان على تقديم نماذج جيدة من النحت النافر في بلاد الشام، عثر على ثلاثة منها في معابد المدينة. أحد هذه الأحواض، نحت على جانبه مشاهد تتعلق بطقوس العبادة والخصب، على الوجه الرئيسي للحوض مشهد في حقلين، في الحقل الأعلى مثلت وليمة حيث يجلس رجل وامرأة بجوار مائدة بيد كل منهما كأس شراب ويقف خلفهما الجنود والخدم، وفي الحقل الأسفل حيوانات أليفة تهاجمها أسود ويدافع عنها الراعي، البطل، على الجانب الضيق الأيسر للحوض نقشت موضوعات أسطورية في حقلين أيضاً، في الأعلى حيوان أسطوري، التنين، تغطي جسمه الحراشف يملك من الأمام قوائم الأسد وفي الخلف مخالب طير جارح وله وجه أسد، عليه قرون وتخرج من فمه المياه، وذيل أفعى، وخلف التنين بطل عارٍ بذيل ثور يمسك بيده اليسرى ذيله وباليمنى سمكة، وخلف هذا البطل جنديان يحملان مقلاعين، وفي الحقل الأدنى يظهر البطل أيضاً يدافع عن ثور أليف في وجه أسد كاسر. على الجانب الضيق، الأيمن، لهذا الحوض نحت أيضاً بطل برأس أسد يمسك بأسدين آخرين يقفان إلى جانبه.

وعثرفي المعبد على حوض آخر نحتت على وجهه أزواج من الرجال المتماسكين بعضهم مع بعض أو الممسكين بسارية بجانب رجل ثالث، يحمل حيواناً أليفاً. وعلى جانبي الحوض ربات بوجوه أمامية معبرة يرتدين الأثواب المغدقة والأطواق ويعصبن شعرهن بعصاب على شكل قرون الألوهية[٢٩٧] (االشكل ٢١).

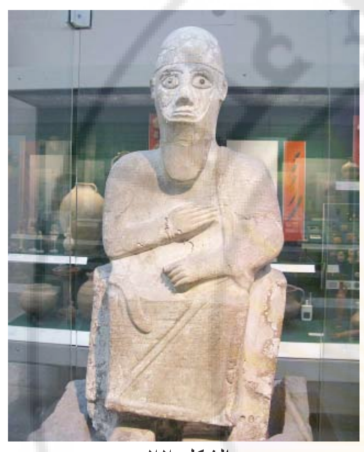


الشكل ٢١

(٢٩٧) طوير,قاسم، ١٩٨٢,إيبلا, دمشق, ص ٤٥.

رابعاً– التماثيل في عصرالبرونز الحديث :

أصيب فن النحت في هذا العصر بالفتور والتراجع، التماثيل في هذه المرحلة قليلة، إذا ماقورنت بتلك المجموعة من التماثيل في النصف الأول من الألف الثاني ق.م، وغير معروف فيما إذا كان الكنعانيون قد عرفوا في هذه الفترة نحت التماثيل لملوكهم، أو أن منحوتاتهم لاتزال تحت أنقاض مدنهم، التي لم ينقب بها حتى الآن، فلا نجد تماثيل للملوك سوى تمثال الملك أدريمي في ألالاخ (الشكل٢٢)



الشكل ٢٢

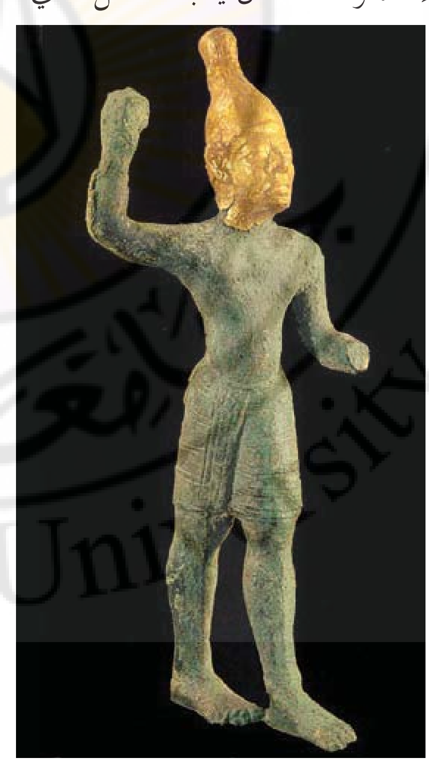
اكتشف في مملكة **ألالاخ** (تل عطشانة)، في أحد المعابد الذي يعود إلى الطبقة الثالثة المؤرخة في القرن الرابع عشر ق.م، تمثال للملك أدريمي، الذي حكم في القرن الخامس عشر. يبلغ ارتفاع التمثال متراً واحداً، وقد مثل الملك أدريمي وهو جالس على كرسي العرش يضع اليد اليمنى على صدره، واليسرى على حضنه، يتوج رأسه تاج يشبه الخوذة يغطي الرأس حتى لا يظهر شيء من شعره، ويشده إلى رأسه عصاب. أما لحيته فقد كانت قصيرة ناعمة تبرز قليلاً فوق الوجه. ورغم صعوبة التعرف على نوع ملابسه، فمن المرجح أنه كان يرتدي ثوباً طويلا فوقه جبة، ثم يلتف ببردية أهدابها سميكة وتظهر البردية لأول مرة في هذا العصر. تتألف العينان والحاجبان من حجر أسود منزل في الحجر الأبيض، الذي صنع منه التمثال.وقد نقش على هذا التمثال كتابة تعد مرجعاً مهماً لتلك الفترة وهي: أنا أدريمي ابن ايلي– ايلوما، خادم تيشوب، هيبات وشاوشكا، سيدة ألالاخ، سيدتي» بعد هذه العبارة يروي أدريمي من خلال النقش على تمثاله قصة حياته كاملة[٢٩٨].

أوجاريت :

اشتهرت أوجاريت بصنع التماثيل البرونزية، وقد وجد فيها العديد من الآثار المعدنية التي تدل على أن هذه الصناعة حظيت باهتمام خاص. وصنعت تماثيل الآلهة من معدن البرونز المطلي بالذهب أحياناً، ولها شقوق لإملائها بالمعادن الثمينة وجرى سكب سواعدها ورؤوسها بشكل منفصل وكانت أحجامها صغيرة وفي معظمها ترتدي العباءة السورية والتاج المصري. أهم هذه الآثار تماثيل الإله أيل، كبير الآلهة وأبو السنين، بلحيته المتدلية ووقاره الواضح لكبر

(٢٩٨) D. Colbh, Ancient Near Eastern art , London, He British Musum press 1995.

سنه، وتماثيل أخرى للإله بعل (**الشكل ٢٣**) رب العواصف والبرق والمطر الذي يجلب الخير وقد ظهر شاباً قويا مستعدا وقوياً ومسلحاً. بينما مثلت عشتار عارية تعتلي أسداً، يرمز لها، وبقربها النجمة أو الشمس. وهناك تمثال صغير للإله أيل (**الشكل ٢٤**) مغشى بطبقة من الذهب، جالساً على عرشه يضع على رأسه تاجاً وفوق الأذنين ثقبان لتثبيت قرون الألوهية، يرتدي العباءة السورية الطويلة وينتعل حذاءً له رباط عريض مزدوج ومقدمته طويلة ترتفع إلى الأمام على الطريقة المصرية. عيناه متطاولتان وضيقتان وكانت منزلة بمواد غير موجودة فقدت، يده اليمنى مرفوعة تقبض على سلاح ما، وهو يشبه تمثالاً آخر وجد في تل المشرفة (مملكة قطنة)، وهناك تمثال من البرونز لإلهة واقفة بطول ٢٥,٨سم، ترتدي العباءة السورية الطويلة ذات الأهداب التي تغطي ذراعها الأيسر كلياً وترتدي ثوباً تحت العباءة طويلاً يشده زنار وترفع يده اليمنى مباركة ويعتقد بأن هذا التمثال يعود للربة أثيرات زوجة الإله أيل، وهناك تمثال آخر بطول ١٢,٢سم، من البرونز أيضاً للرب بعل رأسه وتاجه مطليان بالذهب يرتدي مئزراً قصيراً، حتى فوق الركبة، مزخرفاً بحزوز أفقية وعمودية، يقف بوضعية الاستعداد حافي القدمين رجله اليسرى تتقدم على اليمنى وكان يرفع بيده اليمنى سلاحاً، ربما كان يقبض على شيء ما، وهذا التمثال يشبه الشكل الذي نقش على نصب بعل.


الشكل ٢٣



الشكل ٢٤

واشتهرت أوجاريت بالنصب الحجرية، وجرى تقليد بإقامة النصب الدينية التي وضعت في المعابد (الشكل ٢٥)، ومن الآثار الهامة التي كشف عنها، النصب العائد للرب بعل الموجود حالياً في متحف ٢ اللوفر، نحت هذا النصب على لوح من الحجر الكلسي، ارتفاعه١,٤٢م، له قاعدة مستقيمة ورأس قوس، نحت الإله بعل رب العواصف والبرق، وهو واقف يرتدي خوذة ذات رأس مدبب يخرج منها قرنان إلى الأمام. وتتدلى من تحتها ضفيرتان معقوفتان من الشعر وله لحية مخروطية طويلة، يرفع بيده اليمنى دبوساً ويمسك باليسرى رمحاً له شكل شجرة ترمز إلى البرق، يرتدي مئزراً محززاً بخطوط أفقية يشده إلى خصره بحزام عريض يعلق فيه سيفاً. ويقف هذا الإله على جبل تسيل بقربه الأنهار وأمامه يقف شخص آخر صغير الجسم قد يكون أحد ملوك أو كهنة أوجاريت. ورغم أن هذا النصب حافظ في شكله العام على طابعه السوري الخاص،فهو يدل على اجتماع التأثيرات السورية والمصرية.



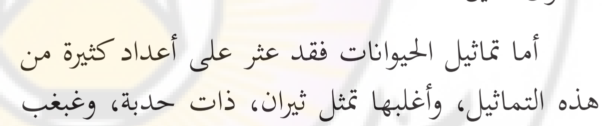
الشكل ٢٥

وفي متحف حلب نصب آخر من الحجر بقياس٢٢×١٤ نحت ضمن إطار بارز مشهد لشخصين واقفين متقابلين فوق كل منهما زهرة يرتديان رداءً يلتف حول الجسم ويغطي أحد الذراعين بينهما منضدة عليها لوحتان كتابيتان ويضع كل شخص مرفقه فوق واحدة من اللوحتين وبشكل تتلاقى أياديهما كما في المصافحة. ربما تمثل هذه اللوحة مراسم القسم بين شخصين متحالفين لذلك سميت بلوحة التحالف، ويتم تبادل نصوص التحالف بينهما.

ومن الأنصاب الأخرى المكتشفة وجد نصب آخر بالقرب من المعابد في الأكروبول نحت وصور عليه مشهد عبادة الرب أيل، يجلس على كرسيه ملتحياً وعلى رأسه تاج مزين بالقرون، ويرتدي عباءة تلفه، يرفع يده اليسرى، ويمسك بيده اليمنى جسماً ما. ويقف أمام أيل ربما ملك يرتدي ثوباً طويلاً وقبعة على رأسه يحمل عصاً بيده تنتهي برأس أفعى و بإبريق في الأسفل.

فن النحت في مملكة إيمار :

تميز الفن في مملكة إيمار خلال هذا العصر بتصنيع التماثيل التي كانت معظم عيونها منزلة، وتماثيل من التراب المشوي، أغلبها محطم ونسبة كبيرة تمثل حيوانات مختلفة، والجزء الأقل تماثيل إنسانية، التماثيل الإنسانية، تصور نساء عاريات وغالباً أذرعهن مطوية إلى الصدر، وأيديهن ترفعن نهودهن (الشكل ٢٦) والرموز الجنسية: النهود والسرة، والمثلث العاني دائماً صنعت بوضوح وفي حالات أخرى، كالتماثيل إما أن تكون فيها الأذرع ممدودة على طول الجسد أو يكون أحد الذراعين ممدوداً بينما الآخر مطوياً إلى الصدر. وهناك منحوتات نافرة، تبين امرأة عارية في نصفها السفلي، ونصفها العلوي بلباس شفاف يسمح بظهور النهود يلتف من حولها خصل من الشعر بشبه الترة، ومن فوقها شال يغطي الأكتاف ويتوقف عند مستوى معين.



الشكل ٢٦

أما تماثيل الحيوانات فقد عثر على أعداد كثيرة من هذه التماثيل، وأغلبها تمثل ثيران، ذات حدبة، وغبغب تحت الحنك، وفتحات الفم والأنف مشقوفة، إضافة لتماثيل من الماشية والبغال والأسود.

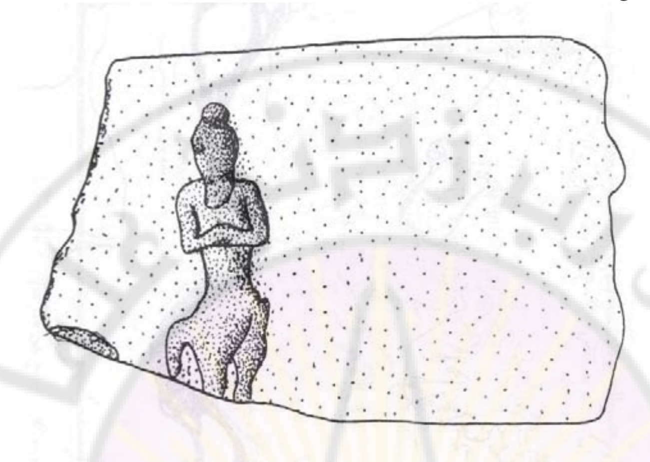
وعثر في معبد عشتارت على حوض، ربما خُصص للعبادة، نُحت على إحدى حوافه شخص جالس بوضعية الخشوع (**الشكل ٢٧**). ومن المنحوتات الفنية الهامة، جزء آنية من المرمر الجصي نقش عليها أشكال متنوعة، تمثل نساءً وطيوراً وأشكالاً هندسية، دلت على براعة الفنان في النقش والتصوير (شكل ٨)، وكانت تمثل رمزاً أساسياً للتصوير السوري الحثي[٢٩٩].

وعثر داخل معبد إله العاصفة، مجموعة من التماثيل البرونزية، دون أذرع، تماثيل إنسانية وحيوانية كالثور .

كما عثرت البعثة المنقبة على مجموعة من المجسمات المصنوعة من الطين على شكل أبراج تمثل نموذجاً فنياً ومعمارياً، أطلق عليها اسم الأبراج، مجهولة الوظيفة والغرض منها، ومنها برج عبارة عن مخروط مستطيل الشكل، قليل الامتداد طوله ٦٠ سم وعرضه ٣٦ سم وارتفاعه

(٢٩٩) D. Beyer.1982 p116.

٤٤ سم، وهو عبارة عن منزل بطابقين له نوافذ وفتحات، إضافة إلى مجموعة من الميزات المعمارية والتزيينية الخاصة بتلك الفترة، وفي مقدمتها ذاك النمط من المجسمات التي عثر على مثيلها في ماري وتل براك.



الشكل ٢٧

فن النحت الآرامي :

استفادت الدويلات الآرامية من حضارة شعوب المنطقة التي سبقوها خاصة البابليين والآشوريين وغيرهم، وتعاقب الحضارات على مختلف بلاد الشام، الرقعة الجغرافية التي انتشرت عليها الدويلات الآرامية. إلا أنهم لم يكتفوا بالاقتباس أو التقليد، بل أبدعوا وابتكروا. خاصة أنهم اقتبسوا عن غيرهم طريقة تزيين المباني باللوحات الحجرية المنقوشة والمزخرفة، فقد استعملوها وفق أسلوب خاص بهم، وحين رسموا عليها أشكالاً وصوراً منقولة عن غيرهم، جمعوها إلى مبتكراتهم وتكيفوا بها وفق تفكيرهم ونظرتهم إلى فن التصوير. فظهرت مجموعة متنوعة من المنحوتات، منها اللوحات التي تمثل فن الحفر أو النقش على الحجر، ومنها التماثيل المجسمة إلى جانب بعض المنحوتات التي هي تماثيل مجسمة، ولوحات بنفس الوقت، وتميزت المنحوتات بخروجها من داخل المعابد والقصور، خلافاً للتقاليد السابقة، وأصبحت أكثر ضخامة وبدأت تزين واجهات المعابد ومداخلها. وساد الفن الآرامي والفن الأشوري في أغلب مناطق سورية وظهرت إلى جانب التماثيل البشرية، التماثيل الحيوانية، حيث أصبحت مساندة للآلهة، وقد مثلت بشكل كبير تماثيل الأسود التي وجدت في أغلب المعابد المكتشفة. وأهم فنون النحت الآرامي:

آثار النحت النافر:

تعد اللوحات الحجرية المنحوتة أحد المجالات الأكثر تعبيراً لدى الآراميين، فقد نحت هؤلاء على ألواح كلسية أوبازلتية موضوعات مختلفة، بعضها اتصف بالدقة والجمال بعضها الآخر اتصف بالبساطة، حسب الحالة الاقتصادية والاجتماعية في كل مرحلة، حيث زينوا جدران مبانيهم من قصور ومعابد بهذه اللوحات. وأهم الأشكال التي نحتت، كانت الآلهة وموضوعات حربية أو مشاهد أسطورية ومشاهد الصيد والعراك. ففي موقع جوزن وجد أكثر من ٢٠٠ لوحة متنوعة الموضوعات، وجد على بعضها كتابات، بينها ست لوحات كبيرة كانت تزين مداخل القصر وهذه تجمع بين النحت النافر والنحت المجسم وإن أتت أكبر من الواقع، وقد نقشت عليها المشاهد حيث ظهرت مجسمة بشكل كامل واستخدمت كأعمدة لتحمل ساكف مداخل المعابد أو مجموعات تضم تماثيل رجال ونساء، وكانت هذه مشاهد مختلفة.

بينما كانت اللوحات الصغيرة تزين جدران القصور وأحياناً رتبت واحدة بازلتية تليها أخرى كلسية بحيث تباينت ألوان أحجارها دون الاهتمام بموضوعها الذي تنوع كثيراً، فنقش قرص الشمس المجنح، وحيوانات متصارعة، رماة النبال، خيالة، كائنات خرافية وغير ذلك. ونحتت الأشكال بمستويات مختلفة بعضها غير واقعي له رأس كبير وأقدام بارزة وأخرى أكثر واقعية ومهارة، مما يدل على أنها نتاج أكثر من مشغل واحد، أي أكثر من مدرسة واحدة.

كما نحت الآراميون المسلات ذات الموضوعات الدينية والحربية. وقد عثر على عدة قطع من هذا النوع مثل نصب الربة عشتار في تل أحمر والنص الذي وجد في تل عشارة (ترقة القديمة)، ورغم أن المسلة لملك آشوري، إلا أنها من صنع فنان آرامي وليست من صنع فنان آشوري. شكل المسلة غير منتظم، ربما كانت في بداية عهدهم بالنحت تمثل باكورة الأعمال النحتية للآرامية التي أنتجوها في ترقة، عند مطلع القرن التاسع ق.م نقش على أحد وجوهها حية ملتوية تمثل بلاد لاقين وعلى الوجه الآخر الرب هدد، وهو يشد بقبضته يده اليسرى على عنق الحية يرفع الفأس بيده اليمنى ملوحاً، أما على الوجه الثالث، فيشاهد هدد نيراري يقف منتصراً، حاملاً الصولجان بيمناه، والأغصان بيسراه، يرتدي الإله قلنسوة لها قرنان، ويتدلى شريط من قمتها حتى الركبة، وضفيرة من تحتها حتى الكتف تنتهي برأس معقوف حسب الطريقة الحثية.شكل الملك ليست له ملامح الملوك الآشوريين، ولا يرتدي لباسهم دون مراعاة التناسب بين أعضاء الجسم.

كما وجدت في تل برسيب وعين دارا، وشمأل لوحات تحمل المواصفات ذاتها التي وردت آنفاً حيث عثر في شمأل على العديد من اللوحات التي زينت مداخل المدينة وقصورها، بعض هذه اللوحات يعود للقرن التاسع وهي تعاصر منحوتات جوزن وتحمل أشكالاً خرافية: إنسان برأس حيوان وجناحي طير، حيوان برأس إنسان وأجنحة طير، مشاهد حرب وصيد وولائم وحيوانات. وبعضها الآخر أحدث تظهر فيه تأثيرات آشورية لمشهد ملك شمأل، برراكب، يجلس على كرسي وأمامه الكاتب والخدم والموسيقيون (الشكل ٢٨) وهناك نصب كيلاموه مع (الشكل ٢٩) أو نصبه وأمامه نص آرامي عن حياته، كما اشتهر الآراميون بنحت ما سمي –شواهد القبور– التي وجدت في عدة مواقع، شمأل، أرفاد، آفس، النيرب، وهذا موضوع جديد لم يعرف من قبلهم وهو يجسد اعتقادهم بالحياة بعد الموت. على هذه الشواهد نحتت أشكال الموتى وهم يتناولون الطعام والشراب ويحيط بهم أشخاص آخرون كلوحة الأميرة من شمأل، التي تجلس على كرسي تحمل كأساً بيد وزهرة بالأخرى وأمامها طاولة وخادم.



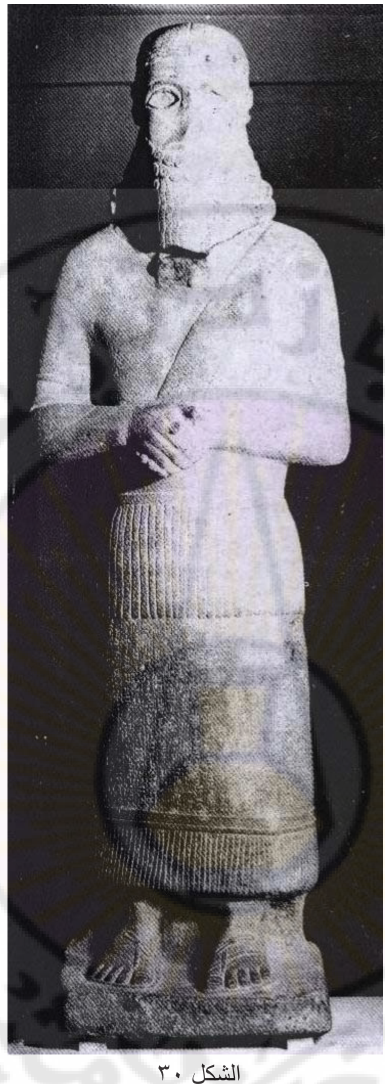
الشكل ٢٨



الشكل ٢٩

وعثر في تل الفخيرية وخلال أعمال التسوية التي جرت جنوب المدينة العليا عام ١٩٧٩ بالمصادفة على تمثال منحوت من الحجر البازلتي طوله متران يمثل الملك هدد يسعي (الشكل٣٠) الذي حكم أواخر القرن التاسع وأوائل القرن الثامن ق.م، وعليه كتابة ثنائية اللغة من الأشورية والآرامية تشير إلى أن اسم المدينة كان سيكاني وأن التمثال نصب أمام معبد إله الطقس من /جوزانا/ تل حلف وذلك في مدينة سيكاني.

ولابد من التعرض للنحت في أهم المعابد الآرامية والفينيقية وهي:



الشكل ٣٠

١– معبد جوزن :

يقع في شمالي مدينة الحسكة، عند منابع الخابور، يتميز هذا المعبد بواجهة المدخل التي تزين نسخة عنها واجهة متحف حلب. نحتت جميع التماثيل من مادة البازلت، ثلاثة منها حيوانية وهي: تمثال لأسد في اليسار وثور في الوسط ولبوة في اليمين. وتنصب فوق تلك الحيوانات ثلاثة تماثيل بشرية، وهي في الواقع ثلاثة من الآلهة اثنان مذكران ينتصبان فوق الأسد والثور، أما التمثال الأنثوي فقد انتصب فوق اللبوة وتمتاز هذه المنحوتات بطابعها الهادئ والواقعي وأسلوبها البسيط والرمزي[٣٠٠].

(٣٠٠) بهنسي ،عفيف، ١٩٨٢ تاريخ الفن والعمارة، جامعة دمشق ص ١٠٠.

٢- معبد عين دارا:

أقيم المعبد فوق مصطبة ترتفع عن الأرض المجاورة لها حوالي ١,٨٠م، وقد غشيت واجهاتها بلوحات بازلتية نقش فيها صور أبي الهول والسبع، وجعلت قواعد جداري واجهة المعبد الرئيسية والمصلى من أشكال أبي الهول والسباع الرابضة، وأحيط المصلى والقاعة التي تتقدمه برواق نصبت على جانبيه الأنصاب العالية ذات النقوش المتنوعة، ووضع بينها لوحات أقل ارتفاعاً نقشت عليها أشكال حيوانية وهندسية.

أما واجهة المعبد، فقد زينت بست لوحات: زوج من أشكال أبي الهول على جانبي الدرج، أحدهما ملتفت نحو اليمين، والآخر نحو اليسار، وخلف كل واحد زوج من السباع، يسير أبي الهول نحو الدرج، ويلتفت بوجهه يمنة ويسرة، رأسه رأس فتاة وجسمه جسم سبع له جناحان، الشعر مرفوع وطويل ومسدل إلى الخلف، يزين عنقها طوق مزدوج، ويزين القوائم خط مائل لايطابق أي عضو فيها، مفاصلها بيضوية الشكل، لاتشاكل المفصل الحقيقي، يظهر على كل قائمة مخلبان والجناح مفرود، يظلل الظهر، يفصل خط بارز الجناح عن حراشف الصدر، التي تشبه حبك الدرع. وتبرز ميزة أخرى، وهي الإيجاز الشديد في تمثيل العناصر التشريحية في الجسم، فالجسم يكاد يكون ممتلئاً باللحم، أملس، ليس فيه ثنيات وأعطاف (الشكل ٣١).

وأيضاً في الواجهة مجموعة من المنحوتات لسباع تتشابه مع أبي الهول في الجسم، فجسم أبو الهول هو جسم سبع ويختلفان في الرأس، والشعر، والأجنحة، لكن السبع غير مجنح، والسبع يزأر، أنيابه بارزة ، لسانه طويل، ووجهه مجعد، تمتد لبدته إلى الظهر بفعل لفت الرأس إلى الجانب شعر العفرة واللبدة معقوص[٣٠١].

وهناك منحوتات في الجهات الأخرى الجانبية والجهة الخلفية، وعددها اثنتان وسبعون منحوتة ، تمثل سباعاً وأبا الهول، أغلبها مشوه بفعل الحريق الذي أتى على المعبد، ومع ذلك يمكن التعرف على الأشكال وهي لاتختلف عن الأشكال المنقوشة على واجهة لوحات المعبد الرئيسية إلا في بعض الجزيئات.

أحيط المعبد برواق، وأقيمت في الرواق أنصاب من حجر البازلت تكسو معظمها، عددها ثلاثين نصباً، جعلت متقابلة، ونقشت عليها مشاهد مختلفة منها: أشجار النخيل، وملك يجلس على العرش، ورجل يقود ثوراً أو يقف وحده، وربما استخدمت هذه الأنصاب كعمد لسقف الرواق.

(٣٠١) أبو عساف،علي، المرجع السابق، ١٩٨٨ ، ص ٤٥٩.

وعثر على عدد لابأس به من القطع داخل وخارج المعبد، ومنها منحوتة الربة عشتار، المكونة من حجر البازلت أبعادها : الأرتفاع ٩٦سم، العرض ٦٨سم، السماكة ٥٠سم، اللوحة مشوهة[٣٠٢].

أسس الفينيقيون العديد من المدن على سواحل البحر المتوسط، وحسب نتائج التنقيب والأبحاث الأثرية التي تمت في موقع عمريت التابع لمملكة أرواد، أنه يضم شواهد أثرية هامة تم التعرف عليها وهي : المعبد، الملعب المدافن الأرضية مدافن المغزل برج البزاق كلها منحوتة في الكتل الصخرية التي تشكل أغلب مساحات موقع عمريت.



الشكل ٣١

(٣٠٢) تم الأعتماد في كتابة النحت في معبد عين دارا على كتاب علي أبو عساف ، عين دارا المعبد، منشورات١٩٩١.

الفصل الثاني

٢- صناعة العاج:

تعد صناعة العاج أحد أهم خصائص حضارات بلاد الشام القديمة، سيما أن المصنوعات العاجية تم اقتناؤها من قبل الطبقة الغنية في الممالك القديمة كونها من الصناعات النفيسة واستخدمت في التماثيل وأثاث المنازل المختلفة. وكانت أوجاريت وجبيل ومجدو من أهم مراكز هذه المصنوعات. فاستخدم حرفيو أوجاريت العاج المحلي من فرس النهر والفيلة التي كانت تعيش قطعاناً في بلاد الشام وذكرت في الوثائق الكتابية العائدة للقرن الخامس عشر ق.م. بأن الملك تحوتمس الثالث كان يخرج لصيدها في حوض العاصي، فيأثناء حملاته المتكررة إلى المنطقة. وبسبب الحاجة المتزايدة لهذه المادة، فقد استوردوها من مصر وبلاد السودان، وظهرت في صناعاتهم العاجية تأثيرات الموضوعات والفنون المصرية. لكن غالباً ما تكون الآثار العاجية مخربة ومفتتة إلى حد كبير وهي بحاجة إلى جهد عالٍ لإعادة ترميمها وإعادتها إلى شكلها الأول.

مع ذلك تم جمع العديد من القطع الرائعة من القصر الملكي الكبير بعضها يمثل مشاهد من حياة القصر، وموضوعات دينية ودنيوية، فقد عثر على لوح من العاج، نقش على الوجه الأول لهذا اللوح، ستة مشاهد منفصل بعضها عن بعض، مسلح يحمل رمحاً يليه شخصان في موقف غرامي ثم مشهد لربة أوجاريت الكبرى عناة على شكل امرأة مجنحة رأسها تاج الربة حتحور المصرية وهي ترضع شخصين واقفين يرتديان تنورة قصيرة، يليه امرأة تحمل إناء وزهرة اللوتس ثم صياد يحمل وعلاً، وعلى الوجه الآخر لهذه اللوحة نقشت ستة مشاهد أخرى. متعبد، صياد ، محاربان، أمير يطعن عدوه، أمير يطعن أسداً والمشهد الأخير لآلهة عارية تمسك بيدها شجرة اللوتس وبالأخرى إشارة عنخ، الصليب رمز الحياة لدى المصريين.

كما وجد لوح عاجي مستطيل يشكل جزءاً من عرش ملوك أوجاريت نقشت على جانبيه مشاهد من الحياة اليومية، وهناك تمثال لأمير أو أميرة ربما من أفراد العائلة المالكة نزلت بعض أقسامه بالذهب والأحجار الكريمة، وقد خرب جسمه نتيجة تعرضه لأعمال العنف التي رافقت خراب المدينة (الشكل ٣٢)، وهناك التمثال الرائع لامرأة موسيقية وهي جاثية تعزف على الدف (الشكل ٣٣) بجسمها النحيل وشعرها المسبل على كتفيها تمسك بكلتا يديها الدف والطبلة، يعتقد بأنه تمثال للربة عناة التي يرد ذكرها في نصوص أوجاريت كقارعة الطبل.

الشكل ٣٢

الشكل ٣٣



الشكل ٣٤

وعثر في مينة البيضا المجاورة، على غطاء علبة عاجي جميل نقش عليه صورة سيدة جميلة، بقي النصف العلوي من جسمها عار، بينما ستر النصف الآخر مئزر واسع ذو زخارف هندسية. يبدو الغطاء وكأنه مستورد من العالم الإيجي، تطعم هذه السيدة أو الربة الحشيش أو الأعشاب لعنزتين (الشكل ٣٤).

وازدهرت هذه الصناعة في عدة مناطق كماري التي قامت بدورها باستيرادها من مناطق بعيدة، فأحضر من الخليج العربي ومن مناطق أخرى. نحتت مشاهد جميلة طعمت العيون وما بين الأطراف أو القوائم وأحيط المشهد كله بإطار من الخشب، ووجدت مئات الأجزاء من هذه اللوحات المطعمة في المعابد وأعيد ترميمها بمهارة كبيرة، منها اللوحة التي عثر عليها في معبد دجن، وهي عبارة عن إطار مستطيل ٥٣×٢٦سم، قسمت إلى ثلاثة حقول تفصل بينها أشكال هندسية هي نفس الأشكال التي تحيط بالإطار. استخدمت في رسم الأشكال قطع من الصدف والعاج الملتصقة على خلفية من حجر الشيست واللازورد والذهب، ظهر في الحقل العلوي صف من المتعبدين الرجال يتقدمون نحو شخص يقف خلف وعاء نذري مخصص للقرابين له قاعدة طويلة ويمد يده باتجاه هذا الإناء وكان بعض الكهنة يحملون أدوات صغيرة وبعضهم الآخر يمد يديه إلى صدره في وضعية المتعبد، في الحقل الأوسط ظهر صف من النساء الكاهنات من اليمين واليسار يرتدين ثوب الكوناكس التقليدي والقبعة المميزة "البولوس" إحداهن وهي التي تتقدم الصف الأيمن تحمل بيدها إناءً مشابهاً للذي ظهر في الحقل العلوي والكاهنات يتقدمن نحو جسم على شكل سرير يعتقد أنه يمثل سرير حفلات الزواج " الزواج المقدس" التي كانت تعد من أهم التقاليد الدينية، وقد فرش على السرير رداء الكوناكس. وكانت أرجله على شكل قوائم حيوان، ويتقابل فيه من اليمين واليسار شخصان يرتديان الكوناكس أيضاً ويمثلان الملك أو الملكة أوالرب أو الربة، وهما الشخصيتان الرئيسيتان في هذا الحقل الديني، وفي الحقل الأخير نزلت مشاهد من الحياة اليومية، فظهرت على الجهة اليمنى امرأة ترتدي "البولوس" وتقدم نذراً وأشياء أخرى بينها الشال المهدب وفي الزاوية اليسرى أزواج من النساء، واحدة واقفة وأخرى جالسة، على رؤوسهن أغطية غريبة وكان كل زوج من النساء يلتف حول طاولة لها ثلاثة أرجل اثنتانمنهن تغزلان الصوف وظهرت امرأة وكأنها تحضر الطبلة، وكل النسوة كن يرتدين فوق الثوب العادي شالاً مهدباً مثبتاً بدبوس معدني طويل ومعلقاً على رأسه رقية، أوتعويذة شكلها غريب. كما عثر في ماري في أثناء موسم النقيب ١٩٦٥، في الباحة ٢٦ من قصر الألف الثالث ق.م. على أحد أهم اللقى الأثرية في ماري، فقد وجدت جرة سليمة فيها تمثال من العاج لامرأة عارية واقفة (الشكل ١٤) ترفع نهديها بيديها، معالم وجهها دقيقة وشعرها معصوب من الخلف وهي أيضاً تعكس فناً سورياً محلياً، وهناك تمثال صغير جداً لامرأة عارية من العاج أيضاً.

وعثر في إبلا على عدد كبير من المرصعات العاجية المحطمة إلى أجزاء دقيقة، بتأثير حريق ترك بصماته الواضحة عليها، وقد تم الكشف عنها فوق أرضية إحدى الغرف في القصر، وتتألف هذه اللقى من مجموعة تصاوير مشغولة على شكل رقائق عاجية دقيقة لا يتعدى سمك

إحداها ٢,٥سم، وتعرض تصاوير إنسانية وحيوانية إلى جانب شعارات ورموز. واستخدم الفنان أداة عادية ذات نهاية دقيقة في حفر تفاصيل الموضوعات، وكانت الأجزاء التفصيلية تجهز وتنزل في غالب الأحيان على سطح خشبي، لتشكل في النهاية قطعة نفيسة من أثاث منزلي. وربما كان السطح الأملس يشكل القسم الخفي من سرير في وضعية عامودية، وأسلوب التثبيت هذا لم يكن ضرورياً إلى هذا الحد، في حال كان السطح المستوي المطعم بالمرصعات يشكل أحد أسطح الوجوه الأفقية لإحدى الطاولات أو حافة من حواف صندوق وكان يكفي أن تتم عملية تنزيل المرصعات دون تثبيتها بمسامير.

وعثر أيضاً على العديد من التماثيل في إبلا، صنعت من مواد مركبة من أكثر مادة كالحجر والخشب والعاج والذهب والمعادن الأخرى. وعثر أيضاً على لوحة عاجية نقش على وجهيها أيضاً مشاهد أسطورية جنائزية حيث كان على الوجه الأول شخص يحيط به مجموعة أشخاص بينهم رجل وامرأة عاريان كل منهما قردان واقفان يرفعان أيديهما إلى الأمام بحالة تعبد.

كما عثر في مجدو في فلسطين على عاجيات تؤرخ بنهاية القرن الثالث عشر ق.م. وتبين التأثير المصري بعدة أشكال الرأس بشعر مستعار، وحيوانات منها الأسود وتماثيل أبي الهول ورؤوس طيور، نقشت بشكل زخرفي جميل. وكذلك عثر على عاجيات بتأثير إيجي منها صراع الحيوانات ولعبة على شكل ترس بيضاوي مشقوق من الجوانب، إضافة إلى العاجيات ذات الطابع المحلي في صورة كلب يصرع وعلاً، في أسلوب يلتزم محاكاة الطبيعة .

أولاً - صناعة العاجيات خلال الألف الأول :

تعد هذه الصناعة من الصناعات العريقة في أماكن متعددة من بلاد الشام حيث ازدهرت منذ بداية العصور التاريخية. وتابع سكان بلاد الشام هذه الصناعة في مراكزهم الأساسية إلى جانب جيرانهم الفينيقيين في المدن الساحلية في جبيل وصيدا وصور وعكا وبدا التأثير المصري واضحاً في هذه الصناعات ولكن هذه التأثيرات المصرية لم تكن لدى الآراميين تقليداً جامداً بل ابتكاراً خلاقاً عكس روح بلاد الشام وحضارتها. وأنتجت هذه المشاغل السورية والفلسطينية خاصة القطع الرائعة ذات المضامين المدنية والدينية المنوعة. فصنعت تماثيل الآلهة والبشر والكائنات الغريبة إضافة إلى مواد الأثاث والزينة الفخمة، التي نزلت بمواد ثمينة أخرى كاللازورد والفضة والذهب. ونقش عليها أسماء صانعيها وحفرت فيها ثقوب لتثبيتها في جدران القصور. وبسبب جودة هذه المنتجات صدرت إلى البلدان المجاورة خاصة إلى بلاد أشور.

وعندما خضعت البلاد للنفوذ الأشوري، كان على حكامها دفع الضرائب لملوك الأشوريين بأشكال مختلفة بينها قطع أُثاث الفاخر والحلي وأدوات الزينة التي نقشت عليها موضوعات سورية ومصرية وأشورية والتي عليها في المواقع الأشورية والآرامية خاصة في كلخو(نمرود) ودور شاروكين(كورش أباد)، مستودعات حفظت بها تحف عاجية أتت من بلاد الشام كغنائم أو كهدية أو ضريبة.

وعثر في مدينة خداتو (أرسلان طاش) قطع أثاث كانت تزين سريراً ملكياً كتب عليه اسم حزائيل ملك دمشق الآرامي، يعتقد بأن هذا السرير كان هدية أو ضريبة، أرسلت من حاكم دمشق إلى الحاكم الأشوري في خداتو، عندما خضعت دمشق للآشوريين، نقشت على أحد القطع المتبقية من الكرسي صورة الملك واقفاً ويداه متشابكتان على صدره، يرتدي ثوباً فوقه وشاح كغيره من الملوك الأراميين. وتعاكست قدماه بحيث رمتا من الجانب. وعثر أيضاً في خداتو على قطعة تمثل رجلين يجدلان القصب بشكل يرمز إلى اتحاد مصر العليا والدنيا من خلال الربط بين الزنبق والبردي، وكان الرجلان يرتديان اللباس السوري.

وعثر على قطع أخرى جميلة منها البقرة التي ترضع عجلها بشكل مؤثر تعكس حنان الأم (الشكل ٣٥) ووجه امرأة تطل من النافذة وتجلت التأثيرات المصرية بعدة أشكال منها كائنات خرافية بجسم أسد وجناح طير أو كائن برأس كبش وتاج مصري، واللوحة المسماة (ولادة إله الشمس) ظهر فيها إلهان مجنحان، يحمل كل منهما بيده زهرة زنبق وبينهما زهرة اللوتس يجلس عليها إله الشمس الصغير، وحسب التقاليد المصرية، فإن الإله يولد كل صباح من زهرة اللوتس المتفتحة وقد ظهر التاج المصري المزدوج على رأس الإلهين في حين أن رداءهما بقي سورياً محلياً.



الشكل ٣٥

عاجيات نمرود :

كشفت أعمال التنقيب الواسعة في نمرود آلاف القطع العاجية في أبنية متعددة، مما يجعل هذه المدينة من أغنى المدن القديمة بهذا النوع من الفن الدقيق المليء بموضوعاته بشتى الرموز لجوانب من معتقدات بلاد المشرق العربي القديم وأساطيره. وتزين هذه القطع في القصور والبيوت الراقية الأثاث المصنوع من الخشب مثل العروش والأرائك والأسّرة والكراسي والمناضد والخزانات والصناديق وتجمل بها أحياناً الأبواب الخشبية وتصنع منه الصولجانات وعصي الامارة. وعلب العطور والمجوهرات وآنية الزيوت المقدسة والعطرية وأوعية المراهم الطبية ومقابض بعض الأدوات وبعض الحلي كالأساور والقلائد وتزين أيضاً بالعاج عدة الخيول وجوانب المركبات وجعب السهام. وكانت القطع العاجية محببة لنفوس الأشوريين، يدل على ذلك كثرة هذه القطع، فكانوا يسعون جاهدين للحصول عليها، ويعتزون بامتلاكها ويفخرون بتجهيز بيوتهم بأثاث مزينة بها.

وعثر في جبيل بقايا صناديق من اورد القديمة، العظم والعاج ، كما وجدت خزانة صغيرة من العاج في أحد المقابر في صيدا، كما عثر في صيدا أيضاً على قطعة عاج هي الآن ضمن مجموعة، وكانت جزءاً من تمثال امرأة طوت يدها تحت ثدييها[٣٠٣].

مصدر القطع العاجية في نمرود :

تميز الأشوريون عبر تاريخهم بمراحله الثلاث بكثرة الحروب التي خاضوها. وتكون الأساس والحاجيات المصنوعة من العاج أو المزينة به مادة من مواد الجزية المفضلة والتي كانوا يفرضونها على الأقوام المغلوبة. وكانت جزءاً مهماً من الهدايا التي كان الآراميون والفينيقيون في بلاد الشام وجنوب بلاد الأناضول يقدمونها لهم لكسب رضاهم، وقسماً آخر من هذه العاجيات كانت تصنع في نمرود ذاتها، وفق مقاسات مطلوبة وبموضوعات مفضلة لديهم. وتبين من الدراسات الموسعة للقطع العاجية الكثيرة المكتشفة ومقارنتها مع ما وجد في المواقع الآرامية والفينيقية في بلاد الشام والأناضول، أن هناك ثلاثة أساليب تختلف من حيث الفن والموضوعات والتفاصيل الزخرفية، يمكن تصنيفها في عدة أمور:

- عاجيات فينيقية وآرامية قدمت إلى البلاط الأشوري كهدايا أو أخذت غنائم من المدن المسلوبة.
- عاجيات أشورية عملت بالأسلوب الأشوري من قبل عمال جلبوا من الخارج، فينيقيين، آراميين شماليين، وربما مصريين، وفق أساليب فنون مدنهم.
- عاجيات أشورية عملت بالأسلوب الأشوري .

(٣٠٣) كونتنو الحضارة الفينيقية ص٢٤٠.

وبالتالي فإن هذه الأساليب الثلاثة يمكن إعادتها إلى المدارس المنتشرة خلال الألف الأول في بلاد المشرق العربي القديم بشكل عام وهي:

١. المدرسة الآرامية:

نشأت هذه المدرسة وبدأ العمل بها منذ نهاية الألف الثاني ق.م. واستمرت إلى نهاية القرن الثامن ق.م. وتمتاز بأن الكثير من موضوعاتها من بقايا الحضارات القديمة التي ازدهرت في أعالي سورية والأناضول، أيضاً تميزت هذه المدرسة بأن الأشكال التي مثلتها ليست طبيعية النسب، وأن الفراغات قليلة فيما بينها وتمتاز بالخشونة والألبسة مرسومة بحزوز، وأشكال من ترسبات الماضي، والقليل مصنوع بطريقة التطعيم بالأحجار الملونة، ويمكن وصف الملامح الخارجية للأشكال بأنها تمتاز بوجه مدور، والعيون والأنوف كبيرة والحنك صغير أو معدوم ، بالإضافة إلى العاجيات المكتشفة في القصر المحروق تنسب إلى هذه المدرسة.

٢. المدرسة الفينيقية:

نشأت في زمن أحدث من الفن الآرامي ونضجت في القرن الثامن ق.م. واستمرت حتى القرن السادس ق.م. ولعل السبب في استمرار هذا الفن بعد الزمن الذي اختفى فيه الفن الآرامي، هو أن المدن الفينيقية لم يصبها التهجير الذي أصاب الممالك الآرامية إضافة إلى أنه بفضل نشاط تجارة الفينيقيين مع مصر وشمالي أفريقيا. تمتاز العاجيات الفينيقية، بالصور المرسومة على هذه القطع بأن فيها رشاقة وحركة، فقد صور الوجه بمهارة والوجنتين عريضتين ومدورتين والفم بحس كامل، ثم إنها تركت حرة بتوزيع فراغات كبيرة نسبياً، والتناظر كان سائداً بصورة عامة. وقد تأثرت هذه المدرسة بصناعة العاجيات في مصر بسبب قرب الساحل الفينيقي، والعلاقات التجارية القائمة بين البلدين.

٣. المدرسة الأشورية:

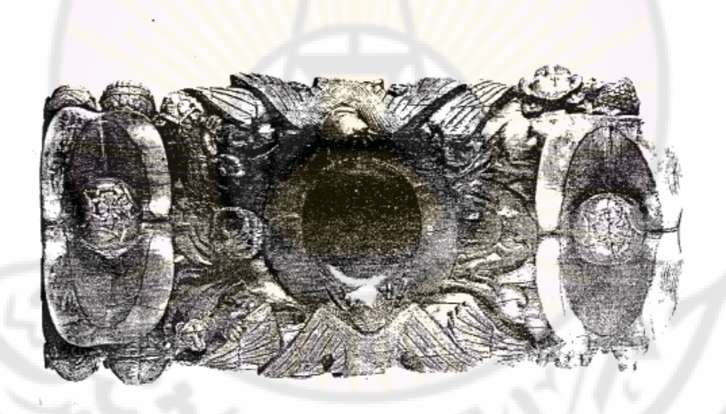
امتازت أشكالها بأنها معمولة بأسلوب مماثل لما هو على المنحوتات، والطريقة في هذه المدرسة هي استعمال التحزيز لرسم الصور، وعادة على لوحات رقيقة تستخدم كحشوات لتزيين الأثاث الخشبي، ومعظم القطع العاجية في نمرود صنعت زمن الملك آشور ناصر بال الثاني والملك شلمناصر الثالث.

ونظراً لكثرة القطع المكتشفة في مدينة نمرود، والتي تعود بأصولها الفنية إلى المدارس المذكورة، سنقوم بذكر بعض أهم هذه القطع المكتشفة في بئر القصر في المدينة والمسمى البئر AJ.

عشر على ثلاث قطع من العاج، الأولى كانت كسرة لزخرفة والثانية قدمان ورأس كامل، ظهرت جميعها في مستوى واحد في البئر وبعمق ٢٢متراً.

القطعة الأولى عبارة عن إناء طوله ٣٤سم ، وعرضه ١١,٥سم، ارتفاعه٩,٥ سم، مستطيل الشكل، في وسطه حوض صغير، بصورة تجويف مدور قطره ٥سم، ذو جوانب منقوش قليلاً (الشكل ٣٦) إلى القعر، كان وعاءً للمراهم والزيوت التي كانت تستعمل للتطيب والمعالجة، ولأغراض دينية وطقسية. وصغر هذا التجويف يدل على أنه كان ما يصب فيه يستعمل لمناسبة واحدة. وهو فريد من نوعه مزين من جميع الجوانب بأشكال حيوانات مختلفة تكاد تكون مجسمة وخاصة في الأقسام العلوية منه ، وهو خالٍ من الصور البشرية.

وجد على السطح الأعلى لهذا الإناء برعم ووردتان تقعان على نهايته. وبين كل من هذين البرعمين ظبيان يركضان. وثمة حفرتان مربعتان أخريان على جانبي الحوض، لعلها لوردتين أخريين صغيرتين.



الشكل ٣٦

على الجانبين القصيرين من هذا الإناء كبشان جالسان على قوائمهما (الشكل ٣٧) وقد رسم صفوف ثلاثة من هذه الكباش بصورة حلزونات والرابع على هيئة خصل منسقة في صفوف مستقيمة. السطح السفلي لهذا الإناء مملوء بصورة حيوانية, وكائنات خرافية بأحجام مختلفة من نسق ملحوظ طولياً وعرضياً. في الجهة اليمنى سفنكس كبير الحجم يقابله في الجهة اليسرى أسد مجنح (الشكل ٣٨) .

ويشغل الفراغين بين هذين الكائنين الخرافيين وذيل الطائر المذكور، لبوتان صغيرتا الحجم وتحت ذيل الطائر مباشرة في الوسط كبش متجه إلى الأمام. في الجانب الأيسر، لبوة



الشكل ٣٧



الشكل ٣٨

رابضة، يخرج رأسها من تحت اليد اليسرى للأسد المجنح آنف الذكر. ويد مبسوطة على جسم جمل، ورأس عجل يمتد جسمه تحت ذلك الأسد.

القسم الثاني من ظاهر الإناء (الشكل ٣٩) أسد مجنح في اليمين يقابله سفنكس في اليسار. وبينهما حيوان يظهر رأسه تحت ذيل الطائر، ومؤخرة جسمه بين رجلي السفنكس. ويحتمل أن يكون عجلاً أو حماراً وحشياً. والأسد المجنح يشاهد بين أقدامه الخلفية كبش جالس على قوائمه، وخروف ذو قرون ملتوية. وهناك زهرتان كبيرتان تزينان السطح العلوي لهذا الإناء.



الشكل ٣٩



الشكل ٤٠

القطعة الثانية في البئر، كانت عبارة عن قطعة من العاج بارتفاع ٢,٥سم (الشكل ٤٠) عليها نقش لرجلين أماميين لأسد، يبرز في أعلاها لسان للتثبيت يدخل فيه قرص رقيق محزز بيضوي الشكل من الأسفل، وهذه القطعة فيها ثقب تحت المخلبين.

تمثال لفتاة عارية، طوله ٣٤سم، وعرضه١٠سم، وارتفاعه ٢,٥سم، وارتفاع القاعدة ٣,٥سم، حافية القدمين، تحمل ثدييها بيديها، وشعر رأسها مرتب بسبع عشرة ذؤابة اثنتان منها مبرومتان تتدليان على جانبي الوجه والباقي مظفورة تتدلى على ظهرها، وخلف كتفيها مكونة نصف دائرة (الشكل ٤١) وكل ظفيرة تنتهي بخصلة ملتوية، وتلبس على رأسها تاجاً مزيناً بشريط من زهرات وبراعم اللوتس يمتد بين حاشيتين من صف من النقط والسطح الأعلى لهذا التاج غير مزين. وليس مصقولاً وفي وسطه ثقب مستطيل يدل على أن شيئاً آخر كان يقوم فوق الرأس، وتقف الفتاة على قاعدة تكاد تكون مستديرة من الأمام، تتكون من ثلاث طبقات وتتصل بهذا الأثر زبانة لتثبيته بشيء آخر، وشعر العانة ممثل بنقاط وفي بؤبؤ العين بقايا أصباغ بيضاء اللون، مما يدل على أنهما كانتا من عجينة ملونة أما الحاجبان وكذلك حدود العين ففيهما



الشكل ٤١

بقايا صبغ أسود محفورتان فقط جزء من التاج الأيسر مفقود. وكذلك قسم من الظفيرتين الأماميتين وإبهام الرجل اليمنى.

تمثال لفتاة على رأسها شعر مستعار على الطراز المصري، يتدلى على جانبي وجهها وترتدي صدرية ذات حاشيتين عليا وسفلى مطعمتين بالقطع الملونة (الشكل ٤٢). ولهذه الحشوة جانب مصقول من اليسار مما يبدو أنها صنعت بهذا الشكل دون أن يمثل الكتف، إلا أنه توجد زخرفة قليلة لعلها تمثل نقشة على الردف. وفي العينين والحاجبين بقايا عجينة سوداء متحجرة كانت لتثبيت المواد التي كانت مطعمة بها. الوجه مدور ويختلف عن الوجوه المألوفة في الأسلوب المصري. معمولة وفق الأسلوب الفينيقي، وعلى الوجه ابتسامة خفيفة.

وظهر هذا الأثر مجوف بتجويف ناب الفيل وفيه حفرتان مستطيلتان لتثبيت هذه القطعة (الشكل ٤٣).

لوحة فيها ست لوحات طولها ٤,٦سم، عرضها ٢,٨سم وطولها مع اللسانين ٦,٤سم، لونها أسمر غامق، متشابهة، في كل منها لسانان في الأعلى والأسفل لتثبيتها في قطعة أثاث من

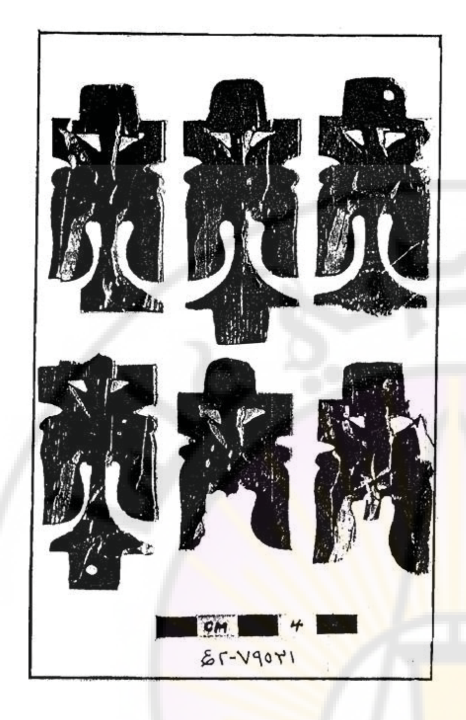


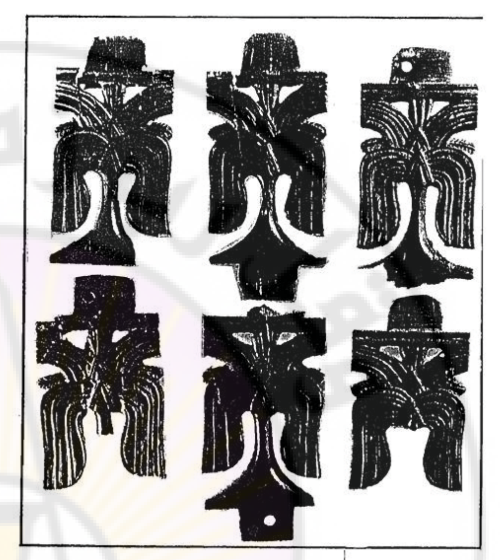
الشكل ٤٣ الشكل ٤٢

الخشب (الشكل ٤٤) واللوحة الواحدة منقوشة بطريقة التخريم بالأسلوب السامري بصورة نخلة محورة لها سعفات تتدلى إلى الأسفل مفصولة عن سعفات ممتدة إلى الجانبين.يلاحظ خلف اللوحة علامات فينيقية وآرامية دونت قبيل البدء بحفر النخلة عليها .

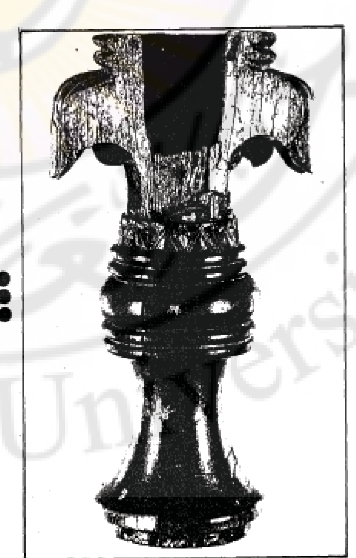
لوحة طينية طولها ٢١,٧سم وعرضها ٣,٨سم مع اللسانين ١٤,٤سم لونها فاتح، مخرمة لشجرة نخيلية مركبة من ثلاث نخلات. وهي ذات التواءات متناظرة تنعطف نهاياتها تارة إلى الأعلى وأخرى إلى الأسفل وظهرها خالٍ من النقوش إلا أن عليه علامة الحرف الآرامي/ Alaf/ وكذلك ثلاث وخزات في صف واحد وللوحة لسانان في الأعلى والأسفل لتثبيتها بقطعة الأثاث الخشبية طولها ١٢,٦سم وعرضها ٣,٨ سم طولها مع اللسانين ١٤,٤سم ولونها بني فاتح.

قطعة من العاج تمثل رجل كرسي، القسم العلوي منها بهيئة تاج نخيلي، ينتهي في الأعلى بسطح مستوي وحفرة مربعة الشكل لتثبيته بالقطعة الخشبية لرجل الكرسي. وقاعدة هذا التاج مخروطية ومستوية في الأسفل (الشكل ٤٥). لون العاج بني غامق إلا أن جزءاً منه والذي تم لصقه عند المعالجة بني فاتح، الارتفاع ١٤,٢سم، طول ضلع الحفرة المربعة ٢,٣سم.





الشكل ٤٤

الشكل ٤٥

وعثر في كلخو على قطعة جميلة من العاج، صور عليها بإتقان لبوة تفترس رجلاً أسوداً في غابة، استعمل الذهب وغيره في تطعيم هذه اللوحة فكسيت الأغصان وشعر الزنجي برقائق الذهب وطعمت الزهرات في الغابة بحجر اللازورد الأزرق والثمار بحجر كريم أحمر (الشكل ٤٦).



الشكل ٤٦

الفصل الثالث

٣- الفخار:

تعد صناعة الفخار من أهم الصناعات التي نشأت في العصر الحجري الحديث نظراً لأهميته واستعماله في الحياة اليومية وبمجالات عديدة، كما أنه أصبح دليلاً لتحديد العصور القديمة وتعاقبها. والفخار عنصر أساسي بالنسبة للآثاري إذ يحافظ على طبيعته بفعل عملية الشي الذي تكسبه مقاومة كبيرة، ويمكن بذلك الحصول على معلومات كثيرة عن المجتمعات التي أنتجته سواء من خلال التعرف على وضع التسلسل الزمني والثقافي، أم بالتعرف على المهارات والمقدرات الفنية فضلاً على تفاصيل الحياة اليومية والاقتصادية التي يكشف عنها استعمال القطع الفخارية المتنوعة. وجعل الإنسان من العجينة الطينية تاريخاً حافلاً بالأدوات والجرار والأواني الفخارية المتنوعة القيمة مادياً ومعنوياً، ومّر الفخار بمراحل وعصور متتالية. أظهرت الحضارات أهمية الفخار واستعمالاته وطريقة دخوله تقريباً في كافة مجالات الحياة اليومية.

عُرف الطين منذ ١٥٠٠٠ ق. م، واستعمل لتصنيع مواد مختلفة ومتنوعة من الأدوات والقطع وحتى الصغيرة، وكذلك العمارة التي استعمل فيها باكراً منذ (العصر الحجري الحديث المبكر)، الألف الثامن ق.م. وكان الطين يستخدم وحده كمادة مستقلة، أو كان يخلط مع القش والتبن. واستعمل الطين في تصنيع وبناء جدران البيوت والأرضيات والأسقف واللبن. إن استعمال الطين كان مرتبطاً بالترتيبات والتطورات الموجهة لأغراض دينية، ويمكن عرض استخدام الطين في عدة مجالات منها: العمارة، أثاث البيوت، المواقد، الأواني، الدمى، وبعض الأدوات التي لها علاقة بالمهن الإدارية، مثل الأختام المسطحة والأسطوانية والأوزان والمغازل[٣٠٤].

أولاً – صناعة الفخار:

انتشرت صناعة الفخار خلال فترة العصر الحجري الحديث المتأخر، وكان ظهوره الأول في المشرق الشمالي من منطقة البليخ وتحديداً في موقع تل أسود، ومن ثم انتشر جنوباً إلى فلسطين والأردن وشرقاً إلى بلاد الرافدين والأناضول. ولم تكن تلك هي الصناعة الأولى التي استخدمت العجينة الطينية للفخار بالمعنى الحقيقي، فقد سبقتها صناعة العديد من الدمى

(٣٠٤) Ric P.M, 1987, PotteryAnalysis. University of Chicago press,pp1-26.

والتماثيل والمجسمات الطينية وكانت مكونات عجينتها تجف تحت أشعة الشمس. وصنع الفخار في البداية يدوياً قبل اكتشاف الدولاب أو العجلة، حيث كان تشكيل العجينة يتم بإحدى الطرق التالية:

١. تشكيل العجينة يدوياً على شكل فتائل رفيعة، وذلك بوضع الفتائل الواحدة فوق الأخرى وتلصق بوساطة الصلصال، ومن ثم تسويتها وتنعيمها.

٢. تشكيل كتلة العجينة الطينية على شكل آنية بوساطة اليد، وذلك بأن تؤخذ الكتلة الطينية وتفرغ من الداخل بوساطة الضغط اليدوي، ثم تسوية السطح الخارجي.

٣. التصنيع بالقالب.

٤. تشكيل العجين على شكل معجن أو جسم ذي زوايا ومن ثم تقطيعه بحسب الطلب.

٥. وضع جسم قالب ضمن العجينة، وضربها من الخارج بوساطة المطرقة أو المدقة لإعطائها الشكل المطلوب، وهذه الطريقة الشبيهة بالقالب تصلح فقط لتشكيل الآنية ذات الشكل المفتوح[٣٠٥].

انتشرت الأواني الفخارية في تل أسود في حوض البليخ، حيث وجدت في الطبقات الدنيا الأواني المصقولة ذات اللون الغامق الأسود أو الأحمر البني التي سبقت ظهور الأوعية الغامقة المصقولة Dark-Faced Burnishe- ware (D.F.B.W) المعروفة في منطقة العمق والتي تؤرخ من نهاية الألف السابع وبداية الألف السادس ق.م وهذا أقدم دليل على صناعة الفخار في سورية. وأعطت منطقة العمق معلومات متكاملة حول التطور الحضاري لهذه المنطقة بالاستناد على تطور الفخار خلال عدة مراحل:

- **مرحلة العمق A**: تؤرخ إلى مطلع الألف السادس ق.م عرف فيها الفخار المصنوع باليد ذو اللون الفاتح المصقول وعلى سطحه صبغة رمادية إلى بنية وأحياناً تميل إلى الأصفر والأحمر والبني، وتعد الجرار والكؤوس من أهم الأواني المميزة لهذه المرحلة والتي عثر على فخارها أيضاً في موقع رأس الشمرة وتل الرماد والسويات الدنيا من تل أسود.

- **مرحلة العمق B**: بدأت في حوالي ٥٦٠٠ق.م وفيها تعددت أشكال الفخار المستعمل، مع تناقص النوع الغامق. الفخار فيها ذو لون واحد، بني أحمر على خلفية برتقالية، ثم انتقل في هذه المرحلة إلى مناطق جبيل، وبالتالي ظهر الفخار القاتم المصقول.

- **مرحلة العمق C**: تؤرخ بحدود نهاية الألف السادس ق.م وقد صنّع في شمال بلاد الشام

(٣٠٥) الطيار، شعلان، ٢٠٠٩ الفخار القديم والخزف ٩-١٧.

فخار جميل متعدد الألوان ومزخرف وهو شديد الصلة بفخار شمال بلاد الرافدين، وقد تداخلت فيه تأثيرات محلية مع رافديه، كما في رأس الشمرة.

- **مرحلة العمق D**: في هذه المرحلة قلت نسبة الفخار المزخرف وعاد النوع الغامق المصقول الأحمر. وازدهر الفخار في المشرق الجنوبي (فلسطين والأردن)، وظهرت في المواقع اليرموكية (القحوانة والمنهاتا وجبل الثواب)، نماذج مختلفة، لها نفس شكل الأواني البيضاء الحجرية من العصر الحجري الحديث، ويعتقد أن هذه الصناعة الفخارية أتت إلى الجنوب عن طريق مجموعات بشرية قدمت من الشمال.

وانتشر استخدام الفخار في شمال سورية في العديد من المواقع منها :

١. **تل حالولة**: ساد فيها نوع من الفخار معاصر للفخار الذي عثر عليه في العمق (A) و(B) من النوع الخشن خلال الألف السادس ق.م، زين بعضها بخطوط لامعة، دعيت بالآنية الخشنة الغليظة الملمعة (المصقولة)، أو بحزوز وطبعات أختام أو بصبغة حمراء. كما صنعت بعض الأواني الجيدة الملمعة من الصلصال المقوى بالرمل. وصنع بعض الأواني من صلصال أسود خلط بنحاتة خشنة، سميت الآنية القاتمة المدلوكة إلى جانب الآنية المصنوعة بالصلصال الأحمر.

٢. **موقع الصبي الأبيض**: عثر على كسر فخارية لأواني فخارية، جسمها غير منتظم، سميكة السطوح بعضها لامعة، وهي في الغالب قصاع ذات حواف أفقية وقدور فوهتها ضيقة، وجرار ذات أعناق ضيقة، وجرار ذات أعناق قصيرة، زخارفها داكنة، تحزم الوعاء، وكذلك صحون مضلعة، زينت سطوحها الداخلة أحياناً ببصمات أصابع. وأنتجت كميات كبيرة من الأواني، تميزت بجسمها البيضوي الخشن، صنعت بشكل سريع وبتقانة رديئة، إلى جانب إنتاج أنواع عالية الجودة، زخرفت بالخدوش والألوان الجميلة .

٣. **تل خزنة**: شكلت الأواني الفخارية القسم الأعظم من اللقى الأثرية في أثناء عمليات التنقيب في هذا التل، وعثر على كسر وأوانٍ منها صحون مخلوطة بالتبن، مجموعة من الدنان السميكة، أحواض بيضوية، وقصاع رقيقة الجانب، ملمعة مصبوغة باللون الأحمر أو الأسود.

٤. **تل قراصة في السويداء**: عثر في هذه المواقع على أوانٍ فخارية تعود لهذه الفترة وهي متشابهة مع فخار المواقع اليرموكية وفخار أريحا، وأيضاً في تل مشنقة، حيث كانت مزخرفة برسوم هندسية تقليدية، وفق مواصفات العصر، ملونة باللون البني والأحمر، وتظهر الرسوم الطبيعية في حالات نادرة[٣٠٦].

(٣٠٦) تويسنانغولف ١٩٩٦ تل مشنقة معرض الآثار الأوربي دمشق ص ٤٧-٥٤.

وفي المشرق الجنوبي (الأردن وفلسطين قدمت بعض المواقع مثل، القحوانة، المنهاتا، جبل أبو ثواب نماذج فخارية مختلفة من بينها الجرار الكبيرة لجمع الماء وحفظ السوائل. وكانت قواعد الجرار إما مقعرة، أو مسطحة، بما يتناسب مع وصفها على سطح أفقي[٣٠٧]حيث دلت التنقيبات الأثرية على وجود أوانٍ فخارية تعود إلى الألف السادس ق.م، وعثر في موقع هاغوشيروم بالقرب من بحيرة الحولة على نوع من الفخار الخشن وأنواع أخرى مماثلة لأواني تل الرماد غرب دمشق.

ثانياً – فخار العصر الحجري النحاسي :

بلغت صناعة الفخار في القسم الأول من العصر الحجري النحاسي (حلف)، درجة عالية من الإتقان، بسبب التقدم الذي تحقق خلال هذا العصر. وامتاز هذا الفخار بأنه كان من النوع الملون والمزخرف، وتعد بعض أنواعه من أجمل ما أنتجته الحضارات القديمة، وقد أطلق بعض الباحثين على هذا العصر اسم: عصر الفخار الملون Bichrome (تعني هذه التسمية الفخار الملون بلونين).

كان إنتاج الفخار في هذا العصر متشابهاً في جميع المواقع التي امتدت من شمال بلاد الرافدين وحتى سواحل البحر المتوسط غرباً مروراً بسهل العمق، بعد أن أصبح سلعة تجارية على نطاق واسع. وهذا ما استدعى إلى زيادة إنتاجه، وظهور متخصصين في صناعته، وأصبح عملهم الحرفة الرئيسية في المجتمع، إضافة إلى حرف أخرى تخصصت في صناعة وتحضير الأدوات اللازمة للنشاط الزراعي بمختلف أشكاله، وأخرى تعتمد تحضير وصناعة أدوات وأوانٍ من القصب والسلال.

عثر على الآنية الفخارية الحلفية في كثير من المواقع الأثرية بالجزيرة السورية وبلاد الشام الشمالية والغربية، وهذا يدل على الصلات الوثيقة بين هذه المناطق، وازدهار التجارة وسرعة التنقل، مما مكنهم من تقليد الفخار الحلفي وتبادل الخبرات. وصلت صناعة الفخار في الفترة الحلفية إلى درجة راقية، فقد صنعت الآنية الفخارية يدوياً، دون الاستعانة بقرص دوار، وكانت من طين ممتاز ومقاوم للنار، وجدران الآنية مستديرة ذات أعناق واسعة ومنفتحة نحو الخارج، وتشمل أنواعها الكؤوس والأطباق والصحون والأكواب المزينة والمزخرفة بأشكال هندسية (مثلثات، مربعات، دوائر صغيرة، خطوط مشابهة لبعض القطع الحجرية الصغيرة).

صنّع الحلفيون السورين فخارهم الخاص، ولكنه شديد الشبه بالفخار في شمال بلاد

(٣٠٧) Ry S.1981.Pottery technologyprinciples and reconstruction. Manuals on Archaeology 4.Washington D.C.P.32.

الرافدين من حيث المراحل التطورية التي مرت بها صناعة الفخار في هذا العصر وذلك بتتبع ثلاث مراحل تطورية للحلفيين منذ ظهورهم وحتى اختفائهم وهي:

أ- حلف الباكر:

صنعت الأواني الفخارية، باليد، نوعيتها متوسطة وزخارفها محدودة اقتصرت على الأشكال الهندسية كالخطوط العمودية المتوازية أو الخطوط المتموجة والدوائر وطيور وأسماك وثعابين وحيوانات أخرى إضافة إلى الأشكال الإنسانية. ولونت هذه الزخارف بالأحمر أو البني وصقلت بدقة. أهم الأنواع المنتجة كانت الجرار والصحاف والأباريق وطاسات عميقة سميت بطاسات الحليب / Cream– Bowl/.

واستخدم الفخار في هذه المرحلة في الطقوس الجنائزية بزخارف وأشكال ذات مضمون ميثولوجي تحاكي الاعتقاد في تلك الفترة. وذلك بوضع بعض الأواني الفخارية في أثناء عمليات الدفن أو وضع الجماجم في جرار بعد فصلها عن الجسم مع أوانٍ فخارية صنعت بشكل جميل ومتقن.

ب- فخار حلف الأوسط:

تعاصر هذه المرحلة مرحلة العمق /C/ حيث اتسع في هذه المرحلة نطاق انتشار حضارة حلف ووصلت إلى مواقع جديدة مثل شاغار بازار وتل يونس وحصلت تطورات هامة خاصة في مجال صناعة الفخار تمثلت في الأواني الفخارية المصنوعة باليد . ظهرت ورشات جديدة قامت بصناعة كميات كبيرة من الفخار بسبب تطور العلاقات التجارية بين مستوطنات هذه الفترة. تنوعت أشكال هذه الأواني وتحسنت مادة صنعها وأصبحت أنواعها وزخارفها متنوعة. وصنعت أنواع راقية كانت مادة للتجارة والتبادل مع خامات أخرى ويمكن تمييز ثلاثة أنواع من الأواني الفخارية في هذه المرحلة:

١. النوع الأول بسيط غير ملّون سميك الجدران ولكن نسبته قليلة وهو امتداد لفخار المرحلة الباكرة.

٢. النوع الثاني كان رقيق الجدران جيد الصنع غير ملون.

٣. النوع الثالث صنعت الأواني الملونة من الطين الناعم وشويت وصقلت وصبغت بألوان من الأبيض الكريم ومن الأحمر البني، وزخرفت بألوان فاتحة على خلفية غامقة وسادت أشكال جديدة مختلفة عن المرحلة السابقة، كالخطوط المتشابكة أو المتقاطعة التي استمدت من الحرف الجديدة كصناعة الملابس والمطرزات والحصر

والسلال . وقد استخدمت فيها ألوان الأحمر والأسود والبني ومشتقاتها بمهارة أبرزت الموضوعات المرسومة بجاذبية نادرة وأصبحت الأشكال الحيوانية والنباتية أكثر واقعية واحتل رأس الثور المقدس فيها مكاناً مركزياً.

ج- فخار حلف الأخير:

حصل تغير أساسي في مجال صناعة الأواني الفخارية التي بلغت القمة في الدقة والجودة، فأصبحت رقيقة، أطلق على بعضها /قشرة البيض/ ومتعددة الألوان والزخارف. استخدم فيها اللون الأبيض والأحمر والبني على خلفية وردية أو بلون الكريم، رسمت عليها أشكال متنوعة أهمها: أشكال نباتية وهندسية أخرى. ودخلت أنواع جديدة كالصحون الرقيقة والجرار والقدور وخاصة الصحاف وطاسات الحليب مع تراجع بعض الأنواع مثل رؤوس الثيران التي انتشرت في العصر السابق.

فخار عصر العبيد :

ظهر العبيديون على أنقاض الحلفيين في نهاية الألف الخامس قبل الميلاد، والكثير من المواقع ضمت أوانٍ فخارية لها صفات انتقالية مشتركة بين عصر حلف المتأخر والعبيد الباكر مثل رأس الشمرة وتل عقاب وشاغاربازار. صنعوا أواني فخارية أقل جودة من المرحلة السابقة وكان معظمها بلون واحد، برتقالي فاتح غالباً، ونادراً ما كانت تصقل، وزخارفها هندسية وأحياناً طبيعية الأشكال، كالنباتات والحيوانات والبشر. لكن الحدث الأهم في صناعة الفخار في هذا العصر كان ابتكار الدولاب البطيء ثم الدولاب السريع لاحقاً.

وخير ما يمثل الفخار العبيدي هو الطبقة BIII في رأس الشمرة التي وجد فيها فخار له عدة ألوان أو لون واحد، غالباً أحمر وفيه صفات انتقالية بين حلف وعبيد، والطبقة CIII التي ظهرت فيها الأواني العبيدية الخالصة كالجرار والقدور ذات المثاعب المزخرفة ببصمات الأصابع وبعضها بأشكال هندسية مختلفة. وعثر في تل الشيخ في سهل العمق، بجوار تل عطشانة (ألالاخ)، في الطبقة العاشرة على فخار متقن الصنع، تنم أشكاله وزخارفه عن ذوق رفيع، مزخرف بالأشكال الهندسية. وهناك موقع تل أم قصير، الذي عثر فيه على فخار ملون وبعض الأواني على شكل حيوانات. وإلى الشمال منه في حوض الخابور الأوسط يقع تل زيادة، عثر فيه على بقايا أوانٍ فخارية. وفي الحوض الأعلى للخابور مواقع أخرى جرت فيها تنقيبات إنقاذ من أهمها قوزاق شمالي، الذي أظهرت التنقيبات فيه أن السويات الأثرية العائدة إلى عصر عبيد وما بعده هي آثار أبنية مهمة من اللبن، ومن أهمها الإنشاءات التي استخدمت في إنتاج الفخار وتخزينه. بعضها عبارة عن أفران أعطت أنواعاً ذات جودة عالية ومتنوعة من

الأواني الفخارية دفعت منقبي الموقع إلى اعتباره مركزاً مختصاً بتصنيع الأواني الفخارية وتوزيعها.

كما كشفت الحفريات في تل مشنقة عن أقدم استيطان لهذا التل من العصر الحجري الحديث، حتى مرحلة العبيد فالوركاء. ويعد من أضخم المستوطنات الزراعية في المنطقة خلال العصر الحجري – النحاسي المتأخر، إضافة إلى مستوطنة أم قصير وكشكشوك. تعود سويات هذه المستوطنة إلى فترة عبيد٣وعبيد٤، تبين المعطيات أن الفخار صُنع باستخدام الصلصال المشوي المتوفر في المنطقة، حيث شوي في درجة حرارة عالية في أفران تنتج نوعاً من الفخاريات القاسية، التي حلت محل الحجارة أو المعدن أحياناً.

فخار الوركاء :

تتميز مواقع ما بعد دور العبيد بمجموعاتها الفخارية التي تتناقص فيها بوضوح كمية الفخار الملون. فبعد مرور ٢٠٠٠عام من إنتاج الفخار الملون، تأتي أوانٍ خالية من الزخارف والألوان، لتكون رائجة في عموم المنطقة. يعد هذا التطور جزء من التحول إلى إنتاج كثيف للفخار بمعزل عن التقنيات الفخارية[٣٠٨].

أثرت سلسلة كاملة من العوامل الأخرى بالتأكيد في الاختلافات الواضحة بين فخار العبيد وفخار عصر أوروك، فقد توقف الطلاء باستثناء بضعة أمثلة، وأصبح الدور الأهم في الفخار للأنية ذات الحافة المائلة التي تسمى بالأوعية الناقوسية، والتي تشير أشكالها إلى أنها استعملت لأغراض محددة أكثر من كونها متعددة الأغراض. شمل الفخار المكتشف في جرابلس تحتاني من تلك الفترة هذا النوع من الأواني– المميزة لتلك الفترة– وتظهر عليها بقايا من القار، وهو المثال الذي لوحظ أيضاً في موقع الشيخ حسن وفي أعالي مجرى النهر.

أتقن صانعو الفخار عملهم في هذا العصر، وأنتجوا كميات كبيرة تناسب الاحتياجات الكثيرة، كما تشير كافة الدلائل إلى أن سكان هذا العصر اتبعوا أساليب جديدة مفيدة في زيادة الإنتاج، فتجاوزوا مرحلة الإنتاج اليدوي إلى مرحلة الإنتاج نصف الآلي. وأسسوا المشاغل واستخدموا الحرفيين الذين يتقنون العمل على الدولاب كإجراء لإنتاج كميات كبيرة من نوعية واحدة تحقق لهم ربحاً وفيراً. وتميّز هذا النوع الجديد من الفخار، بطينته ذات اللون الترابي العادي وبافتقاره إلى القيمة الجمالية وإلى الزخارف الجميلة التي عرفت في العصور السابقة رغم وجود ما يدل على مقدرة تقنية عالية تتجلى في تطور المادة الطينية وإبداع الأشكال المتنوعة مثل الجرة ذات الآذان الأربعة الملصقة حول الكتف والمدهونة باللون الأحمر والآنية ذات الخطوط المحزوزة، وقد انتشرت هذه الأنواع من الأواني في كل من حبوبة الكبيرة وتل قناص وتل

(٣٠٨) Akkermans PMMG &Schwartz G.2003.

براك والشيخ حسن. وقد وجد الفخار في حبوبة بطراز عصر أوروك التقليدي المتميز بالإنتاج بأقل حد من الزخرفة، وانتشرت أنواع من الجرار الكبيرة بعروات مثقوبة أفقياً، ومثبتة على أكتافها للتعليق، وكذلك أوعية فخارية طويلة لها مصبات ومزهريات بقواعد مقطوعة بالخيط وآنية مصقولة البدن وهي تقنية عن طريق صقل الصحن الخارجي الناعم أو الرطب للآنية بنمط خطوط إشعاعية مائلة (الشكل ٤٧).



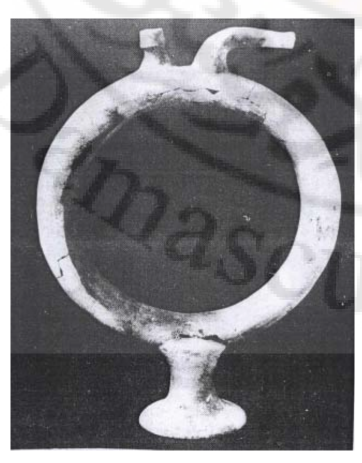
الشكل ٤٧

وهناك عدة نماذج مميزة لأواني عصر أوروك نذكر منها:

- آنية جميلة بارتفاع ٣٤سم محزوزة فوق الكعب بنطاق مزدوج ترتفع بواسطة أزواج من الحمالات حتى الكتف، النطاق والحمالات مزخرفة بفرضات، والجسم بطبعات هندسية (الشكل ٤٨).
- إناء من تل قناص بارتفاع ٤٤سم القطر ٣٣سم، الكعب قرصي عالٍ يشبه الخاتم، الجسم دائري أنبوبي، المثعب منحني، والفوهة بارزة فوق العنق القصير أملس (الشكل ٤٩).



الشكل ٤٨



الشكل ٤٩

- قارورة من تل قناص ارتفاعها ٤٠سم، قطر الكعب ٤,٤سم، البدن بيضوي، الحافة سميكة بارزة نحو الخارج، المثعب منحنٍ مشوي جيداً ومصقول (الشكل ٥٠).
- كما عثر في موقع حموكار الذي يعود إلى فترة أوروك على جرار فخارية كبيرة للتخزين، وباحات مرصوفة بالكسوة الفخارية وأوانٍ فخارية ملونة عند الفوهة (الشكل ٥١).



الشكل ٥٠





الشكل ٥١

كُشف عن أوانٍ من هذا العصر في تل ليلان، تتزامن مع بداية العصر، وتحوي نسبة كبيرة من الآنية الخشنة بعضها مزخرف على السطح، شكل بعضها بوساطة قالب أو باليد.

وتنتشر كسر فخار أوروك إلى الجنوب الشرقي من ليلان، فوق سطوح التلال، المتناثرة حول تل حموكار وتل براك، فتتمثل بداية عصر أوروك، وعثر على آنية حمراء مدلوكة، وأخرى ذات فم واسع حمراء أو رمادية، وقصاع وكسر ممهورة بأختام وآنية زهور.

وقد وجد في موقع تليلات الغسول في الأردن، فخار مشوي بشكل جيد، بأشكال عديدة وزخارف مختلفة، تمثل رسوماً هندسية متقنة لونها أحمر أو بني[٣٠٩].

(٣٠٩) هاردنجلانكستر ١٩٦٥ آثار الأردن تعريب موسى سليمان منشورات اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر، ط١ ص ٢٣.

يمكن تمييز ثلاثة أنواع مع نهاية الألف الرابع:

-الفخار الخشن .

- الفخار الرمادي المصقول .

- الفخار الأحمر المصقول.

ثالثاً – فخارالألف الثالث قبل الميلاد (عصر البرونز القديم) :

ظهر في بداية الألف الثالث ق.م فخار ملون كُشف عنه في الطبقة الخامسة من نينوى، وسماه مالوان فخار نينوى ٥. انتشر في منطقة دجلة وامتد إلى شمال سورية، عثر عليه في موقع تل كشكشوك الذي تميزت منتجاته بالزخارف المحززة بأشكال هندسية وسطح مصقول، وظهر نوع آخر من الفخار لون سطحه بمجموعة من الأشكال الهندسية التي تتخللها بعض التصاوير الحيوانية.

تعاصر هذا الفخار مع أنواع أخرى ظهرت في الجزيرة السورية مثل الفخار المعدني. تميز بلونه الرمادي وبصلابة جدرانه المشوية بخصائص ممتازة وبأشكاله المحدودة المقتصرة على الجرار. ففي تل خويرة عثر بكثرة على هذه الأواني الرنانة، ذات اللون الداكن الأحمر والأسود. من أشكالها النموذجية: القصعات والطاسات والجرار وخاصةً الجرار الصغيرة كروية الشكل[٣١٠]. عثر على فخار معدني ونماذج من قدور الطبخ وأواني أخرى بسيطة في مواقع حوض الخابور مثل تل عتيج وتل جديدة[٣١١].

تنوعت الأشكال الفخارية في تل خويرة خلال فترات الاستيطان، فمنها الأواني البسيطة المعيارية وأوان من قدور الطبخ ذات العرى المثلثية الشكل، وأواني فراتية مطلية. وجدت أمثلة لهذه النماذج من الفخاريات في مناطق مختلفة من شمال سورية تعود إلى النصف الأول من الألف الثالث ق.م. وتنتمي هذه الأواني إلى منطقة ثقافية واسعة ومتجانسة نوعاً ما، ممتدة من الجزء الغربي من مثلث الخابور إلى الفرات . أيضاً من بين ذات القوارير الصغيرة والثخينة أشكال الفخاريات المتعددة النماذج الأكثر تميزاً تلك الأواني المزودة بحافة نموذجية[٣١٢].

---

(٣١٠) أبو عساف، ١٩٧٧- ١٩٧٨، تل خويرة تقرير حول نتائج موسمي التنقيب السادس والسابع، الحوليات مجلد ٢٧-٢٨- ص ٣٠٢.

(٣١١) M.-C. Boileau, Pottery production and distribution in third millennium Northeast Syria (Edition de la maison des sciences de l’homme/Edition Epistèmes, Paris 2005.

(٣١٢) WinfridOrthmann, Tell Chuera and the Early bronze Ale culture of north- easternSyria/p126-121 .

وتعددت أيضاً المنتجات الفخارية في تل بيدر، منها الفخار البسيط الغير ملون، والفخار الرقيق، والفخار المخصص للتخزين، والفخار المعدني، مع بعض نماذج من فخار نينوى٥، والفخار المدهون الممشط، وحوامل الأواني الفخارية من نمط فخار الجزيرة ثنائي اللون (Bichrome). تتشابه أشكال الطاسات تل بيدر مع تلك التي عثر عليها في تل خويرة.

تُبرز تقاليد صناعة الفخار في وادي البليخ كما يتجلى من خلال التنقيبات في تل البيعة وتل حمام التركمان وجود صلات وثيقة مع وادي الفرات.

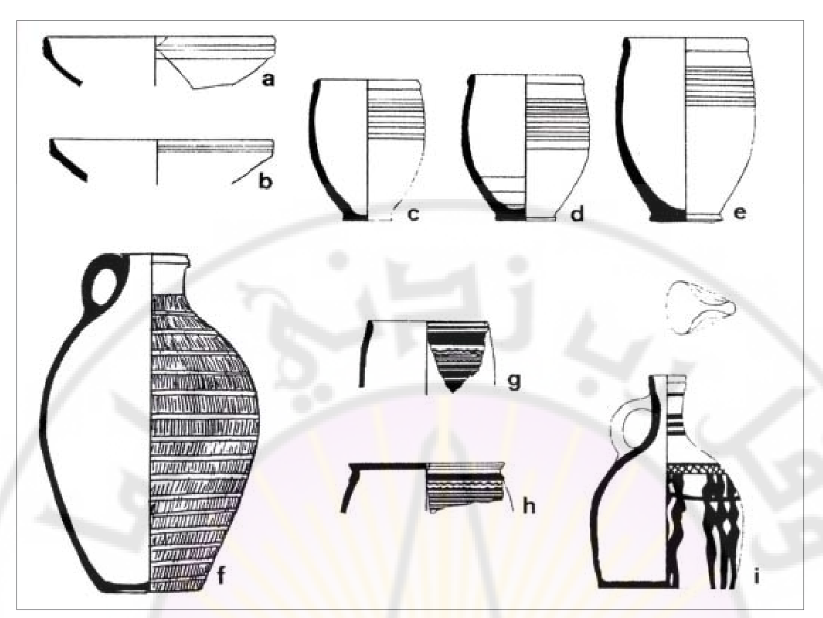
لم تظهر هذه الأواني في غرب سورية، فقد انتشر فيها مجموعة من الأواني الفخارية (caliciforme) التي تتميز بكثرة الكؤوس والأكواب الخاصة بمنتجات عصر البرونز القديم السوري III. إضافةً إلى جرار التخزين التي تزين حوافها أخاديد، وطاسات نصف كروية مزينة جزئياً بطلاء، وجرار كبيرة يدوية الصنع مزينة بشرائط و تموجات. عثر على مثل هذه المنتجات في حماة مرحلة J، قطنا وإيبلا.

يتشابه فخار حماه J مع فخار إيبلا التي يستمر فيها استخدام الكؤوس الفخارية السورية حتى ٢٣٠٠-٢٠٠٠ ق.م (برونز قديم IVB) مع كؤوس الفرات المزينة بأشرطة سوداء وطاسات متنوعة. ظهر الفخار المسمى بالكالسيفورم في جنوب سورية (الممسخين) وفي منطقة الفرات.

تفردت منطقة الفرات (موقع السلنكحية) بنوع خاص من الفخار المزين بشرائط، وبالقوارير السورية المزينة بخطوط حلزونية، واستمر ظهور الكؤوس السورية فيها حتى نهاية الألف الثالث ٢٣٠٠-٢٠٠٠ ق. م.

فيما يخص منطقة العمق، فقد قسمت فترة العمق في منتصف الألف الثالث إلى مرحلتين: العمق I والعمق J التي يتشابه فخارهما مع فخار إيبلا IIB 1-2. إلى الغرب من سهل العمق، تميزت المنتجات الفخارية في الساحل السوري (رأس الشمرة، سيانو) بجرار التخزين الممشطة التي تتشابه مع فخار فلسطين مما يشير إلى وجود تأثيرات متبادلة مع فلسطين خلال عصر البرونز القديم.

أظهرت بعض الكسر من كأس من منطقة حماه وجود صلات حضارية بين غربي سورية ووادي الفرات (الشكل ٥٢).



الشكل ٥٢: فخار منتصف و نهاية الألف الثالث ق. م. من سورية الغربية


الشكل ٥٢ مكرر

انتشر في مناطق المشرق الجنوبي من بلاد الشام (فلسطين والأردن) فخار من النوع المعروف بفخار خربة الكرك، نسبة إلى الموقع الكائن بالقرب من بحيرة طبرية، حيث أمكن التعرف لأول مرة على هذا النوع، إلا أنه تبين أن له انتشاراً واسعاً في عدد كبير من مواقع بلاد الشام.

صنع هذا الفخار يدوياً من طينة خشنة مخلوطة ببعض الكسر الحجرية والتبن، ويغطي جسم الإناء من الخارج قشرة مصقولة لامعة، وزخرف هذا السطح بأشكال هندسية، وزخارف حلزونية وحطوط منحنية ومضلعة بضلوع محدبة أو مقعرة أو تتخللها أحياناً زخارف بارزة وأخاديد. أما لونها فهو فاتح إلى أحمر بني أو أسود وأحياناً تختلط هذه الألوان نتيجة لكيفية حرقها. وقد أمكن تتبع مصدره من مواقع ساحلية شمالية وأخرى داخلية[٣١٣].

وظهر في فلسطين في هذا العصر نوعين من صناعة الفخار، يقسمان شمال فلسطين وجنوبها على جانبي نهر الأردن، إلى منطقتين لهما صفات مشتركة. ففي شمال فلسطين نجد كميات ضخمة من الأواني المزخرفة ومزينة بخطوط متوازية أو خطوط متقاطعة على شكل شبكي على السطح المصقول للإناء، وأصدق مثال لحضارة هذا العصر وجد في الطبقة الثانية في بيت يراح. وكان هذا الفخار يتعاصر تقريباً مع الفخار الملون الذي صنع في جنوب فلسطين، الذي نجد فيه حزماً من الخطوط المتوازية أو المتموجة، الملونة باللون الأحمر أو البني، فقد استخدمت استخداماً واسعاً لزخرفة كل سطح الإناء، وغالباً ما يكون سطح الإناء مغطى بزخارف على شكل شبكي، كما وجد أواني من هذا الفخار في مصر القديمة في أبوصير ومواقع أخرى.

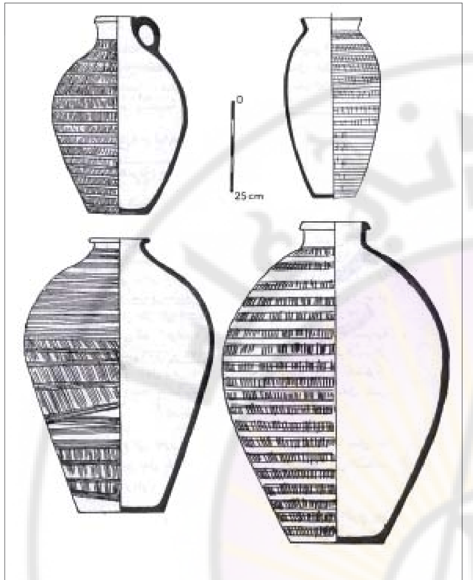
وعثر في مناطق مختلفة من فلسطين، أواني جديدة منها الإناء المعروف باسم إناء أبيدوس، وهو أبريق ذو يد واحدة وقاعدة ضيقة سميكة، وزخارف على شكل خطوط منحنية ملونة بلون أحمر على أرضية ذات لون برتقالي مصفر، ظهر في مقبرة بالقرب من بيت يراح. كما ظهر في فلسطين والساحل السوري، فخار صلد مغطى بطلاء ذو لون أحمر مصقول، وكانت قواعده عادةً من النوع السميك الضيق.

واستمر إنتاج هذه الأنواع من الفخار، إذ لم ينته استعماله فجأة، بل كانت هناك مرحلة انتقالية في نهاية الألف الثالث ق.م، وأول فخار يمثل هذه المرحلة هو فخار بيت مرسيم، الذي يتميز بمقابض ظرفية ذات افريز، وقد كشف عن نفس هذه المرحلة في مجدو وأماكن أخرى. ويتميز فخار هذه المرحلة بتحسن كبير في عمليات صناعته، مما أدى إلى إكسابه درجات أفضل في نعومة السطح والصلادة بعد الحرق.

(٣١٣) وليم أوالبرايت، ١٩٧١، آثار فلسطين، تعريب اسكندر زكي ومحمد محمد، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ٧٥-٨١.

بعض النماذج من فخار عصر البرونز القديم:

- جرة في حماه الطبقة K.[٣١٤] على كتفها أربعة صفوف من الثقوب العادية، قد تكون موقداً بدائياً، مطرة، قدور من الزهور، التي سادت في عصر الوركاء. وجرة كبيرة زخرفت بخطوط دائرية لونها أحمر، وأخرى بخطوط دائرية تقطعها مستطيلات، الطين أصفر اللون والزخارف سوداء (الشكل ٥٣).



الشكل ٥٣

- جرار في أوجاريت الطبقة A III: وهي إجاصية الشكل كعبها مسطح، الطين أخضر، مشوي بشكل جيد، الزخارف أثلام دقيقة، وكأنها آثار أسنان مشط، لذا يعرف هذا النوع من الفخار بالفخار الممشط (الشكل ٥٤).

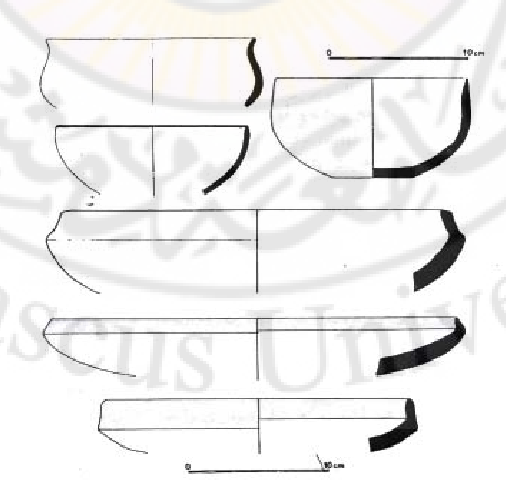


الشكل ٥٤

(٣١٤) علي أبو عساف، ١٩٨٨، المرجع السابق.

• أما في سهل العمق الطبقة G: كانت صناعة الفخار متقدمة عما كانت عليه في الطبقة الأقدم F، وقد ظهرت الأنواع التالية:

- جرار قصعات، قدو ذات كعب مسطح، أطلق عليها اسم: الفخار البسيط المسطح Plain simple ware.
- آنية طلاؤها برتقالي بني مصقول لمّاع.
- آنية مطلية بطلاء بقي جزء منه ظاهر، كالزخارف بعد أن تمحى أو تغطى جزئياً بألوان أخرى. وفي هذه الحالة يبدو السطح وكأنه مزخرف بأشكال هندسية وشعاعيه ذات ألوان مختلفة ويسمى: Reserved slip ware.
- آنية ممشطة مختومة.
- آنية ذات ألوان وزخارف منفذة بالفرشاة وتظهر زخارفها على شكل خطوط متموجة متلاصقة أو متباعدة، صفوف من النقاط ومجموعات ثلاثية الخطوط متجاورة، خطوط مستقيمة تقطعها خطوط متعرجة .
- آنية مطلية جزئياً بلون ما.
- قدور متنوعة (الشكل ٥٥).



الشكل ٥٥

رابعاً – فخار النصف الأول من الألف الثاني (البرونز الوسيط) :

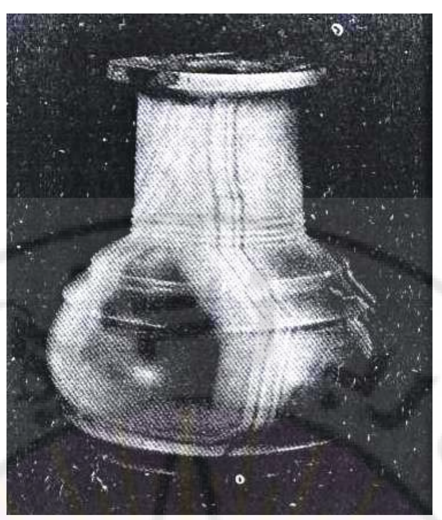
شهدت فترة النصف الأول من الألف الثاني ق.م، حدوث تطور هام في إنتاج الأواني الفخارية، وكان لابتكار الدولاب السريع الأثر الأكبر في هذا التطور، إضافة إلى ازدهار التجارة وتطور العلاقات بين سكان هذا العصر، الذي تطلب التركيز على إنتاج جرار التخزين الكبيرة، لنقل المواد المتداولة. ترافق ذلك مع الرقي الحضاري والفني الذي ساد آنذاك، فظهرت تقنيات جديدة في تصنيع وتشكيل الأواني، وفي أساليب موضوعات الزخرفة، وانتشرت في كافة المواقع الأثرية على امتداد مساحة بلاد الشام. ولكن إذا ما قورن فخار الألف الثاني مع فخار الألف الثالث ق.م، فإن فخار الألف الثاني أكثر خشونة من فخار الألف الثالث ق.م، وصناعته أقل دقة من السابق وجدران الأواني أثخن، وعجينته ودرجات شيه كانت منخفضة أكثر. أما الأشكال فكانت أقل عدداً وتنوعاً من السابق وكذلك بالنسبة للتزيينات. استخدمت العجلة السريعة في صناعة هذا الفخار وخصوصاً لصناعة الجرار الكبيرة وقدور الطبخ. من أكثر أشكال فخار البرونز الوسيط تداولاً هي الطاسات قليلة العمق ذات الحواف المقلوبة للخارج والجسم المقعر، وهي طاسات مسطحة. أما الأواني الأكبر، فالجزء العلوي مفتوح بشكل كبير وشفاهها مقلوبة للخارج، وهي غالباً منقوشة في الأعلى كما أن الجرار لها أعناق طويلة وحواف منقوشة. أما الجرار الأكبر حجماً فهي غالباً ما تكون مزينة بخطوط أفقية أو متموجة [٣١٥].

تميز فخار إبلا بوفرة الإنتاج وقلة الزخارف. واستبدلت الطاسات ذات الجدران نحو الداخل في حين يستمر ظهور الأكواب بأحجامها المختلفة والأواني المحززة الممشطة ذات الحواف المزينة بأخاديد، والجرار ذات الأعناق الطويلة والحواف المزينة والملتفة نحو الخارج. كما ظهر في آخر هذه المرحلة أوانٍ تتميز بوجود كتف وعنق طويل وهي كروية الشكل ولها قواعد حلقية .

كما عثر في إبلا على الكثير من الأواني الفخارية المتنوعة، فقد اكتشف أبريق كبير، صنع على الدولاب، قُسّم كتفه إلى حقول تحوي زخارف حمراء اللون، فوق أرضية مصقولة، لمّاعة، ترابية اللون. وهو من الأواني الفخارية الملونة في بلاد الشام الشمالية، الذي عثر عليه في ألالاخوأوجاريت، ومرسين (الشكل ٥٦). كما اكتشفت آنية أخرى، معدنية فريدة من نوعها، ووجدت آنية شبيهة في جبيل بعروتين ناقصتين، صنعت من عجينة خضراء، حافتها عريضة متدلية نحو الخارج وعنقها مخصور، كتفها مزين بأربعة أثلام دائرية أفقية، بدنها مخروطي ومزوق بأثلام شاقولية وكعبها مدبب.

---

(٣١٥) المقدسي، م. ٢٠٠٦/٢٠٠٧، ص. ٥٥.



الشكل ٥٦

فخار الجزيرة

تميزت الجزيرة السورية في النصف الأول من عصر البرونز من الوسيط ١٩٠٠–١٥٠٠ق.م. بظهور فخار دُعي بفخار الخابور. وصف بأنه يتكون من جرار كبيرة مزخرفة باستخدام لون واحد، مصنوعة بواسطة العجلة ومخصصة لاحتواء السوائل. تحتوي العجينة على مركبات معدنية ونباتية ويتدرج لونها من البيج إلى الأحمر حسب مدة الشي. كانت الغالبية العظمى من فخار الخابور مزينة بزخارف هندسية، بينما زينت كمية قليلة منه بزخارف محززة. ولم يعثر على هذا الفخار فقط في البيوت والمعابد والقصور بل عثر عليه أيضاً في القبور. وقسم هذا النوع من الفخار إلى مرحلتين: المرحلة القديمة والمرحلة الحديثة يتميز كل منها بسمات خاصة من الناحية الشكلية والزخرفية.

يتميز فخار المرحلة القديمة بالعجينة الخشنة التي أصبحت أكثر جودة في المرحلة الحديثة. ويعتقد أن فخار الخابور متأثر بالفخار الحوري الميتاني. تصنف أشكاله حسب حجم الفوهة واتساعها إلى أواني مفتوحة وأواني مغلقة.

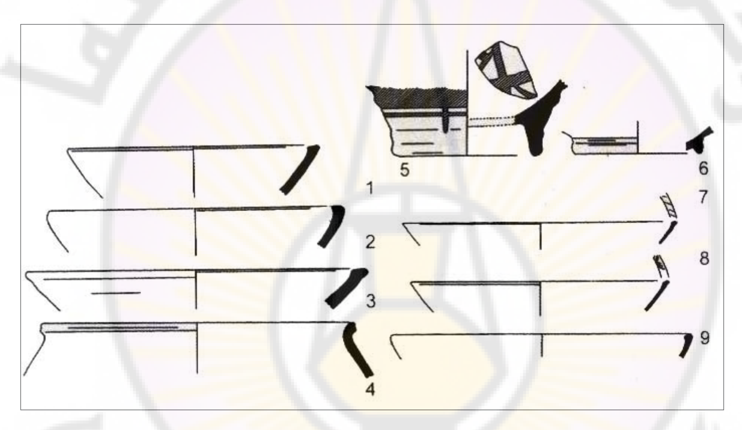
زخرف الفخار بأشكال هندسية متنوعة مع بعض التصاوير (تل براك) والزخارف البارزة والأشرطة المضلعة على كتف الآنية .

انتشر هذا الفخار في كل منطقة الجزيرة وسورية الداخلية، من أهم مواقع الجزيرة التي عثر فيها على فخار الخابور: تل براك، تل شاغاربازار وتل عربيد. وانتقل إلى خارج سورية وبلاد الرافدين عن طريق التجارة فوصل إلى أفغانستان[٣١٦].

(٣١٦) ALACHKAR, S. 2008: La céramique du Khabur à l'Age de Bronze Moyen au IIe millénaire. Mémoire de Master 2, Université Paris I- Panthéon-Sorbonne.رسالة ماجستير غير منشورة.

فخار شمال وغرب سورية :

ظهر الفخار السوري الكيليكي في بداية عصر البرونز الوسيط في سهول كيليكيا وشمال سورية، ويتميز بتشابه الأشكال الزخرفية الموجودة على أواني كيليكيا، أواني العمق وشمال سورية. تعددت أشكال هذا الفخار مثل الأكواب ذات المقبض، الكؤوس، الطاسات، الأباريق والأكواب المزودة بمقبض جانبي . ظهر الفخار السوري الكيليكي في مرسين، كول تبه، تل جديدة، تل عطشانة، رأس الشمرة. ومن الأشكال النموذجية لهذا الفخار هي الأباريق ذات الفوهة المنحرفة والمائلة، عثر عليها في رأس الشمرة ١٩٠٠ق.م، كول تبه وتل المشرفة (قطنة) وتؤرخ أوانيها إلى نهاية عصر البرونز الوسيط (الشكل ٥٧).



الشكل ٥٧

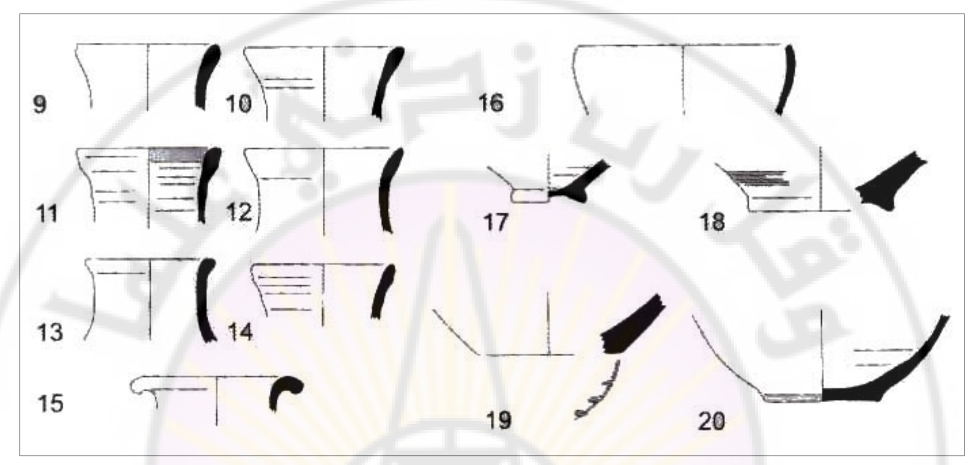
تميز فخار كيليكيا وفخار سهل العمق عن فخار الخابور بأشكاله وجودة تصنيعه، لكنه يتشابه معه في الزخارف الهندسية التي تزين حواف الجرار، والفرق بينهما المقابض الموجدة على الجرار الكيليكية كما لوحظ وجود شبه بين أواني تل المشرفة مع جرار الخابور (الشكل ٥٨)[٣١٧].

أما فخار سورية الغربية، فقد اختلف فخارها عن فخار العصر السابق من حيث التصنيع والزخارف، ومن أهم مواقع هذه الفترة إبلا التي تميز فخارها بأنه خشن لاحتوائه على شوائب كبيرةً وجدرانه سميكة وأنتج بكميات كبيرة نتيجة استخدام الدولاب السريع الذي صنعت به الجرار الكبيرة والأواني المتعددة الاستعمالات.

من أبرز الأواني التي ظهرت خلال هذه الفترة الطاسات ذات جدران لها ثنيات حادة،

(٣١٧) M. V. Seton Williams 1953: A PaintedPottery of the Second MillenniumfromSouthernTurkey and NorthernSyria, Iraq, Vol. 15, No. 1, pp. 56-68).

الجرار المزينة بأخاديد في الجزء العلوي منها والجرار المزخرفة بأشكال منفذة بالحز أو التمشيط. عثر في إبلا على أواني مميزة لهذه الفترة وخاصة الطاسات ذات الجدران المكسورة والشفاه المقلوبة والجرار ذات الأعناق الطويلة والمزينة بأخاديد عند الحافة. كما ظهر في إبلا فخار ملون خاص بها، يتميز بوجود أشرطة أفقية ومثلثات مظللة.



الشكل ٥٨

الفخار في فلسطين خلال عصر البرونز الوسيط :

تأثرت فلسطين في عصر البرونز الوسيط الأول بالصناعات الفخارية السورية التي تعرف بالصناعة "الكأسية" وذلك لتفضيل الفخارين لشكل كأس الزهرة على ما عداه من الأشكال الأخرى، حيث تم تمييز أربع مراحل متعاقبة من هذا الفخار في حماه على نهر العاصي. وقد وجد أن نوع الفخار الذي عثر عليه في تل مرسيم، يتشابه مع فخار العدد من المواقع في شمال شرق الأردن (الشكل٥٩).



الشكل ٥٩

تميز فخار عصر البرونز الثاني في فلسطين بأنه تم تصنيع جميع أجزائه على عجلة الفخار، وكان التشكيل اليدوي مقصراً فقط على صنع أرخص الأنواع مثل قدور الطهي وما إلى ذلك. وأشكال هذا الفخار بديعة جداً ومنحنياتها ذات نسب متناسقة بشكل كبير، وبها ثنيات حادة تدل دون شك على أن طرزاً سابقة لأوانٍ معدنية قد قلدت بأمانة لصنع

هذه الأواني من الطين. ولتقوية تقليد المظهر المعدني، طليت سطوح الأواني الممتازة منها بطبقات سميكة من الكسوة الحمراء أو الصفراء، بينما كان الطين لايزال في صلادة الجلد، أي بعد أن تركت لتجف ببطيء في مكان ظليل وقبل أن تحرق، ثم صقلت الكسوة على كل السطح صقلاً جيداً بملوق من الحجر أو العظم حتى صار السطح لامعاً كالنحاس أو الفضة[٣١٨].

كانت صناعة المنتجات الفخارية في المشرق الجنوبي متطورة من حيث انتقاء مادة الصلصال ومزجها وإدارتها على عجلة سريعة لإنتاج أشكال متنوعة وأنيقة من الأواني التي استكمل تصنيعها عن طريق الصقل أو إضافة غطاء ملون (أحمر غالباً)، أو زخارف على سطحها الخارجي. وقد ضمت أشكال الفخار الصحون والمزهريات والأباريق والمكاييل والسرج التي يتخلل الواحدة منها فتحة واحدة بدلاً من أربع فتحات، كما كانت تظهر في المرحلة السابقة، والزخارف التي يغلب وجودها في هذا العصر هي المتموجة والحلزونية. وكثيراً ما تظهر الأشكال الحلزونية على الأواني الفخارية والجعارين والأختام والصخور.

جعلت هذه الصفات فخار العصر البرونزي الوسيط سهل التمييز وخاصة عن المرحلة التي سبقته حيث كانت الأواني الفخارية صناعة يدوية ومتجانسة إلى حد كبير. وكانت جميع الجرار ذات قاعدة منبسطة وعريضة، وأخذت مثل هذه القاعدة تتلاشى في هذا العصر ليحل محلها قاعدة صغيرة أو مدببة تسهل تحريك الإناء أو نقله خاصة إذا كان للتخزين أو لنقل الإنتاج أو البضائع، وغالباً ما تكون مثل هذه الأواني من الجرار الكبيرة، وجدت هذه الأنواع في تل المتسلم وتل السلطان وتل العجول وتل أبو شوشة[٣١٩].

فخار من نوع فخار تل اليهودية :

كان لموقع الجنوب السوري دوراً رئيسي في فترة البرونز الوسيط كنقطة وصل على محاور الطرق التي تربط بين حوضي الفرات والعاصي من جهة، ومع فلسطين جنوباً من جهة أخرى. وقدمت جميع مواقع الجنوب السوري منتجات فخارية متميزة ذات اللون الأسود الملمعة والمزخرفة بالوخز، أو ما يعرف بنوع تل اليهودية (Tell- Yahudiyeh Ware). يوجد موقع تل اليهودية في دلتا النيل في مصر، عثر على هذا النوع من الفخار أول مرة في هذا التل لذلك أطلق كل الفخار المشابه بفخار نوع تل اليهودية، رغم أن مصدره من بلاد الشام ربما نقلت تقنيات صناعته أثناء هجرة ما يسمى بالهكسوس إلى مصر في النصف الأول من الألف الثاني ق.م. يتسم هذا النوع من الفخار البني أو الأسود اللون بأنه أوانيه بيضوية أو كمثرية

(٣١٨) أولبرايت وليم ١٩٧١ ص ٨٣-٩٦.
(٣١٩) كفافي زيدان، ٢٠٠٠.

الشكل، مزخرفة بأشكال هندسية مؤلفة من أشرطة تتوضع فيها معينات بيضاء أحياناً، أو مملوءة بحزوز صغيرة منقطة. عثر على هذه الأواني على طول الساحل السوري والفلسطيني، والجنوب السوري، مثل تل سكا، تل دبة وفي مواقع بصرى وتل الأشعري. ووجدت أنواع من الطاسات المغلقة (الشكل ٦٠)، وفي الطاسات المفتوحة تل الصالحية ويبرود والمتونة (الشكل ٦١)، والطاسات ذوات الحواف الحادة والشفاه الواسعة في المتونة وتل الصالحية ويبرود، وأباريق وقوارير متنوعة من حيث الزخرفة والألوان. ومن دراسة هذه النماذج تأكد وجود مراكز

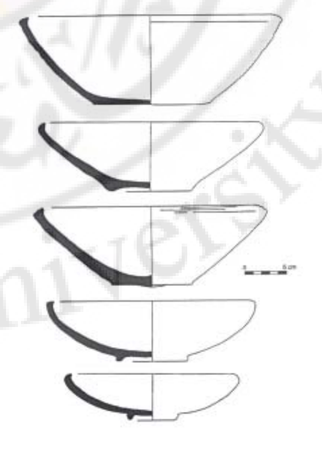


الشكل ٦٠

تصنيع محلي لهذا النوع من المنتجات الفخارية في الجنوب السوري. فمن تل دبة (بريكة) في السويداء، اكتشفت مجموعة من الأواني تتألف من ثماني عشرة آنية تتميز بتجانسها، ربما تم تصنيفها في ورشة محلية، قامت بإنتاج هذا النوع من الآنية الفخارية لحاجة السوق المحلي، وعثر على نمطين من هذه المنتجات الفخارية هما:

- النمط البيضوي .
- النمط الإجاصي (الشكل ٦٢).

صنعت أواني هذه المجموعة من عجائن متوسطة النعومة وناعمة فيها شوائب غالباً كانت بيضاء ناعمة ومتوسطة النعومة، وأحياناً هناك شوائب سوداء ناعمة أو خشنة، أو رمادية، زخرفت هذه اللقى بمشط خاص على الجزء العلوي من جسم الآنية. وفي موقع المتونة، اكتشف




نماذج من الطاسات المفتوحة
الشكل ٦١

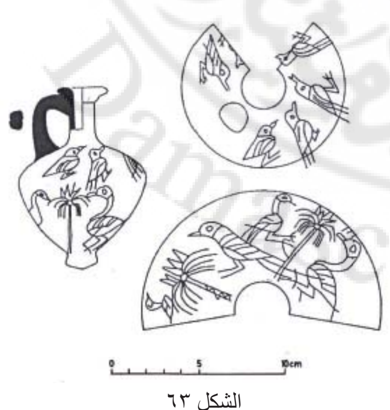

الشكل ٦٢

في أحد المقابر جرار كبيرة الحجم، أباريق صغيرة لها شفاه ثلاثية الفصوص، صحون، طاسات ذات حواف حادة وحواف لينة بشكل حرف بالإضافة إلى أباريق صغيرة ملونة من نمط الآنية الملونة المشرقية الجنوبية[٣٢٠].

وكان من نتائج أعمال التنقيب في موقع نبع الصخر في الجولان ١٩٩٥، العثور على نماذج من الفخار(محفوظة في متحف القنيطرة)، ومن خصائص هذه النماذج أنها من النمط الأسطواني الرئيسي والرقبة أسطوانية تتسع نحو الخارج باتجاه الأعلى والشفاه مقلوبة والعرى مزدوجة، الجسم بيضوي ممشط، القواعد بشكل زر متوسط الحجم، صنعت جميع النماذج بعجائن ناعمة.

وفي تل سكا (٢٠كم جنوب شرق دمشق)، ضمت السوية الرابعة العديد من الشواهد على وجود عناصر ثقافية وفنية مشتركة بين مناطق وادي النيل ومنطقة دمشق، ومن أهمها العثور على النمط المعروف بفخار تل اليهودية، يتميز هذا الفخار بسطحه الملمع ذي اللون القاتم غالباً، وزخرفته المطبقة بطريقة الوخز. أخذت هذه الأواني شكل الأباريق الصغيرة بأشكال مختلفة أهمها البيضوي والإجاصي استخدمت غالباً لنقل الزيوت العطرية. ووجد في قلعة حماه كسر فخارية من هذه المنتجات وفي قطنة وجدت كسرة لإناء من نوع فخار تل اليهودية زخرف بشكل هندسي محزز ومضاف إليه مادة بيضاء

وعثر في تل رأس الشمرة (أوجاريت)، على عدد من الأباريق الصغيرة من فخار نوع تل الهودية، منها إبريق من النمط الإجاصي، ويتميز بزخرفته الفريدة المؤلفة من عصابة ثخينة تلف جسم الإناء بشكل متعرج متكسر، كما عثر على نموذجين في أحد المدافن ينتميان إلى النمط البيضوي ومطليان باللون الأسود[٣٢١]



الشكل ٦٣

وفي المنطقة الساحلية اللبنانية، كُشف عن منتجات فخارية من هذا النوع –فخار تل اليهودية– في مدافن جُبيل ومدفن في منطقة سن الفيل، وعردة ومجدلونا ومناطق مختلفة في تل عرقة وتل الغسيل في عدد من المدافن. ضم المدفن الأول عدد من الأواني ذات الحافة الحادة والصحون المفتوحة[٣٢٢]، إضافة إلى كسرتين وإبريق صغير كامل من نوع تل اليهودية، نفذ على السطح الخارجي لهذا الأبريق الصغير ذي اللون

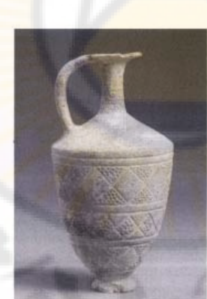
(٣٢٠) AL- MaqdissiM,Mtoune 19841985-,poterie du bronze moyen II, (Syrie),Towe Lxv,1988,P410.
(٣٢١) Schaeffer G.f. A 1949.
(٣٢٢) Bader 123-132.

الرمادي الغامق موضوع زخرفي نادر (الشكل ٦٣) عليه رسوم لخمسة طيور وأفريز موجود تحت الكتف يظهر زوجين من الطيور مواجهين لبعضهما مع وجود شجرة نخيل تفصلهما عن بعض.

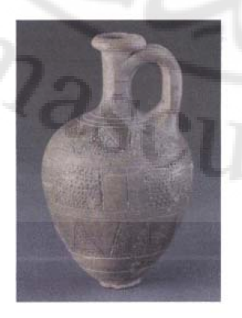
كما انتشر هذا النوع من الفخار بكثرة في فلسطين والأردن، وتعددت أنواعه، ففي مجدو عُثر على إبريق صغير، وفي أريحا وجد إبريق بشكل إجاصي، وتنتهي رقبته برأس امرأة بدلاً من الشفة تمثيل للشعر بشكل ضفيرة تلتف حول الرأس. وعثر على جعرانات في مدافن عمان، خربة الفحل وتل الصيدية.

خامساً – صناعة الفخار في عصر البرونز الحديث:

انتشرت الممالك في عصر البرونز الحديث على أماكن واسعة من بلاد الشام خاصة في المنطقة الغربية، وتطورت هذه الصناعة كغيرها من الصناعات، وصنعوا أنواعاً مختلفة من الأواني الفخارية بعضها محلي عادي وبسيط كالجرار والصحون والأباريق، منها أنواع من الأباريق المغزلية المتطاولة مطلية بالأحمر أو الرمادي (الشكل ٦٤)، لها مثعب وقاعدة دائرية وعليها إشارة تدل على جهة صنعها. وقد انتشرت هذه الأباريق على امتداد سواحل المتوسط ووصلت عبر التجارة إلى مصر وقبرص وبحر إيجة، ويعتقد أنها كانت مخصصة لخزن العطور والسوائل النادرة. إضافة إلى الأواني العادية، فقد عرفت الأواني الملونة بخطوط سوداء أو حمراء وعلى بعضها أشكال نباتية أو حيوانية مختلفة كانت تقليداً للأواني الفاخرة المستوردة، من قبرص والعالم الإيجي، التي وصلت في عصر أوجاريت حتى الفرات، وعثر عليها كثيراً في المقابر الكبيرة والقصور الملكية. وهي أوانٍ متقنة الصنع مزينة بموضوعات بحرية كالأسماك والقواقع والأخشاب البحرية. وأكثر ما يميز فخار سورية بشكل عام في عصر البرونز الحديث، الطاسات القليلة العمق ذات الحواف البسيطة، المزينة من الجهة الداخلية أو الملتفة للداخل، الجرار الصغيرة ذات الأعناق الطويلة والمستقيمة، مجموعة متنوعة من الأباريق، قناديل الزيت، بالإضافة إلى بعض الأواني ذات القواعد الحلقية. كما استمر







الشكل ٦٤

ظهور الأقداح ذات الجدران المكسورة في جزئها السفلي، الأكواب ذات الكتف المتميزة ببطونها الكروية وأعناقها الطويلة، الأواني الكبيرة ذات الجزء العلوي المقلوبة، والمزينة أحياناً بتقنية التمشيط، وأخيراً الجرار الكبيرة ذات الأعناق الطويلة والأفواه المقلوبة. وفي فترة حكم الإمبراطورية الأشورية الوسطى، ظهرت أنواع جديدة من الفخار، تتضمن طاسات ذات جدران مكسورة مرتكزة على قاعدة مستوية أو حلقية الشكل، وأشكال متنوعة من الأواني متميزة بقواعدها الصغيرة ذات البروز البسيط[٣٢٣].

وكانت الأواني الفخارية في تل ممباقة متعددة الأنواع والأشكال بينها الدوارق، التي تستعمل لنقل الماء لتزويد العمال بالحقول. كما عثر على فخار نوزي في هذا التل، وأهم أشكاله كان عبارة عن كؤوس جميلة كعابها أسطوانية طويلة، بني أو أحمر أو أسود غامق، وعليها زخارف بلون أبيض أو أ صفر فاتح، هندسية الشكل ونباتية وحيوانية.

١. الفخار في أوجاريت :

عرفت أوجاريت في عصر البرونز الحديث تحول أصحاب الحرف إلى المصنوعات الفخارية التي صنعوها من الطين الممتاز المخلوط بالرمل الصواني أو التبن ثم جففوها بتعريضها للشمس أو لنار خفيفة دون أية زخارف في مراحلها الأولى. ومع الزمن بدأت تظهر كسرات الفخار المزخرف بالتنقيط أو بخطوط مستقيمة ومتعرجة ومتموجة تتجه إلى مختلف الاتجاهات، ورسومات تصور عيوناً بشرية مما جعلها قريبة الشبه بفخاريات حوض بحر إيجة.

لكن تطور الصناعة الفخارية لم يقتصر على الزخرفة وحسب بل تعداها إلى التنوع والتعدد في الأشكال والأغراض كالتماثيل والأصص ذات الأيدي والعنق الضيق أو الواسع والقصاع والأباريق والجرار الكرزية الشكل ذات القاعدة المصقولة والسرج والصحون والكؤوس والأكواب والقدور المطلية من الخارج باللون الأسود ومن الداخل باللون الأحمر ومن الأواني النموذجية الأكواب التي لها شكل القمع أو القرن (ريتون Rhyton) (الشكل ٦٥) والجرار الكبيرة ذات العروتين المزينة بالأشكال الطبيعية والأواني التي صنعت على شكل رأس أسد أو سمكة أو ثور أو حيوان خرافي، أو وجه بشري.



الشكل ٦٥

(٣٢٣) Akkermans&Schwartz pp231-232.

ومن الأنواع النموذجية المستوردة، الأباريق ذات العروتين الأفقيتين على شكل ركاب الفرس والصحاف المزينة بالأسماك وزهرة اللوتس وأسماك النيل، كما وجد كأس فخاري مزين بخطوط تعطيه قيمة فنية، وهناك تماثيل بشرية وحيوانية من الفخار فيها تمثال رأس أسد مفتوح الفم، وإناء من الخزف على شكل وجه امرأة . وفي مرحلة من صناعة الفخار الكنعاني، ظهر في أوجاريت الفخار ثنائي اللون المزينة بزخارف وبنطاق أفقي يتكون من أشكال وطيور كبيرة تلتقط بمنقارها سمكة، إضافة إلى أشكال هندسية مختلفة[٣٢٤]، كما عرف في هذا العصر فخار جُبيل وفخار نوزي Nuzi Ware، الذي انتشر في مواقع بلاد الشام الشمالية وفيه كؤوس جميلة وأوان تظهر عليها أشكال نباتية وحيوانية وهندسية لونها فاتح أبيض أو أصفر ضارب إلى البياض.

وعثر في رأس ابن هاني على آنية فخارية بأبعاد ٤٧,٥×٣٦سم، رسم عليها تمثيل عربة، تسمى ناجود، من مصدر ميسيني وهي تمثل العلاقات الجيدة التي كانت سورية تقيمها مع العالم الإيجي.

ووجد آنية فخارية على شكل رأس أسد شكل، يدعى قدح، تم تشكيل أسفل هذا القدح ذي العروة على شكل رأس أسد فاغر فاه. أسفل هذا الإناء ليس مثقوباً ولا يمكن الخلط بينه وبين المسعَب الذي يكون أسفله مثقوباً وأحياناً على شكل رأس حيوان (يستخدم في زخرفة بحرات الماء)، ربما تم استخدام هذين النوعين من الأواني في إراقة الخمر تكريماً للآلهة، وربما كان للإناء وظيفة خاصة لأن محجري عيني الأسد كانا مرصعين بمادة ما.

ولدينا نماذج من الأواني الفخارية المكتشفة ضمن السفن الغارقة، فقد وجدت ضمن حطام سفينة غارقة بين أرواد وطرطوس، جرى التنقيب فيها عند نهاية القرن الماضي من قبل بعثة مشتركة سورية – يابانية، حيث ظلت جاثمة منذ زمن أمد بعيد كما تشير قشرة الصدف التي تغطي سطحها، وهذا النوع من الأمفورات عملي جداً لأن شكلها المغزلي يوزع وزن محتواها بالتساوي على كامل سطح جوانبها وليس فقط على قعرها الذي يمكن أن ينفصل عند مسكها باليد إضافة إلى أنه يمكن تكويم هذه الأمفورات بسهولة على الجوانب المائلة لقعر السفن.

(٣٢٤) MichimJ,*LaCeramica d, muzi*,(Roma),1965,P 115.

٢. الفخار في قطنة :

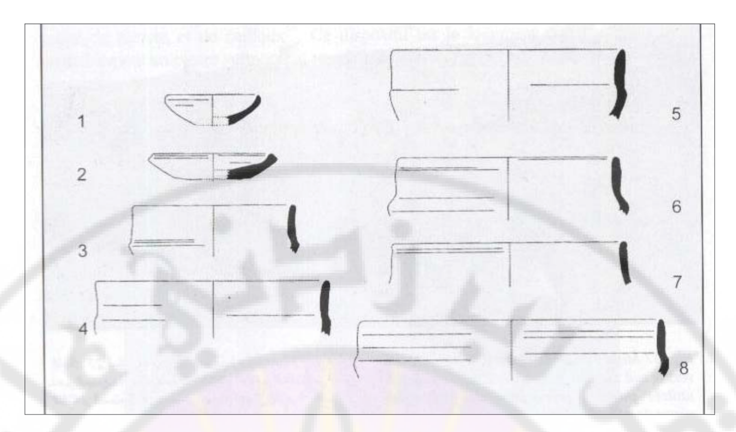
تنتمي المنتجات الفخارية في عصر البرونز الحديث في قطنة إلى أنماط بسيطة نسبياً، يمكن من خلالها تتبع مراحل تصنيع الفخار، صنعت هذه الأواني في غالبيتها محلياً، وهي منتشرة في العديد من مواقع سورية الغربية وعلى الخصوص في رأس الشمرة ورأس ابن هاني وتل الكزل وقلعة حماه وتل آفس وتل عطشانة. تنتمي هذه المنتجات إلى مشغل هام يضم الكثير من العناصر التي يمكن من خلالها تتبع مراحل التصنيع المختلفة. وتأتي أهمية هذه المشاغل أن المنطقة الغربية لم تقدم وثائق نادرة عن المراحل والطرائق التي تتم فيها تصنيع الأواني الفخارية. وقد توزعت هذه الأنماط على النحو التالي:

- صحون صغيرة لها قواعد مسطحة (الشكل ٦٦/١و٢)
- طاسات تحمل فوهات أفقية (الشكل ٦٦/٣– ٨)
- مجموعة من الفوهات المنتفخة والمنحرفة إلى الخارج (الشكل ٦٧/٩–١٤)
- مجموعة من القواعد المسطحة المنتمية لجرار صغيرة (الشكل ٦٧/١٩–٢٠)
- قسم علوي لجرة صغيرة سطحها ملون بالأحمر وذلك بزخارف هندسية بسيطة (الشكل ٦٨/٤٥)
- إضافة إلى منتجات فخارية مستوردة تنتمي إلى الأنماط التالية:

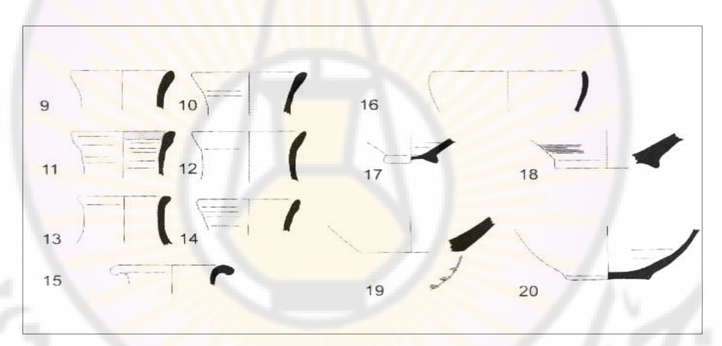
• مجموعة من الكسر المنتمية إلى المنتجات القبرصية : طاسات الحليب من نمط الملونة بالأبيض وقواعد لأوان تنتمي إلى أنماط القعور الحلقية (الشكل ٦٨/٤٦)

• ثلاثة كؤوس تنتمي إلى المنتجات المعروفة تحت اسم فخار نوزي (الشكل ٦٨/٤٨–٥٠) والمنتشرة بشكل رئيسي في موقعي تل عطشانة وتل براك وكسر تنتمي إلى المنتجات المسينية[٣٢٥].

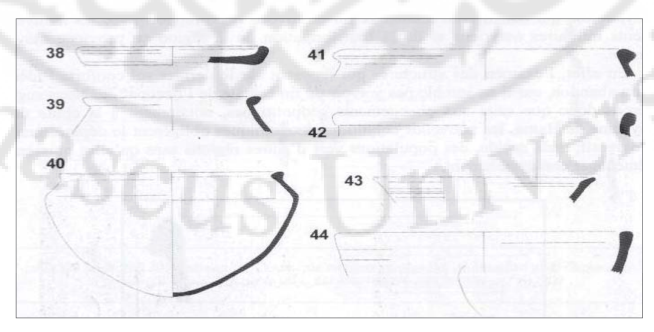
(٣٢٥) ميشيل المقدسي ومسعود بدوي، تقرير أولي عن الموسم التنقيبي الوطني في موقع المشرفة – قطنا، تنقيبات قطنا دمشق، ٢٠٠٢، ص٢١-٣٨.



الشكل ٦٦



الشكل ٦٧



الشكل ٦٨

٣. فخار إيمار :

امتاز الفخار المكتشف في موقع مملكة إيمار خلال عصر البرونز الحديث بأنه صناعة محلية بالإضافة إلى فخار مستورد من العالك افيجي وقبرص، فقد عثرعلى نوع من الفخار الخزفي البسيط ونماذج من الأشكال المفتوحة والأشكال المغلقة.

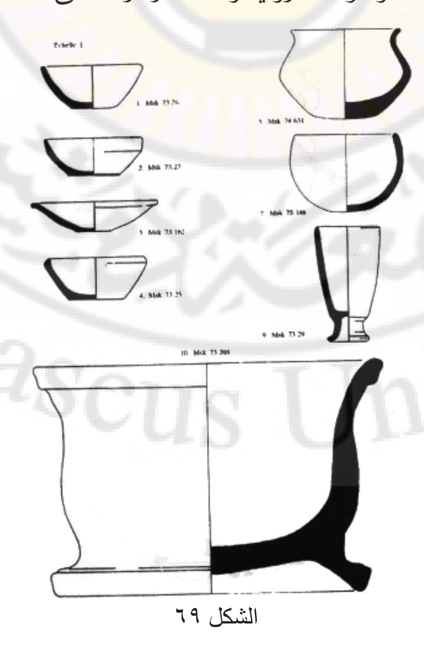
أ- الأشكال المفتوحة :

المؤلفة من كسر فخارية متنوعة، دلت على وجود أوانٍ وصحون وأطباق وجرار وأوعية (الشكل ٦٩) ومن هذه النماذج:

- أطباق مرسومة بشفة رقيقة الجوف غالباً كتجويف الكرة، والفتحة أكثر أو أقل توسعاً.
- أطباق بحواف عريضة واسعة الفوهة والشفة ثخينة أو رقيقة.
- طاسات بتجويف كروي ورقبة قصيرة أو مقعرة.
- أقداح طاسات مخروطية الجذع أو أسطواني على بداية مجوفة جداً عريضة
- أقداح بحرف عريض، على شكل قاعدة تمثال لإضافة إلى أقداح كبيرة.

ب- الأشكال المغلقة :

صنعت بحجم كبيرغالباً وبجوف كروي وغالباً مزخرفة على المنكب (الشكل ٧٠) ومنها:



الشكل ٦٩

• جرار برقبة قصيرة واسعة بعروة أو عروتين.

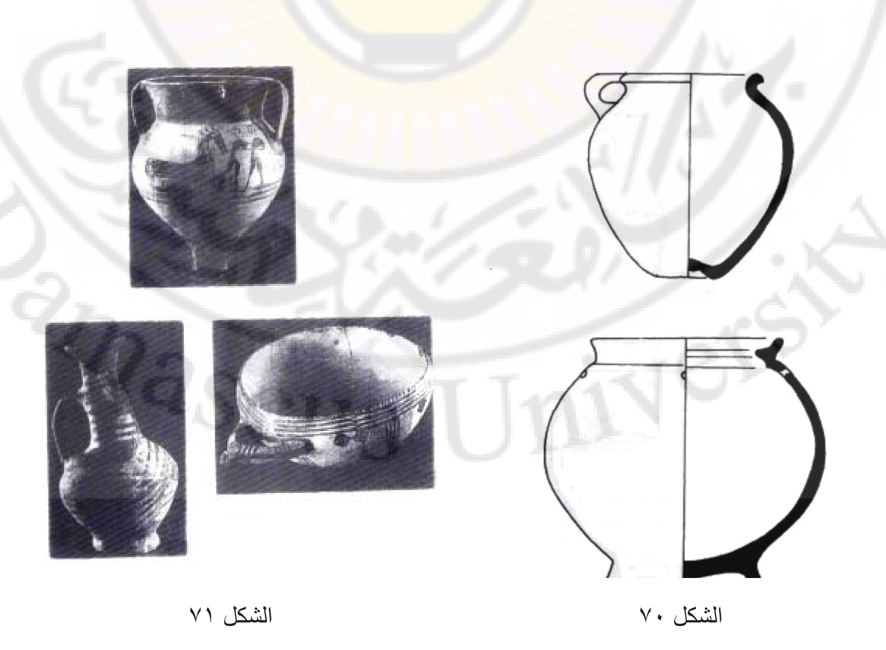
• جرار دون رقبة وشفة مثنية وغالباً ما تكون ناتئة تظهر بثقوب ممارسة على المنكب إما بنفس الجوف وإما على الألسنة، ثقوبها مقسمة لتثبيت الأربطة المتعلقة بالغطاء في هذا الشكل من الجرة هناك رفوف خاصة من الأبنية الرسمية.

• أوعية كروية، ورقبة عريضة، دائماً بحجم صغير.

• أوعية بيضوية، عنق مقعر، قاعدة طبقية.

كما عثر على أوان ونماذج هامة من الفخار المستورد من المناطق التي تربطها علاقات تجارية مثل العالم الإيجي وقبرص والحثيين. وتميزت هذه الأنواع بأنها من النوع الأملس والمصقول والملون، ومنها الطاسات والأواني ذات القعور الحلقية والفخار المسيني (الشكل ٧١).

وعثر على صناديق من الفخار، مستطيلة الشكل معظمها يرتكز على ركائز أقدام في الزوايا الأربع عثر على قطعتين مزنرتين بأشكال مزينة على جوانبها الخارجية، مثل التنقيط أو الدوائر المنقطة والخطوط المحززة، مع تزيينات أخرى غير واضحة المعنى، إحدى القطعتين كاملة بينما القطعة الأخرى غير كاملة، رغم أنها مصنوعة بدقة ومهارة، وقد نقش عليها شخص بوضعية الجلوس، يحمل بيده اليمنى كوب ماء، يقف أمامه شخص يرفع يده وكأنه شخص يلقي التحية.



الشكل ٧٠ الشكل ٧١

سادساً- فخار الألف الأول:

كانت سورية تحتفظ بطابعها الحضاري في عصر الحديد، قبل أن يغلب عليها التأثيرات الإغريقية والرومانية الثقافية والسياسية والاقتصادية، وغالباً ما اعتمد في تأريخ الفخار على التقسيم التاريخي المتبع في تل آفس من قبل ستيفاني مازوني، التي ميزت ثلاث مراحل من عصر الحديد:

١. عصر الحديد الأول ١٢٠٠-٩٠٠ ق.م.

٢. عصر الحديد الثاني ٩٠٠-٧٠٠ق.م.

٣. عصر الحديد الثالث٧٠٠-٥٣٩ق.م.

تعُد المرحلة الأولى من عصر الحديد من أفقر المراحل، حيث لاتتوافر معلومات كافية عنه، ومع ذلك تم التعرف عليها في تل آفس وحماه (f) بينما يمكن تمييز عصر الحديد الثاني من خلال الفخار ذي الطلاء الأحمر الذي انتشر بكثرة في كل العواصم الآرامية في سورية. وتبين من خلال دراسة فخار هذه الفترة أنه يمكن تصنيف الفخار إلى مجموعتين رئيسيتين: فخار المنطقة الساحلية وفخار المنطقة الداخلية الذي يمكن تمييزه بوضوح كونه من النوع الخشن وذي نوعية رديئة نسبياً[٣٢٦].

تميز فخار العصر الآرامي بإنتاج ضخم للفخار لتواكب عملية التطور الاقتصادي الشامل التي شهدتها المنطقة. ورغم امتداد المساحة الجغرافية لهذه الممالك فقد تجانس الإنتاج وعاصر فخار سورية الفينيقية وفلسطين. وقد استمر إنتاج الأواني الفخارية على الوتيرة نفسها من التطور وصولاً للقرن السابع ق.م دون أن يكون هناك فروقاً ملحوظة، ولكن الأزمات والصراعات التي كانت تعصف بهذه الدويلات، انعكس هذا في إنتاج الفخار وغيره من الصناعات والفنون المختلفة وأدت لانحدار واضح في الإنتاج المادي والسوية الفنية للسلع المصنعة، ولكن سرعان ما شهدت ورش العمل نشاطاً جديداً بعد الدعم والتشجيع الذي لاقته من قبل الدولة الأشورية لتلبية الحاجة الأساسية والرسمية للسوق الآشورية، كما أدت السيطرة الآشورية على الدول السورية إلى تسارع عملية التوحيد الثقافي والمادي للمنطقة والتي بلغ أوجها في عصر الحديد الثالث.

وجد في تل آفس السوية التي تعود لهذه الفترة الفخار المعروف بهذا العصر من نوع الأواني الحمراء وطاسات بشفاه شعاعية وأوانٍ وصحون ودوار لها مثاعب وجرار لها شفة مزدوجة وطوق محيط بها[٣٢٧].

(٣٢٦) ستيفاني، مازوني، تل آفس وتأريخ عصر الحديد، الحوليات الأثرية العربية السورية، مجلد ١٩٩٠،٤٠.
(٣٢٧) مازوني,ستيفاني،١٩٨٨, ص ٥٤.

وفي موقع تل رفعت وجد فخار من النوع الذي وجد في مجدو في فلسطين وحماه، وصنعوا في هذا العصر أوانٍ فخارية مزينة بزخارف وأشكال مختلفة، فلدينا آنية فخارية من تل أحمر، على شكل دمية من المرجح أن هذه الآنية ذات المسكبة والتي يغلق فتحتها العلوية منخل تستخدم لتحضير منتج سائل يحتاج لتصفية الخمر الذي كان يضاف إليه مواد عطرية من أجل حفظه. وهناك أوانٍ فخارية يونانية ذات زخارف هندسية في الشمال السوري وتل سوكاس على الساحل السوري وفي زنجرليوكركميش. ووجدت بعض الأواني الفخارية الكمالية، فقد وجد إناء من الفخار في تل برسيب على شكل نعامة بأبعاد ٣٩×١٩,٥×١٧,٧سم

وفي قطنة (تل المشرفة) العائد لفترة الحديد B إن غالبية الفخار ينتمي لإنتاج محلي يشابه موقع حماه السوية E وتل آفس السوية vIII وتل أبو ضنة. وكان من بين الصحون التي لها أسطح مدببة ومشطوفة، وصحون كبيرة نسبياً تتميز بسطح ملون بأشكال هندسية، وقدور للطبخ، كبيرة نسبياُ مميزة بسطحها الملون الأسود اللمّاع وبشفاه مدببة بسطح علوي أفقي مزخرف بمجموعة من القطاعات المطبعة بأشكال بسيطة، ومجموعة من المنتجات الحمراء المعروفة بالفخار الأحمر.

وكانت الكسر الفخارية في موقع عين منين في ريف دمشق، عبارة عن بعض الأواني المائلة للحمرة الخشنة التي تحتوي عجينتها على الكثير من القش. كسر عليها طبعات أفقية غائرة نفذت باستخدام أداة على شكل رقم ٨ مائلة كبيرة الحجم. وهناك كسر فخارية لأوانٍ ربما تعود لهذه المرحلة، أو لمرحلة أبكر منها، مثل الكسرة المتوسطة السماكة، عجينتها ذات لون بني فاتح لكنها ناعمة السطح ومطلية بأكثر من لون، الأحمر القرميدي في الأعلى، وتحته مباشرة خط أفقي أسود عريض، وبعدها اللون البيج المائل للأصفر[٣٢٨].

أما في الأردن فكانت صناعة الأواني الفخارية متواضعة، بل يمكن اعتبارها أقل جودة من أية أوانٍ فخارية عثر عليها خلال تاريخ الأردن الطويل، فقد صنعت بأشكال بدائية غير متناسقة، وشِيها بالنار سيئاً[٣٢٩].

وبرز في فلسطين في عصر الحديد أول طراز من الفخار المميز جداً، وقد وجد بوفرة في كل مناسيب هذا العصر ومخلفاته في أرض فلسطين نفسها كما يوجد بوفرة في المواقع المجاورة بالنقب وشفا الله.

ومن الفترة الآشورية انتشرت نماذج في المواقع التي تعود لهذه الفترة (العصر الآشوري الحديث) في شمال الجزيرة السورية، وكانت الجرار الفخارية الكبيرة أقل شيوعاُ ووجدت على

(٣٢٨) محمود حمود وعميري, ٢٠٠٨ بعثة عين منين موسم التنقيب العاشر, ص٣٨.
(٣٢٩) هاردنجلانكستر, ١٩٦٥, آثار الأردن ت موسى سيمان, ص ٣١.

السطح نماذج فخار العصر الحديدي وفخار العصر الآشوري الحديث وكانت ألوانها متنوعة العجينة، تحتوي قشاً من النوع الوسط وتشابه مع فخار نمرود في بلاد الرافدين، وكذلك الأواني والزبادي التي لها خرزة على حافتها الخارجية.

وكما ازدهرت صناعة الفخار في الداخل من بلاد الشام، أيضاً ازدهرت هذه الصناعة على الساحل الفينيقي خلال الألف الأول ق.م، بسبب النشاط الاقتصادي السائد خلال هذه الفترة ومهارة الفينيقيين في الإبحار وتعدد علاقتهم بعالم البحر المتوسط وتوسعهم في الانتشار والتوسع في مستوطناتهم التي امتدت على مساحة الجزر والشواطئ المتوسطية. يحتوي الفن الفينيقي على تأثيرات مشتركة في صناعة الفخار، من الجرار والقوارير والمناضد ذات القوائم الثلاث[٣٣٠]، فالجرار المكتشفة في المستوطنات الفينيقية المنتشرة في البحر المتوسط، تحمل خصوصيات جرار الشرق الفينيقي، مما يدل على أن صناعة الأواني القرطاجية تمت إثر التبادل التجاري بين المنطقتين، أجسام هذه الجرار بيضوي أو مستطيل، أو أسطواني الشكل قاعدته مخروطية أو دائرية. عثر على نماذج من موقع أرشقول في الجزائر وتعود إلى القرن السادس ق.م، [٣٣١]وهناك نوع آخر من الفخار، عبارة عن نوع من القوارير ذات قعر بيضوي الشكل، وعنق محدب، عثر على قطع منها في جبيل وصيدا وقرطاجة، تعود إلى القرن السابع ق.م، القوارير المستطيلة ذات طلاء أحمر فاتح بشكل مستطيل ذي مقاطع ينتهي بحافة بارزة وهناك نوع من الفخار، مثل المناضد ذات القوائم الثلاث وهي صغيرة، عريضة الشكل.



(٣٣٠) بدوي,ص ٣٣٨.
(٣٣١) بدوي, المرجع السابق، ص ٣٣٩.

الفصل الرابع

٤- ابتكار الكتابة:

يعد الانجازان الكبيران اللذان تحققا في نهاية الألف الرابع قبل الميلاد، وهما اختراع الكتابة وتطور صناعة الأختام لتأخذ الشكل الأسطواني، من أهم ما حققه الإنسان بعد الثورة النيوليتية والتي أصبح فيها الإنسان منتجاً للطعام. وإذا كانت الكتابة، تعد من أهم الإنجازات الحضارية، التي توصل إليها الإنسان في تاريخه الطويل فالأختام تأتي بعده في كونها مظهراً من مظاهر تطور الفن القديم في المشرق العربي. فليس هناك مثيل للكتابة في كونها تسجيلاً مشخصاً لأحداث تاريخية أو مرحلة من مراحل العلاقات الاقتصادية والاجتماعية، أوسجلاً لأساطير قديمة تساعد على تفهم مستوى التفكير والحياة وصورة الأحداث ودور الآلهة والملوك والأفراد.

أولاً- الكتابة :

كان على الإنسان، المتطور بدنياً وعقلياً عن أسلافه الآن في العصر الحجري الحديث، أن لا يدع حياته تستمر بنفس إيقاع حياة أسلافه في العصور الحجرية السابقة. وماكان له أن ينتظر مرور عشرات الآلاف الأخرى من السنين حتى يحقق تطوراً في حضارته يلي، في حجمه وفي أهميته، حجم التطور الذي طرأ على تكوينه البدني والعقلي وقاد إلى ظهوره أصلاً.

أمضى هذا الإنسان آلاف السنين يهيئ نفسه للحدث الأكبر في حياته ألا وهو التحول من جمع القوت إلى إنتاجه بممارسة الزراعة وتدجين الحيوان، وذلك قبل حوالي عشرة آلاف سنة من الزمن الحاضر. ومنذ ترك الإنسان الكهوف أخذ يشيد أولى بيوت السكن في تاريخه، ويكثر من جني الحبوب البرية، ويتطلع إلى الحيوانات والأرض المحيطة به حتى توصل إلى تدجين بعض منها، كما قام بزراعة الأرض المحيطة، فتغيرت حياته تغيراً أساسياً وتسارعت خطا التاريخ. إذ ابتدأ العصر الحجري الحديث، بالتوصل إلى الزراعة وتدجين الحيوانات.

هذا الحدث لم يقدْ إلى سيطرة الإنسان على مصادر قوته فحسب، وإنما قاد إلى استقراره قرب زرعه وحيواناته ومصادر غذائه ومصادر الطاقة التي يحتاجها في عمله، فتوافر له الوقت ليحقق الإنجازات الحضارية الكبرى بمدة زمنية أقصر بكثير مما كان يحتاجه أسلافه لتحقيق منجزات أصغر؛ فظهرت المدن والتنظيمات الاجتماعية والمهن الحضارية الأخرى، وتم التوصل

إلى الاختراع الأعظم في تاريخ البشرية، وهو اختراع الكتابة، لينهي عصور ما قبل التاريخ. فاختراع الكتابة، مع ابتكار الزراعة هما الثورتان الأهم في تاريخ البشرية قبل قيام الثورة الصناعية الحديثة والمعلوماتية فباختراع الكتابة، والأختام قبلها، تراكمت الخبرات، وتصاعد العطاء الحضاري، حتى تم الوصول إلى الثورة الصناعية ومن ثم إلى الثورة المعلوماتية في عصرنا الحديث.

عبرت مجتمعات ما قبل التاريخ، التي لم تكتب، عن تلك الوقائع والأفكار بطرق مختلفة، فأتت على شكل رسومات أو منحوتات أو أبنية أو طقوس، تركت بعضها شواهد أثرية ولكن بعضها الآخر لم يترك أية دلائل. فمجتمعات الألف الرابع قبل الميلاد هي التي ابتكرت الكتابة كإحدى إبداعاتها، وإن الفارق الحضاري لم يكن كبيراً بين ابتكار الكتابة وبين مختلف ميادين الابتكارات والتطورات، سواء كانت في مجال العمارة أم الفنون أم التنظيم، وغير ذلك من الميادين التي تابعت تطورها إلى جانب الكتابة أيضاً.

ثم أصبحت الوثائق الكتابية إحدى أهم مصادر المعلومات، ولكن الأحداث دونت من وجهة نظر معينة، وجسدت مصالح وأفكار طبقة بحد ذاتها. وهكذا فهي ليست بالضرورة مطابقة للواقع التاريخي الموضوعي؛ وعليه يتوجب محاكمتها ومقارنتها بالشواهد الأثرية المعاصرة.

١- الطور الممهد للكتابة :

عثر في الجرف الأحمر على مجموعة من اللوحات الفنية الحجرية تحمل رموزاً وإشارات تجريدية تصويرية تمثل نقوشاً حيوانية، أليفة ومتوحشة، وطيوراً كاسرة[٣٣٢]. وبعد دراسة هذه اللوحات تباينت الآراء فمنهم من قال عنها رسائل أو تمائم، أو إنها عبارة عن رموز إشارات للتفاهم، أو إشارات تصويرية وجدت قبل اختراع الكتابةبآلاف السنين. بكل الأحوال شكلت هذه اللوحات قفزة معرفية في التاريخ. وإن ممهدات الكتابة نشأت مع الانتاج الزراعي والتدجين بعد استقرار المجتمعات الإنسانية على شكل مجموعات إنتاجية تحفظ الإنتاج وتتبادله، وبالتالي تعمل على توثيقه، تأميناً لسلامة تلك العمليات الاقتصادية[٣٣٣].

سبق الكتابة طور ممهد لها استخدم فيه الإنسان رموزاً مصنوعة من الطين Tokens لتوصيف منتجات الزراعة من حبوب وفاكهة وزيوت، وغير ذلك من الماشية المدجنة، وذلك في عمليات التجارة وتبادل المنتجات. وقد وجدت هذه الرموز بأشكال مختلفة، أسطوانية، مخروطية كروية وبيضوية، تعود إلى العصر النيوليتيوالكالكوليتي، وتتدرج حتى الألف الرابع قبل الميلاد.

---

(٣٣٢) جاموس، ب، المرجع السابق، ص ٢٣.

(٣٣٣) البني، ع، المدخل إلى قصة الكتابة في الشرق العربي القديم، دمشق، ص ١٨.

وجدت أنواع هذه الرموز في عدد من المواقع منها المريبط، تل أسود ، أبو هريرة ، تل الغريفة، رأس الشمرة، تل براك، تل حلف، جرمووشاتالهويوك. وترى السيدة دنيس شمانت–بيسيرات أن هذه الكتل الصغيرة، المشكلة من الطين، ليست للعب ولا تقتصر مهمتها على الحساب فقط، بل لها علاقة بأنواع السلع وتبادل عمليات التجارة القديمة، فهي نوع من التسجيل سابق للكتابة[٣٣٤].

في عصر أوروك أصبحت هذه الكتل الطينية، ذات الأشكال المخروطية والأسطوانية والقرصية تجمع بأعداد معينة في غلاف طيني (الشكل ٧٢)، ويغلق هذا الغلاف لضمان عدم تغيير ما في داخله، تأميناً لسلامة عملية التسليم والتسلم, ثم في مرحلة أحدث، أخذت أشكال الكتل الطينية التي هي داخل الغلاف ترسم على الغلاف نفسه، وهو طري قبل أن يجف. والهدف من ذلك، تقديراً، هو معرفة الموجود داخل كتلة الغلاف دون كسرها.



الشكل ٧٢

ثم أخذت هذه الأغلفة الطينية تختم بختم أسطواني يدحرج على الطين، وهذا الختم مشاهد من الحياة اليومية ومن العمليات الاقتصادية والاجتماعية بمختلف أشكالها. انتشرت هذه النماذج في خفاجي ونوزي في بلاد الرافدين وفي بلاد الشام في شاغاربازار وماري وجبيل، وتل الشيخ حسن[٣٣٥]. ويرى بعض الباحثين أن هذا النوع من الأغلفة الطينية يمثل الخطوة الانتقالية الحاسمة من النظام التسجيلي البدائي، الذي يعتمد على الكتل الطينية الصغيرة، إلى بدء الكتابة التصويرية[٣٣٦].

إن الكتل الطينية المختومة، تمثل نقطة انعطاف حاسمة باتجاه الكتابة المعروفة، إذ إن العلامات الكتابية أو الإشارات المرسومة على الغلاف الطيني لم تعد، مع مرور الوقت، تمثل الكتل الصغيرة المحفوظة داخل ذلك الغلاف، بل أخذت تقدم رموزاً ومعاني جديدة. ثم تدخّل

---

(٣٣٤) Besserat D; 1981, **from Tokens to Tablets**, A revoluation of the so-called "Numerical Tablets" in visible language,vol, XV, Vo. 4, PP. 321-344.

(٣٣٥) البني، ع، المرجع السابق، ص ١٣.

(٣٣٦) Bessart D; 1981, P. 324.

الإنسان بالحز، بقلم مدبب، ليزيد من وضوح الإشارات، أو العلامات السابقة، ويحدث رسوماً جديدة[٣٣٧].

وبذلك يكون المهد المباشر للكتابة المسمارية هو طريقة تقوم على استعمال الكتل الطينية الصغيرة ذوات الأشكال المختلفة في المحاسبة الشخصية بين جهتين وهي سابقة للحساب المجرد، فليس هناك شكل يدل على عدد واحد أو عشرة، مثلاً، بل هناك شكل لكل نوع من البضاعة، فجرار الزيت تكون في هذه الأشكال بيضوية، وكمية صغيرة من الحبوب تمثل بمخروط، أما الكمية الكبيرة فيدل عليها شكل كرة، وإذا كانت جرة واحدة من الزيت تمثل بشكل بيضوي، فإن الجرتين تمثلان بشكلين بيضويين[٣٣٨].

ثم تطورت هذه الطريقة مع تطور الحاجات الاقتصادية، إذ إنها كانت في البدء توثق استعمال المنتجات الزراعية، ثم في زمن قيام المدن، أو ما يسمى بالثورة المدنية، استعملت أيضاً لتوثيق حركة تبادل المنتجات الحرفية، ثم تطورت، تبعاً لنهضة البنى الاجتماعية وبناء الدولة وازدياد البيروقراطية ووسائل التخزين، فابتكرت طريقة حفظ الأشكال الطينية داخل أغلفة طينية. ولمعرفة ما في داخل الغلاف الطيني، كانت ترسم على الغلاف مساقط تدل على محتواه. وترى السيدة شمانت بيسيرات أن المكتشفات الأثرية الحديثة قد غيرت الاعتقاد السابق حول أصل الكتابة في بلاد الرافدين، فهي لم تتطور من الرسوم بل من الكتل الطينية[٣٣٩].

٢- بداية الابتكار:

تم ابتكار ممارسات إدارية جديدة، لتسجيل ملكيات متنوعة ومبادلات معقدة للسلطات المركزية. ومن التحولات الخاصة في التاريخ الإنساني الفكري والتكنولوجي كان اختراع الكتابة. فباستعمال أقلام من القصب لتدوين علامات رقمية ومقاطع على ألواح الطين، استطاع الكتبة المتمرسون أن يوثقوا الموارد والمناقلات الإدارية. هذه المرحلة من الكتابة كاناختراعها كوسيلة بيروقراطية في مدن جنوب بلاد الرافدين.

إن الافتراض العام المقبول حول اختراع الكتابة هو أنها بدأت بسبب الحاجة إلى توثيق ما يعطى ويؤخذ من مواد وسلع مختلفة بدلاً من الاعتماد على الذاكرة[٣٤٠]. فبعد ظهور المدن والمعابد، وقيامها بتولي استلام القرابين المقدمة، لم تعد الذاكرة الوسيلة المناسبة لمعرفة ما أدخل وما أخرج من مواد.

---

(٣٣٧) البني، ع، المرجع السابق، ص ١٥.

(٣٣٨) Bessart D; 1981, P. 326.

(٣٣٩) Ibid; P. 331.

(٣٤٠) حنون، ن، ٢٠٠١، المعجم المسماري، بغداد ، ص ١٨.

وبذلك، اقتضت الضرورة توثيق ذلك بتسجيل أعداد المواد، كأن يوضع خط واحد لكل سلعة أو مادة، ثم تطور ذلك إلى رسم صورة الشيء إلى جانب عدده، كأن يكون رأس ماشية أو سنبلة قمح أو عدد من الأغنام. وبذلك ظهرت أقدم الألواح المدونة بالكتاب، التي سميت الكتابة التصويرية Pictographs لأنها تحمل صورة الشيء المراد ذكره. المسرح الأول، الذي حدث عليه هذا التحول الكبير في حياة الإنسانية هو بلاد الرافدين، حيث عثر في مناطق عديدة منها، وفي مناطق مجاورة، على شواهد تخص أولى محاولات الإنسان الكتابية.

وتظهر تلك الشواهد، التي تمثل المراحل الأولى للكتابة، على ألواح طينية صغيرة كتبت عليها أرقام فقط، وتحمل أحياناً طبعات أختام[٣٤١]، وجدت تلك الشواهد في أوروك ونينوى في العراق، وفي سوسة Susa وغودين تبه Godin Tepe في غرب ايران، وفي تل براك وحبوبة كبيرة في شمال سورية، ومعظم هذه الشواهد يمكن أن تؤرخ في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد.

وقبل الولوج في مراحل تطور الكتابة، لابد من ذكر اللوحين التصويريين المكتشفين في تل براك عام ١٩٨٤، لما لهما من أهمية خاصة بين الشواهد المذكورة آنفاً. وهذان اللوحان الصغيران من الطين غير المشوي متشابهان في الشكل، ويحمل أحدهما رأس ماعز ويحمل الثاني ما يبدو أنه رسم رأس غنم، وكتب إلى جانب كل منهما الرقم عشرة[٣٤٢]، ويتميز هذان اللوحان عن ألواح اوروك، المكتشفة في الطبقة ب، التي تمثل المرحلة الأولى من مراحل تطور الكتابة المسمارية، في أنهما يظهران صورة الحيوان كاملاً، بينما تظهر أقدم ألواح أوروك رأس الحيوان فقط وبالتالي يمكن عدهما أقدم من ألواح أوروك.

٣ – مراحل تطور الكتابة :

أ– الكتابة بالموضوعات:

وجدت أساليب مختلفة لنقل الخطاب عند الشعوب حتى التي لا تمتلك الكتابة، وقد تبرز الحاجة لنقل الخطاب إلى مسافات بعيدة، إلا أن حجم الخطاب وصعوبته ربما يشكلان عبئاً ثقيلاً على ذاكرة المخبر أو الرسول. فالنصر مثلاً، كحدث مهم، يجب أن يجد وقعاً مؤثراً ليس فقط بكلمات الأغاني التي تدوم طويلاً، لذلك كان لابد من وسائل أخرى تعيش طويلاً لتخليد مثل هذه الوقائع الهامة في حياة الأجيال اللاحقة. وهذه الوسائل البدائية، التي استخدمت لمثل هذه الأغراض عند الشعوب المتحضرة، أطلقت عليها العلوم الحديثة مصطلحاً غامضاً هو الكتابة بالموضوعات[٣٤٣].

(٣٤١) مرعي، ع، ١٩٩٢، الكتابة والتعليم في بلاد الرافدين، (مجلة دراسات تاريخية العددان ٤١ و٤٢) ص ٧-٤٢.

(٣٤٢) Fink I L; In scriptions from Tell Brak 1984 in, *Iraq, 47*, P. 187.

(٣٤٣) فريد ريش ، ب ، ٢٠٠٤، تاريخ الكتابة ، ترجمة سليمان الضاهر ، دمشق ، ص ٣٤.

ويعلق أصحاب المهن، في واجهات محلاتهم، عن البضائع التي يبيعونها، والحلاق يضع مشطاً ليعلن عن مهنته في محله، ومصلح إطارات السيارات، يضع إطاراً على قارعة الطريق، كما كان الإنسان البدائي يعرف أن كومة الحجارة، تعني تخليد ذكرى ميت عزيز[٣٤٤]. والألوان لها مدلولاتها، فارتداء اللون الأسود يعني وفاة أحد الأقارب، واللون الأحمر يعني الخطر، والأخضر يعني السلام والأمان، ويمكن أن تكتب رسائل مطولة من خلال الكتابة بالموضوعات فعلى سبيل المثال كانت رواية هيرودوت –وإن كانت متأخرة بعد ظهور الكتابة– مضمون رسالة دونت بالموضوعات بعثتها قبائل السكيت إلى داريوس، ملك الفرس، قبل خوض القتال معه.

وقد اشتملت الرسالة على رسم عصفور، فأر، ضفدعة وخمسة سهام. فسرت تلك الرسالة: أيها الفرس، إذا لم تتواروا في السماء كالعصافير، أو تختبئوا في الجحور كالفئران، أو تقفزوا في الماء كالضفادع، فستغدون هدفاً لسهامنا[٣٤٥]. بالتالي تشكل الكتابة بالموضوعات عنصراً هاماً، في حال غياب وسيلة الخطاب الكتابي، وإنه لا فرق في الموضوع بين دلالته الرمزية وصورته الواقعية، إذ يمكن أن يحل أحدهما محل الآخر.

ب . الكتابة الصورية الرمزية Pictographs :

تعد المرحلة التصويرية، أقدم مراحل الكتابة على الإطلاق، ففيها يرسم الانسان صورة الشيء أو جزءاً من الشيء المراد التعبير عنه. وهكذا تكون هذه الصورة، أو جزء منها رمزاً للكلمة فصورة المحراث تعني محراثاً، وصورة اليد تعني يداً، وصورة السمكة تعني سمكاً، وصورة السنبلة تعني شعيراً، ورأس الثور يعني ثوراً، ورأس الانسان يعني إنساناً، والتقاطع يعني طريقاً أو قافلة أو حملة عسكرية[٣٤٦].

إن الحدود بين الكتابة بالموضوعات والكتابة الصورية حدود غامضة. فالكتابة بالموضوعات والكتابة بالصورة شيء واحد، والأمر الهام بالنسبة لتطور الكتابة هو أنه، مع ظهور الكتابة التصويرية، انفصل الخطاب عن الموضوع بالذات، وانتقلت الكتابة إلى مواد مختلفة، كالحجارة أو الألواح الخشبية أو الألواح الطينية والفخارية. فغياب الموضوعات والتحول إلى مواد للكتابة، يعدان خطوة هامة نحو الكتابة بالمعنى المحدود[٣٤٧].

هذه المرحلة تمثلها النصوص المكتشفة في أوروك الطبقة الرابعة ب IVB ومن ثم نصوص عصر جمدة نصر ونصوص موقع فارة . فقد اكتشف في أوروك، الطبقة ب، حوالي ألف

(٣٤٤) هبو، أ، ١٩٨٤، الأبجدية: نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب، اللاذقية، ص ١٤-١٥.
(٣٤٥) فريد، ريش، ب، المرجع السابق، ص ٣٦.
(٣٤٦) مرعي، ع، المرجع السابق، ص ٩.
(٣٤٧) فريد، ريش، ب، المرجع السابق، ص ٣٩.

لوح يرقى تاريخها إلى الربع الأخير من الألف الرابع قبل الميلاد، وهي في معظمها نصوص اقتصادية، إدارية قصيرة تتعلق بحسابات واردات المعابد. ذلك لأن المعبدكان في تلك المرحلة المركز السياسي والاقتصادي والاجتماعي. وعثر على نصوص تصويرية في الطبقة الثالثة من موقع جمدة نصر يرقى تاريخها إلى ما بين ٣٢٠٠-٢٩٠٠ ق.م، وتتميزعن نصوص أوروك، الطبقة، بأنها أحدث منها وأنها نصف تصويرية، أي أكثر اختزالاً[٣٤٨]. من هنا يمكن القول إن الدافع الاقتصادي كان وراء اختراع وتطوير الكتابة المسمارية، وربما أدى كهنة المعابد دوراً كبيراً في ذلك.

ج. المرحلة الرمزية Logogram :

تطورت في هذه المرحلة الصورة إلى رموز، أو إشارات، لا تعبر فقط عن المعاني الأصلية للصور المرسومة بل أيضاً عن أفكار ومعان لها علاقة بالمعنى الأصلي للشيء المرسوم. فالرمز الدال على القدم صار يعني بالإضافة إلى القدم، يقف، يمشي، يأتي، يذهب، يركض، والرمز الدال على الشمس، يعني الضوء والنهار واليوم والحرارة. والأحوال التي يصعب فيها التعبير عن المفهوم بالرسم، تدون باقتران أو بتداخل رموز مثال:

- فم + خبز، يعني أكل
- فم + ماء، يعني شرب
- رجل + كبير، يعني ملك[٣٤٩]
- رأس الثور + جبل يعني الساكن في الجبال، أي الثور الوحش[٣٥٠].

إن هذه التدوينات بالرموز الدلالية، لم تكن صوتية، بل كانت مدونات تكفي لتلبية الاحتياجات الأولية ذات الطابع الاقتصادي فقط، أي ليس ثمة بينها مدونات لنصوص أدبية وتاريخية.ويمكن القول إن النصوص المبكرة ذات الطابع الاقتصادي، العائدة لسلالة أوروك الرابعة، اشتملت على رموز صوتية من نفس النوع الذي استخدم في الكتابة المسمارية المتأخرة.

د. المرحلة المقطعية أو الصوتية Phonetics :

تعطي هذه المرحلة لكل رمز صوتاً معيناً يتناسب واللغة المستخدمة، بغض النظر عن مدلوله الصوري. وكان كل رمز يحمل عدة معان، ويمكن أن يشكل كلمة، أو جزءاً من كلمة بإضافته إلى رمز أو رموز أخرى. استعمل في البداية الرمز الواحد للكلمة ولكن لما كانت غالبية

(٣٤٨) Falkenstein A; 1936. *Archaische texte ausuruk,* Berlin, P. 18.

(٣٤٩) مرعي، ع، المرجع السابق، ص ٩.

(٣٥٠) فريد، ريش، المرجع السابق، ص ٧٢.

الكلمات في هذه الكتابة أحادية المقطع لذا دونت الكلمة كمقطع صوتي[٣٥١]، ومن ثم أخذ المقطع ككلمة.

وقد عرفت هذه المرحلة من الكتابة المسمارية من مجموعة نصوص اكتشفت في أور، ويعود تاريخها إلى عصر السلالات الباكرة III، نحو ٢٨٠٠ ق.م. ففي أحد النصوص ذكر الرمز ti الدال على سهم في اللغة السومرية، كما استخدم صوت الرمز ti ليدل على معنى حياة. يتضح من هذا، أن الرمز الدال على سهم وحياة في اللغة السومرية له لفظ واحد، ولكن يحمل معنيين مختلفين. وقد تبين أن اللغة المستخدمة في هذه النصوص هي اللغة السومرية، لذلك ساد الاعتقاد أن الألواح الأولى المكتشفة في أوروك وجمدة نصر كتبت بالسومرية أيضاً.

يلاحظ حتى الآن أن الرموز استعملت للتعبير عن كلمات فقط، وهذه خاصية تتميز بها اللغة السومرية، التي تعد من اللغات اللاصقة أي غير المعربة ذات التصاريف الكثيرة، حتى صارت الرموز تستخدم كمقاطع لتشكيل كلمات مختلفة. وأولى الكلمات المكتشفة المكتوبة بشكل مقطعي هي: ما-نا MA-NA: مينة (وحدة وزن)، وتام. كار TAM, KAR: تاجر. وهاتان الكلمتان تردان في نصوص شوروباك، وهي كلمات أكادية استعارها السومريون من الأكاديين واستخدموها في لغتهم[٣٥٢]. ومع نقوش ملك لاجاش، إيانا توم (تقريباً حوالي ٢٥٠٠ق.م)، تتضح عملية تطور الكتابة المقطعية والكتابة بالكلمة.

إذاً مرت الأشكال التصويرية والصوتية بعدة مراحل تبسيطية قبل أن يظهر الشكل المسماري، الذي شاع استخدامه في كامل أنحاء الشرق العربي القديم واعتمدته لغات المنطقة كلها. وكان أول تحول أساسي قد تم خلال عصر جمدة نصر (٢٨٥٠ق.م)، عندما أصبحت الكتابة المسمارية قابلة للقراءة. وكان الكتبة والمحاسبون يدونون الكلمات والأرقام والرموزضمن تقسيمات مربعةأو مستطيلة يحددونها على اللوح، وذلك من الأعلى إلى الأسفل، ومن اليمين إلى اليسار. وكانت هذه الأرقام تنقش بشكل عمودي، بينما كانت الرموز والأشكال التصويرية تخط بوضعيتها الطبيعية[٣٥٣]، وقد استمر الأمر على هذا النحو وانتشر حتى إلى ما بعد العصر السومري.

ظهر في مناطق أخرى تطور لهذه الكتابة وإن لم تقترن بتعاقب السويات التي ظهرت في الوركاء. فلم تكن الخصائص المعمارية لعصر أوروك من جنوب بلاد الرافدين هي ما وجدت في حبوبة فقط، لكن اكتشفت، أيضاً وثائق مدونة من نمط وثائق بلاد الرافدين الجنوبية ومظاهر أخرى للإدارة، وذلك من البيوت المنقبة.إن الرقم الطينية التي احتوت رموزاً عددية هي قرينة

---

(٣٥١) فريد ريش، المرجع السابق، ص ٧٤.

(٣٥٢) Driver G.R; 1994, *semitic writing from pictroragh to alphabet*., P. 58.

(٣٥٣) الخوري، م، ٢٠٠٢، قصة الأرقام عبر حضارات الشرق القديم، دمشق، ص ٦٢.

هامة تتصل بتحديد تاريخ السكنى. وهذه الرقم، من غير العلامات الصورية في حبوبة وعارودا، وربما تشير إلى تاريخ ما قبل الاستعمال المكثف واضحة القواعد المعروفة في أوروك[٣٥٤]. كما أن الخصائص الحضارية التي امتاز بها الجنوب السومري امتازت بها أيضاً في الفترة نفسها مواقع في الجزيرة وعلى ضفاف الفرات مثل تل براك، حبوبة، عارودا وتل قناص والشيخ حسن.

٤- اتجاه الكتابة وأدواتها :

تظهر الألواح الأولى المكتوبة والمكتشفة، حتى الآن صور الأشياء المراد التعبير عنها كصور طبيعية، ولكن مع مرور الزمن طرأ تطور واضح عليها، فقد مالت تسعين درجة نحو اليسار، بحيث أصبحت تظهر مستلقية على ظهورها. ومن ثم تطورت هذه الوضعية المستلقية إلى الإشارات المسمارية المعروفة[٣٥٥] (الشكل ٧٣). ويصح الشيء نفسه بشكل عام على اتجاه الكتابة، فنصوص أوروك وجمدة نصر كتبت غالباً على ألواح مستطيلة الشكل، بحيث رتبت الرموز المسمارية عليها كيفما اتفق داخل مربعات أو مستطيلات، وكانت المستطيلات مرتبة في أعمدة ، وتقرأ من اليسار إلى اليمين.

وعندما كان الكاتب ينتهي من كتابة وجه اللوح يديره من اليسار إلى اليمين، ويكتب على ظهره ولكن بدءاً من الأسفل نحو الأعلى، والأرقام تكتب بشكل عمودي٣٥٦. حصل كل ذلك قبل أن يصبح اتجاه الكتابة فيما بعد من اليسار إلى اليمين في سطور طويلة. غير أن التقليد القديم في الكتابة بقي مستعملاً حتى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، فمعظم الكتابات الموجودة على الأحجار وكل طبعات الأختام الأسطوانية بقيت محتفظة باتجاه النصوص القديمة. ومن قبل ذلك كتابة قانون حمورابي. وفي عملية الكتابة كانت الألواح تمسك باليد اليسرى ويكتب عليها باليد اليمنى، أما الألواح الكبيرة فلم يكن بالإمكان مسكها باليد لذلك كانت تسند على منضدة أو أي شيء آخر[٣٥٧].

كان المستوى الحضاري للوركاء مناسباً لاختراع الكتابة، وكانت المواد التي استعملت في هذا الاختراع متوافرة في بيئتها. وهي مواد استمر استعمالها لآلاف السنين، ولم تكن طارئة أو غريبة عن السكان القدماء، فقد استعملوا الطين للكتابة عليها. والطين هو المادة الأكثر توافراً، والأبسط صنعاً، والأسهل منالاً في العراق، فضلاً عن خبرتهم السابقة في استعمال الطين، الذي شيدوا منه المنازل، وصنعوا الجرار والآنية والأفران.

---

(٣٥٤) أبو عساف، ع، المرجع السابق، ص ١٩١.
(٣٥٥) مرعي، ع، المرجع السابق، ص ١١.
(٣٥٦) الخوري، م، المرجع السابق، ص ٦٢.
(٣٥٧) Driver G R; 1994, P. 34.

المعاني الأولى واشتقاقاتها	الكتابة الآشورية	الكتابة البابلية المتأخرة	الأشكال المبكرة للرموز المسمارية	الرسوم الأولى
طير				
سمك				
حمار				
ثور				
شمس نهار				
قمح حبوب				
حديقة فاكهة				
حرث				
رمى البمرنغ				
سار وقف				

الشكل ٧٣

ومع اختراع الكتابة فإنهم أضافوا استعمالاً جديداً للطين بصنع الألواح الخاصة بالكتابة كانوا يستعملون تراباً نقياً لصنع الألواح، أو طيناً جيداً خالياً من الشوائب، وبعد تشكيل اللوح ترسم عليه الصور، أو تكتب العلامات حين يكون طرياً ثم يترك ليجف[٣٥٨]. وقد أدت الحرائق والنيران التي حلت بالعديد من دول الشرق القديم ، نتيجة الكوارث والحروب المختلفة، إلى شيّ عدد كبير من الألواح الطينية التي كانت محفوظة في أرشيفات تلك المدن، وبالتالي وصلت إلينا في حالة جيدة.

وقد استخدمت مواد أخرى في عملية الكتابة، فاستعملت المعادن من الذهب والفضة والبرونز ولكن في حالات قليلة، كما استعملوا الأخشاب، لكن النماذج المكتشفة تعرضت للتلف وتحللت. وفي أحيان أخرى تم استعمال العاج للكتابة خاصة في العصر البابلي والآشوري٣٥٩. ويبدو أن استعمال العاج كمادة للكتابة كان محصوراً بكتابات خاصة للملوك، كانت ألواح العاج تغطى بطبقة من الشمع لحمايتها، ولهذه الألواح أشكال مستطيلة توصل مع بعضها بأسلاك نحاسية لتكون ما يشبه صفحات الكتاب فيمكن طيها[٣٦٠]. وكانت الألواح الطينية تكتب بأقلام من القصب مثلثة الرأس، تسمي بالسومرية GI.DUBBA[٣٦١] وبالأكادية قن طوبي qantuppi وتعني قصب اللوح. وأحياناً كانت تتم الكتابة بأقلام مصنوعة من العظم أو المعادن، لكن توفر القصب هو الذي أدى إلى استعماله بشكل أساسي للكتابة[٣٦٢].

إن الطريقة التي تشذب بها نهايات هذه الأقلام هي التي تتحكم بشكل الخط. وبالإضافة إلى استعمال القصب لكتابة النص على اللوح استعمل أيضاً لرسم الخطوط الأفقية بين الأسطر، والعمودية بين الأعمدة. فمنذ العصور التاريخية كانت ألواح الكتابة تقسم إلى حقول مستطيلة أو كما حدث على ألواح العهد الأكادي القديم وما بعده، إلى مساحات مخططة أفقياً، وكانت العلامات المسمارية تدون في الفراغ بين تلك الخطوط. ولكن في عصر أور الثالثة كانت الرؤوس العليا للعلامات المسمارية توضع على الخط العلوي. كما أن النصوص المدرسية كانت تتبع الطريقة القديمة، بينما النصوص الإدارية والقضائية لم تكن مخططة بشكل عام[٣٦٣].

استعملت الكتابة المسمارية للغة السومرية أولاً، واعتباراً من منتصف الألف الثالث قبل الميلاد استعملت هذه الكتابة للغة الأكادية والايبلائية، ومن ثم كتب بها الحثيون والحوريون

(٣٥٨) حنون، ن، المرجع السابق، ص ٢١.

(٣٥٩) Wiseman D.J; 1955, a Syrian writing-boards, *Iraq, 17*. P. 3.

(٣٦٠) مرعي، ع، المرجع السابق، ص ١٤. وحنون، المرجع السابق، ص ٢٢.

(٣٦١) Howard M; 1955, technical des cription of the ivory writing board from Nimrud, *Iraq, 17*.P 14-20.

(٣٦٢) Wiseman D .J; 1955, P. 5.

(٣٦٣) حنون، ن، المرجع السابق، ص ٢٢.

لغتهم، ثم أخذها الأورارتيون ودونوا بها لغتهم. وكما العديد من اللغات الأوروبية الحديثة، كتبت معظم لغات الشرق الأدنى القديم بالخط المسماري قبل أن يتم الانتقال للخط الآرامي المربع ومن الجدير بالذكر إن تاريخ آخر نص مسماري عثر عليه حتى الآن يرقى إلى عام ٧٥م[٣٦٤].



(٣٦٤) مرعي، ع، المرجع السابق، ص ١٥.

الفصل الخامس

٥- الأختام:

تُعد الأختام وطبعاتها من الإنجازات القديمة الهامة في العصر الحجري الحديث، وذلك لضمان الملكية وختم المواد القابلة للنقل خاصة بعد ازدياد عمليات التبادل التجاري بين المناطق المتجاورة، ولتمييز الأشياء الشخصية ضمن الأسرة الواحدة، كما ظهرت الكثير من طبعات الأختام على كتل صلصاليه صغيرة استعملت لإغلاق الحاويات التي وضعت فيها المواد المختلفة، وكانت وظيفة هذه الطبعات للدلالة على المحتوى وعنوان المرسل أو المالك والمرسل إليه أو اسم كلا الشخصين من خلال رمز معين، وقد ظهر نوعان من هذه الأختام، الأختام المسطحة وفيما بعد الأختام الأسطوانية.

فالأختام المسطحة تؤرخ إلى الألف السابع ق.م، وقد وردت أقدم هذه الأختام من خلال التنقيبات التي أجريت في تل الصبي أبيض في محافظة الرقة، حيث اكتشفت مئات الأختام الصلصالية، وهذه الرموز تعود إلى العصر الحجري الحديث الفخاري، قبل وصول الحلفيين. صنعت هذه الأختام من الطين، وحملت أشكالاً متنوعة معظمها هندسي، كالخطوط المتعرجة، والدوائر والمثلثات والخطوط المتقاطعة، وبعضها حمل أشكالاً طبيعية كالنباتات والحيوانات وخاصة الماعز ذوات القرون الكبيرة والغزال، وقد جسدت بواقعية مفرطة.

استعملت هذه الأختام في ختم المواد القابلة للنقل، كالسلال والفخاريات، والحصر المجدولة والحقائب. وربما ساعد استعمال الأختام على تخزين كافة أنواع المنتجات، خصوصاً المخازن الجماعية لمجموعات اجتماعية محددة، وطالما أن موقع صبي أبيض استخدم للتخزين فقد سهلت هذه الأختام التعامل، وساعدت على قيام مجموعات رعوية متنقلة ومجتمعات مستقرة وبالتالي فإن الأختام تمثل ذكريات التعايش الرسمية بين شعوب بدوية وأخرى مستقرة[٣٦٥].

وأتت من السوية الخامسة في رأس الشمرة، أختام مسطحة لها أشكال هندسية مزخرفة تتشابه مع أختام موقع حالولة على الفرات، لكنها أكثر تنوعاً، وكانت مصنعة بمقاسات مختلفة، كما حدثت اكتشافات للأختام المسطحة في تل الفخيرية. ولهذا الاكتشاف أهمية خاصة من العصر الحجري الحديث إذ إنه يدل على عمليات ختم البضائع وتبادل المواد وتطور

(٣٦٥) اكرمانس,بيتر، ١٩٩٥ , ص٥-٣٢.

التجارة التي دلت عليها بقايا الخرز والحلي المستورد من مناطق بعيدة. وتطورت هذه الصناعة في العصر الحلفي في موقع الصبي أبيض ورأس الشمرة.

وفي عصر العبيد أصبحت الأختام مطلوبة بشكل كبير ومعترفاً بها، فصنّعوا الأختام المسطحة من أنواع مختلفة من الحجر والطين، وزخرفوها بأشكال هندسية كثيرة، ثم تطورت هذه الصناعة ودخلتها لأول مرة أشكال حيوانية مختزلة، إضافة إلى الأشكال الهندسية، واعتمد الحيوان كعنصر زخرفي مهم. ونقش على الختم بشكل طبيعي، وليس المختزل، مما يدل على تحكم الفنان بصنعته. كما عثر من هذا العصر،في موقع تل الشيخ في سهل العمق، على أختام تتصف بالجودة والإتقان، وتمتاز بأنها أحادية الشكل، رسم النقاش على سطح الختم أشكالاً عديدة، وتمثل الحيوان في لحظة معينة، جافلاً متنقلاً، بأوضاع مختلفة (الشكل ٧٤).



الشكل ٧٤

أولاً- ابتكار الأختام الأسطوانية :

جعل تطور العلاقات الاقتصادية في الألف الرابع ق.م، ابتكار الختم الأسطواني أمراً ضرورياً، فالبنيان الاقتصادي المعقد، وتوسيع التجارة مع البلاد القريبة والنائية، ولّد الحاجة إلى نقش أشكال متنوعة ومفصلة على سطح الختم الأسطواني لاسيما أنه يستوعب أشكالاً أكثر مما يستوعبه الختم المسطح، يضاف إلى ذلك أن الختم الأسطواني يناسب سدادات الجرار التي

تتمتع بسطوح واسعة. والأختام الأسطوانية ليست كالأختام المسطحة، التي ظهرت في العصور السابقة، إذ إنها أسطوانية، كانت تتدحرج على الطين الذي يختم الجرار لإغلاقها بإحكام[٣٦٦].

لكن لايعني ذلك تخلي الفنان عن صنع الأختام المسطحة فقد استمر استعماله في العصور اللاحقة وذلك بأشكال مختلفة كتجسيد الحيوانات مثل الغزال، الدب، الطيور الجارحة النسر والصقر، وكانت هذه الأختام تعلق إلى جسم صاحبها كتميمة. واكتشف العديد من الأختام في مواقع عديدة خاصة في تل براك، حيث اكتشف مئات القطع الصغيرة في معبد العيون سميت الرؤوس البشرية، لأنها تتألف من جمجمة وعيون وعنق يرتكز على قطعة مستطيلة من حجر الألباتر.

ثانياً– الأختام في عصر أوروك :

تعد الأختام المصنوعة في هذه المرحلة من أجمل إبداعات النحت المحفور على الحجر ونادراً ما كان يتكرر مشهد ختم على ختم آخر. وإلى جانب اللوحات التي رسمت عليها دروع مزخرفة، نجد مثلاً حيوانات مثل الماعز، الصقور والأسود ومجموعات مختلفة من الحيوانات فمنها التي تقف في بعض الحيوانات أمام حظائرها، وفي أحيان أخرى نرى رجلاً يطعم الحيوانات الأليفة، وهناك موضوع يمثل حرفيين أو نساء عاملات صورن وهن يقمن بأعمالهن (الشكل ٧٥).

وكانت رسوم الأسود الملتفة الرقاب تتمتع بشهرة كبيرة، وكان بعضها بذيول قصيرة، وغالباً ما كان هناك رسوم لقطعان المعابد، وربما رسمت على أختام المكلفين بمراقبة القطعان. قدمت حبوبة الكبيرة أوانٍ فخارية طبعت سطوحها بأختام اسطوانية لأول مرة، ونقشت عليها



٢١ـ ختم اسطواني، عصر الوركاء، م. البريطاني

الشكل ٧٥

(٣٦٦) كونة، هارتموت، الأختام الأسطوانية في سورية.

موضوعات أسطورية وطبيعية تذكر بأختام أوروك. وفي تل قناص، وجدت الأختام مع الأدوات الزراعية والمنزلية. وفي جبل عارودة، وجدت طبعات أختام أسطوانية تشبه ما وجد في حبوبة الكبيرة والوركاء، بحيث كانت السدادات الطينية كثيرة ومشوهة.

١- نماذج من أختام عصر أوروك في سورية :

تحفظ المتاحف السورية نماذج متعددة لأختام عصر أوروك، وكانت قد اكتشفت في العديد من المواقع السورية، ففي حلب يوجد نموذج لختم –ذو العقارب (الشكل ٧٦) من موقع حبوبة، وهو من الحجر الكلسي، وقد صورت فيه العقارب على السطح الأسطواني بأسلوب منبسط وخشن بعض الشيء، ولكنها تقدم لدى سحب الأسطوانة شريطاً تصويرياً جميلاً ومثيراً للاهتمام. وكان العقرب بشوكته السامة يعد من الحيوانات العائذة من الشر، وفيما بعد أصبح رمزاً للإلهة ايشغارا. وتوحي موضوعات المنقوشة على الأختام بأن بعضها كان مستمداً من موضوعات التي كانت منقوشة على الأختام العادية في العصر السابق وأهمها:



الشكل ٧٦

- معارك، حيث يشاهد الملك وأمامه الأسرى المكبلين.
- الحيوانات المفترسة: الأسد يهاجم حيوانات أليفة.
- حيوانات خرافية أسطورية يكون جسمها جسم أسد ورأس ثعبان.
- مشاهد دينية.
- حيوانات أليفة.
- إناء تخرج من فوهته حيتان، أسد وطيور ورجل يجلس قرب جرة كبيرةً.
- حظيرة فيها حيوانان نائمان، وحولها حيوانات أخرى بينها رجل يتربع على الأرض ويقوم بخض اللبن.

ومن متحف حلب أيضاً هناك ختم عثر عليه في موقع حبوبة، صنع من الحجر بلون

الفحم الحجري، نحتت على هذا الختم صور متعددة الأشكال: ثلاثة حيوانات شبيهة بالماعز، لها قرون مختلفة وتخطو نحو اليسار وفوقها يطير حيوانان متمددان باسترخاء، ويعطفان رأسيهما نحو الخلف.

وهناك نماذج لأختام من حبوبة على شكل كرات صغيرة صنعت من الطين غير مشوية، ففي متحف حلب ختم، عبارة عن كرة طينية غير مشوية وهي جوفاء بقطر ٦,٣سم، يبدو أنها كانت تستعمل كوثيقة مرفقة عند تسليم البضاعة، ويحدد صنف البضاعة رموز طينية صغيرة داخلها شكل يعني مثلاً زيت، ويعتقد في هذه الحالة أن عدد حاويات الزيت يكون مطابقاً لعدد الرموز الصغيرة لزيادة الأمان بعدم اختلاس الزيت من قبل الشخص الناقل.

وكانت تصنع حول الرموز كرة طينية تغطي بشكل كثيف طبعات ختم المرسل، ثم ينقش العدد نفسه من الرموز على السطح الذي ما يزال طرياً، وعندما تصل البضاعة مع الوثيقة، إلى المرسل إليه، فإنه يستطيع من النظرة الأولى التحقق من عدد ونوع البضاعة، ومن هو المرسل، أما إذا شك في أمانة الشخص الناقل، كأن يكون قد أجرى تغييرات على سطح الكرة، فإنه يعمد إلى فتحها، وأخرج منها العدد الصحيح من الرموز الطينية، وقد كان معنى هذه الرموز كما هو الحال بالنسبة إلى الأعداد معروفاً في مناطق واسعة من العالم القديم آنذاك.

وفي موقع عارودة، عثرت البعثة على طبعات لأختام مشوهة في الحي السكني منها:

- ختم أسطواني من الحجر الأخضر المائل إلى السواد، ارتفاعه ٢سم، نقش على سطحه أربعة صفوف أسماك سابحة.
- كما عثرت البعثة في موقع عارودة على مجموعة من طبعات لأختام (الشكل ٧٧) تمثل أشكال حيوانية وإنسانية وزخارف هندسية منها:

– طبعات لصفوف من الماعز الجبلي تتخللها عناصر أخرى مثل الأواني والزهور، والهلال والنباتات.

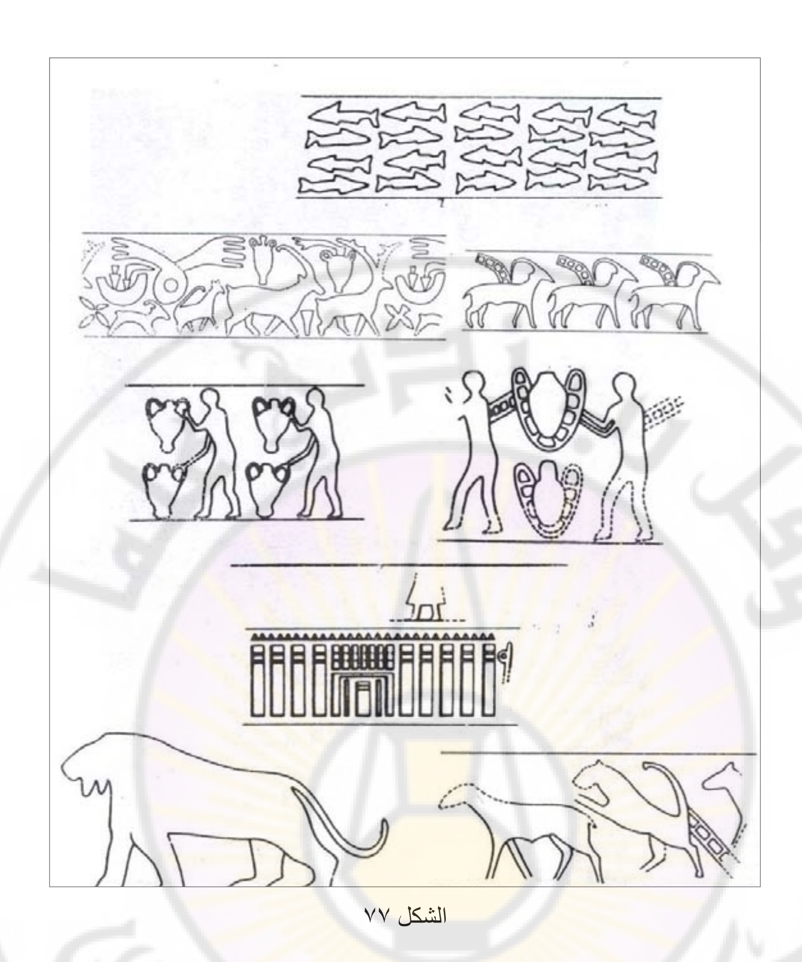
– مشهد لأشكال بشرية تسير في صفوف، أو تقوم بأعمال مختلفة.

– مشهد لواجهة معبد مزينة بالمحاريب والأعمدة.

– مشاهد لحيوانات أهمها الأسد وصراع الحيوانات مع بعضها[٣٦٧].

وهناك طبعات الأختام المكتشفة حديثاً في تل حموكار، فقد وجدت أختام طينية، وهي عبارة عن كتل طينية، لإغلاق الحاويات، وقد وجدت في علم ٢٠٠٥ حوالي ١٠٠ طبعة ختم

(٣٦٧) أبو عساف، ع. ١٩٨٨، المرجع السابق، ص. ١٥٠.



الشكل ٧٧

طينية ظهر على الطبعات رسوم محفورة بدلا من طبعات الأختام[٣٦٨].

وفي موسم التنقيب ٢٠٠٦، وجدت في إحدى الغرف بالإضافة إلى الأدوات والأواني الفخارية، ثلاثة أختام على شكل تمائم من حجر الديوريت الأسود (الشكل ٧٨)[٣٦٩].

وصنعت الأختام في عصر جمدة نصر، بأشكال متنوعة منها حيوان مثل الغزال والدب والطيور الجارحة، ومنها ما كان يعلق كتمائم، وقد عثر على هذه النماذج في تل براك قرب معبد العيون وقد دلت هذه الأختام في هذه المرحلة على تدني مستوى الفن إذ قام الفنان بصناعة أختام بسيطة، وأُخذت في الموضوعات نهاية هذه الفترة وبداية الألف الثالث مواضيع من المشاهد التي ظهرت في الأختام الأسطوانية، مما أدى لتكرار الموضوعات نفسها التي عرفت في اللوحات النذرية كموضوع الولائم المقدسة.

(٣٦٨) The University of Chicago News office,2005 p 2.

(٣٦٩) جمال تموم، المرجع السابق، ٢٥٥.



الشكل ٧٨

ثالثاً– أختام الألف الثالث ق. م :

بلغت الأختام في هذا العصر القمة في التنوع والاستخدام في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فأصبحت تصنع من مواد أكثر تنوعاً كالحجر الكلسي والصدف اللازورد والقار، ولأول مرة صنع من الذهب والفضة، ونقشت عليها المشاهد بمهارة وغدت الأشكال أكثر قوة وظهرت بارزة والوجه كلياً إلى الأمام، بخلاف ما كان عليه الحال حيث كان النقش سطحياً والمشاهد ضعيفة البروز وجانبية الوجه، ولكنها ازدحمت على سطح الختم دون أية فراغات، والأهم من ذلك نقش على بعض الأختام كتابات مسمارية تذكر اسم صاحبها واسم الرب المهدى له الختم.

واعتاد سكان بلاد الشام في هذا العصر على ختم الجرار، وقد عثر على العديد من كسرها، بمواقع أثرية كثيرة، وخاصة في مجدو وجبيل وحماه. ونقش الفنان الأشكال على الأختام بطريقة تشبه طريقة نقش أختام العصر السابق، إذ كان الحفر سطحياً وكان أسلوب رسم الأشكال متشابهاً من حيث إنها غير طبيعية. أما فيما يتعلق بالأختام الأسطوانية فقد عثر عليها في مدن ومواقع أثرية كثيرة، مما يدل على انتشار استعمال الختم، بشكل عام إن كان

على المستوى الرسمي أوبين عامة الناس كالتجار والفلاحين وغيرهم. وقد تنوعت الموضوعات التي عالجتها هذه الأختام منها:

- الرسوم الهندسية والرمزية (الشكل ٧٩) :

هذه الموضوعات لم تكن جديدة على الفنون لدى إنسان العصور السابقة لكنها كانت جديدة على فن صناعة الأختام، خاصة بعد أن أصبح الختم في متناول عدد كبير من الناس وتحرر الفنان من صنع الأختام للحاكم والمعبد، مما جعله يبتكر مواضيع جديدة، يعبر من خلالها عن فنه وأفكاره، وقوام الرسوم الهندسية خطوط منكسرة ومتوازية ومائلة ودوائر.



الشكل ٧٩

- المعبد :

اختلف في هذا العصر الأسلوب الذي اتبعه الفنان، فقد استعمل المزرف المحدب، في حفرالمشهد،ففي تجسيد صورة حيوان المعبد بدأ جسم الحيوان، وكأنه مؤلف من مجموعة من الكرات، ومشهد المعبد في الوسط وعلى كل جانب صفان من الحيوانات الأليفة.

- الحيوانات الأليفة :

قام الفنان برسم الحيوانات الأهلية المدجنة مثل البقر والماعز والغنم، فمثلهم بصفوف في المراعي أو في الزريبة

و هناك موضوعات أخرى كصراع الحيوانات وبعض النشاطات من قبل النساء[٣٧٠].

١- الأختام في ماري :

صنعت الأختام في ماري خلال هذا العصر من مواد طرية من القواقع والحجر الكلسي، نقشت عليها بدقة الموضوعات التقليدية المعروفة من بلاد الرافدين كالولائم ومشاهد الصراع. وظهرت هذه الأشكال متساوية في طولها وأصبحت الزخارف الهندسية والحيوانية والنباتية غير مميزة، سيما عندما تحولت أشكالها إلى زركشة شبيهة بزركشة الثياب، كما صور الفنان الأشكال البشرية، أو الحيوانية، متتابعة أو متصالبة — متقاطعة. كما اهتم الفنان في أن تكون أطوال أشكاله متساوية في المشهد الواحد، وأصبحت أجسام الإنسان والحيوان قوية سمينة وطبيعية، فلبدة الأسد لم تعد حراشف السمك بل على شكل خطوط شعاعية أو منحنية، تغطي الرقبة والكتفين أما وجوه الحيوانات فهي تامة لأنها أدارت برأسها نحو الجانب.

٢- الأختام في ابلا :

وجدت طبعات الأختام الأسطوانية على سدادات الطين في مختلف أرجاء القصر الملكي. وضعت هذه الطبعات على فوهات الجرار وعلىِ الأواني والصناديق. وتدل الأشكال الناتجة عن طبع هذه الأختام التي كانت تعود لأفراد الطبقة الحاكمة، تدل على نوعيتها الرفيعة وصنعتها الماهرة. وقد حملت هذه الطبعات أسماء أفراد من تلك الطبقة، حيث كتب على إحدى هذه الطبعات اسم راين آدا وابتورا، وهم من كبار موظفي الملك أبي زكير الذي ورد اسمه كثيراً في النصوص الاقتصادية من الأرشيف.

كما ظهرت بالمقابل طبعات أختام ذات نوعية متوسطة كانت تعود للطبقات الأدنى في

(٣٧٠) علي، ابو عساف المرجع السابق.

مجتمع إبلا. وكما هي موضوعات الألف الثالث ق.م، كان الموضوع الرئيسي في الأختام، البطل العاري، والإنسان الثور في صراعه ضد الحيوانات المفترسة ودفاعه عن الأليفة منها. ورغم أن هذا الموضوع تقليدي معروف من بلاد الرافدين، لكنه يتكرر في إبلا متأثراً بطابع محلي خاص، حيث تظهر شخصية مركزية امرأة (ربة)، وجهها إلى الأمام، وعلى رأسها تاج بقرون، شعرها سابل وترتدي ثوباً مغدقاُ، تقوم هذه الربة مكان البطل العاري الرافدي، فتصرع الأسود الوحشية المروّضة التي ظهرت لأول مرة هذا الخضوع على الأختام السورية، لكن الربة تداعب الثيران الأليفة ويحيط بها إطار مزخرف بشكل هندسي أو بأشكال غريبة لرؤوس حيوانات، وبشر نقشت أشكالهم على سطح الختم.

وفي طبعة ختم من عصر الملك أبي زكير، وجد على سدادة من الطين شريط من الأشكال المتصالبة في مشهدين متجاورين: مشهد رئيسي يظهر فيه خمسة عناصر، أسد يعض عنق ثور وتحيط بهما امرأة شعرها مضفور ونصفها الأعلى عارٍ وترتدي على خصرها حزاماً يشد إليه ثوباً مغدقاً، ثم مشهد إنسان الثور يقف خلفه رجل آخر نصفه الأعلى عارٍ وعلى نصفه الأسفل ثوب مغدق يشبه ثوب المرأة بجانب المشهد الرئيسي نُقش مشهد ثانوي أكثر حركة وحيوية، نُقش في زواياه الأربع وجها أسد وإنسان متقابلين، فيما تدلى على كتف البطل حبلان، ويحيط بالمشهد كله، إطار هندسي، نفذت الأشكال بشكل أمامي وظهرت متساوية في طولها[٣٧١].

دلت الحفريات في تل خويرة على وجود طبعات أختام قليلة أو شبه نادرة، وبعض هذه الأختام محلية نقوشها هندسية تجريدية، مستمدة من نقوش العصر السابق استخدمت لأعمال تجارية بختم الجرار، وشملت أشكالاً هندسية ومجموعات من البشر ونباتات وحيوانات وأسماك. كما وجدت طبعات أختام لمشاهد مختلفة مثل : افتراس الحيوانات الكاسرة — خاصة الأسود- لحيوانات أليفة وحماية الإنسان لها، وجسم ثور ورأس أسد والنسر برأس أسد (الشكل ٨٠). كما أعطى هذا الختم مجموعة من الأختام الأسطوانية المستوحاة من نماذج أختام بلاد الرافدين، لكنها منقوشة بأسلوب سوري، وعثر على نماذج لطبعات أختام غير مألوفة أو نادرة في بلاد الرافدين حيث تصور الطبعة التي وجدت على سدادة عنق جرة صفي حيوانات مسطحة لكنها نافرة ومليئة، نقشت بأسلوب سوري شمالي[٣٧٢].

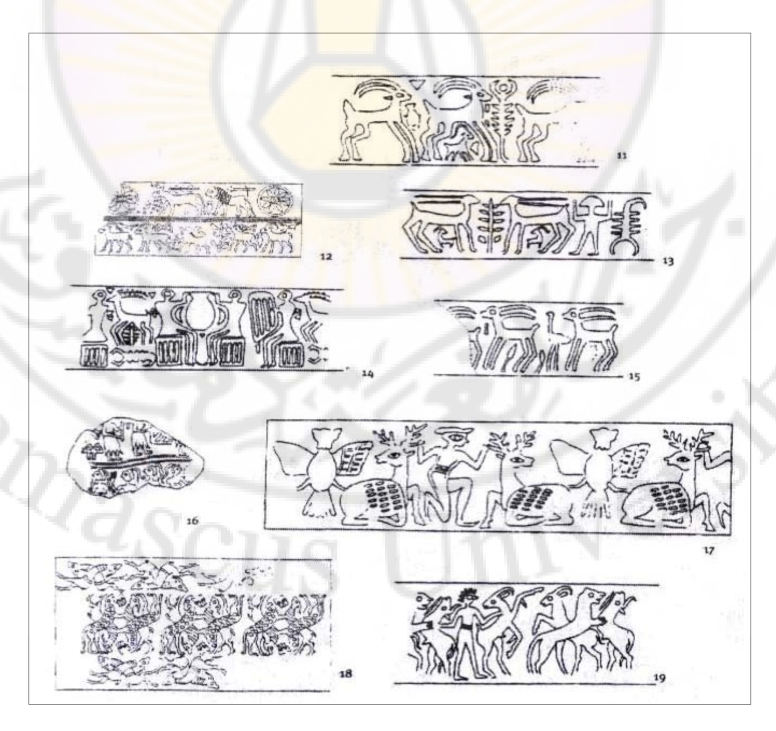
وعثر على عدد من الأختام في تل براك، نقش عليها أشكال هندسية ومجموعات بشرية ومجالس الشراب والصراع بين الأضداد وأحياناً قُسم الختم إلى قسمين في الأعلى مجالس الولائم وفي الأسفل حيوانات أليفة(الشكل ٨١) وختم من الطين المشوي فيه ثقب مما يدل على أنه كان يعلق ويتدلى من عنق أو معصم صاحبه، تتكون الطبعة من سلسلة من الدوائر المشتركة المركز.

(٣٧١) ماتييه،باولو ، المرجع السابق.
(٣٧٢) كونة شيفر, ١٩٨٠, ص ٣٩-٤٠.

وفي تل بيدر سادت الموضوعات ذاتها التي انتشرت في منطقة الجزيرة بشكل عام كمجالس الشراب والولائم ورؤوس الأسود والمشاهد الحربية والدينية والعربات العادية ومجموعات بشرية ضمن حقلين سفلي وعلوي.

وعثر في تل عربيد من فترة نينوى٥ داخل إحدى الغرف على ثلاثمائة طبعة ختم أسطوانية الشكل مصنوعة من الطين.

وامتدت حضارة البرونز القديم إلى بعض المواقع الجنوبية من بلاد الشام، فقد وُجد في موقع عرقوب الظهر في الأردن، أختام تعود إلى الفترة المبكرة من هذا العصر. وقد نُش على سطحه بعض الحيوانات كالغزال والماعز الواثب، وقد مسخت أجسامها وتشابكت بحيث تكون منها زخارف هندسية، وفي موقع خربة الزرقون وُجد ختم، طبعت على سطحه أشكال حيوانات، وهو عبارة عن كسرة فخارية مصنوعة باليد، في أسفلها طبعة ختم مشوهة يظهر شخصان رأسهما كبيران، الوجهان دون ملامح، يقفان أمام عنزة برية وثور بقرنين كبيرين. ربما ندرة الأختام على الطبعات، كون هذه الأختام صنعت من مواد سريعة العطب كالخشب مثلاً[٣٧٣].



الشكل ٨٠

(٣٧٣) كونة,هارتموت، المرجع السابق، ص ٣٨.



-٩٢- طبعات أختام من تل براك – عصر نشوء الممالك –

-٩٣- طبعات أختام من تل براك – عصر نشوء الممالك –

الشكل ٨١

رابعاً- الأختام الأسطوانية خلال عصرالبرونز الوسيط :

أخذت طريقة الحفر على الأختام في هذه الفترة موضوعاتها من العصر السابق بشكل عام، لكن الصانع لم يتقيد بالأشكال والموضوعات المعروفة، بل أضاف إليها أشكالاً أخرى. وصّور أكثر من مشهد على سطح ختم واحد، قسمه إلى حقول أو حقلين في كل منها أشكالاً بشرية، أو حيوانية كالمصارعة ولباس الرجال الذي هو عباءة مميزة (الشكل ٨٢).



الشكل ٨٢

وقد تعرف سكان بلاد الشام على الإ؛نجازات الحضارية المحيطة بهم جغرافياً فتأثروا بفنهم، مضيفين لها إنجازاتهم الخاصة وصاغوها في قالب سوري أصيل وجديد. وشملت هذه التأثيرات مختلف المجالات وخاصة ما يتعلق منها بالفنون والتصاوير وتقنيات التصنيع، وقد كان لحضارة بلاد الرافدين الدور الأكبر في التأثير على فنون بلاد الشام، ففي مجال صناعة الفخار، أخذ صانعو الأختام الأسلوب في الحفر ونقش الموضوعات على سطوح الأختام، خاصة في هذه الفترة (البرونز الوسيط) حيث نجد في بعض الأختام ظهور أحد الشخصيات الرئيسية بلباس طويل إضافة لوجود النسر والبقرة في المشهد، ومشاهد تصوير البطل العاري مع

الماء المتدفق من كتفيه، أو الإله الجالس وبيده إناء ذو قاعدة كروية والماء يتدفق من الجانبين وغيرها، كلها عناصر تشير إلى حضارة وفنون رافدية بحتة.

وقد شمل التأثر أيضاً العناصر الثانوية الصغيرة التي كانت تستخدم لملء الفراغات كقرص الشمس في وسط الهلال وعناصر أخرى ذات أصل سومري، مواقع أخرى مثل ماري، أعطت طبعات الأختام مشاهد واضحة على التعبير المجسم الدقيق حيث قام الفنان السوري بمزج موضوعات أختام العصر البابلي القديم في الحضارة الرافدية، بمشاهد الأختام السورية في مشهد واحد، هذا بالإضافة إلى العثور على بعض الأختام في مواقع أخرى تُظهر تحوير في الأسلوب الرافدي بناء على الذوق المحلي في بلاد الشام[٣٧٤].

في ماري حفرت الأختام لموظفي القصر والتي تتداخل فيها التأثيرات القديمة والجديدة وتشكل مزيجاً متجانساً من حضارات بلاد الرافدين وبلاد الشام، وكان لديهم ميل لاستخدام الأحجار الجميلة في صناعة الأختام لأن أصحابها غالباً ما كانوا يحملونها كحلي للزينة ترصع بها حلية تعلق في العنق. فقد وجد ختم ٣,٥ ×١,٥سم، نحت على جوانبه بشكل مقعر، تمثيل لقتال بين أحد الأبطال وثور.

أما في إبلا فقد وجدت طبعات الأختام على الجرار، وكانت نموذجاً لأختام بلاد الشام (الشكل ٨٣) يعرض مشهد هذا الختم الرئيسي موضوع التقيد، حيث يظهر رجل، شعره مضفور متدلٍ على ظهره، وتغطي لحيته صدره، يرتدي العباءة السورية المميزة، ذات الجزمة السميكة، يحمل في زناره خنجراً يرفع يده اليمنى محيياً بينما يسبل ذراعه اليسرى، ويقف هذا الرجل بوضعية المتقدم من الإله بعل، الذي يرتدي خوذة مدببة عليها قرون، لحيته تصل إلى صدره ويتمنطق خنجراً ويلوح بدبوس في يده اليسرى وبالأخرى يحمل شيئاً ما. بين الرب والمتعبد، نقش ثور مضطجع على مصطبة وفوقه عروة الصليب المصرية، وهو الرمز الهيروغليفي لكلمة الحياة.

وفي قطنة عثر على ختم في المدفن الملكي، من حجر الهيماتيت الأسود، حفرت عليه صور صغيرة جداً موزعة ضمن أعمدة متساوية. يعود الختم إلى القرن الثامن عشر أو السابع عشر ق.م، يحتوي الختم على ١٨موضوعاً مختلفاً، موزعة ضمن ١٢ عموداً على الصورة المنقوشة عليه، وينجم عن ذلك عدد مدهش من الرموز المصورة. وتتألف هذه الرموز من أشخاص وأيدٍ، ورؤوس ثيران، وأسود، وطيور وأبو الهول ورموز تعبر عن الآلهة وجميعها رموز سورية ورافديه[٣٧٥].

---

(٣٧٤) ناجي عادل، حضارة العراق "أختام الاسطوانية"، الجزء الرابع بغداد ١٩٨٥, ص ٢٩١-٢٩٢.

(٣٧٥) المفدسي، ميشيل،، المرجع السابق، ص٣٣.



الشكل ٨٣

الأختام الاسطوانية في ألالاخ :

بعد التنقيبات التي قام بها ليونارد وولي في موقع تل عطشانة (ألالاخ) كانت الاكتشافات الأثرية مهمة وكان من أهمهما الأختام الأسطوانية التي عثر عليها في عدة سويات تعود إلى عصر البرونز وتعطي صورة عن العلاقات الاقتصادية والفنية السائدة في هذه المدينة والمنطقة الشمالية الغربية من بلاد الشام. ومن أهم هذه الأختام:

١- عثرفي السوية XI على ختم بيضوي الشكل لايحتوي على سطحه أية كتابة. نقش عليه شكل رجل يلبس ثوباً، ويبدو جالساً على كرسي. أما في الجهة المقابلة منه، فهناك نقش لرجل آخر يرفع يده اليسرى، وقد بدا وكأنه يعرض عليه طعاماً.

٢- الختم في السوية vII يمثل ربة تقف على جهة اليمين تحمل في يدها اليسرى فأساً، وترتدي ثوباً طويلاً، وقد نقش مقابلها رجل بحالة الوقوف على الجهة اليمنى وهو يرفع يده، وكان يرتدي أيضاً ثوباً طويلاً وقبعة بيضوية الشكل. وعليه كتابة "اميتا ابن ياريم ليم الثاني ملك ألالاخ (الشكل ٨٤).

٣- ختم عثر عليه في السوية الثامنة، حمل شمل الضفيرة المؤلفة من أربع جدائل، وكان الجزء العلوي منه غير كامل، وتم تمييز نقش لرجل وهو في حالة صراع مع أسد، وبدا الرجل وهو يحاول تسديد سهم إليه (الشكل ٨٥).

٤- ختم عثر عليه في السوية السابعة، في منطقة القصر، في الغرفة رقم ١١، وهو أمام ربة ترفع يديها الاثنتين، وتضع قبعة على رأسها بشكل دائري، وترتدي ثوباً فضفاضاً، وعدد من الأطواق. وصورة رجل آخر يرتدي قبعة بيضوية الشكل.يصور هذا الختم

مشهد استلامه هذه العلامة من الربة، ويعد مماثلاً لأختام كثيرة كان قد عثر عليها ضمن الفترة البابلية القديمة، ويحمل كتابة تقول : أن ياريم ليم الثاني بن أبان ملك يمحاض، وأن ياريم الثاني كان ابن الملك أبان معاصراً أيضاً لياريم ليم في ألالاخ، (الشكل ٨٦).

٥- ختم عثر عليه في السوية السادسة، جزء منه مفقود، ولكن ما هو واضح منه كان شكلاً لرجل يمسك بيد رجل آخر، ويبدو كأنه يقوده، على حين كان يرفع يده اليسرى، أما الرجل الأول فقد كان يرفع يده اليمنى، وبين الرجلين رمح طويل، يظهر وكأنه وراءهم، وفي طرف الختم من جهة اليمين توجد ملامح لرجل جالس على كرسي، وأمامه رأس غزال يأكل أعشاب من المرعى.

٦- ختم عثر عليه في السوية الرابعة، رجلاً طويلاً يضع قبعة دائرية على رأسه، يمسك بيده اليمنى حربة أو أداة للقتال، ويمسك بيده اليسرى طرف الثوب الذي يرتديه. وفي الجهة المقابلة نقشت صورة إله يرفع يديه الاثنتين، يرتدي ثوباً طويلاً مقصباً ويضع على رأسه قبعة وبين الإله والرجل قرص، وغزال صغير يقف على أطرافه الخلفية، وخلف الإله في الأعلى أسدان واقفان بشكل متقابل، ويضعان قدميهما الأماميتين على غزال، وفي أسفل الختم من اليمين، أسدان آخران مجنحان يلبسان قبعات ذات شكل مدور. كتب في الجهة اليسرى "أدريمي" . هذه المشاهد على الأختام ظهرت في نوزي التي تعود إلى الفترة ذاتها.

٧- أختام نقش عليها كتابات مسمارية منها :ختمان أسطوانيان، أن أبا إل بن حمورابي، ملك يمحاض محبو أدد. وقد كتب اسم صاحب الختم كالتالي: AB- BA- AN. وهذا يعطي احتمالين لقراءته، إما أبان ؛ أو أبّا إل. ونظراً لتكرار هذا الاسم كثيراً في النصوص المكتشفة، فقد اعتبر أنه حاكم على ألالاخ وليس على يمحاض[٣٧٦].

وزاد استخدام الأختام في هذه الفترة مع تطور العلاقات الاقتصادية في مختلف مستوطنات الألف الثاني فقد على عثر مجموعة كبيرة من طبعات الأختام الأسطوانية الشكل وعليها كتابة مسمارية وعلى أساسها تم معرفة الفترة الزمنية التي شيد فيها معبد تل ليلان.

(٣٧٦) Wise man,D, 1958, AbbananclAlalah JCS12,p146.



الشكل ٨٤



الشكل ٨٥



الشكل ٨٦

خامساً- الأختام في عصر البرونز الحديث :

نشأت في بلاد الشام، مدرسة أصيلة لصناعة الأختام في بعض الممالك خاصة في أوغاريت وقطنة وإيمار وألالاخ والجزيرة، والتقت فيها كل التيارات المعاصرة، الرافدية والمصرية والإيجية. حيث كانت تربطها مع هذه المناطق علاقات تجارية وسياسية قوية، وعكست تأثيرات مختلف التيارات أشكال الأختام، ورغم وجود عناصر زخرفية مشتركة مثل: الضفيرة والأشكال الحيوانية والبشرية والثانوية المتممة (الشكل ٨٧) ولكن هناك مشاهد جديدة كالأنثى العارية وصور الرجال وأرباب مجنحة وبطل يصرع حيواناً قوياً.



الشكل ٨٧

وبالحقيقة تعد أوجاريت أهم مكان عثر فيه على أختام هذا العصر، والتقت فيها كل التأثيرات الآشورية والميتانية والحثية والمصرية والإيجية التي صنعت بذوق ومهارة الأوغاريتيين الذين نحتوا على أختامهم، آلهتهم ورموزها، ومتعبدين يقفون أمام شجرة الحياة أو نباتات وحيوانات وطيور وأسماك، ومشاهد الصيد والصراع مع الحيوانات المقدسة وبعض الحيوانات الأليفة مثل الماعز. استخدم في صناعة الأختام حجر السيتاتيتواالهيمياتيت إلى جانب الطين المزجج، وغالباً ما كانت تملأ الفراغات على سطح الختم بمشاهد الصيد والصراع مع الحيوانات المفترسة ورعاية الحيوانات الأليفة (الشكل ٨٨).



الشكل ٨٨

ويمكن تقسيم فن صناعة الأختام إلى ثلاث مجموعات كبيرة:

١– مجموعة الجزيرة :

وتضم قسمين، القسم الأول الأختام الحورية– الميتانية والقسم الثاني الأختام الأشورية،

- أختام القسم الأول: بعد سقوط الدولة البابلية القديمة ظهرت الدولة الميتانية التي جاورها من الشرق بابل ومن الشمال الغربي الحثيين، أما في الجنوب فقد امتد نفوذها إلى أجزاء واسعة من سورية الشمالية. ساهم الميتانيون في تطوير الفنون المختلفة، وأدخلوا عناصر جديدة على صناعة الأختام التي صنفت ضمن مجموعتين:

- الأولى متقنة الصنع، صنعت من حجر الهيماتيت أو الحجر القاسي، اتبع في نقش المشاهد أسلوب الحفر العميق أولاً لتبرز مجسمة عند طباعتها، ثم نتج أسلوب التثليم نتيجة استخدام المزرف بكثرة.

- الثانية عادية وتسمى مجموعة كركوك، استخدم في صناعتها معجونات زجاجية ولأن طريقة صنع هذه الأختام الأخيرة سهلة وبسيطة فقد لاقت رواجاً كبيراً في مختلف المناطق إذ تصنع هذه الأختام بواسطة قوالب توضع بها العجينة الزجاجية فتجف وتخرج ثم تنقش عليها المشاهد فتزجج وتصقل، فتوفر هذه الطريقة سرعة في الإنتاج بواسطة قالب واحد، فتنتج أعداداً كثيرةلكن تبدو عادية ليس فيها إبداع وتنوع[٣٧٧].

- المرحلة الحديثة (الأشورية): وصلت صناعة الأختام إلى أوجها، وارتقت إلى مستوى عالٍ قلد صانعوها حرفيي الحوريين، لكنهم أبدعوا لينتجوا فناً راقياً مثل الثور المجنحوقد عثر في تل الفخيرية على عدة كسر لمغلفات رقم طينية مختومة بطبعات أختام متنوعة ينتمي أغلبها إلى الأسلوب المعمول به في منتصف القرن الرابع عشر ق.م[٣٧٨].

٢- المجموعة الكنعانية :

اعتمد فن صناعة الأختام في هذه المجموعة أسلوب الخطوط والمستقيمات في تكوين الأشكال، وقد ظهر نموذج يمثل هذه المرحلة من أوجاريت، يحمل موضوعاً غير مألوف وربما كان قد صنع في مشغل أوجاريتي قلد أشكالاً قبرصية (الشكل ٨٩).

٣- المجموعة القبرصية :

تأثرت صناعة الأختام في هذه المجموعة بتأثرها بفنون النقش على الأختام في بلاد مابين النهرين، وبلاد الشام[٣٧٩]. تميزت هذه المجموعة بظهور نوع متقن والنوع الآخر البسيط غير الدقيق. (الشكل ٩٠).

وازدهرت في مملكة قطنة خلال هذا العصر فن صناعة الأختام نظراً للنشاط الاقتصادي وتشابك علاقتها مع الممالك المعاصرة، فقد عثر في المدفن الملكي على ثمانية أختام أسطوانية كانت تستخدم في الإدارة الحكومية الخاصة لتأمين سلامة المخزون من البضائع لضمان سلامة الشحنات من البضائع المختلفة. أحد الأختام الأسطوانية كان معلقاً كقطعة حلي على قلادة ذهبية. وكانت الأختام التي يتألف بعضها من الهيماتيت القاسي والكوارتز، مزودة بأغطية ذهبية لجعلها كعطايا للقبر أعلى قيمة وأكثر وجاهة، وختمين صنعا من اللازورد الثمين المستورد ومزينين بأغطية ذهبية. كما عثر على ختم أسطواني من الهيماتيت الأسود، حفرت عليه صور صغيرة جداً موزعة ضمن أعمدة متساوية.

(٣٧٧) كونة شيفر, دمشق, ١٩٨٠ , ص٤.
(٣٧٨) بوناتز د، بارتل ب, تل الفخيرية, ٢٠١٠ , ترجمة وسيم الرز, ص ٤١٤-٤١٥.
(٣٧٩) كونة,هرتموت، المرجع السابق، ١٩٨٠ , ص ٩٥.



الشكل ٨٩



الشكل ٩٠

وعثر في بلدة الحميرة شمال شرق مدينة دير عطية، على طبعة ختم مسطح بيضوي الشكل وجد على سطح فوهة جرة تخزين كبيرة يظهر فيها شخصان يقفان بشكل متقابل تحت شجرة، وتظهر بعض التشطيبات تحت القدمين وخلف كما عثر على طبعة ختم دائري الشكل على السطح الخارجي لفوهة جرة تخزين كبيرة، يظهر في المشهد امرأة جالسة على عرش، ترفع يديها بعلامة تبرك، وعرش خشبي عليه بعض الزخارف، وأمام المرأة غصن طويل.

ووجد في موقع تل سكا القريب من دمشق، عدد من الأختام، أحد هذه الأختام كان بشكل زر صغير مدور حمل على وجهه العلوي شكلاً زخرفياً يمثل زهرة اللوتس المألوفة في الفنون المصرية القديمة والبقية أخذت شكل الجعران المصري والتي كانت قد استخدمت كتمائم أو أختام، وحملت شفة فخارية تعود لجرة تخزين كبيرة طبعة ختم يبدو أنها تعود لجعران مصري، فيها تصوير لشخص مجنح يرتدي ثوباً طويلاً يحمل بيده ما يشبه الهراوة. إن وجود هذه الأختام يدل على وجود نشاط اقتصادي متنوع ومزدهر فهذه الختام تكون لدى أصحاب المهن المختلفة بشكل عام[٣٨٠].

ويمكن أن نعرض بعض النماذج لأختام المنطقة الشمالية الغربية من سورية في هذه الفترة خاصة في موقع تل العطشانة (مملكة ألالاخ) كون معالم مملكة يمحاض لازالت تحت مدينة حلب، من هنا تأتي ضرورة عرض بعض هذه النماذج.

---

(٣٨٠) طرقجي،أحمد ، المرجع السابق.

سادساً- الأختام في عصر الحديد :

سكن الآراميون خلال عصر الحديد في المناطق الداخلية من سورية، وأسسوا ممالك انتشرت على مساحة سورية، وظهر الفينيقيون، بعد غزو شعوب البحر في القرن الثاني عشر ق.م، في المدن لساحلية لبلاد الشام. وكما ذكر سابقاً عند دراسة آثار الألف الأول لابد من الأخذ بالحسبان أمرين هامين وهما:

- لانجد في ممالك الألف الأول مدن وعواصم مهمة مثل ماري إبلا أوجاريت...
- الأمر الآخر أن المدن الآرامية عندما سقطت على يد الأشوريين، أقام الأشوريين مدنهم فوق أنقاض المدن الآرامية، مما يصعب التمييز بين ما هو آرامي وما هو أشوري

لذلك يجب دراسة اللقى الأثرية بشكل عام في الألف الأول كما هي ومقارنتها مع الفن الأشوري لتوضيح هوية تلك اللقى. لذلك يمكن تصنيف الأختام الأسطوانية السورية في هذه الفترة طبقاً للأساليب الفنية التي كانت سائدة في بلاد أشور وبابل، الأشكال مستمدة من تراث الفن الأشوري على الأختام.

واللافت للانتباه في بلاد الشام، هو العودة لاستعمال الختم العادي (المسطح)، بعد أن غاب لأكثر من ثلاثة آلاف سنة، إلى جانب استعمال الختم الأسطواني، والسبب في ذلك هو انتشار الكتابة الآرامية، التي كانت تسطر على الجلود وورق البردي ويصعب ختمها بالختم الأسطواني، لذلك لجأ الناس إلى الختم العادي الهرمي الشكل وصوروا عليه موضوعات دينية مماثلة لبعض المواضيع المنقوشة على الأختام الأسطوانية[٣٨١].

فأصبحت غلبة الختم المسطح ميزة للعصر الحديدي في كل من سورية وفلسطين، فصارت الأسطوانة المقلبة على الطين باطلة الاستعمال وخلفها نموذج الجُعل المصري، وهذه الجعلان كثيراً ما كانت تستخدم ليس فقط كأختام وإنما كحُلي للزينة وتحتفظ دائماً بقيمة سحرية وتعويذية. وقد انتشرت هذه النماذج من الأختام في معظم المواقع في بلاد الشام، ويمكن ملاحظة أن معظم الموضوعات التي مثلت على الأختام كانت ذات تأثير مصري طاغ كأبي الهول المجنح (الشكل ٩١) وشخص يسعى يعتمر تاجاً مزدوجاً ويرتدي رداءاً قصيراً يمسك بإحدى يديه عصا لها هلال ويرفع الأخرى تحية أو تبريكاً (الشكل ٩٢).

(٣٨١) أبو عساف, ١٩٩٣علي, ص٢٠٢-٢٠.

أعطى تل بويض على الضفة اليمنى لنهر الخابور وعلى بعد١٨كم جنوب شرقي مدينة الحسكة، نموذج عن ختم أسطواني صنع من مادة الفريت، توضع تحت أرضية الغرفة السابعة من القصر الملكي، يصور الختم مشهداً لبطل يرمي السهام على تنين (الشكل ٩٣)كما عثر في موقع تل بيدر على مجموعة من الأختام الاسطوانية التي تتشابه مع الأختام التي وجدت في تل بويض.

ومن الممكن الأخذ بفرضية أن الإنتاج للأختام في هذا العصر قد كان متمركزاً بشكل رئيسي في المدن الفينيقية وأن الأختام التي تظهر في فلسطين وسورية الداخلية كانت فينيقية الأصل، من عمل صناع فينيقيين هاجروا إلى الداخل أو محاكاة لأعمالهم قام بها صناع محليون.



الشكل ٩١



الشكل ٩٢



الشكل ٩٣

قائمة المراجع العربية للباب الثاني:

أبو عساف علي، ١٩٧٨، تل خويرة، تقرير حول نتائج موسمي التنقيب السادس والسابع، الحوليات الأثرية العربية السورية المجلدان ٢٧-٢٨.

أبو عساف علي، ١٩٨٨، آثار الممالك القديمة في سورية، دمشق.

أبو عساف علي، ١٩٩٦، الآثار في جبل حوران، دمشق.

أبو غنيمة خالد، ٢٠٠١، أساليب الدفن وعاداته خلال العصر الحجري الحديث في بلاد الشام (**مجلة دراسات تاريخية**) جامعة دمشق العددان ٧٥-٧٦ ص ٣-٤٥.

البني عدنان، ٢٠٠١، المدخل إلى قصة الكتابة في الشرق العربي القديم، دمشق.

الخوري موسى، ٢٠٠٢، قصة الأرقام عبر حضارات الشرق القديم، دمشق.

الغزي عبد العزيز، ٢٠٠٦، خصائص فخار العبيد في شرقي المملكة العربية السعودية - دراسة (**أدوماتو**) عدد/١٣/ ص ٢٥-٤٤.

أوتيس جون، ١٩٩٨، تل براك، التعاون السوري البريطاني في مجال الآثار، مجموعة مقالات، دمشق المديرية العامة للآثار والمتاحف ص ٤٤-٥١.

أولبرايت، وليم، ١٩٧١، آثار فلسطين تعريب اسكندر زكي ومحمد محمد، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الاسمية، مصر.

بهنسي، عفيف، ١٩٨٢، تاريخ الفن والعمارة جامعة دمشق.

توينس، انغولف، ١٩٦٠، تل مشنقة، معرض الآثار السوري الأوربي.

جاموس بسام وستوردور دانييل، ١٩٩٦، الجرف الأحمر نحو أوائل التجمعات الإنتاجية، الجرف الأحمر قرية من الألف العاشر قبل الميلاد، **معرض الآثار السوري الأوربي**، ص١٣-١٨.

حنون نائل، ٢٠٠١، **المعجم المسماري**، بغداد.

دويدري رجاء، ١٩٨٣، **جغرافية الوطن العربي** - الجزء الثاني، جامعة دمشق.

دويدري رجاء، ٢٠٠١، **جغرافية الوطن العربي في آسيا**، جامعة دمشق.

دي كونتنسانسون هنري، ١٩٧٣، حضارة حلف في رأس الشمرة، ترجمة عدنان الجندي، **الحوليات الأثرية العربية السورية**، مجلد ٢٣، ص، ٣٥٩-٣٦٧.

شترومنغر إيفا، ١٩٧٥، حبوبة،ترجمة قاسم طوير،**الحوليات الأثرية العربية السورية العدد٢٥**،

طرقجي أحمد، دمشق وغوطتها في النصف الأول من الألف الثاني ق.م.

الطيار ، محمد شعلان،٢٠٠٩، الفخار القديم والخزف، جامعة دمشق.

طوير قاسم، ١٩٨٢، ابلا، دمشق.

عبد السلام عادل، ١٩٩٠، **جغرافية سورية العامة**، جامعة دمشق.

عبد السلام عادل، ٢٠٠٢، البيئة الجغرافية للجزيرة السورية واستيطانها، الجزيرة السورية التراث الحضاري والصلات المتبادلة، **من وقائع المؤتمر الدولي – دير الزور** ٢٢–٢٥ نيسان ص ١٣–٢٣.

عبد السلام عادل، ١٩٩٠،**الأقاليم الجغرافية السورية**، دمشق.

فريد ريش يوهانس، ٢٠٠٤، **تاريخ الكتابة**، ترجمة سليمان الضاهر، دمشق

كلود جان ومحمد دبيات، ٢٠٠٤، **المدينة في سورية**،ترجمة محمد دبيات.

كونتنو، جورج،الحضارة الفينيقية، شعيرو القاهرة

كونة هرتموت،١٩٩٣، الأختام الاسطوانية في سورية

كوكينو أ، ١٩٩٩، جعدة المغارة عناصر جديدة متعلقة بانتشار ما قبل الفخار في الشمال، **الحوليات الأثرية العربية السورية**، العدد ٤٣، ص ٢٤٩.

مازروفسكي ريتشارد، ٢٠٠٢، التقرير الأولي للتنقيبات الأثرية في تل قرامل، الموسم الرابع ٢٠٠٢، المديرية العامة للآثار والمتاحف.

حمود ، محمود ووعميري، ٢٠٠٨، بعثة عين منين، موسم التنقي العاشر.

محيسن سلطان، ١٩٨٩، **آثار الوطن العربي القديم، الآثار الشرقية**، جامعة دمشق.

محيسن سلطان،١٩٩٣، **المزارعون الأوائل**،دمشق.

محيسن سلطان، ٢٠٠٠، الوحدة الحضارية في الوطن العربي القديم، **المؤتمر الخامس عشر للآثار والتراث الحضاري في الوطن** العربي، ص ٨–٥٠.

محيسن سلطان، ٢٠٠٤، **عصور ما قبل التاريخ**، جامعة دمشق..

مرعي عيد، ١٩٩٢، الكتابة والتعليم في بلاد الرافدين ، دمشق (**مجلة دراسات تاريخية**) ، العددان ٤١–٤٢، ص ٧–٤٢.

مرعي عيد، ١٩٩١، ،**تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور**.

منشيف رؤوف، ١٩٩٦، الحضارة الحلفية والجزيرة، **وثائق الآثار السورية، المديرية العامة للآثار والمتاحف**، ص ٢٩٧–٣٠٠.

مورتكارت أنطون، ١٩٧٥،**الفن في العراق القديم**، ترجمة عيسى سلمان سليم وطه التكريتي، بغداد.

موليست ميغل، ١٩٩٦، تل حالولة، معرض الآثار الأوربي دمشق .

موليست ميغل، ١٩٩٩، العصر الحجري في الألفين التاسع والثامن قبل الميلاد في شمال سورية، نتائج التنقيبات في تل حالولة، وادي الفرات سورية – **الحوليات الأثرية العربية السورية** مجلد ٤٣، ص ٢٥٣–٢٥٥.

هاردنج، لانكستر، ١٩٦٥، آثار ىلأردن، تعريب موسى سليمان، منشورات اللجنة الأردنية للتعريببوالترجمة والنشر.

هبو أحمد، ١٩٨٤، **الأبجدية، نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب**، اللاذقية، ١٤–١٥.

هول فرانك ،١٩٨٦ تقرير أولي عن حفريات (أم قصير)على الخابور موسم ١٩٨٦،ترجمة خالد الأسعد، **الحوليات الأثرية العربية السورية** مجلد ٣٦،ص١٢–١٦.

قائمة المصادر والمراجع الأجنبية للباب الثاني:

Akkermans P M M G., 1987 , A late Neolithic and early Halaf village at Sabi Abyad northern Syria, *Paléorient* 13/1, Lyon, p. 23-40.

Akkermans P M M G., 2000, *Tell Sabi Abyed II The pre-pottery Noolithic B Settlement*, Leiden

Akkermans P M M G & Verhoeven M., 1995, An Image of complexity the Burnt village at Late Neolithic Sabi Abyad, Syria, *American Journal of archaeology*, N 99, pp5-32.

Akkermans P M M G.& Schwartz G., 2003, *The Archaeology of Syria, from Complex Hunter-Gatheres to Early Urban societies (16000-300 BC.)*, Cambridge press.

Al Maqdissi M., 1988, M Ftoune 198401987 potene du bronze moyyn II(Syria) towe Lxv

Albright W., 1932, The Chalcolithic age in Palestine, *BASOR* 48, pp. 10-13.

Algaze G., 1986, Habuba on the Euphrates, *JNE* S 45. pp. 123-138.

Anderson P., 1993, Interpretation of agricultural activities. collogue international de Liege, Editions ERAUL, vol50, pp325-330.

Anderson P., 1994, Experimental cultivation harvest and threshing of wild cereal and their relevance from interpreting the use of Epipaleolithic and Neolithic artifacts, *CNRS* France, pp. 206-2

Beyer D., 1997, Tell Mashnaqa, *Chronique archaeologique en Syrie*,vol II, Damas, pp161-169

Boese J., 1995, *Ausgrabungen in Tell Sheikh Hassan*, Saarbrucken,

druckerei und verlag,Saarbrucken, pp. 79-98.

Boese J., 1998, Excavation at Tell Sheikh Hassan, a preliminary report on the 1998 Campaigne in the Euphrates valley, *AAAS,* nº. 39, Damas, pp. 164-189.

Breniquet C., 1990, *La disparition de la culture Halaf ou les origines de la culture d'Obeid dans le nord de la mesopotamie*, vol1, pp38-145

de Contenson H., 1962, Poursuite des recherches dans la sondages à l'ouest du Temple de Baal, 1955-1960, rapport préliminaire, *Ugaritica. pp1-23*.

de Contenson H., 1973, La culture halfinne de Ras Shamra, *.AAAS* 23, Damas, pp. 87-93.

de Contenson H., 1982, Les Phases Préhistoriques de Ras Shamra et de l'Amuq, *Paléorient* 8/1, pp. 95-98.

D colbh A, 1995 Ancient Near Eastern art,London He British Musum press.

Driel V & Driel M., 1979, Jebel Aruda, 1977-1978, *Akkadica n21*, pp. 2-28.

Drivers G. R., 195, *Semitic writing form pictograph to alphabet*, Oxford

Eidem J. & Warburtan D., 1996, In The Land of Nagar, A survey Around Tell Brak, *Iraq* 58, pp. 11-34.

Gibson M., 1999, Syrian-American Expedition to Hamoukar Hasseke Province*, a Preliminary report*, *D.*

Helms S.W., 1987, Tell Umm Hammad EB, Lat-Chalcolit landscape, *LevXIX* , pp15-27.

Hole F &Johnson G A, 1988, *Umm-qseir*, Rapport Préliminaire, *DGAM, syria*

Hours F., 1994, *Atlas des sites du Proche-Orient* (14000-5700 BP), Maison de l'Orient Mediterranéen, Lyon.

Kafafi Z., 1993, The Yarmoukians in Jordan, *Paléorient* 19/1, pp. 101-113.

Kohlmeyer K, 1976, Houses in Habuba kabira-south; spatial organization and planning of uruk residential architecture, Istanbul, pp.90-103.

Mallon A, ***Koeppel R.and Neuville R.*,** 1934, *Tulielat Ghassul I, Compte des fouilles de l'Institute pontifical 1929-1932*, Rome Press.

Mallowan M. E. L., 1947, Excavations at Brak and Chagar Bazar, *Iraq* 9 , pp.1-25

Matthews R., 1998, Tell Brak, 1996, *Chronique Archéologique en Syrie*, *DGAM* voll II, pp. 77-79.

Mazurowski R., 2002, *Preliminary report of The fourth season at Karamel (Syria)*, DGAM, Syrie .

Mazurowski R., 2003, Sixth preliminary report, *The excavation at Karamel*, DAGAM, Syrie, pp1-24.

Mazurowski R. & Kanjou J., 2003, *preliminary report of the fifth season of Archaeological Excavation on Tell Karamel*, DGAM Syria , pp1-18.

Mazzoni S., 1999, Tell Afis its region in The Late Chalcolithic Period, *AAAS* N° 40, Damas, pp. 97-117.

Mortg0t A, 1982, Die.Kums Mesopotamien sumer und akkad

Oates D. & Oates J., 1994, *Tell Brak;,* A Stratigraphic Summary, *Iraq* 56, pp.92-105.

Orthmann W, Tell Chura and the Erly bronze Ale culture of north eastem Syria.

Rice P. M., 1981, *Pottery Analysis, Chicago:*, University of Chicago press.

Rye O. S., 1981, Pottery technology, principles and reconstruction, manuals on *Archaeology* 4, Wshington D.C, pp.32-40.

Sanlaville P., 2000, *Le Moyen-Orient Arabe le milieu et l'homme*, Armand Colin, Paris.

Schmandt- Besserat D., 1977, The Earliest uses of clay in Syria,in *Expidition vol 19 N 3*, pp29-53.

Schmandt- Besserat D., 1998, Ain Ghazal Monumental figures artistic Analysis, ***the Bulletin of American***.

Schmandt- Besserat D., 1981, From tokens to tablets : A reevaluation of the so-calld «Numerical Tablets». In: *visible Language*, vol XV, nº 4, pp. 321-344.

Schmidt K., 2001, *Gobekli Tepe ziyaret 1994-2001, Haute Mesopotamie*, Turquie.

Schmidt K., 2003, The 2003 Campaign at Gobekli Tepe (south eastern Turkey), *NEO-LITHICS* 2/03, pp. 1-33.

Schwartz G, Syria and Uruk Expansionm American school of Oriental, Reseach, *ASOR*, pp.233-264.

Schwartz G. &Weiss H, 1992, *Syria ca.2000-10,000- B.C., in* R.

Ehirich, ed., *Chronologies in Old world Archaeology*, Chicago and London: University of Chicago Press, pp.221-243.

Schwartz G. &Weiss H, 1995, *Magical uses of Ancient Mesopotamian festivals of the dead*, Leiden.

Schwartz G. &Weiss H, 1965, Un habitat du paléolitique à Ein Gev, note preliminaire, *l'Anthropologie* 69, pp.

Strommenger E., 1980, *Habuba Kabira ein Stadt* vor 5000 Jahren, **Mainz am Rhein.**

Surenhagen D. *Cermik-Production I Habuba*, Dabirasud Berlin.

Wise man D. 1958 Abbannanel Alalah JCS 12.


وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

اللجنة العلمية :

أ. د. مأمون عبد الكريم

أ. م. د. محمد شعلان الطيار

أ. م. د. زياد سلهب

المدقق اللغوي:

أ. د. سكينة موعد